اللواء الركن
د. ياسين سويد
(متقاعد)

التاريخ العسكري لبني اسرائيل من خلال كتابهم

(قراءة جديدة للعهد القديم)

الجزء الثاني



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

هذا الكتاب

هو الأول من نوعه في المكتبة العربية. يدرس سلوك العبرانيين وممارساتهم في الحرب، استناداً إلى معتقداتهم الدينية كما وردت في العهد القديم، ويستنتج، من خلال ذلك، الجذور الدينية للعقيدة العسكرية كما مارستها الصهيونية ضد العرب، في القرن العشرين. إنها عقيدة العنف والإرهاب والإبادة والقتل الجماعي، باعتبار ان «الآخرين» هم «غرباء» أو «غوييم» ، وإن الشعب اليهودي، وحده، هو «الشعب المختار» الذي يستحق الحياة.

كتاب لا بد من قراءته للتعرف إلى الجذور الدينية للفكر العسكري الصهيوني.

المؤلف في سطور

ضابط سابق في الجيش اللبناني برتبة لواء ركن، من مواليد ١٩٣١، حائز على شهادة الأركان من كلية الأركان ببيروت. تابع دورات عسكرية عدّة في فرنسا وبلجيكا. وتسلّم مراكز قيادية في الجيش اللبناني.

عضو مؤسِّس في «المنتدى القومي العربي» و«الهيئة الوطنية لمقاومة التطبيع» ببيروت.

عضو في اللجنة الدولية للتاريخ العسكري وفي اللجنة الدولية للعلوم التاريخية.

حائز على إجازة الحقوق من الجامعة اللبنانية ببيروت (١٩٦٤).

حائز على دكتوراه دولة في التاريخ من جامعة «السوربون» بفرنسا بدرجة مشرّف جداً (١٩٨٤).

استاذ سابق في الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، الفرع الأول (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥)

حائز على العديد من الأوسمة، أهمها: الاستحقاق اللبناني درجة أولى والأرز الوطني من رتبة كومندور، ووسام المؤرّخ العربي.

ألّف كتباً عديدة في التاريخ العام والعسكري، الاسلامي والعربي، وفي الاستراتيجية، وأسهم في وضع كتاب «التنشئة الوطنية» الصادر عن وزارة الدفاع الوطني اللبنانية (عام ١٩٦٣)، وفي وضع كتاب «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالتعاون مع قيادة الجيش اللبناني (عام ١٩٧٣)، كما أسهم في تأليف الموسوعات: العسكرية (معارك اسلامية وعربية وقادة مسلمون وعرب)، والسياسية (فصل عن لبنان)، والفلسطينية (بحث موسع عن الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية والجيش الاسرائيلي والارهاب الاسرائيلي).

نشر العديد من المقالات في الصحف اللبنانية والعربية، وألقى العديد من المحاضرات في الأندية الثقافية اللبنانية والعربية.



ISBN 978-9953-88-470-7

التاريخ العسكري
لبني اسرائيل

من خلال كتابهم
(قراءة جديدة للعهد القديم)

(الجزء الثاني)



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد

ص.ب. : ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان

برقياً: انكلسامس

تلفون: ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)

تلفون + فاكس: ٦٠٢٠٢٩ ـ ٣٥٣٠٠٠ (١ ٩٦١)

الطبعة الثانية ١٩٩٨

تصميم الغلاف: عباس مكي

الاخـراج الفنـي: تركية التالي

اللواء الركن د. ياسين سويد
(متقاعد)

التاريخ العسكري لبني اسرائيل

من خلال كتابهم
(قراءة جديدة للعهد القديم)

(الجزء الثاني)

الباب الخامس

ما لم يرد في كتاب اليهود عن حروبهم

(١٣٤ ق.م ـ ١٣٥م)

ـ الفصل الأول: الحروب في عهد الأسرة المكابية

(١٣٤ ق. م. ـ ٤م).

ـ الفصل الثاني: حروب الرومان ضد اليهود ـ١ـ

من جيسيوس فلوروس الى ڤسپاسيان (٦٥ ـ ٦٩م).

ـ الفصل الثالث: حروب الرومان ضد اليهود ـ٢ـ

حروب تيتوس (٧٠م)

ـ الفصل الرابع: حروب الرومان ضد اليهود ـ٣ـ

حروب ما بعد تيتوس (٧٠ـ٧٣م و١٣٢ ـ١٣٥م).

ورد في العهد القديم، في آخر سفر المكابيين الاول، ان «بقية أخبار يوحنا (هرقانوس) والمآثر التي قام بها، والاسوار التي بناها، وسائر اعماله، مكتوبة في كتاب أيام كهنوته الاعظم. منذ ان تقلد الكهنوت الاعظم بعد أبيه»(١). ويبدو ان هذا الكتاب غير موجود البتة، او انه مفقود، لذا، لجأ الباحثون الى ما وجدوه عند المؤرخ اليهودي «فلافيوس جوزيفوس» (أو يوسفوس) من روايات عن أعمال هرقانوس ومن خلفه في حكم بني اسرائيل. وقد عاش المؤرخ يوسفوس في القرن الاول الميلادي، وشارك في الحروب التي جرت بين اليهود والرومان. وسوف ننطلق في بحثنا الاخير هذا، عن حروب اليهود، مما كتبه هذا المؤرخ، مع ما وجدناه من أبحاث وآثار اخرى كتبت في هذا المجال، مستندين، أساساً، الى يوسفوس بالذات، باعتباره القائد العسكري الابرز الذي شارك في هذه الحروب وأرّخ لها. ونحن اذ نستند الى المراجع اليهودية أساساً، في بحثنا الاخير هذا، وخصوصاً الى المؤرخ اليهودي فيلافيوس جوزيفوس، وغيره من المؤرخين اليهود المحدثين أمثال آهاروني وبريتشارد وبرناڤي وغيرهم، هؤلاء الذين استندوا، بدورهم، وفي معظم ما كتبوه عن تاريخ الشعب اليهودي، الى يوسفوس نفسه، فلا يعني، ذلك، اطلاقا، اننا نؤكد ما ورد عند هؤلاء من روايات او نثبتها على علاّتها دون التحقق منها ومناقشتها، ولكن افتقادنا للمراجع الاخرى، غير اليهودية خصوصاً، تجعلنا نقف عاجزين عن مناقشة هذه الروايات وتمحيصها، بالاضافة الى اننا لم نحاول، اساساً، مناقشة ما ورد في «العهد القديم» من روايات، ولن نحاول مناقشة ما ورد عند المؤرخين اليهود القدامى أمثال يوسفوس، لان ذلك يخرج عن موضوع بحثنا.

الا اننا، وان كنا قد اعتمدنا «يوسفوس» في معظم ما قدمناه في هذا الباب، الى درجة اننا نقلنا، حرفيا، معظم ما ورد في كتابه «حرب اليهود» من روايات، لا بد من ان نتوقف عند الكثير من المبالغات التي نلفت نظر القارئ اليها، لكي لا يعتبر ان نقلنا اياها هو تأييد لأحداثها وتأكيد لها، بل لكي نشير الى ما في كتاب اليهود، كما في تاريخهم، من روايات تتنافى مع الواقع والمنطق المعقول والمقبول، خصوصاً وان قصدَنا من كتابة «التاريخ العسكري لبني اسرائيل» من خلال كتابهم هو في الاساس، ابراز هذه المبالغات التي تبلغ حد الخرافات، وتأكيد تأثُّر الفكر العسكري الصهيوني الحديث بها، كما سيرد معنا في الباب الاخير من الكتاب، ولا شك في ان هذا التأثر هو الذي أعطى العقيدة العسكرية الصهيونية الزخم والدفع اللذين نراهما في الحروب الاسرائيلية المعاصرة.

الفصل الاول

الحروب في عهد الأسرة المكابية

(١٣٤ ق.م - ٤م)

١- حروب يوحنا هرقانوس، او هرقانوس الاول (١٣٤-١٠٤ ق.م.)[١]:

اعتصم هرقانوس، بعد مقتل ابيه، في أورشليم، حيث تسلم ملك اليهودية ومنصب الكاهن الأعظم خلفا لوالده. وجاءه انطيوخوس السابع، ملك السلوقيين في سوريا، بجيش لجب، وحاصره في أورشليم، الا ان هرقانوس استطاع اغراء انطيوخوس بالمال، فقبل هذا الرشوة وفك الحصار عن المدينة[٢].

واغتنم هرقانوس فرصة انشغال انطيوخوس بحربه مع الميديين، ثم مقتله في مواجهة مع البارتيين عام ١٢٩ ق.م.[٣]، وكان قد انشأ جيشا من المرتزقة «فكان اول يهودي يفعل ذلك»[٤]، فانقض بجيشه هذا على المدن السورية، وكان انطيوخوس قد تركها بلا حماية، فاحتل مأدبا وسماقا وحشبون (حسبان) والمدن المجاورة عبر الأردن شرقا، وسيطر بذلك، على منطقة واسعة تمتد من الحدود الشرقية للبحر الميت غربا حتى حدود

---

(١) العهد القديم، ١مك ١٦: ٢٣.

(٢) Josèphe, Flavius, La Guerre des Juifs, P. 128 ويذكر جوزيف (يوسفوس) ان هرقانوس فتح قبر داود وكانت فيه ثروته كلها، فاستولى على المال واغرى، بقسم منه، انطيوخوس ليفك الحصار، كما انشأ، بالباقي، جيشا من المرتزقة (Ibid).

(٣) Aharoni, Yohanan, The Macmillan Bible Atlas, P. 155 -

(٤) Josèphe, Op. Cit. P. 128 -

ارض الأنباط (النبطيين) شرقا، وتبلغ الضواحي الجنوبية لفيلادلفيا (عمان) شمالا، والضفة الجنوبية لنهر ارنون جنوبا، بحيث اضحى مسيطرا، في الوقت نفسه، على «طريق الملوك King High Way» التي تصل البحر الأحمر جنوبا بدمشق شمالا. وقد انجز هرقانوس احتلال هذه المنطقة عام ١٢٨ ق.م.(٥).

وانتقل هرقانوس، بعد ذلك، (عام ١٢٦ ق. م.)، الى غرب الاردن، فاحتل جبل جرزيم (بالقرب من شكيم وهي نابلس اليوم)، حيث كان السامريون قد اقاموا معبداً شبيهاً بهيكل أورشليم، فدمره، ثم تقدم نحو شكيم فاحتلها في العام نفسه (عام ١٢٦ق.م.)(٦).

وفي العام ١٢٥ ق.م. توجه هرقانوس جنوبا نحو بلاد الأدوميين (النقب الأوسط) فهاجم العديد من مدنهم واحتلها، اذ احتل حبرون وادورا ومريشة في شمال البلاد، وملاطة وبئر سبع في جنوبها، وجرار وأوردا في غربها، جنوب غزة وعسقلان الفلسطينيتين(٧).

ويبدو ان هرقانوس خيّر الأدوميين بين اعتناق اليهودية او نفيهم من ديارهم، فاختاروا اليهودية. وقد أثار بعض المؤرخين المحدثين من اليهود جدلا حول هذا الموضوع، فذكر «آهاروني»، نقلا عن يوسفوس، ان الأدوميين «اكرهوا على اعتناق اليهودية مقابل ضمان شرعيتهم»(٨) ثم ناقش هذه المقولة مشيرا الى ان بعض الباحثين المحدثين يشكّون في صحتها، ومستطردا الى القول انهم، في أي حال، ومنذ بضعة أجيال

---

(٥) Josèhpe, Ibid والانباط، او النبط، او النبطيون، قبائل بدوية عربية استوطنت جنوب فلسطين في القرن الرابع ق. م.، واتخذت البتراء عاصمة لها. وقد اشتهر عدد من ملوك هذه القبائل باسم «الحارث»، وخلّفت في «البتراء» آثار حضارة عريقة (المنجد في الاعلام واللغة: انباط). وانظر:

- Aharoni, Op. Cit. P. 155 Map. 209

- Pritchard, Atlas du monde biblique, P. 149 (carte)

et -- Barnavi, Elie, Histoire Universelle des Juifs, P. 46

(٦) -- Josèphe, Op. Cit. P. 128.

-- Sachar. Abram, Histoire des Juifs, P. 131

-- Aharoni, Op. Cit. P. 157

et -- Pritchard, Op. Cit. P. 149

(٧) Josèphe, Op. Cit. P. 128.

-- Aharoni. Op. Cit. P. 155 Map. 210

et -- Barnavi. Op. Cit. P. 47

(٨) -- Aharoni. Op. Cit. P. 156

«انخرطوا في الأمة اليهودية، وتشهد على ذلك شجاعتهم الكبيرة في الحرب ضد الرومان»[٩]، كأنما يريد ان يستنتج من ذلك ان الأدوميين اعتنقوا اليهودية اقتناعاً بها لا اكراها. الا ان ما يقدمه «آهاروني» من استشهاد لا يمكن ان يكون دليلا كافيا وقاطعا لنفي المقولة التي أتى بها يوسفوس، وهو المؤرخ الثقة، لدى جمهور اليهود والمثقفين منهم، والأقرب، تاريخياً، الى الزمن الذي جرت فيه الواقعة موضوع النقاش. ويعزز وجهة النظر هذه ما أورده المؤرخ اليهودي «ساشار» من استنكار «ضمني» لتصرف هرقانوس الذي خيّر «الأدوميين، الأعداء القدامى لاسرائيل، بين النفي او اعتناق اليهودية»، فقد نعت «ساشار» هذا التصرف بأنه «نموذج محزن لفساد الطبيعة الانسانية» اذ ترى هرقانوس «منهمكا بنشر ديانته بحد السيف، بينما لا يفصله سوى جيل واحد عن أولئك الذين ضحوا بحياتهم واموالهم لاجل ضمان حرية المعتقد»[١٠].

الا ان طموح هرقانوس لم يكن ليقف عند هذا الحد، فقد كان يطمح لاستعادة ما كان يُعتبر انه «ملك الاسرائيليين منذ ايام داود»[١١]، لذا، كان يسعى الى احتلال السامرة كلها ليصل الى حدود الجليل. وفي العام ١٠٨ ق. م. عاد فتقدم بجيشه شمالا نحو السامرة حتى اذا ما بلغها فرض عليها حصاراً محكماً وأقام حولها سورا، ثم كلف ابنيه «أرسطو بولس وانتيغونس» متابعة الحصار[١٢]. وكان حصار السامرة شاقا ومرهقا، فقد سد المحاصِرون جميع المسالك المؤدية الى المدينة حتى كاد اهلها يهلكون جوعا، فاستنجدوا بالملك السلوقي في سوريا، انطيوخوس التاسع الملقب بـ«اسبنديوس Aspendios» او «سيزيسينوسCyzecenus»[١٣] الذي حاول ان ينجدهم الا انه هزم امام جيش الاخوين

---

(٩) -- Ibid

(١٠) -- Sachar. Op. Cit. P. 131

(١١) -- Aharoni, Op. Cit. P. 155

(١٢) -- Josèphe. Op. Cit. P. 128
-- Aharoni, Op. Cit. P. 157
et -- Barnavi, Op. Cit. P. 47
وكانت السامرة في الموقع الذي اقام فيه هيرودوس، بعد ذلك، مدينة «سبسطية»
(Josèphe, Op. Cit. P. 128)

(١٣) -- Aharoni, Op. Cit. P. 157 et Josèphe, Ibid.

«أرسطو بولس وانتيغونس»، اليهوديين، في معركة حاسمة شمال السامرة، بينها وبين سيتوبوليس (بيت شان او بيسان) وقد طارده الأخوان اليهوديان حتى سيتوبوليس، الا انه استطاع الافلات منهما وقفل عائداً الى بلاده[١٤]. أما الاخوان اليهوديان فقد عادا بجيشهما الى السامرة لكي يحكما الحصار عليها من جديد، وقد دام الحصار عاما كاملا (١٠٨ـ١٠٧ق. م) استطاع الأخوان بعده اخضاع المدينة واحتلالها، ثم تدميرها واسترقاق اهلها[١٥]. ثم تقدما بعد ذلك، شمالا بشرق، نحو «سيتوبوليس» (بيت شان او بيسان) فأخضعاها، كما أخضعا كل المدن والبلدان الواقعة في تلك المنطقة، من «حشبون» عبر الاردن و«سيتوبوليس» على ضفاف نهر الاردن، شرقا، حتى جبل الكرمل شمالا بغرب، فآزوتوس (اشدود) ويمنيا (يبنة) وابولونيا على ساحل البحر المتوسط، غربا[١٦].

وهكذا استطاع هرقانوس تحقيق طموحه في اقامة مملكة ممتدة من الجليل شمالا حتى البحر المتوسط غربا فالحدود الجنوبية لبلاد الأدوميين (الحدود الشمالية لبلاد الانباط) جنوبا فالحدود الغربية لبلاد الأنباط (الواقعة عبر الاردن) شرقا. (انظر الخارطة رقم ٣١)

وقد حكم هرقانوس طيلة واحد وثلاثين عاما وتوفي عام ١٠٤ ق. م. فخلفه في الحكم ابنه ارسطوبولس[١٧].

٢ـ حملة ارسطو بولس الأول على الجليل الأعلى (١٠٤ـ١٠٣ ق.م):

لم يستمر ارسطوبولس الأول في حكم بني اسرائيل سوى عام واحد (١٠٤ـ١٠٣ق.م) استطاع خلاله ان يقهر الايطوريين حكام البقاع الذين كانوا قد انتشروا في الجليل الاعلى، ثم ألحق هذا الجزء من سوريا بمملكته، وأكره اهل هذه المنطقة على اعتناق ديانته[١٨].

---

(١٤) -- Aharoni, Ibid.

(١٥) -- Josèphe, Op. Cit. P. P. 128 - 129

et -- Aharoni Op. Cit. P. 157

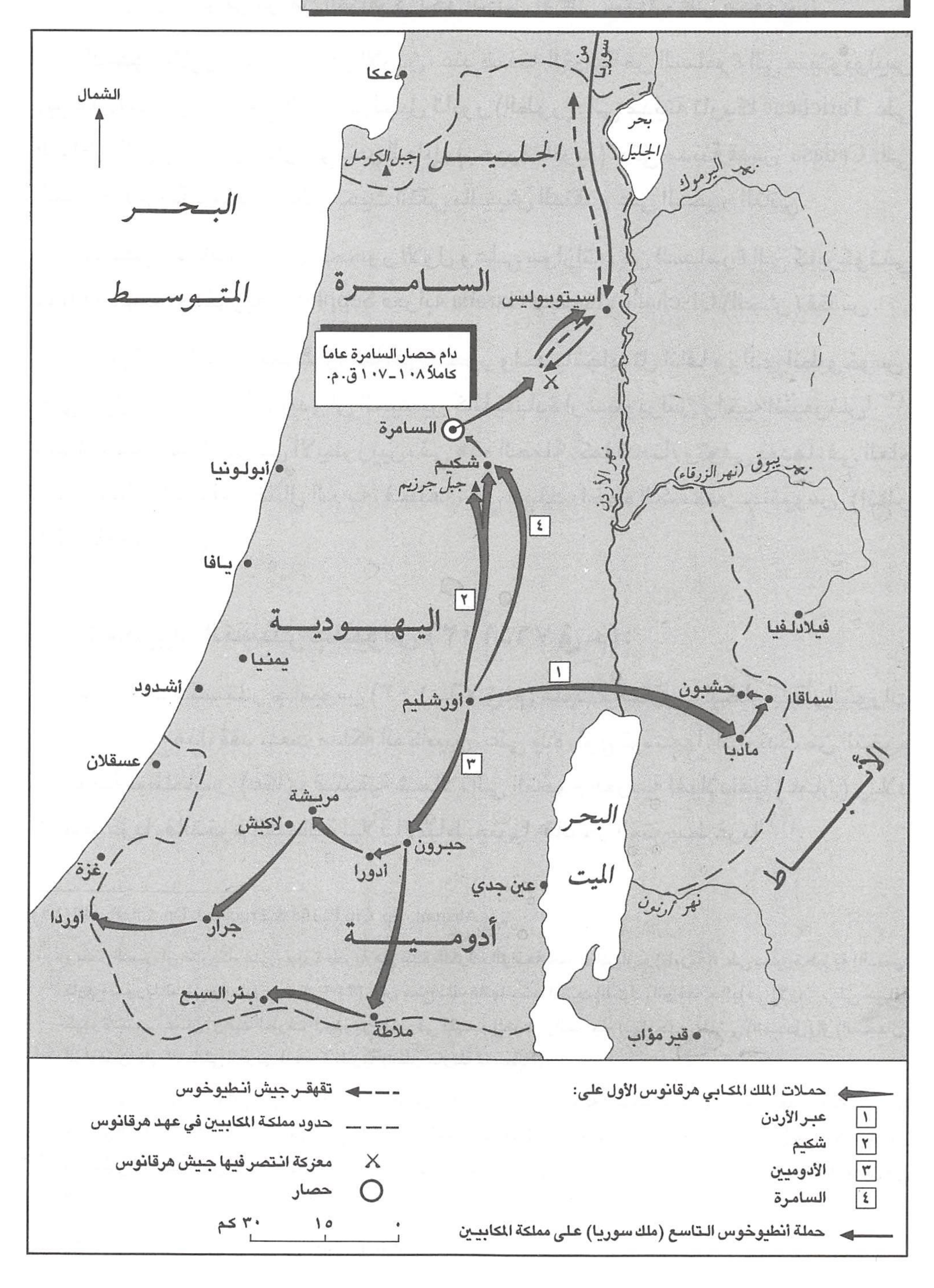
(١٦) -- Aharoni, Ibid & Pritchard, Op. Cit. P. 149

(١٧) -- Josèphe, Op. Cit. P. 129

(١٨) -- Aharoni, Op. Cit. P. 158; & Barnavi, Op. Cit. P. 47

وكان الايطوريون قد اغتنموا فرصة ضعف الدولة السلوقية فاستولوا على منطقة البقاع وحرمون ووادي طبريا وانتشروا في الجليل (Aharoni, Ibid.).

خارطة رقم ٣١: الحروب التوسعية لهرقانوس



انطلق ارسطو بولس من السامرة، نحو الجليل الاعلى شمالا، على محورين:

المحور الاول: بمحاذاة نهر الاردن، عند ضفته الغربية من السامرة الى سيتوبوليس (بيسان) مرورا بالسفح الشرقي لجبل تابور (الطور)، الى مدينة تاريكا Taricheae على الشاطئ الغربي لبحر كنارة او بحر الجليل (بحيرة طبرية) حتى مدينة قدَس Cadasa على السفوح الغربية للجليل الاعلى، حيث التقى بالجيش المتقدم على المحور الثاني.

المحور الثاني: غرب المحور الاول وعلى موازاته، من السامرة الى كابركوتني Capercotnei فصفورية Sepphoris فغرابة Garaba فجسكالا Gischala (الجش) فقدَس.

ومن قدس انطلق الجيشان معا، في محور واحد باتجاه: تل انافا ووادي انطيوخوس، حتى جبل حرمون(١٩). ويبدو ان الجيشين كانا بقيادة ارسطوبولس واخيه انتيغونس(٢٠)، وقد اخضع ارسطو بولس الايطوريين، في هذه الحملة، كما قدمنا، وتوفي بعدها، في العام نفسه، على اثر داء عضال ألمّ به، فخلفه، في الملك، اخوه الكسندر جانيوس. (انظر الخارطة رقم ٣٢).

٣- حروب الكسندر جانيوس (١٠٣-٧٦ ق.م):

كان عهد الكسندر جانيوس (١٠٣-٧٦ ق.م) مليئا بالحروب الخارجية والثورات الداخلية. ومع هذا، فقد بلغت مملكة المكابيين، على يده، أوج توسعها، اذ امتدت من التخوم الجنوبية لبطلمايس (عكا) وفينيقية شمالا، الى التخوم الغربية لفيلادلفيا (عمان) وبلاد الأنباط غربا، فالتخوم الشمالية لبلاد الانباط جنوبا، فالبحر المتوسط غربا(٢١).

---

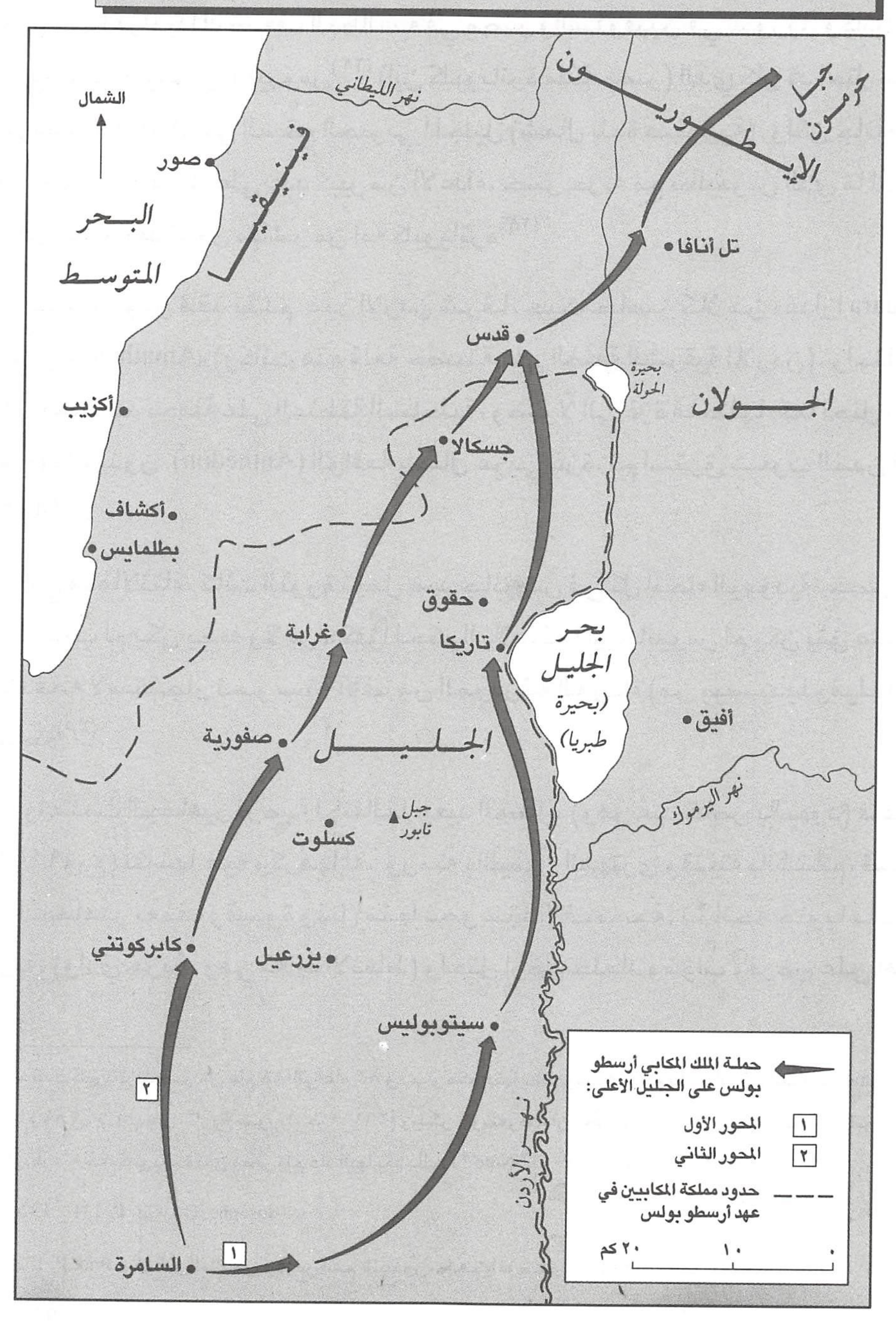
(١٩) Aharoni, Op. Cit. P. 158 & Pritchard, Op. Cit. P. 149 --

ويذكر الدبس ان «تاريكا» على بحيرة طبرية هي بلدة «الكرك» الواقعة جنوب طيبارية (طبرية)، على بحيرة طبرية (الدبس، تاريخ سوريا الديني والدنيوي جـ٢: ٣٥٢)، فان صح ذلك فانها حتما ليست (الكرك) الواقعة حاليا في الاردن، على مسافة كبيرة جنوب عمان، وعند الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الميت، والمرجح انها إحدى بلدتي (المجدل) او (المجدال) الواقعتين على الشاطئ الغربي لبحيرة طبرية (انظر خارطة فلسطين).

(٢٠) يذكر يوسفوس ان مؤامرة دبرت لاغتيال انتيغونس وهو ذاهب لزيارة اخيه ارسطوبولس المريض، بعد أن أبلغ، من قبل مدبري المؤامرة، ان اخاه يرغب في رؤية «الاسلحة الجميلة جدا والزينة العسكرية التي غنمها في الجليل» مع ان اخاه امر بأن يأتي اليه اعزل من السلاح كما أمر بقتله ان اتى مسلحا، وقد تزين انتيغونس بتلك الاسلحة وقصد اخاه فقتل في الطريق. (Josèphe. Op. Cit. P. 130)

(٢١) Aharoni, Op. Cit. P. 158 & P. 159 Map. 214 --

خارطة رقم ٣٢: حملة أرسطو بولس على الجليل الأعلى



ما ان تسلم جانيوس الملك في أورشليم حتى بدأ يتطلع لتوسيع رقعة ملكه في كل اتجاه، وقد اغراه بذلك ضعف البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا. وكانت اول حروبه ضد بطليموس لاثيروس[٢٢] (ابن كليوباترة ملكة مصر) الذي كان قد احتل مدينة «آسوشس Asochis» في السفح الجنوبي للجليل (شمال بلدة صفورية)، ولكن جانيوس، رغم تمكنه من القضاء على عدد كبير من الاعداء، خسر حربه مع بطليموس الذي ما لبث ان عاد الى مصر بعد تدخل مباشر من امه كليوباترة[٢٣].

اما جانيوس فقد تقدم عبر الاردن شرقا، حيث حاصر كلا من «غدارا Gadara» و«أماتوس Amathus» (وكانت هذه قلعة حصينة على الضفة الشرقية للاردن)، واحتلهما. وقام، بعد ذلك، بحملة على المنطقة الساحلية، وصولاً الى غزة فاحتلها، كما احتل رافيا (رفح) وآنتيدون (Anthédon) الواقعة شمال غربي غزة، ثم استرقّ شعوب المدن التي احتلها[٢٤].

في هذه الاثناء، كانت الثورة تعمل ضد جانيوس في كل انحاء اليهودية، خصوصا وان الشعب لم يكن يحبه ولا يراه كفؤاً لحكم البلاد، كما ان جانيوس لم يكن يثق بشعبه، مما دفعه لاستئجار نحو ستة آلاف من المرتزقة الغرباء (من بيسيديا وقيليقية) لحمايته[٢٥].

واغتنمت الجماهير فرصة احتفالها «بعيد المظال» (وهو عيد خاص باليهود) فاعلنت (عام ٩٤ق.م) نقمتها عليه وكرهها له، ورمته بالليمون المهترئ وقذفته بالشتائم، فسحق تلك الجماهير بعنف وقسوة وقتل منها نحو ستة آلاف نسمة، ثم اتجه جنوبا فاجتاح «عربة» (وادي عربة، وهي بلاط الانباط) واحتل ارض جلعاد ومؤاب وفرض على اهلها

---

(٢٢) حكمت كليوباترة مصر من عام ٨٨ الى عام ٨٣ ق. م. وحكم ابنها بطليموس لاثير معها في الوقت نفسه، من عام ٨٨ الى عام ٨١ ق. م. (الدبس، تاريخ سوريا، جـ ٣ : ٢٦١) ويذكر «يوسفوس» ان بطليموس المذكور كان قد لجأ الى قبرص بعد ان طردته امه «كليوباترة» من مصر، ثم عاد اليها بعد ذلك (Josèphe. Op. Cit. P. 132 Note *1)

(٢٣) Josèphe, Op. Cit. P. 131 _ 132 --

(٢٤) Ibid, P. 132. وقد غيّر الملك هيرودوس اسم «انتيدون» باسم «اغريبياس Agrippias» فيما بعد (Ibid).

(٢٥) Ibid. --

الجزية، وعاد فاتجه شمالا وهاجم قلعة «اماتوس» التي وجدها فارغة فدمرها[٢٦]. ولكن ملك عربة (ويدعى عبيداس Obedas) عاد ونصب له كمينا في «الجولان Gaulanitide» فدمر جيشه كله، اذ حصره في واد عميق وسحقه بعدد كبير من الجمال، مما اضطر جانيوس للهرب الى اورشليم. وكان وقع الهزيمة مأساويا على الشعب اليهودي مما دفعه الى الثورة، من جديد، على الملك الذي واجه الثائرين في عدة معارك وأسقط منهم «خلال ست سنوات، ما لا يقل عن خمسين الف رجل»[٢٧].

واستنجد الثائرون اليهود، لمحاربة ملكهم، بديمتريوس الثالث آسروس، ملك سوريا، (من عام ٩١ الى عام ٨٩ او ٨٨ ق.م)[٢٨] الذي انجدهم بجيش كثيف آملا ان يجد حظوة لديهم، فيما بعد، فيتوسع على حسابهم، وكان لقاء ديمتريوس مع حلفائه الثوار في شكيم (نابلس) حيث واجهوا، مجتمعين، جانيوس وجيشه.

كان عديد جيش جانيوس: الف خيال وثمانية آلاف مرتزق من المشاة، ومعهم عشرة آلاف من اليهود انصار الملك. اما عديد جيش ديمتريوس فكان: ثلاثة آلاف خيال واربعة عشر الفا من المشاة[٢٩].

قبل بدء القتال، قام كل من الملكين بمناورات اعلامية عسكرية لدفع الجند في جيش خصمه الى الاحباط، ومن ثم الانحياز الى الجيش المقابل باعتبار انه الأقوى وان النصر سيكون حليفه، فكان ديمتريوس يطمح الى اغراء مرتزقة جانيوس بالانضمام اليه، وكان جانيوس يطمح الى اغراء الثائرين اليهود وحلفاء ديمتريوس بالانضمام اليه. ولكن كلا الطرفين لم يحصلا على اية نتيجة ايجابية لمناوراتهما هذه، مما دفعهما الى الاحتكام للسيف، في ساحة المعركة.

---

(٢٦) Ibid وانظر: الدبس، المرجع السابق، جـ٣: ٢٦٢.

وكان على هذه القلعة «تيودور بن زينون» حاكم تلك المنطقة الذي ما ان علم بمجيء جانيوس حتى غادرها وفر خوفا من مواجهته.

وعربة: الوادي الذي يجري فيه نهر الاردن وفيه بحيرة طبرية والبحر الميت (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٦١٥)، وكانت هذه مملكة الانباط وعليها ملك يدعى «الحارث» وعاصمتها البتراء، (Josèphe. Op. Cit. P. 137)

(٢٧) Josèphe, Op. Cit. P. 132 --

(٢٨) حكم ديمتريوس الثالث اوثر (او آسروس Acaerus) سوريا من عام ٩١ الى عام ٨٩ او (٨٨) ق. م. (الدبس، م. ن. جـ٣: ٢٥٩).

(٢٩) Josèphe, Op. Cit. P. 133 --

وكانت نتيجة المعركة لمصلحة ديمتريوس رغم ما بذله المرتزقة في جيش جانيوس من جهد وما ابدوه من شجاعة. الا ان هذه النتيجة السعيدة، عسكريا، في نظر ديمتريوس، لم تكن كذلك سياسيا، اذ ما ان هزم جانيوس في المعركة حتى تخلى الثائرون اليهود عن حليفهم والتحقوا بملكهم المنهزم، فتبعه ستة آلاف منهم الى الجبال حيث لجأ بعد هزيمته. اما ديمتريوس، فقد عاد ادراجه، بعد المعركة، الى بلاده، خائبا[٣٠].

ولكن، ما ان انصرف ديمتريوس الى بلاده، حتى عاد الثائرون اليهود للقتال ضد جانيوس الذي فتك بهم وقتل منهم عددا كبيرا وظل يطاردهم حتى بيميزيليس (Bemeselis وهي مدينة في اليهودية مجهولة الموقع)، فدمر المدينة وساق من بقي من الثوار اسرى الى اورشليم. وقد تصرّف، ازاء هؤلاء الاسرى من بني شعبه، بوحشية وقسوة لا مثيل لهما، اذ انه صلب منهم، في ساحة المدينة (عام ٨٦ق.م.)، نحو ثمانماية، بعد ان «ذبح، على مرأى منهم، نساءهم واولادهم» وكان يتلذذ بمنظر هؤلاء، وهو يحتسي الخمرة مضطجعا بين سراياه، مما دفع بثمانماية الف مواطن يهودي للهجرة من اليهودية والبقاء خارجها حتى موت جانيوس[٣١].

وخلف الملك ديمتريوس في دمشق اخوه انطيوخوس الثاني عشر الملقب بديونيسوس[٣٢] (حكم من عام ٨٩ الى عام ٨٦ او ٨٤ ق.م.)[٣٣]، الذي اخذ يعد لشن حملته على العرب (الانباط) مرورا باليهودية، مما اثار خشية جانيوس الذي عمد الى حفر خندق، يمتد عشرين كلم، من المنطقة الجبلية الواقعة فوق انتيباتريس (على بعد ٢٠ كلم شمال شرقي يافا) الى المنطقة الساحلية عند يافا، للحؤول دون عبور جيش انطيوخوس، واقام أمام هذا الخندق حصنا عاليا مليئا بالبروج الخشبية بغية استيعاب اي هجوم. ولكن هذه الاستعدادات من قبل جانيوس لم تقف حائلا دون عبور جيش انطيوخوس الذي عمد الى احراق الابراج كلها وردم الخندق ومتابعة التقدم بجيشه لقتال العرب، مؤجلا الانتقام من جانيوس الذي حاول منعه من انجاز حملته العسكرية، الا ان انطيوخوس هزم في قتاله مع العرب، وقتل في المعركة[٣٤].

---

(٣٠) -- Ibid.

(٣١) Ibid وانظر: الدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٢٦٣

(٣٢) -- Josèphe, Op. Cit. P. 133

(٣٣) الدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٢٥٩.

(٣٤) -- Josèphe, Op. Cit. P. 134

اما جانيوس فقد عاد للحرب من جديد، فشن حملة باتجاه الشمال حيث احتل مدينة «پلا Pella» الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الاردن، ثم هاجم جيرازا فاحتلها بعد ان حاصرها وبنى حولها سورا مثلثا وخاض، لاحتلالها، معركة ضارية ضد «تيودور» صاحبها، ثم احتل «الجولان» و«سلوقية» و«وادي انطيوخوس» في الجولان، كما احتل القلعة المنيعة المسماة «قلعة غمالا Gamala»، ثم عاد الى اليهودية بعد ثلاث سنوات من المعارك الضارية المستمرة، حيث استقبل من شعبه بما يناسب انتصاراته من حماسة[٣٥]. الا ان المرض داهمه بعد ذلك فمات عام ٧٦ ق.م. بعد ان حكم ٢٧ عاما، وخلفته في الملك زوجته الكسندرا (انظر الخارطة رقم ٣٣).

٤ـ حروب الكسندرا سالومي (٧٦ـ٦٧ ق.م.):

تولت الكسندرا الملك بعد موت زوجها عام ٧٦ ق.م.، فكانت ملكة عادلة ونشيطة، وكان لها ولدان هما: هرقانوس الثاني، وهو البكر، وقد سلمته امه منصب الكاهن الأعظم، وارسطوبولس الثاني، وهو الأصغر، وكان يطمح الى خلافة امه على العرش.

وانشغلت الكسندرا، طوال فترة حكمها، بانشاء جيش قوي، فكثفت التجنيد العسكري، وضاعفت عديد قواتها المسلحة التي تضمنت، بالاضافة الى الجيش الوطني، فرقة مهمة من المرتزقة، فصارت مملكتها، بفضل ذلك، قوة يحسب لها حساب، بل «تخيف الحكام الأجانب» على حد قول يوسفوس[٣٦].

وما ان تمكنت من الاستعداد، عسكريا، حتى شنت حربا على دمشق بحجة ان بطليموس، ملكها «لا يفتأ يضطهد اهل هذه المدينة» الا ان جيشها عاد من دمشق بلا اية نتيجة تذكر[٣٧].

ولكن المرض ألمّ بالكسندرا بعد ذلك، فاغتنم ابنها ارسطوبولس الفرصة وانقضّ على العرش لكي يمتلكه قبل ان تعمد امه (المريضة) الى التنازل عنه لمصلحة اخيه

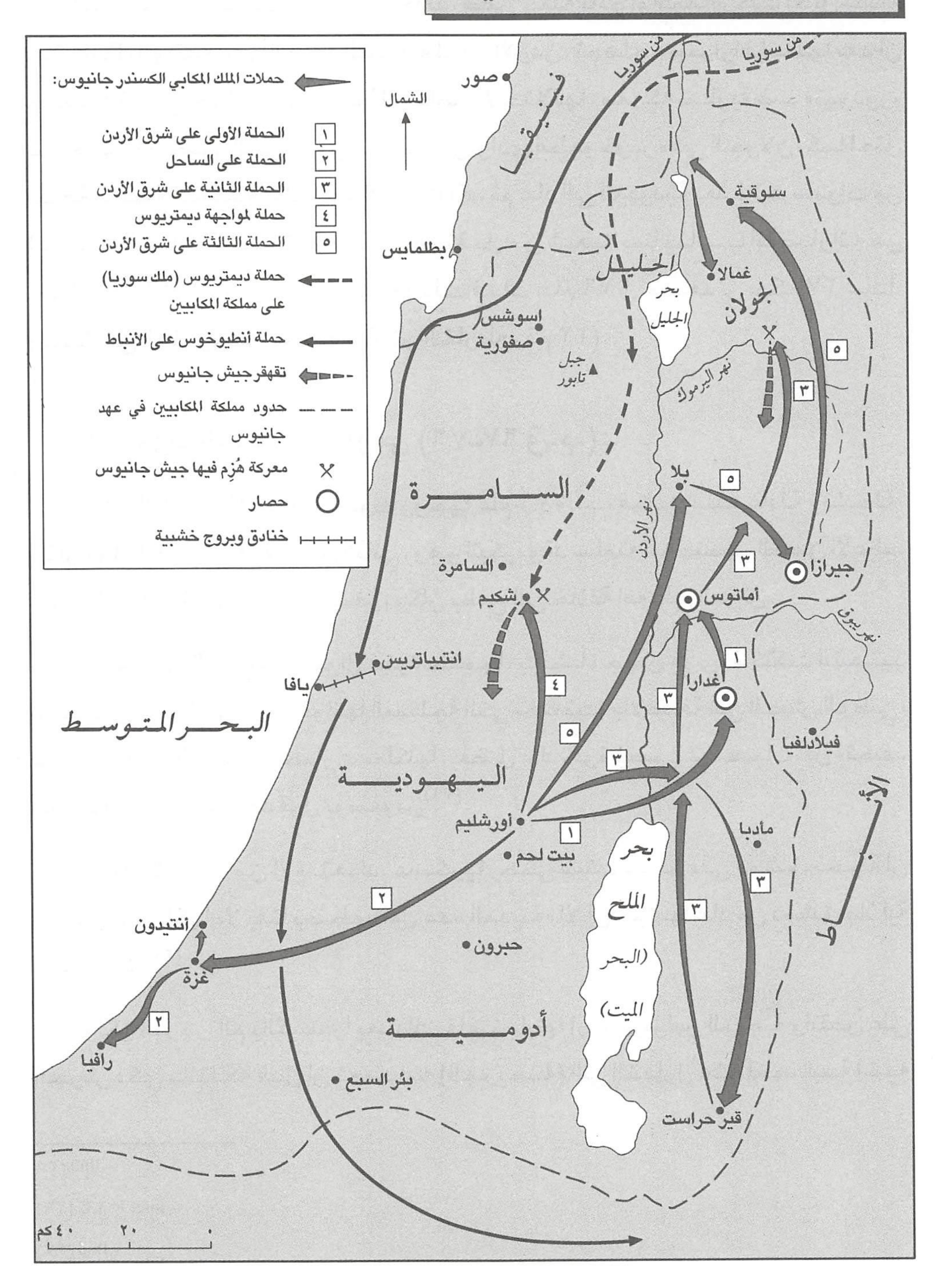
---

٣٥) Ibid --

٣٦) Ibid, P. 135 --

٣٧) Ibid

خارطة رقم ٣٣: حروب الكسندر جانيوس



هرقانوس[٣٨]، واحتل، مع انصاره، القلاع والحصون الواقعة خارج اورشليم، وانشأ فرقة من المرتزقة، ثم أعلن نفسه ملكا. وما ان توفيت امه حتى اندلع القتال بينه وبين اخيه على الملك، فنشبت بينهما معركة بالقرب من اريحا هزم على اثرها هرقانوس، وكان قد تخلى عنه معظم رجاله وانضموا الى ارسطوبولس، فلجأ الى برج انطونيو حيث احتجز فيه زوجة اخيه وابناءه، الا ان اتفاقا عقد بعد ذلك بين الاخوين، تسلم بموجبه، ارسطوبولس الملك، واكتفى هرقانوس بالتشريفات الأخرى، كاخ للملك[٣٩]، وكان ذلك عام ٦٧ ق.م. وكانت الكسندرا قد حكمت تسعة اعوام[٤٠].

٥ـ حروب ارسطوبولس الثاني (٦٧ـ٦٣ق.م.):

كان على الادوميين ملك طموح يدعى «انتيباتر» يذكر «بورتر» انه قد تهوّد في عهد الكسندر جانيوس،[٤١] ويذكر «بريتشارد» ان جانيوس نفسه هو الذي سلمه حكم الأدوميين[٤٢].

كان «انتيباتر» يكنّ عداء، شديداً لارسطوبولس (الثاني)،[٤٣] فرأى ان يحرّض هرقانوس(الثاني) اخا ارسطوبولس، لكي يخرج على اخيه، وزين له ان اخاه يود قتله، ودفعه للجوء الى ملك الأنباط (ملك عربة) الحارث (الثالث) في البتراء، واقنعه بان هذا الملك سوف يدعمه ويساعده لكي يستعيد من أخيه العرش المغتصب. وهكذا كان، فقد أعد الحارث جيشا من «خمسين الف رجل، مشاة وخيالة»[٤٤]، وسار، وبرفقته هرقانوس، لغزو اليهودية واحتلال اورشليم وتنصيب هرقانوس ملكا عليها بدلا من اخيه.

---

(٣٨) يذكر يوسفوس ان الكسندرا كلفت ابنها هرقانوس شؤون الملك وهي على قيد الحياة (Josèphe, Op. Cit. P. 136).

(٣٩) Ibid، ويذكر هارفي بورتر « ان ارسطو بولس عهد الى اخيه بمنصب الكاهن (بورتر، التاريخ القديم، ص ٣٤٦)، وهو ما لم يذكره يوسفوس.

(٤٠) Pritchard, Op. Cit. P. 148

-- Aharoni. Op. Cit. P. 159

(٤١) بورتر، المرجع السابق، ص ٣٤٦، الا ان يوسفوس لم يذكر ذلك.

(٤٢) -- Pritchard. Op. Cit. P. 148

(٤٣) -- Josèphe, Op. Cit. P. 137

(٤٤) -- Ibid.

ارتاع ارسطوبولس، ولكنه رغم ذلك، قرر المواجهة، الا انه هزم في اولها، فانسحب، واعتصم في اورشليم حيث طارده الحارث وفرض على المدينة حصارا محكما.

وكان بومبيوس، عظيم روما، قد ارسل احد قادته ويدعى «سكوروس» على رأس جيش، من ارمينيا الى سوريا، لاحتلالها، فاستنجد ارسطوبولس بسكوروس، واغدق عليه الهدايا، وارسل له المال الوفير، وكان هذا قد وصل الى دمشق، فاغتنم الفرصة المؤاتية واتجه صوب اورشليم لانقاذها من الحصار. ولم يكن بوسع الحارث ان يقاوم القائد الروماني ففك الحصار عن اورشليم واتجه بجيشه نحو فيلادلفيا (عمان) مما اتاح لارسطو بولس ان ينتقم، بدوره، من الحارث، فخرج بجيشه، من اورشليم، وطارده حتى ادركه عند «بابيرونPapyron» احدى مدن عربة (بالقرب من نهر الاردن) حيث هزمه وقتل من جيشه «اكثر من ستة آلاف رجل» من بينهم «فاليون» شقيق «أنتيباتر» ملك الأدوميين[٤٥].

ولما وصل بومبيوس، عظيم روما، الى دمشق، توجه انتيباتر وهرقانوس اليه يطلبان مؤازرته، بعد ان تخلى الحارث عنهما، مما حدا ببومبيوس لان ينحاز الى هرقانوس، فاتجه بجيشه، ومعه العديد من السوريين، الى اليهودية لمواجهة ارسطوبولس الذي، ما ان سمع بزحف بومبيوس نحوه، حتى لجأ الى حصن الكسندريونAlexandrion المشرف على وادي الاردن، وهو «حصن منيع على رأس جبل في اليهودية، يقع على نحو ٣٠ كلم شمال اريحا»[٤٦]، (ويبدو انه موقع سارتابا Sartaba الذي هو شمال اريحا)[٤٧]. وكان بومبيوس قد اجتاز الحدود الشمالية الشرقية للمكابيين من اسفل الجولان غربا، عند مدينة «ديوم» الواقعة على الضفة الشمالية لنهر اليرموك حيث اجتاز وادي اليرموك حتى وصل الى «غدارا» على الضفة الجنوبية للوادي المذكور، «فپيلا» شرق نهر الاردن حيث اجتاز النهر حتى وصل الى سيتوبوليس (بيسان) غربه، ومنها الى «كوريا Coréae» الواقعة غرب الاردن وشمال اريحا[٤٨].

(٤٥) Ibid ويذكر يوسفوس ان كلا من الاخوين ارسل رسلا الى القائد الروماني واستنجد به، الا ان هدايا ارسطو بولس وعطاياه كانت اثمن اذ بلغت «٣٠٠ مثقال»، فانحاز القائد الروماني الى ارسطوبولس وانجده (Ibid). ويذكر «بورتر» ان هذه الاحداث جرت عام ٦٤ ق.م.

(٤٦) -- Josèphe. Op. Cit. P. 138

(٤٧) -- Aharoni, Op. Cit. P. 159

(٤٨) -- Ibid, Map. 215

ما ان علم بومبيوس بلجوء ارسطوبولس الى قلعة «الكسندريون» وامتناعه بها حتى ارسل يطلب منه النزول اليه، فنزل ارسطو بولس والتقى بومبيوس وحاول اقناعه بحقه في الملك، ثم عاد الى معقله، وعاد فنزل ثانية، بطلب من اخيه هرقانوس، وكرر، امام بومبيوس، حججه في حقه بالملك، ثم عاد من جديد الى معقله دون اعتراض من بومبيوس[٤٩]. الا ان بومبيوس امره، بعد ذلك، باخلاء حصونه، كما امره «باعطاء أوامر خطية لقادته في المواقع، كي يخلوها، ما دامت لديهم تعليمات بعدم اخلائها الا بأوامر خطية منه»[٥٠]، فرضخ ارسطوبولس لأوامر بومبيوس، الا انه انسحب الى اورشليم واعتصم فيها، واخذ يستعد لشن حرب ضد بومبيوس.

ولكن بومبيوس لم يمهله، اذ انه اسرع للحاق به، فانتقل بجيشه جنوبا الى اريحا، حيث بات ليلته، وانطلق في فجر اليوم التالي الى اورشليم وفرض الحصار على المدينة. وأصاب ارسطوبولس الذعر فسعى للقاء بومبيوس وعرض عليه المال وتسليم المدينة، فرضي بومبيوس، الا ان ارسطوبولس لم يستطع تنفيذ اي من هذه الوعود، اذ انه، عندما جاءه «غابينيوس Gabinius»، موفد بومبيوس، لأخذ المال الموعود، لم يستطع اقناع انصاره بذلك، حتى انهم رفضوا السماح لموفد بومبيوس بدخول المدينة[٥١]، وهكذا، فقد كان لا بد من نشوب القتال بين بومبيوس وارسطوبولس حول اورشليم.

ويذكر يوسفوس ان بومبيوس اعتقل ارسطوبولس[٥٢] وتوجه نحو المدينة واخذ يدرس المسالك التي يجب ان يسلكها بجيشه في هجومه عليها، وقد تبين له ما يلي: كانت المدينة مجهزة بأسوار منيعة يصعب اختراقها، ويوجد امام هذه الاسوار «واد ذو عمق مرعب». لهذا، فان الهيكل المحصن بشكل منيع، والمحمي بذلك الوادي، يمكن ان يشكل، اذا ما سقطت المدينة، موقعا اضافيا للدفاع ضد المهاجمين[٥٣].

وامام هذا الوضع المنيع للمدينة والهيكل، وقف بومبيوس متأملا، وفي هذه الاثناء،

---

(٤٩) Josèphe. Op. Cit. P. 138 --

(٥٠) Ibid. --

(٥١) Ibid. P. 139 --

(٥٢) Ibid الا انه لم يذكر كيف تم ذلك.

(٥٣) Ibid.

جرت، في المدينة، اضطرابات بلغت أنباؤها مسامع بومبيوس وجيشه. فقد دب الخلاف بين انصار كل من ارسطوبولس واخيه هرقانوس، اذ رغب الفريق الأول في ان يخوض حربا ضد بومبيوس لتحرير الملك الأسير ارسطوبولس، بينما رغب الفريق الثاني في أن يفتح ابواب المدينة للقائد الروماني. وكان عدد الفريق الثاني يزداد بسبب الخوف والرعب من مواجهة الجيش المحاصر، فيما كان عدد الفريق الاول يضمحل ويتلاشى، مما دفع بهؤلاء للانسحاب واللجوء الى الهيكل المنيع، مدمرين الجسر الذي يصل الهيكل بالمدينة، ومبدين استعدادهم للدفاع حتى آخر نفس، بينما فتح الفريق الآخر (انصار هرقانوس) ابواب المدينة للرومان واستقبلوهم وسلموهم القصر الملكي، فأنزل فيه بومبيوس فرقة من جيشه بقيادة احد ضباطه ويدعى «بيزون Pison»، وكلفه مهمة الاعداد للهجوم على الهيكل واحتلاله.

أقام «بيزون» مخافر في نقاط مختلفة من المدينة، ولما كان مقتنعا انه من الصعب الحصول على حل سلمي مع انصار ارسطوبولس المعتصمين في الهيكل، باشر باجراءات الهجوم وتمهيد الارض المحيطة بالهيكل، ملاحظا ان انصار هرقانوس كانوا يزيدونه حماسة للهجوم واستعدادا للمشاركة فيه.

أما بومبيوس، وكان موقعه في شمال المدينة، فقد بدأ يردم الوادي بما تيسر له من مواد يحملها جنده ويرمونها في الحفرة العميقة الفاصلة بينه وبين اسوار المدينة، بينما كان اليهود (انصار ارسطوبولس) يرمون اولئك الجند، من فوق الاسوار، بما تيسر لهم من وسائل القتال، من اسهم وحجارة وكرات نارية وغيرها. وكان اليهود لا يعملون يوم السبت ولا يقاتلون الا اذا هوجموا، مما اتاح لبومبيوس ان يكثف العمل ايام السبت، حتى اذا ما تمكن من ردم الوادي، نشر فيه، وحَوْلَ الأسوار، ما توافر لديه من آلات الحصار، من رؤوس الاكباش والمجانيق وما شابه، لدك تلك الاسوار، بينما كان المدافعون عنها يرمون الجند الرومان بالسهام والمجانيق كذلك... وكان لا بد للأسوار المنيعة من ان تقاوم، ولا بد للحصار من ان يدوم طويلا.

استمر الحصار شهرين كاملين، وفي الشهر الثالث، استطاع الرومان ان يدمروا احد البروج القائمة على السور ويحدثوا ثغرة فيه، مما اتاح لقائدي المئة «فيريوس وفابيوس Fabius, Furius» الولوج الى الداخل «بمئتيهما» حيث هاجم جند الروم الهيكل وحاصروا اليهود من كل جانب، وقتلوا منهم عددا كبيرا، ولم يشهد الرومان، داخل الهيكل، مقاومة

تذكر. وقد خسر اليهود، في هذه المعركة «اثني عشر الف قتيل»، اما الرومان «فكانت خسائرهم زهيدة الا ان جرحاهم كانوا كثيرين»[٥٤].

دخل بومبيوس الهيكل مع اركان قيادته، ونصّب هرقانوس كاهنا اعظم، والغى منصب الملك[٥٥]، واخذ من الاسرى، بالاضافة الى ارسطوبولس، حميه (ابا زوجته) وكان هذا عمه (أخا ابيه) ايضا، ثم قتل، بالفأس، المسؤولين الرئيسيين عن القتال، وفرض على اليهودية واورشليم الجزية (انظر الخارطة رقم ٣٤).

ولم يكتف بومبيوس بذلك، بل انه سلخ عن اليهودية، المدن اليونانية والهلينية التي كانت قد ضمت اليها، بالحروب، في عهد هرقانوس (الاول) مثل: هيبوس Hippos وسيتوبوليس (بيسان)، وپيلا، والسامرية، ويمنية (يبنة)، ومريشة، وآزوتوس (أشدود) واريتوز (افيق) Aréthuse، في الداخل، وغزة ويافا ودورا وبرج ستراتون (القيصرية) على الساحل، معيداً، بذلك، اليهودية، الى حجمها الاصلي. اما السامرة فقد منحها استقلالاً ذاتيا، واما المدن التي سلخها عن اليهودية فقد اعادها الى اصحابها الاصليين، وألحقها، جميعها، بولاية سوريا، واقام ضابطاً من كبار قادته، هو «سكوروس»، ومعه فرقتان من الجند، حاكما على هذه الولاية، كما على اليهودية والمنطقة الممتدة حتى مصر والفرات. وقد عاد بومبيوس بعد ذلك، الى روما، مصطحبا معه ارسطوبولس وعائلته (ابنيه الكسندر وانتيغونس وابنتيه)، الا ان الكسندر تمكن من الهرب خلال الرحلة، اما الباقون فوصلوا الى روما مع بومبيوس[٥٦] الذي غادر سوريا ليحل محله «سكوروسScaurus» حاكما عليها وقائدا لجيوش الرومان فيها، وكان ذلك عام ٦٣ ق.م.

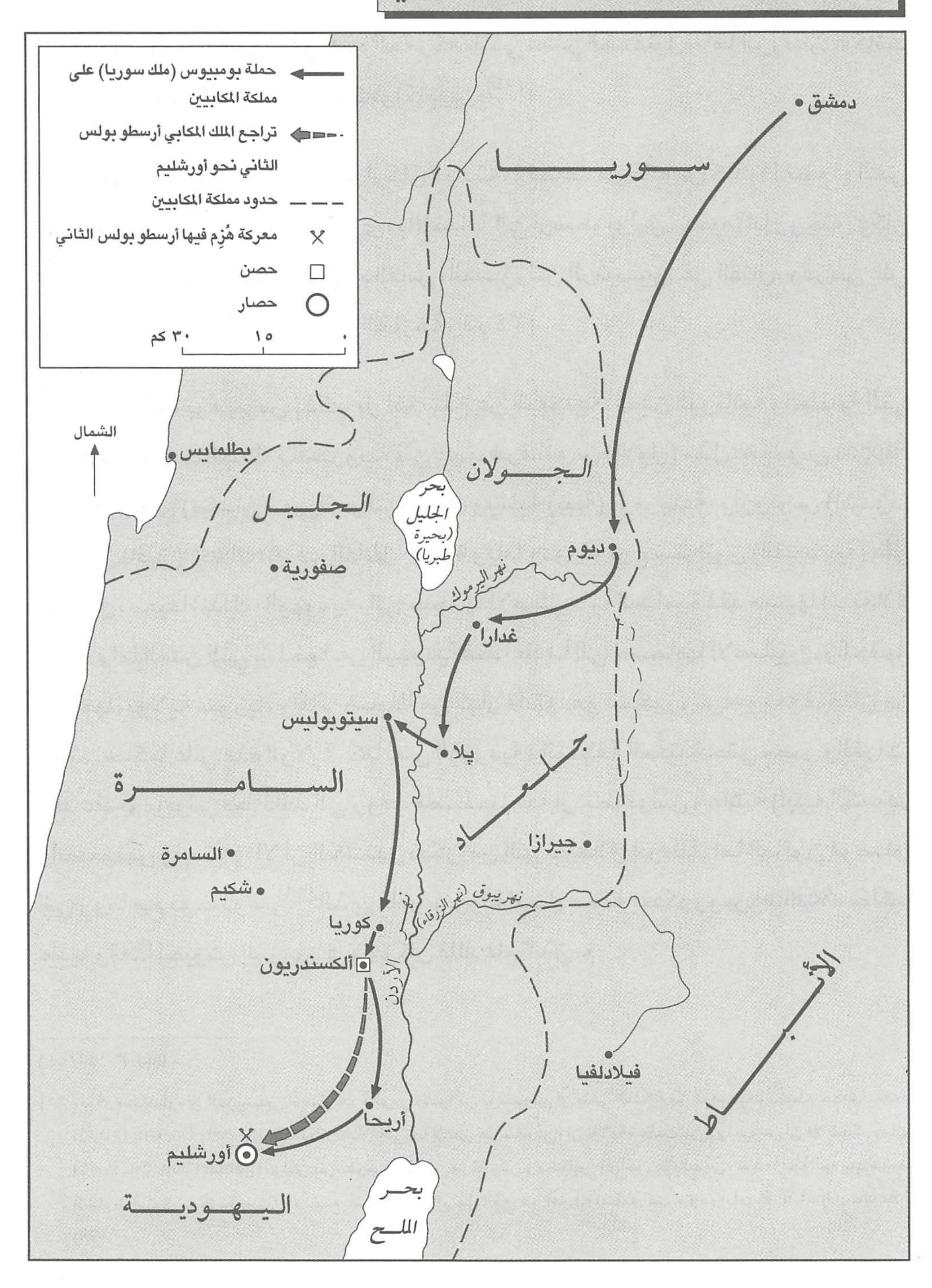
---

(٥٤) Ibid, P. 140 --

(٥٥) يذكر «ساشار» ان الفريسيين انصار هرقانوس طلبوا من بومبيوس ان يلغي الملكية من اليهودية ويتسلم حكمها بنفسه (Sachar, Op. Cit. P. 133)، كما يذكر «بارنافي» نقلا عن «يوسفوس» ان «الامة» طلبت من بومبيوس ان «لا تُحكم بملك» (Barnavi. Op. Cit. P. 46)، ولكن يوسفوس يذكر ان هرقانوس وانتيباتر طلبا من بومبيوس، عندما لجأ اليه بعد هزيمة الحارث امام ارسطوبولس، ان «يضع على العرش الرجل الذي هو أهل له بفضل عمره ومزاياه» (Josèphe, Op. Cit. P. 138)

(٥٦) Josèphe, Ibid. P. 140 - 141 --

خارطة رقم ٣٤: حروب أرسطو بولس الثاني



٦ـ الحرب بين الكسندر بن ارسطوبولس الثاني من جهة وبين الرومان وحليفهم هرقانوس الثاني من جهة اخرى (٦٣ ـ ٤٩ق. م.):

ما ان وصل الكسندر الى ارض اليهودية حتى بدأ يعد جيشا من انصاره وانصار ابيه لقتال عمه هرقانوس الذي كان قد تسلم منصب الكاهن الاعظم في اورشليم، وما ان اكتملت استعداداته العسكرية، وبلغ تعداد جيشه «عشرة آلاف من المشاة الثقيلة والف وخمسماية من الخيالة»، حتى اخذ «يمخرق» في ارض اليهودية ويشن هجمات متكررة على انصار عمه فيها، حتى انه تمكن من الوصول الى ضواحي اورشليم «وتجرأ على اعادة بناء اسوارها التي سبق ان هدمها بومبيوس»[٥٧]. وكان قد وصل الى سوريا قائد روماني جديد هو «غابينيوس Gabinius» ليحل محل القائد الحاكم «سكوروس»، وما ان علم غابينيوس بما يجري في اليهودية حتى خرج، بجيش لجب، لمساعدة هرقانوس، فخاف الكسندر مغبة مقاومته للجيش الروماني، وانسحب بجيشه باتجاه مواقعه الاستراتيجية في الكسندريون وهرقانيون وماكيرونت (Alexandrion, Hyrcanion, Machérontes) بالقرب من جبال عربة[٥٨]، فأرسل «غابينيوس»، لمحاربته، جيشا بقيادة «مارك انطونيوس»، ومعه «فرق منتخبة بقيادة انتيباتر (الأدومي) وباقي الفرقة اليهودية بقيادة كل من ماليكوس Malichus وبيتولاوس Pitholaus» وسار هو، مع معظم الجيش أي «المشاة الثقيلة»، في المؤخرة[٥٩].

تقدم «مارك انطونيوس» بجيشه لمواجهة الكسندر، وكان لا يزال قرب اورشليم، ودارت بين الجيشين معركة ما لبث ان حسمها «غابينيوس» الذي وصل «بمشاته الثقيلة»، فاضطر الكسندر الى القتال قتالا تراجعيا حتى وصل بمن بقي معه الى حصن «الكسندريون» فاعتصم فيه. وقد فقد الكسندر في هذه المعركة: ثلاثة آلاف قتيل وثلاثة آلاف اسير[٦٠].

---

(٥٧) -- Ibid. P. 142.

(٥٨) Ibid، وماكيرونت: بلدة تقع على مسافة عشرة كيلومترات من البحر الميت شرقا، وهي بلدة مكاور (خربة مكاور اليوم) او ماكيروس Machaerus المحصنة، والتي قطع فيها «هيرودوس» رأس «يوحنا المعمدان» بتحريض من زوجته، عام ٣١ ق.م.

انظر Webster's New geogr. dict, P. 799 والمنجد في الاعلام واللغة، ص ٦٢٤.

(٥٩) -- Josèphe, Ibid.

(٦٠) -- Ibid.

وتابع غابينيوس مطاردة الكسندر حتى حصن «الكسندريون»، وما ان اصبح أمام اسواره حتى وجد معسكراً لجند الكسندر خارج الاسوار، فحاول اغراءهم بالانضمام اليه ولكنهم أَبَوْا ذلك، فقاتلهم وقَتَل عددا كبيرا منهم، بينما دخل الباقون الحصن. وهاجم مارك انطونيوس الحصن وقاتل قتال الشجعان «كما لم يقاتل في اي مكان آخر»[٦١]، بينما انصرف غابينيوس الى المدن التي كان قد سلخها عن اليهودية فأعاد اليها اهلها الاصليين الذين كانوا يتوافدون اليها «بفرح»[٦٢].

وعاد غابينيوس، بعد ذلك، لكي يشدد الحصار على «حصن الكسندريون»، مما دفع الكسندر الى اليأس من الاستمرار في المقاومة، وارسل يفاوض غابينيوس على الاستسلام وتسليم المواقع اليه، فوافق غابينيوس على ذلك وتسلم من الكسندر موقعي هيركانيون (او هيركاني) وماكيرونت، ثم استلم بعد ذلك، الموقع الذي كان الكسندر قد تحصن فيه (الكسندريون) وهدم هذه المواقع جميعها. وجاءت والدة الكسندر تتضرع لغابينيوس (وكانت حليفة امينة للرومانيين) لكي يعفو عن ابنها، فقبل غابينيوس تضرعها، وعفا عنه، ولم يقتله كما جرت العادة، في ذلك الزمان، بقتل القادة الاعداء المنهزمين في غالب الأحيان، بل ارسله الى روما[٦٣]. وكان ذلك عام ٥٧ ق.م.[٦٤].

وقد اعاد غابينيوس، بعد هزيمة الكسندر هذه، هرقانوس الى منصبه ككاهن اعظم، وعهد اليه بحراسة الهيكل، ثم نظم اليهودية تنظيما اداريا جديدا، حيث قسمها الى خمس مقاطعات (او ولايات او مجمّعات Synodos) هي: اورشليم، وصفورية (في الجليل)، واماتوس (في بيريا Perea شرق نهر الاردن)، وادورا (شرق بلاد الادوميين)، واريحا[٦٥].

الا انه، بعد ذلك بزمن قصير، استطاع ارسطو بولس (والد الكسندر) الهرب، بدوره، من روما، ومعه ابنه انتيغونس. وفور وصوله الى اليهودية، عمد ارسطو بولس الى حشد الانصار وتشكيل جيش كي يقاتل اخاه هرقانوس ويسترد الحكم منه. ثم احتل

---

(٦١) -- Ibid.

(٦٢) -- Ibid. PP. 142- 143

(٦٣) -- Ibid. P. 143

(٦٤) بورتر، المرجع السابق، ص ٢٤٧ والدبس، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

(٦٥) Aharoni. Op. Cit. P. 161 et Josèphe, Op. Cit. P. 143. وكان بومبيوس قد الغى الملكية في اليهودية، كما سبق ان ذكرنا.

ارسطوبولس حصن «الكسندريون» المدمّر واخذ يعيد بناءه وتحصينه وبناء اسواره، واستطاع تشكيل جيش من ثمانية آلاف مقاتل بينهم «بيتولاوس»، نائب القائد في اورشليم، والذي كان قد فر منها، على رأس الف مقاتل يهودي، لينضم الى ارسطوبولس(٦٦).

علم غابينيوس بفرار ارسطوبولس وابنه، وبالاستعدادات العسكرية التي يقوم بها لينتزع حكم اليهودية من اخيه هرقانوس، وباستيلائه على حصن الكسندريون واعادة بنائه وتحصينه، فارسل لمقاتلته جيشا بقيادة سيزينا Sisenna وانطونيوس وسرفيانوس Servianus. وما ان علم ارسطوبولس بذلك حتى انكفأ الى ماكيرونت (او ماكيروس) على الضفة الشرقية للبحر الميت، فطارده القادة الرومان واشتبكوا معه في قتال عنيف انتهى بهزيمة ارسطوبولس وجيشه، وقد خسر ارسطوبولس، في هذه المعركة، خمسة آلاف قتيل، بينما لجأ الفان الى احد المرتفعات الصعبة، وبقي الف مع ارسطوبولس الذي اخترق خطوط الرومان واعتصم في حصن ماكيرونت المدمر، حيث بدء يعد العدة لحرب جديدة مع الرومان وحليفهم هرقانوس، محاولا اقامة بعض التحصينات في الموقع الذي يعتصم فيه، وحشد الانصار من جديد، الا ان الرومان لم يمهلوه لكي يكمل تحصيناته واستعداداته العسكرية، فهاجموه في معقله، حيث قاوم يومين اثنين، استسلم، بعدها، للجيش الروماني، هو وابنه انتيغونس، وأُرسل الاثنان مكبلين بالسلاسل، الى غابينيوس الذي اعادهما الى روما. لكن اتفاقا جديداً تمَّ، في هذه الاثناء، بين زوجة ارسطوبولس وام ولديه الكسندر وانتيغونس، وبين غابينيوس، يفرج بموجبه عن ولديها لقاء تسليم الحصون اليهودية لغابينيوس، وقد وافقت روما على هذا الاتفاق وافرجت عن الكسندر وانتيغونس اللذين عادا الى اليهودية(٦٧).

لكن الكسندر ظل طامحا للوصول الى الحكم، فأخذ يعدّ أنصاره للثورة على هرقانوس وحلفائه الرومان، واغتنم فرصة ذهاب غابينيوس الى مصر، فجمع نحو ثلاثين الف رجل وشكل منهم «جيشا قويا» واخذ «يستعد لذبح كل الرومان الموجودين في البلاد»(٦٨)، فعاد غابينيوس من مصر، بسرعة، وجرت بينه وبين الكسندر معركة، عند

---

(٦٦) Josèphe, Op. Cit. P. 143 --

(٦٧) Ibid. PP. 143 - 144 --

(٦٨) Ibid, P. 144 --

جبل طابور (الطور)، انتهت بهزيمة الكسندر وقتل عشرة آلاف من جيشه، وهرب الباقي وتشتت(٦٩)، وكان ذلك عام ٥٥ ق.م.(٧٠).

اما غابينيوس فقد توجه، بناء لنصيحة من انتيباتر، الى اورشليم حيث نظّم الحكم فيها، ثم انصرف لمحاربة العرب الأنباط.

وخلف كراسوس Crassus غابينيوس، في حكم سوريا، عام ٥٣ ق.م. فدخل اورشليم ونهب الذهب الذي كان في هيكلها، الا انه هلك، مع جيشه، في غزوة كان قد قام بها، عبر الفرات، ضد البارتيين، فخلفه، في حكم سوريا، قائد آخر، هو «كاسيوسCassius» الذي ما لبث ان خاض معركة ناجحة في سوريا لصد المهاجمين البارتيين، ثم توجه، بعد ذلك، الى اليهودية حيث احتل «تاريكا» واستعبد ثلاثين الف يهودي، واعدم «بيتولاوس» الذي كان يجمع الانصار لارسطوبولس(٧١).

ما ان تسلّم يوليوس قيصر حكم روما عام ٤٩ ق.م. حتى أفرج عن ارسطوبولس واعاده الى اليهودية مع فرقتين من الجند، الا ان ارسطو بولس قُتل مسموما على ايدي انصار بومبيوس (وكانوا خصوما للقيصر)، اما ابنه الكسندر فقد قبض عليه سيبيون Scipion في انطاكية، بأمر من بومبيوس، وقطع رأسه (٧٢) ولم يبق من اسرة المكابيين سوى «انتيغونس» وعمه «هرقانوس» الذي ظل في منصبه بأورشليم ككاهن اعظم.

٧ـ الحروب في عهد هرقانوس ـ دور انتيباتر وابنه هيرودوس (٤٩ ـ ٤٠ ق.م.):

تقرّب انتيباتر الأدومي من يوليوس قيصر وقاتل معه، واستبسل في القتال حتى انه جرح، مرارا، في المعارك التي خاضها الى جانبه، مما حدا بالقيصر لان يمنحه «المواطنة الرومانية» ويعفيه «من كل الضرائب». ولكي يؤكد له صداقته، جعل منه «الرجل ذا الحظوة»

-- Josèphe, Ibid. (٦٩)

-- Barnavi. Op. Cit. P. 48 (٧٠)

-- Josèphe, Op. Cit. PP. 144 - 145; Barnavi, Ibid (٧١)

-- Barnavi. Ibid; Josèphe, Ibid. P. 145 (٧٢)

لديه، كما جعله «واليا على كل اليهود» ومنحه «حق اعادة بناء الاسوار المهدمة في كل بلاده»(٧٣)، بينما أقر هرقانوس في منصب الكاهن الأعظم. وقد عزز هذا الوضع مركز انتيباتر في عيون هرقانوس وشعبه، مما دفعه الى ان يعين احد ابنائه «فسائيل Phasaél»، وهو البكر، حاكما لاورشليم وضواحيها وابنه «هيرودوس Hérode» وهو الأصغر، حاكما للجليل، دون اعتراض من هرقانوس. وجال انتيباتر، بعدها، في البلاد يعيد بناء الاسوار التي كان «بومبيوس» قد دمرها في اثناء اجتياحه لها، وينشر الامن والهدوء في ربوعها. وهكذا، استطاع انتيباتر ان يحظى «باحترام الأمة كما لو انه ملك» وان يحظى بكل التشريفات كما لو انه حاكم مطلق «دون ان يغير ذلك من عواطفه واخلاصه لهرقانوس»(٧٤).

وكان هيرودوس قد أظهر، في ممارسته للحكم، من الشجاعة، ما أثار الكثير من الحسد والغيرة ازاءه، كما انه مارس الكثير من الظلم ضد شعبه (اليهودي) حتى انه قتل عددا كبيرا منهم، ولم يتورع عن مهاجمة اورشليم بجيش من عنده لولا ان ثناه ابوه عن دخولها والارتداد عن اسوارها، خصوصا وانه كان مدعوما من سكستوس قيصر Sextus César، الحاكم الروماني الجديد لسوريا، الذي عينه حاكما على «سوريا المجوفة - Coelé syrie» والسامرة، مما أثار فزع هرقانوس الذي كان ينتظر، «ان يسير هيرودوس اليه على رأس جيشه»(٧٥).

الا ان قيصر قتل في روما، في آذار عام ٤٤ ق.م، اثر ثورة شعبية عارمة، فاهتزت، بعدها، مكانة انتيباتر في نظر هرقانوس وشعبه، وكذلك مكانة ابنه هيرودوس، ولم يلبث ان قتل انتيباتر بمؤامرة دبرت ضده، فقرر هيرودوس الانتقام لأبيه من قاتله وهو «ماليكوس Malichus». وكان هيرودوس قد نال حظوة كبرى لدى حاكمي سوريا الجديدين وهما «كاسيوس Cassius وماركوس Marcus» اللذين أنشآ، في سوريا، جيشا مهما، وأوكلا الى هيرودوس امر «ادارة كل سوريا» وزوداه «بالمشاة والخيالة» كما وعده

---

(٧٣) Josèphe. Ibid. P. 147 كما امر القيصر بنقش كل هذه التشريفات الممنوحة لانتيباتر في مبنى الكابيتول بروما «علامة دائمة لعدالة القيصر وتقديرا لانتيباتر». (Ibid).

(٧٤) Ibid, P. 148

(٧٥) Ibid. PP. 149 - 150 --

كاسيوس بأن يعينه «ملكا على اليهودية»[٧٦]. واستغل هيرودوس كل ذلك للوصول الى هدفه وهو الانتقام لوالده من ماليكوس، الا انه لم يرغب في مواجهته مباشرة، بل عمد الى الخداع والتضليل، وكان كاسيوس الذي يكنّ الكره لماليكوس، قد شجّعه على قتله ودعمه بالرجال، لأجل ذلك. وبينما كان ماليكوس في ظاهر مدينة صور على الشاطئ، نصب له رجال كاسيوس كمينا وقتلوه طعنا بالسيوف[٧٧].

في هذه الاثناء، وبينما كان كاسيوس قد غادر سوريا، تحرك «هيليكس Hélix» اخو ماليكوس للانتقام لاخيه، فهاجم «فسائيل» اخا هيرودوس، في اورشليم، فهزمه فسائيل، الا ان هيليكس استطاع احتلال بعض الحصون، واهمها «حصن مسّادا» الذي يقع على تل مرتفع مشرف على الضفة الجنوبية الغربية للبحر الميت.[٧٨] وكان هيرودوس في دمشق، الى جانب القائد الروماني «فابيوسFabius» فخف سريعا لنجدة اخيه واستعاد القلاع والحصون كلها، ومنها حصن «مسّادا».

وكان «انتيغونس» يستعد، في الوقت نفسه، ويحشد الانصار، لقتال عمه «هرقانوس» واستعادة ملك ابيه منه، فتصدى له هيرودوس وهزمه، وعاد الى اورشليم، حيث عمد الى التقرب من هرقانوس بان تزوج من مريم بنت الكسندر بن ارسطوبولس، وحفيدة هرقانوس، فصار «قريباً للملك»[٧٩].

وفي العام ٤٢ ق.م.، جاء انطونيوس الى سوريا، بعد انتصاره في معركة فيليبي (وكان كاسيوس قد قتل في هذه المعركة بعد هزيمته، هو وبروتوس، على يد اوكتافيوس وانطونيوس، في العام نفسه)[٨٠]. فأتاه اعيان اليهود يشكون اليه تسلّط فسائيل واخيه

---

(٧٦) Ibid, P. 151. وكان هذان الحاكمان قد استقرا في حكم سوريا بعد سلسلة من الاضطرابات في الجيش الروماني في هذه البلاد ادت الى مقتل «سكستوس قيصر» والى خلافات دموية بين قادة الجيش الموالين لقيصر وآخرين موالين لبومبيوس (Ibid, PP, 150 - 151).

(٧٧) Ibid. PP. 152 -- 153. ويذكر يوسفوس ان هيرودوس ارسل يدعوه مع هرقانوس الى الغداء ثم طلب من رجال كاسيوس ان ينصبوا له كمينا، في الطريق، ويقتلوه ففعلوا، (Ibid).

(٧٨) Ibid, P. 153

(٧٩) Ibid, PP. 153 -- 154 -

(٨٠) Ibid, P. 154. وكانت هذه المعركة قد نشبت بين انطونيوس واوكتافيوس من جهة وبين بروتوس وكاسيوس من جهة اخرى، وقد هزم الاخير فيها وقتل كاسيوس، وفيليبي مدينة كانت تقع على شاطئ بحر ايجه، بناها وحصنها الملك فيليب المقدوني، (Webster's, Op. Cit. P. 949).

هيرودوس على الحكم في اورشليم، وانهما «اغتصبا السلطة، ولم يتركا لهرقانوس سوى اللقب الفخري فقط»[٨١] الا ان هيرودوس استطاع اقناع انطونيوس برد ادعائهم (بعد ان أغراه بمبلغ كبير من المال)، واعاد ماية من اعيان اليهودية الكرّة من جديد امام انطونيوس في «دفنة» بالقرب من انطاكية، واستمع انطونيوس الى ادعاءاتهم وسأل هرقانوس عن حقيقة هذه الادعاءات فنفاها هرقانوس، مما اثلج صدر انطونيوس وكان ميالا لابني انتيباتر (الذي كان سبق ان استقبله بحرارة عند مجيئه الى سوريا، لأول مرة، مع غابينيوس) فرد انطونيوس دعوى الاعيان اليهود، للمرة الثانية، وعين الأخوين، فسائيل وهيرودوس، «رئيسي ربع» وأوكل اليهما امر «ادارة كل اليهودية»[٨٢]. ولم يكتف انطونيوس بذلك، بل قتل قسما من اولئك الأعيان وسجن قسما آخر، مما أثار اهل اورشليم فعمدوا الى ارسال نحو الف رجل منهم الى صور حيث كان انطونيوس، فارسل اليهم انطونيوس حاكم صور وأمره بالقاء القبض عليهم ومعاقبتهم، وأسرع هرقانوس ومعه هيرودوس لنصحهم وردّهم كي لا يكونوا «سبباً لخرابهم واثارة حرب ضد بلادهم» ولكنهم رفضوا النصيحة بغضب مما دفع بانطونيوس الى اعطاء الأوامر للجند بمهاجمتهم فقتل الكثير منهم وجرح الكثير، كما اعدم من كان لديه من السجناء منهم[٨٣]. وذهب انطونيوس، بعدها، الى مصر، اذ انه كان قد وقع في حب كليوباترا.

وفي العام ٤٠ ق.م. هاجم البارتيون سوريا واستولوا عليها، فتقرب انتيغونس ابن ارسطوبولس من مرزبانهم واغراه بالمال والجواري (٥٠٠ جارية ومال كثير) فخلع المرزبان هرقانوس من منصبه ككاهن اعظم ونصّب انتيغونس ملكا على اليهودية[٨٤]. ودخل البارتيون اورشليم واجلسوا انتيغونس على العرش، وألقوا القبض على فسائيل وهرقانوس وسلموهما مكبلين بالسلاسل الى انتيغونس الذي قطع أذني هرقانوس ونزع أسنانه كي لا يظل صالحا لمنصب الكهانة العظمى، اما فسائيل فقد انتحر بأن القى نفسه من على صخرة عالية فتحطمت جمجمته، وقيل انه لم يمت اثر ذلك، فأجهز عليه بالسم[٨٥].

(٨١) -- Josèphe. Op. Cit. P. 154

(٨٢) - Ibid.

(٨٣) - Ibid, PP. 154 -- 155

(٨٤) Ibid. P. 155 وانظر: بورتر، المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(٨٥) Josèphe, Op. Cit. P. 158، وقد اخذ البارتيون هرقانوس بعد ذلك واقتادوه، مكبلا بالسلاسل الى بلادهم (Ibid. P. 159).

٨ ـ عهد انتيغونس، آخر الأسرة المكابية: الحرب بين هيرودوس الأدومي وانتيغونس المكابي على عرش اليهودية (٤٠ ـ ٣٧ ق.م.):

لم يكن امام هيرودوس، بعد انتصار انتيغونس وتسلمه عرش اليهودية، سوى الهروب وطلب النجدة من حلفاء ابيه، وكان اهله وانصاره في حصن «مسادا» المنيع، على الشاطئ الغربي للبحر الميت، عند الحدود الشمالية لبلاد الأدوميين، محاصرين من قبل انتيغونس ورجاله، فلجأ الى العرب الانباط (في البتراء) الذين لم يحسنوا لقاءه كما كان يأمل، فعرّج من بلاد العرب الى مصر عن طريق «رنكوكورير Rhincocorure» (العريش) حيث وصل الى الاسكندرية، فاستقبلته كليوباترة على عجل، الا انها كانت تأمل في استخدامه لا في نجدته، اذ كانت تأمل ان يقود حملة لمصلحتها، ولكنه تهرّب من ذلك، وأبحر الى روما، وقصد انطونيوس حيث وجد ضالته، اذ جمع القيصر مجلس الشيوخ الروماني وطرح عليه قضية هيرودوس وطلب منه الموافقة على تعيين هيرودوس ملكا على اليهودية، فوافق المجلس بالاجماع[٨٦].

عاد هيرودوس من روما، اذن، ملكا على اليهودية، ولكن كان عليه ان يقاتل لكي يحصل على حقه هذا في الملك. ووصل الى بطلمايس (عكا) بحرا (شتاء عام ٣٩ ق.م) وبدأ يجهز جيشا من أنصاره ومن الأجانب المرتزقة، وما ان أصبح الجيش جاهزاً حتى سار، عبر الجليل، للقاء انتيغونس، وكان جيشه يكبر يوميا كلما تقدم في البلاد، وكان همه الأول ان يصل الى «مسّادا» لانقاذ اهله من الحصار، لكن «يافا» كانت عائقا في طريقه لانها منحازة لانتيغونس، فأسرع في احتلالها، ثم تقدم، بسرعة، نحو «مسّادا» وقد انضمت اليه جموع ضخمة من اهل البلاد، حتى انه «جمع جيشاً يصعب التغلب عليه»[٨٧]. وكان انتيغونس لا يفتأ ينصب الكمائن لهيرودوس في أثناء تقدمه، ولكن دون ان يستطيع منعه من التقدم، حتى اذا ما وصل هيرودوس الى «مسادا» تمكن، بسهولة، من فك الحصار عنها، وتابع تقدمه نحو اورشليم حيث كان اهل المدن التي يمر بها ينضمون اليه. وما ان وصل الى ضواحي اورشليم حتى انضم اليه، كذلك، القائد الروماني (سيلون Silon) المعسكر حول المدينة.

---

(٨٦) Ibid, PP. 159 -- 160 ويذكر آهاروني ان القيصر ضم الى مملكة هيرودوس أدوم الغربية واراضي السامرة (Aharoni, Op. Cit. P. 163).

(٨٧) Josèphe, Op. Cit. P. 162 & Aharoni Op. Cit. P. 164 & Barnavi, Op. Cit. P. 48 --

عسكر هيرودوس عند الجهة الغربية للمدينة، مما أتاح لحراسها القائمين على اسوارها، في تلك الناحية، ان يرهقوا جيشه بسهامهم ونبالهم، كما كان آخرون يخرجون، بصفوف متراصة، ويهاجمون مخافره الامامية. وحاول هيرودوس، في البدء، ان يدعو حاشية المدينة للاستسلام والالتحاق به. الا انه لم يفلح في اجتذاب رجالها، عندها، أمر هيرودوس جنوده ان يردّوا على الحامية بسهامهم، فاستطاع هؤلاء ان يشلّوا دفاعها برماياتهم المحكمة.

ولكن سيلون Silon (القائد الروماني المقيم بجيشه على أسوار اورشليم منذ فترة، والذي انضم الى هيرودوس بناء لأوامر روما) رأى ان ينتهز الفرصة ويدفع بعدد كبير من جنوده للمطالبة بالمؤونة حتى يستطيعوا الاستمرار في القتال، وحاول، اثر ذلك، الانسحاب، مخلياً، مكانه في الحصار بلا بديل، مما اضطر هيرودوس الى الانتقال، بنفسه، فوراً، الى الارياف، حيث جمع من المؤونة ما يكفي لان «ينزع من سيلون مبررات رحيله»[88] ثم انه عمد الى الاتصال بأهل السامرة (وكانوا موالين له) وطلب اليهم ان يحضروا الى اريحا كل ما يمكن ان يجمعوه من حنطة ونبيذ وزيت ومواشٍ.

وما ان علم انتيغونس بذلك حتى أوعز الى انصاره في تلك المنطقة ان يعرقلوا عملية التموين هذه، وان ينصبوا كمائن للقوافل المحملة مؤنا لجيش هيرودوس ويسلبوها حمولتها. وهكذا، فقد سلب انصار انتيغونس الكثير من حمولة تلك القوافل من المؤن. ولكن هيرودوس استطاع تفادي ذلك بان شكل عشر كتائب (Cohortes)، خمس منها رومانية، والخمس الأخرى مختلطة من اليهود والمرتزقة، مع مفرزة من الخيالة، وقصد بها أريحا، حيث سطت المفارز على الغلال فيها، وكانت وافرة، ثم غادر هيرودوس المدينة بعد ان ترك فيها حامية من جيشه[89].

ولم يهدأ هيرودوس في أثناء ذلك، بل انه جند جيشا من الفين من المشاة واربعماية خيال واحتل بلاد الأدوميين، ثم انتقل الى الجليل فاخضع ما كان قد بقي منها تحت سيطرة انتيغونس بعد ان طرد حامياته منها، ووصل الى صفورية فدخلها (شتاء عام ٣٩ - ٣٨ ق.م) بلا قتال (حيث كانت حاميتها قد اخلتها قبل الهجوم)، وأرسل بعدها، (عام ٣٨ ق.م) طليعة جيشه (وهي ثلاث كتائب من المشاة وسرية من الخيالة) الى ضواحي

---

(٨٩) Ibid. وقد اعتمدنا تسمية: كتيبة (Cohorte) وفرقة (Légion) وسرية (Escadron).

اربيل (اربد)، ثم تبعها، بعد ذلك باربعين يوما، مع باقي الجيش، فواجهته قوات من جيش انتيغونس، واستطاعت ان تهزم جناحه الأيسر مما استدعى تدخله السريع بحركة التفافية على العدو الذي ما لبث ان تراجع ثم انهزم، فطارد فلوله التي كانت تقاتل متراجعة، وظل يطارد تلك الفلول حتى نهر الاردن بعد ان انزل فيها خسائر كبيرة، فاجتاز قسم منها النهر شرقا، وتشتت القسم الآخر في البلاد.

ولم ينس هيرودوس ان يكافئ جنده على انتصارهم هذا، فوزع من الغنائم التي غنمها في هذه الحرب، على كل جندي «٥٠٠ دراخم من الفضة» و«اكثر من ذلك بكثير» لكل ضابط(٩٠).

وما ان انتهى هيرودوس من القضاء على بعض العصابات التي كانت معتصمة في مغاور بالجبال القريبة من صفورية، حتى عاد الى السامرة مع ثلاثة آلاف من المشاة وستماية خيال، ليُنهي من تبقى من انصار انتيغونس في تلك البلاد، تاركا، خلفه في الجليل، فرقة من جيشه بقيادة احد قادته (بطليموس) الذي قتل على ايدي انصار انتيغونس في هجوم شنوه عليه بعد مغادرة هيرودوس لارض الجليل، مما حدا بهيرودوس الى العودة سريعا لنصرة جيشه في تلك المنطقة، فقتل عددا كبيرا من الأعداء، وحاصر جميع الحصون التي اعتصموا بها حتى سقطت فدمّرها وفرض على اهل تلك البلاد الجزية(٩١).

وعاد هيرودوس، بعد ذلك، لكي يتابع تقدمه نحو اريحا، باتجاه الجنوب، ومنها نحو اورشليم، وكان، في تقدمه، يتعرض لهجمات متكررة من جيش انتيغونس فيردّها وينزل بها خسائر فادحة ويدمر القرى والمدن التي تنطلق منها، وقد قتل، في احدى هذه المعارك، نحو الفين من اهل تلك القرى، ودمر خمسا منها وأحرق منازلها، ثم عاد بجنده الى معسكره(٩٢).

وكان في تقدمه هذا، يلتقي العديد من المواطنين اليهود الذين كانوا ينضمون اليه، اما

---

(٩٠) Ibid. P. 164 ويذكر آهاروني ان هيرودوس احتل صفورية عام ٣٩ او ٣٨ ق. م. وانه احتل اربد عام ٣٨ ق. م. (Aharoni, Op. Cit. P. 163).

(٩١) Josèphe, Op. Cit. P. 165 --

(٩٢) Ibid. P. 168 --

بدافع من اعجابهم بانتصاراته، او بسبب كراهيتهم لانتيغونس، الا ان ذلك كان في الغالب «رغبة غريزية في التغيير»[٩٣].

وكانت آخر معاركه على طريق اورشليم، في ضاحية تدعى «قانا» حيث واجه جيشا لأنتيغونس بقيادة احد قادته ويدعى «بابوس Pappus»، ودارت بين الجيشين معركة طاحنة هزم فيها بابوس وفر جنده، فانطلق هيرودوس في مطاردتهم «وكانت مذبحة عامة، اذ تدافع الأعداء، بفوضى، في الضاحية، حيث اخذتهم الهزيمة، وكان هيرودوس يضغط على مؤخرة الفارين ويقتل العديد منهم. وقد كثر القتل فيهم حتى كانت الجثث مكدسة بشكل لا يستطيع معه المنتصرون المرور في الشوارع»[٩٤]، وكان «بابوس» احد قتلى هذه المعركة. وقد دفع هذا النصر الباهر هيرودوس الى السير قدما، وبلا تأخر، نحو أورشليم، فبلغها (في شتاء ٣٨ ـ ٣٧ ق.م) وفرض عليها الحصار بعد ان قطع رأس بابوس وارسله لأخيه «فيروراس Phéroras» انتقاما لمقتل اخويه «فسائيل وجوزيف»، وكان بابوس نفسه هو الذي قتل اخاه جوزيف[٩٥].

وصل هيرودوس بجيشه الى اسوار اورشليم في العام الثالث لتنصيبه، في روما، ملكا على اليهودية (أي مطلع عام ٣٧ ق.م.)، فاقام معسكره في مواجهة الهيكل حيث يسهل عليه مهاجمة المدينة (وكان بومبيوس قد دخلها من هذه الجهة) ثم وزع المهمات على جيشه، وبعد ان قطع الاشجار المحيطة بالاسوار، أمر ببناء ثلاث شرفات ترفع عليها البروج، وكلف أمهر ضباطه وأقدرهم تنفيذ هذه المهمة، ثم انطلق هو الى السامرة حيث تزوج خطيبته، ابنة الكسندر بن ارسطوبولس، وعاد لمتابعة الحصار ومعه الكثير من الجند.

وكان القائد الروماني سوسيوس Sossius قد التحق به مع جيش كبير من المشاة والخيالة، وهكذا، فقد اجتمع لهيرودوس، في حصاره لأورشليم، نحو ١١ فرقة من المشاة و٦ آلاف من الخيالة، هذا بالاضافة الى العديد من السوريين الذين كانوا يشكلون فرقة لا يستهان بها. وكان مركز هيرودوس وسوسيوس بالقرب من السور الشمالي للمدينة[٩٦].

---

(٩٣) -- Ibid.

(٩٤) -- Ibid.

(٩٥) Josèphe, Ibid, P. 169 et -- Aharoni, Op. Cit. P. 164;

(٩٦) Josèphe, Ibid

كان المدافعون عن أسوار المدينة مستميتين في دفاعهم، فقد كانوا «يرمون بانفسهم على الفرق الرومانية فيلقون الموت الأكيد» او انهم يستخدمون ممرات تحت الارض بحيث «يظهرون فجأة في وسط الأعداء»، او انهم يعمدون الى بناء جزء من السور لكي يحل محل آخر قبل ان يهدم، وبكلمة «كانت اذرعهم كمخيلتهم، لا تتعب، اذ انهم قرروا المقاومة حتى النفس الأخير»(٩٧).

واستمر حصار اورشليم خمسة اشهر استطاع، بعدها، بعض الجنود النخبة من جيش هيرودوس ان يتسلقوا السور ويقتحموا المدينة، وتبعهم بعض المئات (Centunions) من جيش سوسيوس، اذ احتل هؤلاء في البدء محيط الهيكل، ثم انتشر الجيش في كل مكان، ونفذ مذبحة جماعية، «جماعات ذبحت في الشوارع، او وهي محتشدة في المنازل، او اثناء هربها نحو الهيكل. ولم يشفقوا على أحد، لا على الاطفال ولا الشيوخ ولا على النساء الضعيفات»(٩٨).

وفي صيف عام ٣٧ ق.م. استسلمت اورشليم لهيرودوس، ونزل انتيغونس من قصره وارتمى على قدمي سوسيوس الذي «كبله بالأصفاد» واصطحبه مخفورا الى انطونيوس الذي أمر بقطع رأسه، كما اعدم انصاره جميعا(٩٩). وبقتل انتيغونس انتهى حكم اسرة المكابيين لليهودية، وتسلم هيرودوس حكم اليهودية في العام نفسه (٣٧ ق.م.)(١٠٠). وكان هيرودوس اول ملك على اليهودية من اصل غير يهودي. (أنظر الخارطة رقم ٣٥)

٩ـ عهد هيرودوس (٣٧ ق. م.ـ٤م): حربه ضد العرب الانباط (٣١ق. م.):

ما ان تسلم هيرودوس الحكم في اليهودية (عام ٣٧ ق.م.) حتى بدأ يشن حربا لا هوادة فيها على خصومه في المملكة، فقتل وظلم حتى دانت له البلاد والعباد، ثم ما لبث ان

---

(٩٧) -- Ibid. P. 170

(٩٨) -- Ibid

(٩٩) Josèphe, Ibid, P. 171 et. Aharoni, Op. Cit. P. 164;

(١٠٠) Aharoni, Ibid. Barnavi, Op. Cit. P. 48

وانظر: بورتر، المرجع السابق، ص ٢٥٠، والدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٢٧٢.

شن حربا على العرب الانباط عبر الاردن شرقا، مما ساعده على التملص من الوقوف الى جانب انطونيوس في الحرب التي نشبت بينه وبين القيصر اوكتافيوس على حكم روما، وهي ما سميت بحرب اكسيوم Actium (٣١ ق.م.).

كان هيرودوس قد جمع جيشا كثيفا من الخيالة ونازل العرب عند بلدة «ديوسبوليس» مما أدى الى هزيمتهم رغم استبسالهم في المقاومة، الا ان العرب لم يستسلموا، بل تجهزوا للقتال من جديد واحتشدوا في قناتا Canatha (قناتا عبر الاردن لا قانا الجليل، حسبما ورد عند الدبس)[١٠١] حيث تجدد القتال بين الفريقين، وكان هيرودوس حذرا في عملياته ضد العرب، فأمر جنده ان يقيموا سورا حول معسكرهم، «ولكن الجيش لم يلتفت الى كلامه، بل انقض على العرب مبهورا بانتصاره السابق»[١٠٢] فانهزم العرب امامه وبدأ هو بمطاردتهم، ولم يفطن الى انه وقع في الشرك، وان انهزام العرب لم يكن سوى خدعة حربية، فما ان جاوز قناتا حتى انقض عليه اهلها من الخلف، ثم استدار العرب المنهزمون نحوه وصمدوا في وجهه وقاتلوه «في ارض صخرية صعبة» فهزموه بعد ان «اوقعوا في صفوفه مذبحة كبيرة»، وهرب من نجا من جيش هيرودوس ولجأ الى حصن «أورميزا Ormiza» (وهو حصن لم يحدد موقعه)، الا ان العرب طاردوا فلول المنهزمين حتى ذلك الحصن فحاصروهم واستولوا على الحصن بمن فيه من المدافعين[١٠٣].

ويذكر «يوسفوس» ان هيرودوس تلقى نجدات بعدها، الا ان ذلك تم «بعد فوات الأوان»، وان المسؤولين عن هذه المجزرة كانوا «الضباط الاعوان الذين لم يطيعوا الأوامر». ويعزو «يوسفوس» انتصار العرب هذا على هيرودوس الى القائد «انتيون Anthéon» الذي كان «بين كل قادة كليوباترة، اكثرهم عداء لهيرودوس» اذ انه هو الذي اعد الخدعة الحربية التي نفذها العرب للايقاع بهيرودوس وجيشه، وانه لولا تسرع «الضباط الاعوان» في جيش هيرودوس وقيامه بالهجوم «لم يكن انتيون ليجد الفرصة لوضع خدعته موضع التنفيذ». ويتابع يوسفوس تحليله قائلا : «الا ان هيرودوس انتقم، بعد ذلك، من العرب، وذلك بشنه غارات متتالية على ارضهم بشكل جعلهم، ولأكثر من مرة، يندمون

---

(١٠١) الدبس، المرجع السابق، ج-٣ : ٢٨٤.

(١٠٢) -- Josèphe. Op. Cit. P. 173

(١٠٣) -- Ibid

على انتصارهم الوحيد»[١٠٤]. ويظهر، من كلام يوسفوس هذا، انحيازه التام لهيرودوس، وتحامله على العرب باعتبارهم عاجزين عن تحقيق النصر بلا عون من الخارج.

ولم يلبث هيرودوس أن حشد جيشاً كبيراً اجتاز به الاردن لقتال العرب من جديد، وعسكر بجيشه قرب فيلادلفيا (عمان) «غير بعيد عن العدو». ثم بدأ يقوم بمناوشات على مواقع العرب محاولاً الاستيلاء على حصن يقع على مرتفع بين الجبهتين (بينه وبين مواقع العرب). وكان العرب قد ارسلوا، بدورهم، مفرزة لاحتلال ذلك الحصن، لكن جند هيرودوس استطاعوا التغلب على تلك المفرزة واحتلوا الحصن، ثم اخذوا يتقدمون نحو مواقع العرب ويستفزونهم لكي يخرجوهم من خنادقهم، الى ان تمكنوا من ذلك، اذ خرج العرب لقتالهم، خيالة ومشاة، وهجموا على اليهود، «وكانوا اكثر عدداً منهم»، الا انهم لم يستطيعوا زحزحتهم، فانهزموا امامهم، وطاردهم اليهود فقتلوا منهم نحو «خمسة آلاف» قُتلوا «اما على يد اليهود، او داستهم اقدام الهاربين من اقرانهم» كما يذكر يوسفوس[١٠٥]، بينما «قبع الباقون في خنادقهم»، فحاصرهم هيرودوس، وكاد ينقض عليهم «لولا ان حاجتهم للماء عجلت في استسلامهم»[١٠٦]، حيث فتك العطش بهم «فخرجوا جماعات، واستسلموا لليهود برضاهم» ويذكر يوسفوس انه استسلم منهم، في خمسة ايام، اربعة آلاف رجل[١٠٧].

وفي اليوم السادس، خرجت بقايا العرب، للقتال، يائسة، الا ان هيرودوس هاجمها و«قتل منها، ايضاً، سبعة آلاف»[١٠٨].

وكانت حرب اكسيوم قد انتهت بانتصار ساحق لاوكتافيوس، (عام ٣١ ق.م.)، فجاءه هيرودوس خاضعا وواضعا نفسه ومملكته بتصرفه، فأقره القيصر على مملكة اليهودية، وضم اليه «الاراضي التي كانت كليوباترة قد انتزعتها منه، بالاضافة الى غدارا وهيبوس والسامرة، وكذلك المدن الساحلية، غزة وانتيدون، ويافا وبرج ستراتون»[١٠٩]. ثم الحق

---

(١٠٤) Ibid

(١٠٥) -- Ibid. P. 175

(١٠٦) Ibid.

(١٠٧) -- Ibid. P. 176.

(١٠٨) -- Ibid.

(١٠٩) -- Ibid. P. 177

القيصر بمملكة هيرودوس، فيما بعد، «كل الاراضي الواقعة بين تراخونيتيد Trachaonitide (اللجاة) والجليل»[١١٠].

واستقر الملك، بعد ذلك، لهيرودوس، فتفرغ لترميم الهيكل في اورشليم، وباقي المعابد والحصون في اليهودية، كما أنشأ العديد من الحصون والمعابد والمدن والقصور، وكان يسمي معظمها باسماء للقيصر او للقريبين منه محاباة لحاكم روما وتقربا منه، ولم ينس ان يسمي قلعة اورشليم التي أعاد ترميمها باسم «انطونيا Antonia» تخليدا لذكرى حليفه القديم «انطونيوس» وولي نعمته[١١١]. ولكن هيرودوس اوغل في ظلم اهله وشعبه والاستبداد بهم الى درجة ان اكثرية اليهود كانت تتمنى موته، وما ان مات حتى عمّت الفرحة البلاد كلها[١١٢]. وتوفي هيرودوس عام ٤ م عن عمر يناهز السبعين، بعد ان كان قد حكم طيلة ٣٤ عاما[١١٣]. وكان قد قسّم مملكته، قبل وفاته بين ابنائه الثلاثة: ارخلاوس وكان نصيبه اليهودية والسامرة وأدوم، وهيرودوس أنتيباس وكان نصيبه الجليل وبيريا، وفيليبوس وكان نصيبه تراخونيتيد (اللجاة) وجوارها[١١٤]. (أنظر الخارطة رقم ٣٥)

---

(١١٠) Ibid, P. 178 وتراخونيتيد او تراخونيتس هو اقليم اللجاة مع جزء من جبل العرب (الدروز)، ويقع جنوب دمشق، من جهة حوران (عبد الملك، ص ٢١٤) او هو مقاطعة من فلسطين القديمة يقع قرب الاردن، جنوب دمشق وشرق الجولان، (Websters, Op. Cit. P. 144).

(١١١) Josèphe, Op. Cit. P. 178 --

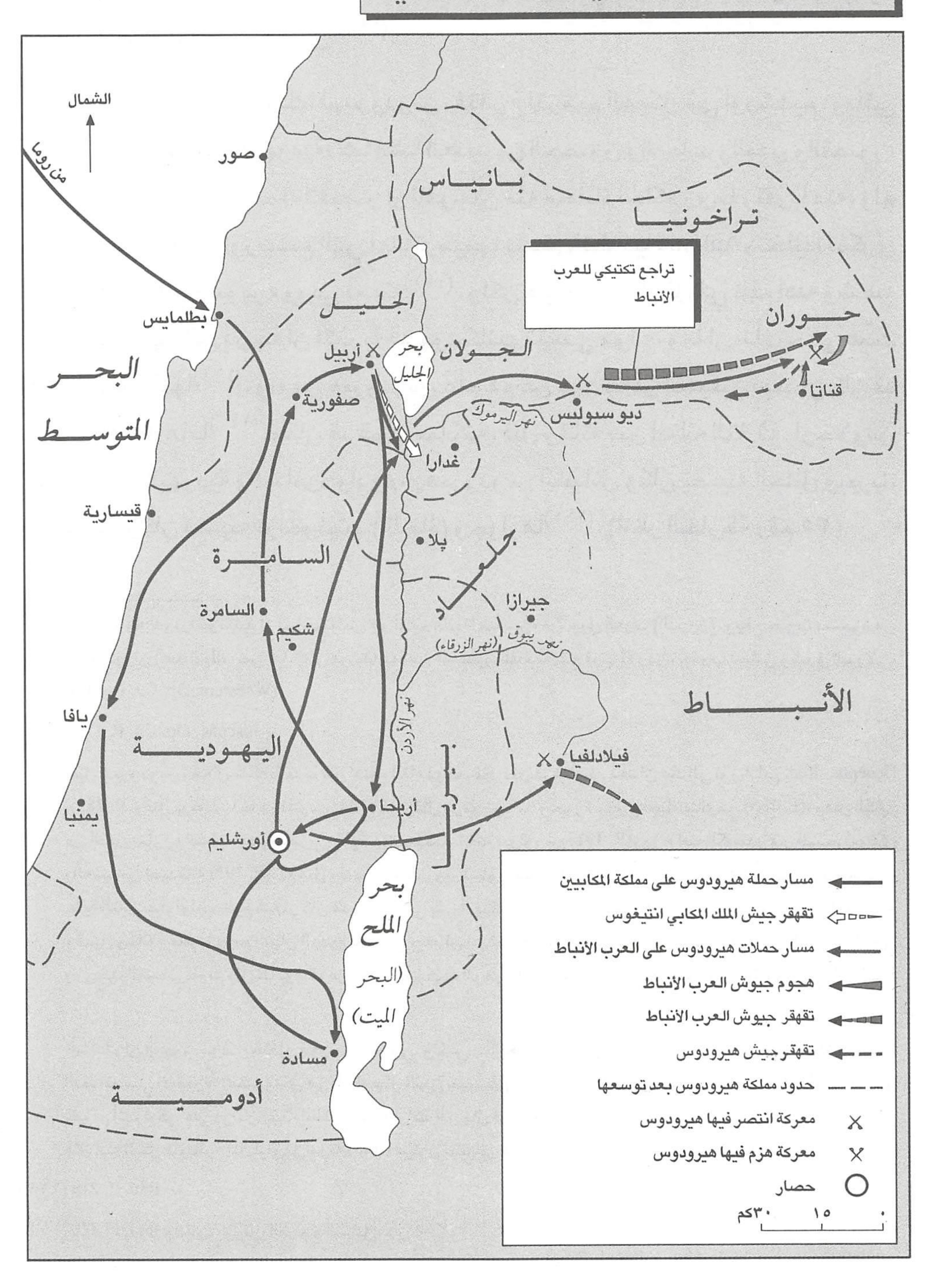
(١١٢) قتل هيرودوس، خلال ملكه، العديد من اهله وابناء قومه، فقد قتل هرقانوس بعد ان عاد الى اورشليم (Josèphe, Ibid. P. 183)، وقتل يوناثان اخا هرقانوس (P. 184)، وقتل مريم زوجته وجوزف زوج اخته سالومي (P. 185)، وقتل الكثير من الذين ساوره الشك بانهم يتآمرون عليه، من اصدقاء اخيه فيراروس (P. 191)، وزج ابنه الكسندر في السجن، ونكّل بالعديد من اصدقائه (P. 193)، ثم قتل ولديه الكسندر وارسطوبولس (P. 201)، وقتل العديد من المحرضين والمتمردين عليه الذين حاولوا تحطيم شعار كان قد رفعه على باب الهيكل (P. 218)، وكانت اهم عملياته الاجرامية، اثناء مرضه وقبيل وفاته، عندما جمع أعيان اليهودية كلهم «بعد ان استدعاهم قرية فقرية» ثم حبسهم وأوصى اخته سالومي وزوجها الكساس (ولم يقل لنا يوسفوس متى تزوجت سالومي، اخت هيرودوس، بعد مقتل زوجها جوزف) قائلا لهما:

«انا اعلم ان اليهود سوف يحتفلون فرحين بموتي، ولكني ساجعلهم يبكونني بالواسطة، اذا ما اتبعتم تعليماتي: عندما الفظ انفاسي الاخيرة، احشروا كل هؤلاء الرجال الذين حبستهم امام الجند واقتلوهم، عندها، سوف تبكي اليهودية كلها كما لو انها تبكي عليّ» ولكن اخته اطلقت سراح اولئك الرجال فور موته (Ibid, P. 219) كما انه لم يتردد في ان يقدم على قتل ابنه البكر انتيباتر، قبل ايام من موته (Ibid) فيكون انتيباتر هذا ثالث اولاده الذين قتلوا على يديه.

(١١٣) Ibid. P. 219 --

(١١٤) Ibid, P. 220 وأنظر: بورتر، المرجع السابق، ص ٢٥٥.

خارطة رقم ٣٥: حروب هيرودوس الأدومي



الفصل الثاني

حروب الرومان ضد اليهود ـ١ـ
من جسيوس فلوروس الى فسباسيان
(٦٥ ـ ٦٩م)

روما تحكم اليهود مباشرة:

خلف ارخلاوس والده هيرودوس في الحكم عام ٤ م، الا انه ما فتىء ان ثار عليه قومه فنكل بهم وقتل منهم ثلاثة آلاف نفس في يوم واحد[١]، ثم نازعه اخوته على الملك وقاضوه امام القيصر اغسطس الذي قضى بتسليمه الحكم وفقا لوصية هيرودوس، ولكن ليس كملك بل كوالٍ (اثنارك Ethnarque) واعدا اياه بالملك ان هو احسن الحكم[٢]، كما اقر وصية هيرودوس بتعيين هيرودوس انتيباس واليا (رئيس ربع) على الجليل وبيريا (عبر الاردن) وتعيين فيليبوس واليا (رئيس ربع) على اللجاة (حوران)، مقسما، بذلك، مملكة هيرودوس ثلاثة أقسام: نصف يحكمه ارخلاوس، والنصف الآخر إلى ولايتين: واحدة يحكمها هيرودوس انتيباس، والثانية يحكمها فيليبوس[٣]. ولكن ارخلاوس لم يحسن تدبير امور الحكم في ولايته، مما دفع بالقيصر الى خلعه عنها ونفيه الى فيينا وذلك بعد تسع سنوات من حكمه، وبسبب وحشيته «ليس ضد اليهود فحسب، بل ضد

---

(١) -- Josèphe, Flavius, La guerre des Juifs, P. 224.

(٢) -- Ibid, P. 234

(٣) Ibid وأنظر: بورتر، هارفي، التاريخ القديم، ص ٣٥٥.

السامريين كذلك»[٤]. وكان قد وصل الامر برعايا المملكة اليهودية ان طالبوا روما بحاكم روماني يحكمهم، فعين القيصر على اليهودية، بعد عزل ارخلاوس عنها، واليا رومانيا يدعى «كوبونيوس Coponius» ومنحه «سلطات مطلقة، بما فيها حق الحياة والموت»[٥]، وكان ذلك عام ١١م، بينما استمر الاخوان هيرودوس انتيباس وفيليبوس في ولايتهما. وتولى حكم اليهودية في اغسطس، بعد كوبونيوس، كل من ماريوس ابيفيوس واينوس روفيوس. وبعد وفاة اغسطس (عام ١٤م)، تولى تيبيريوس عرش روما، وعين فالريوس كراتوس واليا على اليهودية (عام ١٥م) ثم خلفه عليها بيلاطس البنطي عام ٢٦م[٦]، وظهر، في هذه الاثناء، ابن لارسطوبولس (الذي اعدمه ابوه هيرودوس الاكبر) ويدعى «أغريبا»، فذهب الى روما مطالبا بملك ابيه وجده، فزجه تيبيريوس في السجن الى ان افرج عنه القيصر «غايّوس» المسمى «كاليغولا». والذي تولى حكم روما بعد موت تيبيريوس (عام ٣٧م)، وسلمه حكم اليهودية خلفا لبيلاطس البنطي، الذي كان قد عزل عنها عام ٣٦م ونفي الى غاليا، ثم منحه ولاية فيليبوس (وكان قد توفي عام ٣١م بحسب رواية الدبس)، وسماه ملكا، وقد تولى اغريبا الملك عام ٣٩م[٧].

أما هيرودوس انتيباس، والي الجليل وبيريا، عبر الاردن، فقد تملكته الغيرة عندما عين القيصر كاليغولا أغريبا ملكا فطالبه بالمعاملة بالمثل الا ان القيصر انتزع منه ولايته وضمها الى مملكة أغريبا، ثم نفاه الى اسبانيا حيث مات[٨].

ولم يحكم كاليغولا أكثر من ثلاث سنوات وثمانية أشهر حيث قتل[٩] ونودي بكلوديوس امبراطورا، وكان أغريبا صديقا له ومقربا منه، فهو الذي قاد عملية التفاوض

---

(٤) Josèphe, Op. Cit. P. 236 --

(٥) Ibid, P. 237 --

(٦) الدبس، يوسف، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٣: ٢٢٠. وقد حكم بيلاطس البنطي مدة عشر سنوات (من العام ٢٦ حتى العام ٣٦ق.م) اذ عزله سبيريوس واستدعاه الى روما ثم نفاه الى غاليا (عام ٣٧م) حيث قتل نفسه (بورتر، المرجع السابق، ص ٢٥٧).

(٧) الدبس، م. ن. ص ٢١٥ وانظر: Josèphe, Op. Cit. P. 245 --

(٨) Josèphe, Op. Cit. P. 245 وقد نفاه، في الواقع، الى «ليون» في بلاد الغول(Ibid, Note 1)

(٩) Josèphe, Op. Cit. P. 207 --

بينه وبين شيوخ روما الذين كانوا قد عارضوا تعيينه[10]. وما ان استقر الحكم لكلوديوس حتى أنعم على أغريبا بان ضم اليهودية الى مملكته كما ثبته على ولايته السابقة، أي على ولاية كل من فيليبوس وهيرودوس انتيباس، فأضحى أغريبا حاكما على كل مملكة جده هيرودوس الاول الاكبر[11] وسمى نفسه «هيرودوس أغريبا الاول». الا ان أغريبا لم ينعم بالملك طويلا، اذ توفي عن عمر يناهز الخامسة والخمسين ولم يكن قد أمضى في الحكم، بعد، سبع سنوات، وكانت وفاته عام ٤٤م[12]. وكان أغريبا آخر حكام الاسرة الأدومية التي كان أولها هيرودوس الاول الاكبر، إذ انتقل حكم اليهود نهائيا، بعد ذلك، الى الولاة الرومانيين.

توالى على حكم المملكة اليهودية، بعد أغريبا، عدد من الولاة الرومانيين هم: كوسبيوس فاروس (٤٤ ـ ٤٦م)، ثم طيباريوس بن اسكندر بن اسكندر الابرش، وكان يهودي الاصل الا انه ارتد عن اليهودية (٤٦ـ٤٨م)، ثم كومانوس (٤٨ـ٥٢م)، ثم كلودفيلكس (٥٢ـ٦٠) ثم فستوس (٦٠ـ ٦١م)، ثم ألبينوس (٦١ـ٦٤م)، ثم جسيوس فلوروس (Gessius Florus) الذي تولى الحكم عام ٦٥م[13] والذي بدأت، في عهده، الحروب بين اليهود والرومان.

أ ـ ثورة اليهود ضد الرومان في عهد جسيوس فلوروس وسستيوس غالّوس (٦٥ـ٦٦م):

تولى جسيوس فلوروس (Gessius Florus) حكم اليهودية وما كان يتبعها من مواطن اليهود (مملكة هيرودوس الاول الاكبر) عام ٦٥م، وكان على سوريا والٍ روماني يدعى «سستيوس غالّوس Cestius Gallus» مقره «انطاكية» عاصمة الولاية. وكان قد قام بين

---

(١٠) --Ibid, PP. 248 - 249

(١١) -- Ibid, P. 249

(١٢) الدبس، المرجع السابق، جـ٢ : ٣٢٥ـ٣٢٦. وقد عين أغريبا الثاني ملكا على اليهودية خلفا لوالده اغريبا الاول، بعد هذا التاريخ، الا انه لم يستطع ان يمارس الحكم بسبب ما ألم بالبلاد من اضطرابات وثورات في عهد جسيوس فلوروس كما سترى، (Josèphe, Op. Cit. PP. 256--301).

(١٣) الدبس، المرجع السابق، جـ٢ : ٣٣٢ـ ٣٣٦.

اليهود حزب متعصب يدعى «حزب الزيلوت Zélotes» وهو حزب «الغيارى، او المتشددين، او الاصوليين» بقيادة زعيم لهم يدعى «يوحنا بن لاوي» أو «يوحنا الجسكالي» او «الجشي» (نسبة الى بلدته جسكالا او الجش الواقعة في الجليل، حيث كان المعقل الرئيسي لهذا الحزب)، وكان شعار هذا الحزب «لا اله الا يهوذا، لا ضريبة الا للهيكل، ولا صديق الا الزيلوت»[١٤].

وكان أغريبا (الثاني) ملكا على اليهود، الا انه لم يستطع ممارسة الحكم بسبب اندلاع الثورة ضد أسياده الرومان، فقد كان حليفا لهم، وكان يقضي معظم أوقاته في روما، بالقرب من القيصر، او في الاسكندرية بمصر.

بدأت المشاكل في قيسارية حيث كان الحكم للأكثرية (من اليونان الوثنيين)، الذين سعوا الى استفزاز يهود المدينة، فشكا هؤلاء أمرهم الى فلوروس الذي كان يقيم في سبسطية (السامرة)، ولكن فلوروس أوقف الموفدين اليهود وأودعهم السجن، وقد أثار ذلك يهود اورشليم (وكان حزب الغيارى، او الزيلوت، فيها مؤثرا وفعالا) فخرجوا في تظاهرات يشتمون فلوروس ويدعونه بالطاغية، مما جعل فلوروس هذا يقرر السير الى اورشليم بجيش من المشاة والخيالة لكي «ينفذ خطته بالسلاح الروماني، فيخضع المدينة بالارهاب والتهديد»[١٥].

واعتصم اليهود، اثر ذلك، بمدينتهم «وامضوا الليل فريسة الخوف والهلع»[١٦]. اما فلوروس فدخل المدينة واقام في قصرها وجمع اليه، في اليوم التالي، الكهنة وقادة المدينة وأعيانها وطالبهم بتسليمه أولئك الذين اقدموا على شتمه واهانته، مهددا اياهم بالعقاب ان لم يذعنوا، ولكن هؤلاء كانوا أعجز من ان يقدموا احدا من اهل المدينة اليه، فاستعطفوه وطلبوا منه العفو والمغفرة وابدوا عدم معرفتهم بأولئك الذين أشار اليهم، مما أثار حنقه وسخطه، فأمر جنده بان «يقتلوا كل من يلتقونه»، فاحرق الجند السوق المسمى «بالسوق الفوقاني Le Marché d'en Haut» في المدينة، ثم شرعوا في السلب والنهب والقتل،

(١٤) Sachar, Op. Cit. P. 144 --

(١٥) Josèphe, Op. Cit. P. 257- 258. --

(١٦) Ibid, P. 259 --

فقتلوا، من اهل اورشليم، في يوم واحد، نحو ٣٦٠٠ نسمة من الرجال والنساء والاطفال[١٧]، وكان ذلك في ايار عام ٦٦م[١٨].

وفي اليوم التالي، جمع فلوروس اعيان اورشليم ووجهاءها وكهنتها وطلب اليهم حشد الأهالي لملاقاة الجيش الروماني القادم الى المدينة، وكان مؤلفاً من كتيبتي مشاة (Cohortes)، وأطاع الأعيان والوجهاء والكهنة اوامر فلوروس وسعوا الى حشد الأهالي لكي يستقبلوا الجيش القادم استقبالا لائقا ولكنهم لقوا معارضة شديدة من الزيلوت (المتشددين الذين يسميهم المؤرخ يوسفوس «المشاغبين») الذين «رفضوا اطاعتهم تكريما لذكرى قتلاهم»، وانحاز الشعب الى جانب «المتمردين»[١٩]، ولكن فلوروس كان قد أعد مكيدة لليهود من خلال طلبه استقبال جيشه، اذ ارسل الى قادة الجند يوصيهم ان «لا يردوا التحية لليهود، وان يعملوا سيوفهم بهم ان سمعوا منهم اهانة بحقه»[٢٠]. وكان ما حسبه فلوروس قد جرى تماما، اذ انه، ما ان استقبل الاهالي الجند وحيّوهم، لم يرد هؤلاء التحية، مما أثار غضب «المشاغبين» وحنقهم، فبادروا الى التلفظ بالسباب والشتائم لهم ولقائدهم فلوروس، مما أعطى الجند ذريعة بتنفيذ الخطة المتفق عليها، اذ حاصر الجند الجموع وانهالوا عليهم بالسياط والهراوات، وما ان حاول هؤلاء الهرب حتى «طاردتهم الخيل ووطأتهم تحت سنابكها» حتى ان الكثير منهم انسحق تحت اقدام الآخرين. واخذ الجند يدفعون الجموع المتقهقرة والهاربة نحو حي «بزيتا Bezetha» (في المدينة الجديدة) محاولين الوصول الى قلعة «انطونيا» والى الهيكل. واطلق فلوروس، في الوقت نفسه، من كان معه من الجند، في القصر، باتجاه القلعة والهيكل، فلما رأت الجموع ذلك وأدركت نية الرومان باحتلال الهيكل والقلعة استدارت لمواجهتهم، ودار بين الفريقين قتال كانت الحجارة فيه، سلاح اليهودية، يرمونها على الجند، من سطوح المنازل، بينما اسرع الاهالي الى قطع العبّارة التي تصل القلعة بالهيكل في محاولة لمنع الرومان من سلوكها والوصول الى الهيكل، (ويرى يوسفوس ان نية فلوروس كانت تهدف للوصول الى الهيكل

---

(١٧) Ibid, PP. 259--260 --

(١٨) الدبس، المرجع السابق، جـ٢ : ٣٤٠.

(١٩) Josèphe, Op. Cit. P. 261 --

(٢٠) Ibid --

والاستحواذ على كنوزه)، فلما رأى فلوروس ذلك، ويئس من امكان اختراق الجموع والتغلب على مقاومتها، قرر سحب جيشه والعودة به الى قيسارية[٢١].

ولكن فلوروس لم ينهزم، اذ انه كتب الى سستيوس يحرضه على احتلال اورشليم بجيش من عنده، متهما اليهود بالثورة على الرومان، وحكمهم، وكاد سستيوس ان يميل الى رأي فلوروس، الا انه رأى ان يرسل موفدا من قبله لمعرفة الحقيقة على الارض، فارسل محاميا يثق به (المحامي نيابوليتانوس Néapolitanus) ومعه الملك اغريبا، الى يمنيا (Jamnia) حيث اجتمعا بالكهنة اليهود وزعمائهم ومجلس اعيانهم، فشكا هؤلاء الى الوفد ما لقيه اليهود من ظلم على يد فلوروس وجيشه، وانتقل الجميع الى اورشليم حيث لقيهم الاهالي بالصراخ والعويل واطلعوهم على المآسي التي حلت بالبلدة من جراء ما فعله جند فلوروس، ووقف اغريبا خطيبا بقومه يخفف عنهم المأساة ويدعوهم للصبر والتأني، الا ان كلامه لم يرق للمتحمسين الذين امطروه بالحجارة واوسعوه سبا وشتما وطردوه من المدينة، فانصرف عنهم الى مقره[٢٢]، في مملكته (بالجولان واللجاة وحوران). واتسعت الثورة لتشمل حصن «مسادا» جنوب فلسطين، وعلى الضفة الغربية الجنوبية للبحر الميت، حيث كانت تعسكر حامية رومانية، اذ اقتحم المتمردون اليهود هذا الحصن وفتكوا بحاميته ووضعوا فيه حامية من رجالهم. وازداد الأمر خطورة عندما قرر اليعازار، رئيس الكهنة في اورشليم، رفض قبول تقديمات الرومان، وغيرهم من الأجانب، للهيكل «فكان هذا (القرار) اساسا لاعلان الحرب على الرومان»[٢٣]، وكان المتمردون وراء هذا القرار الذي اثار الرومان لانه «أدخل بدعة أجنبية على الديانة»[٢٤]. وقد أثار هذا القرار، كذلك، حفيظة المعتدلين الذين يسعون الى سلام دائم بين الرومان واليهود، فأرسلوا وفوداً الى كل من فلوروس والملك اغريبا يطلبون منهما «المجيء بجيوش الى أورشليم لسحق الثورة»، ولم يحفل فلوروس بطلبهم، الا ان الملك اغريبا ارسل «للدفاع عن الشعب» جيشا من «الفي خيال... بقيادة داريوس» ومعه الجنرال فيليبوس[٢٥]، مما شجع المعتدلين،

---

(٢١) Ibid, PP. 262- 263 --

(٢٢) Ibid, PP. 263- 272 --

(٢٣) Ibid, P. 272 --

(٢٤) Ibid, P. 273 --

(٢٥) Ibid, P. 274 ويذكر ساشار ان «ثلاثة آلاف خيّال اسرعوا الى اورشليم لحماية القلعة الرومانية» (Sachar. Op. Cit. P. 145) ويوافقه الدبس على ذلك، اذ يذكر ان اغريبا ارسل «ثلاثة آلاف رجل» (المرجع السابق، جـ٢: ٣٤١)

وكانوا من «القادة ورؤساء الكهنة، وكل فئة الشعب المحب للسلام» على الوقوف في وجه المتمردين، فاحتلوا مع جيش اغريبا، «المدينة العليا» بينما كان المتمردون، بقيادة اليعازار يحتلون «المدينة السفلى والهيكل»[٢٦].

ودار قتال عنيف بين الفريقين: جيش الملك من جهة، وكان يسعى لاحتلال الهيكل، والمتمردين من جهة اخرى، وكانوا يسعون لاحتلال المدينة العليا. وجرت «مذبحة كبرى بين الفريقين دون ان يخسر اي منهما الارض التي يحتلها». الا انه، وبعد سبعة ايام من القتال، تغلب المتمردون على الجيش المرابط في المدينة العليا واستطاعوا انتزاعها منه، اذ انسحب الجيش ومن معه من الأهالي من تلك المدينة فدخلها المتمردون واحتلوا مقر الكاهن الأعظم وقصر الملك اغريبا واخته بيرنيس Bérénice وأضرموا النار فيها[٢٧]، ثم هاجموا، في اليوم التالي، قلعة «انطونيا»، بعد حصار دام يومين، فاحتلوها وقتلوا كل حاميتها الرومانية، ثم احرقوا القلعة. وانتقلوا بعد ذلك الى قصر هيرودوس، حيث لجأ الجيش الروماني الذي كان قد انسحب من المدينة الجديدة، ومعه قادة المدينة ورؤساء الكهنة، فانقسم المتمردون الى اربع فرق واخذوا يهاجمون القصر من كل الجهات هجمات متتالية، معتمدين على عامل الوقت حيث لا بد من ان يفقد الجنود المحاصَرون صبرهم ويحل بهم التعب والجوع بسبب نقص في المؤونة[٢٨]. وبعد حصار دام سبعة عشر يوما، استسلم المحاصَرون من اليهود ومن جيش اغريبا بعد ان أمّنهم المتمردون على حياتهم، بينما لجأ رجال الحامية الرومانية، الذين لم يؤمَّنوا، كما أُمن حلفاؤهم من اليهود وجيش اغريبا، الى البروج الثلاثة القائمة على سور المدينة (بروج هيپيكوس Hippicus وفسائيل Phasaël ومريام) فلحق بهم المتمردون وحاصروا البروج، واخذوا يضيقون الحصار عليهم، مما اضطرهم الى الاستسلام شرط الابقاء على حياتهم، وما ان سلم الرومانيون سلاحهم حتى نقض المتمردون اليهود العهد وانقضوا على الجنود الرومان العُزل من السلاح وقتلوهم جميعا، وكان ذلك في ايلول/ سبتمبر عام ٦٦م، ولم يبق، بعدها، في اورشليم، روماني واحد باستثناء «ميتيلّوس Metillus» قائد الحامية الرومانية لانه

(٢٦) -- Josèphe, Op. Cit. P. 274

(٢٧) Ibid, PP. 274- 275 والدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٣٤١.

(٢٨) Josèphe, Op. Cit. P. 275 والدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٣٤١.

تهود[٢٩]. ويذكر يوسفوس ان الجنود الرومانيين «ذُبحوا جميعهم، بوحشية، ما عدا ميتيلّوس الذي تضرع ووعد ان يتهوّد حتى الاختتان» ولكن «المصادفة المفرطة في القساوة، هي ان المذبحة جرت يوم السبت، وهو اليوم الذي يمتنع اليهود فيه، احتراماً للالوهية، عن كل نشاط ولو كان محقا»[٣٠].

بعد هذه المذبحة التي اوقعها المتمردون اليهود بالجيش الروماني، ثارت على اليهود معظم مدن فلسطين التي يتواجد فيها مواطنون منهم، ففي قيسارية، ذبح منهم نحو عشرين الفا، حيث فرغت المدينة كليا منهم، مما جعلهم «يكتسحون معظم المدن السورية القريبة مثل عمان وحسبون وجيرازا وپلا وسيتوبوليس (بيسان)، وينقضون على غدارا وهيبوس وغولانيتيد، يدمرونها ويحرقونها، ويسيرون الى قَدَس وعكا وغابا وقيسارية، وكذلك سبسطية وعسقلان، اللتين لم تتمكنا من مقاومة هجومهم، حيث دمروهما واحرقوهما، ثم دمروا انتيدون وغزة ونهبوا عددا من الضياع الواقعة حول هذه المدن، وذبحوا عددا لا يحد من المساجين». ولم يوفر السوريون، بدورهم، اليهود المقيمين في مدنهم (المدن المختلطة) فقتلوا من اليهود عددا لا يقل عن العدد الذي قتله اليهود منهم، اذ انهم «قبضوا على اليهود المقيمين في مدنهم وذبحوهم». ويستطرد يوسفوس قائلا: «ولم يكن ذلك عن حقد فقط، كما كان الأمر سابقا، ولكن، ومنذ هذا الوقت، لكي يتقوا الخطر الذي يتهددهم». وهكذا اضحت سوريا كلها «مسرحا لاضطرابات مرعبة»[٣١]، وقد قتل من اليهود، في بيسان، ١٣ الفا، وفي عسقلان ٢٥٠٠ وفي عكا الفان، كما اهلك اهل صور عددا كبيرا منهم وسجنوا الكثير ايضا، وكذلك اهل هيبوس وغدارا، باستثناء اهل صيدا وافامية الذين «حافظوا على مواطنيهم اليهود ورفضوا قتل اي يهودي او تكبيله بالسلاسل»[٣٢]، وكذلك اهل جيرازا Gérasa، الذين لم يكتفوا بعدم ايذاء اليهود، بل انهم أمنوا الحماية لكل من يريد مغادرة البلاد منهم[٣٣].

---

(٢٩) Josèphe, Op. Cit. P. 277 - 278 والدبس، المرجع السابق، جـ٣: ٢٤٢.

(٣٠) -- Josèphe, Op. Cit. P. 278

(٣١) -- Ibid.

(٣٢) Josèphe, Op. Cit. PP. 279 - 280، وكانت مكافأة اليهود لاهل صيدا على تسامحهم هذا انهم قتلوا منهم، في حرب العام ١٩٨٢، وفي ساعة واحدة، ما يزيد على ماية وخمسين مواطنا اعزل وبريئا، كانوا قد لجأوا الى ملجأ احدى البنايات في المدينة.

(٣٣) -- Ibid, P. 281

ولم ينج يهود مملكة اغريبا من الانتقام، فقد صادف ان ذهب الملك الى انطاكية لزيارة غالّوس، وأوكل امر المملكة الى رجل صديق له ومن اقرباء الملك سوموس Soaemus ملك حمص، ويدعى (نوروس Noarus)، وقد ارسل اليهود الى نوروس وفدا من سبعين رجلا من زعمائهم يطلبون منه الحماية، الا انه ارسل اليهم، ليلا، فرقة من مشاة الجيش الملكي قتلتهم جميعا، وقد فعل ذلك بدون مشورة الملك اغريبا، ويبدو ان نوروس هذا كان يهوديا، اذ يقول يوسفوس فيه، تعقيبا على فعلته هذه: «انه، بسبب جشعه غير المحدود، قرر ارتكاب هذه الخطيئة المدنسة نحو اخوانه في العرق»[٣٤].

وامتدت الاعمال الانتقامية ضد اليهود الى الاسكندرية في مصر (وكانت الاسكندرية تقسم الى خمسة أحياء يشغل اليهود منها حيين كاملين، بحسب ما ذكره فيلون اليهودي) إذ كان قد قتل ثلاثة منهم على ايدي بعض ابناء المدينة من اليونانيين، وكان هؤلاء الثلاثة قد اندسوا بين اليونانيين في اجتماع لهم فحسبوهم جواسيس، مما أثار يهود المدينة كلهم، فاندفعوا في كل ارجائها يحرقون ويرمون اليونانيين بالحجارة، وحاول والي المدينة ويدعى «تيبيريوس الكسندر» تهدئتهم (وكان هذا يهوديا سابقا الا انه ارتد الى الوثنية)، ولما لم يرتدعوا او لم يهدأوا، استدعى فرقتين (légions) من الجنود الرومانيين المقيمين في المدينة، يدعمهم الفا جندي صادف وجودهم في المدينة كذلك، وأمرهم بان يقتلوا كل يهودي يلتقونه، وان ينهبوا املاكهم ويحرقوا منازلهم، وقد احصيت، بعد هذه الموقعة، خمسون الف جثة لليهود في احياء الاسكندرية. عندها أمر تيبيريوس جنده بالانسحاب، الا ان اهل الاسكندرية استمروا بأعمال القتال «مدفوعين بحقد جموح» ضد اليهود[٣٥].

وصلت انباء ثورة اليهود الى مسامع والي سوريا «سستيوس غالّوس» فلم يكن بامكانه ان يبقى متفرجا، خصوصا وان الجنود الرومان يذبحون في كل مكان من سوريا، على ايدي المتمردين اليهود، فقرر التدخل، واستنفر الفرقة الثانية عشرة (12^e légion)، بكاملها من الجيش الروماني المعسكر في سوريا، ودعمها بالفي جندي من كل من الفرق الموجودة في سوريا، مع ٦ كتائب مشاة (Cohortes) و ٤ كتائب خيالة (Escadrons)، وعدد

---

(٣٤) Ibid --

(٣٥) Josèphe, Op. Cit. PP. 282- 283 وانظر الدبس، المرجع السابق، جـ٣ : ٢٤٢.

كبير من انصار الملك[٣٦]، كما قدم له انطيوخوس، ملك كوماجين في شمال سوريا، الفين من الخيالة، وثلاثة آلاف من المشاة، كلهم نبّالون، وتبعه أغريبا، كذلك، بثلاثة آلاف من المشاة، ونحو الفين من الخيالة، معظمهم نبّالون[٣٧]، وسار غالّوس بهذا الجيش الكبير من انطاكية الى عكا، وكانت كل مدينة يمر بها تقدم له عدداً من الرجال بحسب امكاناتها، ومن عكا، انطلق بقسم من الجيش الى مدينة زبولون المنيعة، في الجليل (على الحدود مع عكا) ففر أهلها من وجهه، فنهبها وأحرقها، وعاد الى عكا، ولكن اليهود، وقد رأوا سستيوس ينسحب بجيشه، عاودتهم الحمية، فانقضوا على مؤخرة ذلك الجيش وقتلوا منه نحو الفي رجل[٣٨].

وانتقل سستيوس غالّوس من عكا الى قيسارية، وأرسل فرقة من جيشه الى يافا لاحتلالها والتمركز فيها، فسار قسم من هذه الفرقة الى المدينة عن طريق البر بينما انتقل اليها قسم آخر عن طريق البحر، وهاجموا، جميعا، المدينة برا وبحرا وباغتوا اهلها الذين لم تتح لهم فرصة الدفاع عن انفسهم او النجاة بها من الخطر المداهم، فقتلوهم جميعا، وأحرقوا المدينة بعد ان نهبوها، وبلغ عدد القتلى اليهود في يافا ثمانية آلاف وأربعماية نسمة[٣٩]. وأرسل سستيوس، كذلك، فرقة من خيالة الجيش الى نارباتين (Narbatène) على حدود قيسارية فنهبوها واحرقوها وقتلوا عدداً كبيرا من أهلها، ثم أرسل قريبه «كازينوس غالّوس» قائد الفرقة الثانية عشرة، على رأس قسم مهم من الجيش، الى الجليل. أما المتمردون فقد اخلوا تلك المدن واعتصموا بجبل يقع في وسط الجليل مقابل صفورية ويسمى «جبل عَزَمون Asamon» (او جبل ديدبا Daidaba) فتبعهم كازينوس بجنده وحاصرهم فيه الا انه لم يتمكن منهم، في البدء، مما أوقع في صفوف جنده عددا من القتلى بلغ مئتي رجل. لكن كازينوس عاد واحتل المرتفعات المحيطة بالجبل واحدق به من كل

---

(٣٦) كان في سوريا أربع فرق (Légions) من الجيش الروماني، بتصرف جستيوس، أي ما يساوي «٢٧٠٠٠ من المشاة و٧٤٠٠ من الخيالة مع عدد غير محدود من الانصار». (Josèphe, Op. Cit. P. 283, Note).

(٣٧) Ibid, P. 283 وكوماجين Comagène مقاطعة سلوقية، ثم مملكة مستقلة، في شمال شرقي سوريا، أصبحت مقاطعة رومانية في عهد فسباسيان عام ٧٢م، عاصمتها ساموزات Samosate وهي اليوم (سمسات) في تركيا، على نهر الفرات (Quillet, Dictionnaire encyclopédique).

(٣٨) Josèphe, Op. Cit. PP. 283 – 284

(٣٩) -- Ibid, P. 284.

جانب، وكان سلاحه أقوى وأطول مدى، فتقدم الى معتصم المتمردين حتى بلغه، فانقض عليهم وقتل منهم نحو الفي رجل، ثم عاد كازينوس بجنده الى «قيسارية» حيث كان يعسكر قائده «سستيوس»، الذي انتقل عندها، بكامل جيشه الى «انتيباتريس» حيث علم ان اليهود قد تجمعوا باعداد مهمة، في برج يدعى «برج أفيق» الذي يقع شرق المدينة، فأرسل سستيوس اليهم مفرزة من الجند لم يستطيعوا الوقوف في وجهها، بل فروا منها هاربين، فنهب الجنود البلدة والقرى المجاورة لها، واحرقوها، وعادوا الى معسكرهم.

وسار سستيوس غالّوس، بعد ذلك، الى اللد، فوجدها خاوية باستثناء خمسين شخصا من أهلها كانوا قد بقوا فيها، فقتلهم وأحرق المدينة، وتابع تقدمه، مع جيشه، الى بيت حورون (او بيت عور اليوم) باتجاه اورشليم حتى وصل الى «جبعون» (او الجيب اليوم)، على بعد خمسين غلوة من أورشليم، شمالا بغرب، حيث عسكر[٤٠].

حصار أورشليم:

ما ان رأى يهود أورشليم جيش غالّوس يعسكر في جوار مدينتهم حتى قرروا مبادرته بالقتال، وكانوا، في يوم سبت، يحتفلون بأحد أعيادهم، فتركوا الاحتفال وهرعوا الى السلاح، وانقضوا على الجيش الروماني في معسكره، فاخترقوا خطوطه ودخلوا في قلب معسكره، واعملوا بجنده تقتيلا، «ولو لم تكن خيالة الجيش الروماني، مع قسم من مشاته، مدربة جدا ومجرّبة، ولو لم تقم بحركة التفاف على اليهود لكي تخفف عن القطاع المخترق من الجيش، لكان سستيوس في خطر بان يفقد جيشه كله»[٤١]، وقد قتل في هذه المعركة ٥١٥ جنديا رومانيا منهم ٤٠٠ من الخيالة، بينما فقد اليهود ٢٢ رجلا فقط، وكان ذلك في تشرين الاول/ اكتوبر عام ٦٦ م[٤٢]. اما غالّوس فقد انسحب بجيشه الى «بيت عور» حيث ظل فيها ثلاثة ايام متربصا، بينما كان اليهود يحتلون التلال المشرفة على مواقعه يراقبون تحركاته. وحاول الملك اغريبا، حليف غالّوس في حملته، ان لا يدخل وسيطا بين بني قومه والجيش الروماني، فأوفد رسولين من قبله يعرضان على اليهود، باسم غالوس، ان يلقوا السلاح ويلتزموا الطاعة للسلطة الرومانية، لقاء وعد بالعفو وعهد

---

(٤٠) Ibid, PP. 284- 285 والغلوة (Stade) مقياس للمسافة، عند الاغريق، اختلفت قيمته بحسب الازمنة، وكان عادة ١٧٧,٤م، أي ما يساوي ٦٠٠ قدم يوناني (Quillet, Dict. encycl).

(٤١) Josèphe, Op. Cit. P. 285 --

(٤٢) Ibid وأنظر الدبس، المرجع السابق، جـ٣: ٢٤٤.

بالامان من قبل غالوس ولكن المتمردين لم يكتفوا بعرض اغريبا هذا، بل اقدموا على قتل احد الموفدين وجرح الثاني الذي استطاع الفرار والعودة الى مليكه وافادته بما جرى، وقد اثار تصرف المتمردين اهالي اورشليم الذين يميلون الى السلام مع الرومان فثاروا على أولئك المتمردين ورموهم، غاضبين، بالحجارة وهاجموهم بالعصي، حتى اضطروهم للجوء الى داخل المدينة.

واغتنم غالوس فرصة انقسام اليهود في المدينة فقرر مهاجمتها، ثم تقدم بجيشه نحوها وهزم من كان في طريقه من المتمردين حتى وصل الى جبل سكوبوس الواقع على مسافة سبع غلوات من المدينة، فعسكر هناك، وظل، طيلة ثلاثة ايام، محجما عن اقتحام المدينة ينتظر مسعى من اهلها لعلهم يفتحون ابوابها له فيدخلها بلا قتال، ولكن دون جدوى. وفي اليوم الرابع (وكان يوم ١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٦٦م) أمر الجيش باتخاذ تشكيلة القتال والتقدم الى المدينة، وما كاد المتمردون يشاهدون الجيش الروماني يتقدم نحو معاقلهم بانتظام وصفوف متراصة وبقوة لا يمكنهم مقاومتها، حتى اخلوا ضواحي المدينة وانكفأوا الى داخلها والى الهيكل، وما ان وصل غالوس بجيشه الى المدينة حتى احرق الحي المسمى «بيزيتا Bézétha» (او المدينة الجديدة) كما احرق «سوق الخشب» ثم تقدم نحو المدينة العليا وعسكر بجيشه قبالة «القصر الملكي»[٤٣].

في هذه الاثناء، اتصل بعض المواطنين النافذين بغالوس ودعوه لدخول المدينة مع وعد منهم بان يفتحوها له سلما كي يجنبوها الخراب والدمار، ولكن غالوس تردد في قبول دعوتهم لعدم ثقته بقدرتهم على ذلك، وما ان احس المتمردون بما يُدبَّر في الخفاء حتى اجبروا أولئك النافذين ورجالهم على الانكفاء في منازلهم، وانتشروا في البروج وعلى الاسوار وبدأوا يمطرون الجيش الروماني بوابل من سهامهم ونبالهم، ولكن ذلك لم يفتّ في عضد الجيش الروماني الذي ظل يكرر هجماته على الاسوار، طيلة خمسة ايام، محاولا اختراقها، ولكن دون جدوى. وفي اليوم السادس، حاول غالّوس اقتحام الاسوار بنفسه فأعدّ، لذلك، مفرزة كبيرة من النبالين المنتخبين، واستدار حول السور حتى بلغ الواجهة الشمالية للهيكل، وتنبّه المتمردون لذلك فاحتشدوا، في تلك الجهة، لدفع المهاجمين، وحاولوا منعهم من تسلق السور، واستطاعوا ردهّم وافشال محاولاتهم الاقتحامية مرارا،

---

(٤٣) Josèphe, Op. Cit. P. 286

الا ان غزارة الرمي التي نفذها المهاجمون شلت قدرة المدافعين على الحركة واضطرتهم الى الانسحاب، عندها تقدم الصف الاول من المهاجمين واسندوا اتراسهم على السور، وجاء بعدهم الصف الثاني واسند اتراسه على الصف الاول، وهكذا دواليك الى ان شكل المهاجمون ما يمكن تسميته «بالسلحفاة» التي لا تخترق السهام والنبال ظهرها الحديدي، وهكذا تمكن المهاجمون، وبلا أدنى ضرر، ان يثقبوا جدار السور ويستعدوا لاشعال النار في بوابة الهيكل. ودب الذعر في صفوف المدافعين ففروا في كل اتجاه، بينما اندفع الاهالي نحو الاسوار وفي نيتهم فتح ابواب المدينة لغالّوس رغبة منهم في التخلص من شرور المتمردين وافعالهم القبيحة(٤٤)، لكن غالّوس، وهو الذي كان يجهل ما يحدث داخل الاسوار، ويجهل، كذلك، يأس المتمردين وفرارهم، ونوايا الاهالي السلمية تجاهه، قرر ان يتخلى، فجأة، عن حصار المدينة ودخولها، فأمر جيشه بالتراجع، مما اعاد للمتمردين، الهلعين، حميتهم ورباطة جأشهم، فكرّوا خلف الجيش المنسحب وامطروا مؤخرته بالسهام والنبال وقتلوا عدداً كبيراً من جنده، وما ان وصل غالّوس الى معسكره على جبل سكوبوس حتى بات ليلته هناك، وتابع، في اليوم التالي انسحابه، بينما ظل المتمردون اليهود يتتبعون مؤخرة الجيش ويحيطون بها من كل جانب، ويصطادون جندها بسهامهم ونبالهم حتى أوقعوا فيها خسائر كبيرة، خصوصاً وانه لم يكن باستطاعة المؤخرة الاستدارة الى الخلف او التوقف للرد على الرمايات الغزيرة التي تطالها من كل جانب «فكان الرجال يتساقطون على طول الطريق بعد ان يكونوا قد اصيبوا واقتلعوا من الصفوف»(٤٥)، مما اضطر غالّوس لأن يأمر جنده بالتخلص مما يعيق انسحابهم من أثقال. واخيراً، وصل غالّوس بجيشه الى جبعون (الجيب) حيث بقي يومين ثم تابع انسحابه، في اليوم الثالث، باتجاه بيت حورون (بيت عور)، ولكن المتمردين المتعقبين لجيشه كانوا يتكاثرون ويعيقون انسحابه ويوقعون به المزيد من الخسائر فأمر جنده بالتخلص من كل ما لا يحتاجونه وما يمكن ان يعيق انسحابهم من دواب مثل الحمير والبغال وغيرها، وتابع السير حتى بلغ بيت حورون. وكان المتمردون اليهود يحتلون المرتفعات المحيطة بها، مترصدين تحركاته، فلجأ الى الخدعة للخروج من البلدة، اذ انه ترك فيها اربعمائة من

---

(٤٤) Ibid, P. 287 --

(٤٥) Ibid, P. 288 وقد قتل من جراء ذلك بعض القادة البارزين أمثال بريسكوس (Priscus) قائد الفرقة السادسة وأميليوس جوكوندوس (Aemilius Jucundus) قائد احدى السرايا والمحامي لونجينوس (Longinus) (Ibid).

رجاله تمترسوا على سطوح المنازل واخذوا يتنادون باصوات عالية كي يوهموا المتمردين ان الجيش لا يزال مقيماً في البلدة، بينما كان غالّوس يسحب ذلك الجيش، تحت جنح الظلام، خارج المدينة. وما ان طلع الفجر وايقن المتمردون أنه لم يبق في البلدة، من الجنود الرومانيين، سوى تلك الحامية الصغيرة، حتى انقضوا عليها وقتلوا افرادها جميعاً، وحاولوا مطاردة الجيش المنسحب الذي كان قد اصبح على مسافة بعيدة، عند انتيباتريس Antipatris (كفرسابا) فعادوا أدراجهم بعد ان غنموا كل ما تركه الرومان خلفهم من عتاد حربي. ولم يخسر المتمردون اليهود، في هذه الحملة، خسارة تذكر بالنسبة الى ما تركه الجيش الروماني خلفه من قتلى، وقد قدر عددهم بـ ٥٣٠٠ قتيل من المشاة و ٤٨٠ من الخيالة، وكان ذلك في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ٦٦م الموافق للعام الثاني عشر من ملك نيرون[٤٦]. (انظر الخارطة رقم ٣٦)

التدابير العسكرية التي اتخذها المتمردون اليهود بعد انسحاب غالوس:

بعد انسحاب غالوس، عاد المتمردون الى اورشليم، وسعوا الى جمع اهل اورشليم حولهم، وخصوصاً أولئك الذين كانوا يعارضون التمرد على روما ويمالئون واليها، فاستمالوا بعضهم عن طريق الاقناع وبعضهم الآخر عن طريق الارهاب، واجتمعوا، بعد ذلك، في الهيكل حيث اتخذوا مقررات عسكرية مهمة منها:

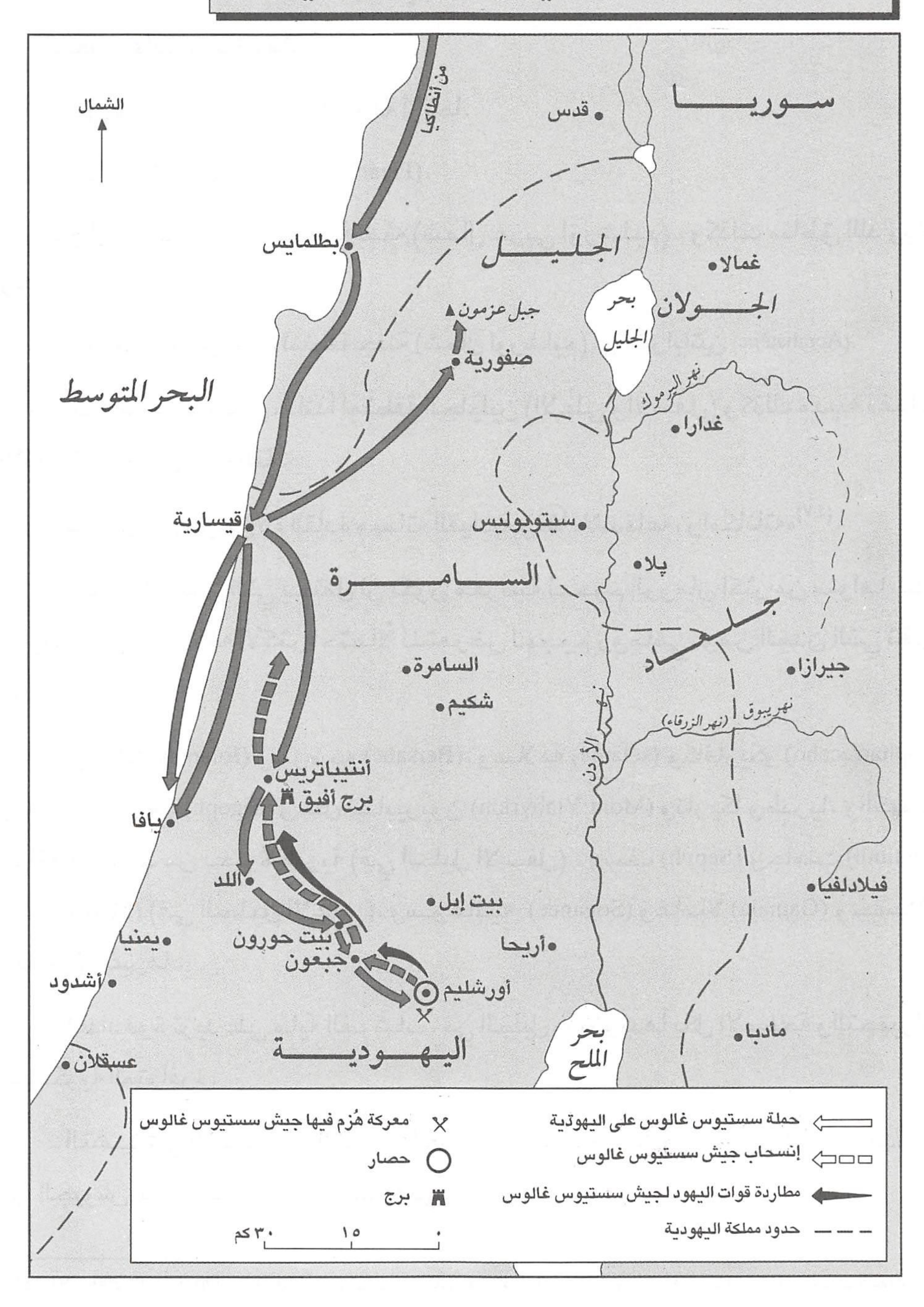
- انتخاب حاكمين لأورشليم (جوزف بن غوريون والكاهن الأعظم انانوس)، مع منحهما صلاحيات مطلقة وخصوصاً فيما يتعلق بتعزيز اسوار المدينة وزيادة ارتفاعها.

- اقصاء أليعازار بن سيمون عن السلطات التي كان يمتلكها، وخصوصاً تلك المتعلقة بغنائم الحرب التي غنمها المتمردون من الرومان، والمال الذي غنموه من سستيوس، ومال الخزينة العامة، واعفاؤه من كل المهمات التي كانت موكلة اليه، وذلك لطبيعته المستبدة.

- تعيين قادة لقيادة الجيش اليهودي، ولادارة الحرب.

(٤٦) Ibid, PP. 288 - 289

خارطة رقم ٣٦: حملة سستيوس غالوس على اليهودية



- تعيين قادة لقيادة الجيش الأدومي.

- تعيين قادة مناطق، مثل:

- جوزف بن سيمون قائداً لمنطقة أريحا.

- منسى قائداً لمنطقة البيريه (Pérée).

- جان الأسيني قائداً لمنطقة تمنه (شمال غربي اورشليم)، وكذلك مناطق اللد ويافا وعمواس.

- جان بن انانياس قائدا لمنطقة جفنة (شمال اورشليم)، والأكراباتين (Acrabatène).

- جوزف بن ماتياس، قائداً لمنطقة الجليلين (الأعلى والاسفل) وكذلك مدينة «غمالا» الاكثر تحصيناً في المنطقة.

ويمارس كل من هؤلاء القادة مهماته القيادية وفقاً «لاندفاعه، وامكاناته»(٤٧).

- تحصين المدن التي يحتمل ان تكون معرضة لهجوم الرومان اكثر من سواها، على ان يبدُأ بالجليل، لأنه الأكثر احتمالاً للتعرض لهجوم روماني، ومن المدن التي تقرر تحصينها:

جوتاباتا (Jotapata) وبيرسبع (Bersabé)، وسلامة (sélamé) وكافاريكو (Capharreccho) ويافا، وسيغوف (Sigoph) وجبل ايتابيريون (Mont Ytabyrion) وتاريكا وطبريا، والكهوف الواقعة بالقرب من بحيرة طبرية (في الجليل الاسفل)، وسف (Sepph) وجامنت (Jaminth) ومرو (Mero) (في الجليل الاعلى)، وسوغانيه (Soganee) وغامالا (Gamala) وجسكالا (الجش) وغيرها.

- اعداد قوة تزيد علىماية الف شاب، في الجليل، وتزويدها بكل الاسلحة والتجهيزات العسكرية المتوافرة.

- التشدد في الانضباط والتدريب العسكري المستمر بشكل يكون مشابهاً للتدريب في الجيوش الرومانية ان لم يكن يضاهيها.

---

(٤٧) Josèphe, Op. Cit. P. 290- 291 وجوزف بن ماتياس هو نفسه «فلافيوس جوزف» مؤلف كتاب «حرب اليهود» La Guerre des Juifs الذي نرجع اليه في بحثنا هذا.

ـ تشكيل الوحدات في الجيش بشكل مماثل لتشكيلها في الجيوش الرومانية، مع زيادة عدد الرتباء، كأن يتم تأسيس رتب مميزة للجند، وربطها بقادة العشرات وقادة المئات (Décurions et Centunions)، وفوقها قادة الفرق (Tribuns) وفوق هؤلاء جميعاً: الجنرالات وهم قادة الوحدات الاكثر اهمية.

ـ تأمين الأمور التالية:

ـ التدرب على علم الاشارة.

ـ التدرب على معرفة المعزوفات بالبوق، للاغارة، والتراجع، وهجوم الجناحين، ومناورات الاحاطة، وكيفية مساعدة قطاع مهدد بواسطة قطاع متمكن، وكيفية التعاون امام المخاطر بين الوحدات التي تتعرض لها.

ـ التدرب على الثبات المعنوي والجلد الجسدي.

ـ التدرب على الحرب، وخصوصاً: شرح مبادئ الانضباط الروماني، وكيفية القتال ضد رجال استطاعوا، بثباتهم المعنوي، وجَلَدهم الجسدي، ان يصبحوا سادة العالم كله تقريباً.

ـ التدرب على انضباط الحرب، وذلك بافهام الجند ما لا يجب عمله في اثناء القتال، مثل السرقة والسطو، وأعمال قطاع الطرق، والانانية، وخداع المواطنين.

ـ افهام الجند ان الجيش الذي يقاتل بصورة أفضل هو الذي يدرك مقاتلوه جميعهم، بوعي ووضوح، حقيقة ما يفعلون.

وبناء لهذه القواعد العامة والمفصلة، سعى حكام اورشليم (الجدد) لانشاء جيش يهودي يضاهي جيش روما، في سوريا، تدريباً وقدرة على القتال، وان لم يكن باستطاعته ان يضاهيه عدداً وامكانات. وتطبيقاً لهذه التعليمات استطاع جوزف بن ماتياس، قائد منطقة الجليلين، ان ينشىء جيشاً من ٦٠ الف مقاتل من المشاة، و ٣٥٠ مقاتلاً من الخيالة، بالاضافة الى ٤٥٠٠ مقاتل من المرتزقة، و ٦٠٠ جندي منتخبين، مرتبطين به شخصياً، كحرس شخصي. وكان يتم تدريب هذا الجيش، باستثناء المرتزقة، على عاتق المدن التي يجب ان تقدم، لخدمة العلم، نصف الحصة المفروضة عليها من المجندين، على ان تحتفظ

بالنصف الثاني لتأمين تموين النصف الأول، وبفضل هذا التنظيم «يقوم بعضهم بخدمة السلاح، بينما يقوم بعضهم الآخر بالعمل»، فيتبادل الفريقان الخدمات، اذ «يقدّم العمال المؤونة للجنود، مقابل ما يقدّمه هؤلاء للعمال من أمن»(٤٨).

ب ـ نيرون يعين فسباسيان (Vespasien) لاخماد ثورة اليهود (٦٧ ـ ٦٩):

موقعة عسقلان: أخذت النشوة اليهود بعد هزيمة غالوس وانسحابه، فحشدوا افضل قواتهم واتجهوا نحو عسقلان لاقتحامها، وكانت هذه تبعد نحو ٥٢٠ غلوة عن اورشليم، الا انها كانت محصنة تحصينا قويا، وكانت حاميتها الرومانية مؤلفة من كتيبة مشاة واخرى خيالة بقيادة «انطونيوس»، اما المهاجمون اليهود فكان يقودهم ثلاثة من ألمع قادتهم وهم: نيجر البيريني، وسيلاس البابلوني، وحنا الأسيني.

تقدم المهاجمون من المدينة، وما ان وصلوا الى أسوارها حتى خرج اليهم انطونيوس بخيالته ودفع من وصل منهم الى الاسوار فتقهقر المهاجمون، ذلك ان المنازلة كانت بين جنود رومانيين اشتهروا بنظامهم وخبرتهم في الحروب، وبين فئة تقاتل على سجيتها، بلا نظام ولا ترتيب يضاهي نظام الجيوش الرومانية وترتيبها، لذا، سرعان ما انهزم اليهود امام الهجمات المعاكسة للخيالة الرومانية فتفرقوا مذعورين وانتشروا في السهل لا يلوون على شيء، مما دفع الخيالة الرومانية الى مطاردتهم وايقاع خسائر فادحة بهم، «فقد ظهر اليهود، رغم كثرة عددهم، منعزلين في عجزهم، بينما بدأ الرومان، في وهج انتصارهم، ورغم قلة عددهم، كأنهم متفوقون على اعدائهم في العدد»(٤٩). وقد امتدت المعركة حتى المساء، وكانت نتيجتها ان خسر اليهود عشرة آلاف رجل منهم القائدان سيلاس وحنا، اما من نجا منهم، ومعظمهم من الجرحى، فقد لجأوا، مع نيجر، الى مدينة أدومية صغيرة تدعى «كالس Chaalis» ولم يقع في صفوف الرومان سوى بعض الجرحى.

---

(٤٨) Ibid, PP. 291 - 293 وكانت الرتب على الشكل التالي:

ـ قائد عشرة Décurion ـ قائد مئة Centurion ـ قائد فرقة Tribun

ـ فرقة Légion أما القطعة فهي: ـ كتيبة مشاة Cohorte ـ كتيبة خيالة Escadron

(٤٩) -- Ibid, P. 305

ولكن اليهود عاودوا الهجوم على عسقلان بعد ان جمعوا صفوفهم، فاصطادهم انطونيوس بكمائن متعددة نصبها على الطريق التي سلكوها في هجومهم ثم حاصرتهم خيالته قبل ان ينظموا صفوفهم للمعركة، ففروا منهزمين تاركين خلفهم، من جديد، اكثر من ثمانية آلاف رجل، اما الباقون، فقد انسحبوا، بقيادة نيجر، مبعثرين ومشتتين، حيث لجأوا الى حصن يدعى «بلزديك» (Belzédec). لكن انطونيوس لم يشأ ان يشغل جنده بحصار يصعب اقتحامه، فاكتفى باحراق الحصن بمن فيه، وكان في اعتقاده، ان نيجر هلك مع الهالكين. الا ان نيجر هذا كان قد تمكن من الافلات والهرب تاركا خلفه باقي جنده يقضون احتراقا(٥٠).

ڤسباسيان، قائدا لجيوش الرومان في سوريا:

كان نيرون قد تلقى، بألم بالغ، هزيمة غالّوس وجيشه، في سوريا، على ايدي اليهود، ويبدو ان غالوس قد قضى، بعد هزيمته بفترة وجيزة(٥١)، فاختار نيرون، لقيادة تلك الجيوش، ومواجهة المتمردين اليهود، قائدا محنكا ومشهورا من قادته هو «فلافيوس ڤسباسيان» وهو رجل «انخرط في الجندية منذ صغره وشاخ فيها» وكان قد بلغ السابعة والخمسين عندما تسلم قيادة الجيوش الرومية في الشرق(٥٢).

انطلق ڤسباسيان من آخاي Achaie في اليونان (حيث كان بجوار نيرون) الى سوريا برا وذلك شتاء عام ٦٧م، وارسل ابنه «تيتوس» الى الاسكندرية ليأتي اليه بالفرقة الخامسة عشرة، وما ان وصل ڤسباسيان الى انطاكية حتى استنفر الحلفاء من الملوك المجاورين، فحشد أعدادا مهمة من الانصار والحلفاء، وما ان اتم الحشد وجهز الجيوش حتى انطلق الى عكا، وبرفقته الملك اغريبا، ملك اللجاة وحوران. وفي عكا، استقبل ڤسباسيان اهل صفورية، اكبر مدن الجليل، وقد اتوه مرحبين ومؤيدين، وعرضوا تقديم كل العون والمدد الممكن «ضد مواطنيهم» اليهود، وقد اجزاهم، مقابل تأييدهم، بأن وضع

---

(٥٠) Ibid, PP. 305 - 306 --

(٥١) الدبس، المرجع السابق، جـ٣: ٢٤٩.

(٥٢) Josèphe, Op. Cit. P. 303 --

بتصرف مدينتهم «الف خيال وستة آلاف من المشاة، بأمرة القائد بلاسيدوس»، وذلك «لدفع غارات اليهود» المحتملة عليها[٥٣].

موقعة صفورية:

عسكرت القوات الرومانية في السهل الكبير (سهل اسدرالون او سهل وادي يسرائيل) وانقسمت الى قسمين: المشاة وقد تمركزت في المدينة لحمايتها، والخيالة، وقد ظلت في المعسكر لكي تقوم بغارات متواصلة على القرى المجاورة. وقد ألحقت هذه الغارات الضرر بقوات يوسفوس (فلافيوس جوزيفوس)، مما جعله يفكر، جديا، باحتلال صفورية، فشن عليها حملة باءت بالفشل، خصوصا وان يوسفوس نفسه كان قد سبق ان حصّنها بشكل منيع لكي تصمد في وجه الرومان، فاذا بالتحصينات التي اقامها هو في المدينة تكون سببا مباشرا في فشله بالعودة اليها. وقد استاء الرومان من محاولة اليهود احتلال صفورية فاكثروا من غاراتهم على القرى والمدن في الجليل، ليلا نهارا، حيث كانوا يسلبون الأرزاق ويقتلون اليافعين القادرين على حمل السلاح ويسترقّون الباقين من يهود الجليل[٥٤].

في هذه الاثناء، كان تيتوس، ابن فسباسيان، قد انتقل من آخاي الى الاسكندرية حيث قاد الفرقة الخامسة عشرة الى عكا، فوجد والده قد جمع اليه الفرقتين الخامسة والعاشرة، فاصبح لدى فسباسيان، في سوريا، ثلاث فرق تعتبر من «الوحدات المنتخبة» في الجيش الروماني. وقد تعزز هذا الجيش بما انضم اليه من وحدات يونانية كانت متمركزة في مختلف انحاء سوريا، اذ انضم اليه ٢٣ كتيبة مشاة و٦ كتائب خيالة (منها: ٥ كتائب مشاة وكتيبة خيالة، من قيسارية، و٥ كتائب خيالة من باقي انحاء سوريا)، وكان عديد كتائب المشاة:

- الف راجل في كل من الكتائب العشر الأولى.
- وستماية راجل مع ماية وعشرين خيالاً في كل من الكتائب الثلاث عشرة الباقية.

---

(٥٣) Ibid, PP. 306- 309، والدبس، المرجع السابق، جـ٢ : ٢٥٠.

(٥٤) Josèphe, Op. Cit. P. 309

هذا بالاضافة الى الاعداد الكبيرة من الانصار التي حشدها كل من انطيوخوس واغريبا وساوموس (وهم الفان من المشاة كلهم نبالون، والف خيّال) كما ارسل مالكوس، ملك العربية، الف خيال وخمسة آلاف من المشاة معظمهم نبّالون، حتى بلغ عدد القوات التي اجتمعت لفسباسيان، لحرب المتمردين اليهود: نحو ستين الف رجل، عدا الخدم المسلحين الذين يمكن اعتبارهم مقاتلين، كذلك، اذ انهم ينالون قسطا من التدريب العسكري في السلم ويشاركون أسيادهم في الحرب[٥٥]. وكانت تجهيزات الجندي الروماني كما يلي:

- **للمشاة**: كان الراجل مسلحا بسيف على كل من الجانبين: الجانب الايمن (سيف قصير) والجانب الايسر (سيف طويل)، وكان يرتدي درعا ويعتمر خوذة. اما المشاة المنتخبون الذين يشكلون حرس القائد الأعلى فكان سلاحهم الرمح والترس، واما باقي الفرقة فكان سلاح الواحد منها: مزراق (رمح قصير) وترس ومنشار وسلة ورفش وفأس وسير (قشاط) ومنجل وسلسلة، بالاضافة الى مؤونة لثلاثة ايام. وهكذا، فقد كان الراجل الروماني يحمل في الحرب «حمل بغل».

- **للخيالة**: كان الخيال مسلحا بساطور طويل على جانبه ومزراق كبير بيده وترس مثبت على جانب الحصان، وثلاثة مزاريق او اكثر في جعبة معلقة بجانبه. وكان يعتمر خوذة ويلبس درعا كالمشاة. وكان سلاح الخيالة المنتخبين الذين يشكلون حرس القائد الأعلى مماثلا لسلاح الخيالة العاديين.

وتُختار الفرقة التي تسير في طليعة الجيش بطريقة القرعة دائما[٥٦].

ما ان تم لفسباسيان تجهيز جيوشه استعدادا لقمع التمرد حتى قرر البدء باستعادة الجليل كي لا يكون شوكة في ظهره اذا ما تقدم نحو اورشليم جنوبا، فبقي في عكا اياما، مع ابنه تيتوس، ينظم تلك الجيوش، بينما كان بلاسيدوس يشن غارات متتالية على المتمردين اليهود في الجليل.

---

(٥٥) -- Ibid, P. 310

(٥٦) -- Ibid, P. 312

موقعة جوتاباتا الأولى:

تقع جوتاباتا (اوجفت) على مقربة من يافا الجليل، بالقرب من جبل كولب، بين عكا وطبريا، وكان قد لجأ اليها عدد كبير من المتمردين باعتبارها من المدن الحصينة في الجليل، بل اكثرها تحصينا (وقد حصنها يوسفوس نفسه)، فقرر بلاسيدوس الزحف اليها واحتلالها. وعلم اهلها بذلك فاحتشدوا لمواجهته خارج البلدة، وقد استعدوا لقتاله. ولم يكن بلاسيدوس ينتظر تلك المفاجأة عندما انقضوا على جيشه وهو في طريقه الى المدينة فهزموه وشتتوه واوقعوا في صفوفه عددا كبيرا من الجرحى، وسبعة قتلى فقط، بينما قتل من اليهود ثلاثة وجرح عدد قليل، بحسب رواية يوسفوس نفسه(٥٧).

حروب فسباسيان في الجليل:

كان فسباسيان متلهفا لاستعادة الجليل، فانتقل من عكا بنظام سير متقن ومتعارف عليه في الجيوش الرومانية وهو كالتالي:

١ـ في الطليعة: وحدة استطلاع من المشاة الخفيفة والنبالين مهمتها استطلاع الارض وردّ الهجمات المفاجئة من العدو واكتشاف الكمائن، وخصوصا في الغابات والمناطق المشجّرة.

٢ـ يليها: قسم من الوحدات المسلحة سلاحاً ثقيلا، من المشاة والخيالة.

٣ـ ثم: مفرزة مؤلفة من عشرة رجال من كل وحدة مئوية (Centurie) يحملون، بالاضافة الى تجهيزاتهم الفردية، تجهيزات خاصة باقامة المعسكر.

٤ـ ثم: ممهدون للطرق بغية تسهيل مرور الجيش عليها.

٥ـ ثم: امتعة القائد الاعلى وأعوانه، محمية بمفرزة من الخيالة.

٦ـ ثم: القائد الأعلى نفسه، ومعه نخبة من المشاة والخيالة والنبالين.

٧ـ ثم: خيالة الفرق (تتضمن كل فرقة ١٢٠ خيالا).

---

(٥٧) Ibid, P. 324 --

٨ ـ ثم: البغال التي تحمل آلات الحرب الثقيلة.

٩ـ ثم: القادة الأعوان وقادة الكتائب والفرق، محاطين بنخبة من الجند.

١٠ـ ثم: شعارات الوحدات، ملتفة حول شعار النسر الذي يسير على رأس كل فرقة.

١١ـ ثم: البواقون.

١٢ـ ثم: معظم الجيش، بالقطار السداسي، ترافقه، بحسب العادة، وحدة مئوية لحفظ النظام في الصفوف.

١٣ـ ثم: خدم الجيش في كل فرقة، وهم يقودون البغال وباقي الدواب التي تحمل امتعة الجند.

١٤ـ ثم: يأتي بعد الجيش الروماني: أفواج المرتزقة.

١٥ـ واخيرا: حرس المؤخرة المؤلف من مشاة (خفيفة وثقيلة) ومن خيالة[٥٨].

وصل فسباسيان بجيشه هذا الى حدود الجليل فعسكر عندها وبدأ يستعد لمحاصرة المواقع الأكثر تحصينا، وكان يوسفوس قد عسكر بجيشه قرب صفورية، وقد سمع جند يوسفوس بضخامة الجيش الذي يقوده فسباسيان، لقتالهم، فارتعدوا وهربوا في كل اتجاه، قبل ان يروه، تاركين يوسفوس مع قلة من الجند، مما اضطر يوسفوس الى «الابتعاد عن الخطر ما امكن» واللجوء الى طبرية[٥٩]. اما فسباسيان، فقد تقدم بجيشه، بعد ذلك، الى غابارا (كبرة) التي تقع على مسافة ٢٥ كلم شرق عكا، فاحتلها، بعد ان وجدها خالية من المقاتلين، وقتل كل بالغ من فتيانها، ثم احرق المدينة وكل الضواحي والقرى المحيطة بها والمجاورة لها واسترق اهل تلك الضواحي والقرى.

موقعة جوتاباتا الثانية:

علم فسباسيان ان معظم المتمردين لجأوا الى معتصم جوتاباتا حيث يحميهم حصن منيع وتعرقل الوصول اليهم طرق جبلية صعبة، فقرر مهاجمتهم في ذلك المعتصم،

---

(٥٨) Ibid, PP. 314 - 315 --

(٥٩) Ibid, PP. 315- 316 --

وارسل، لتعبيد الطريق، مفرزة من المشاة والخيالة قامت، خلال اربعة ايام، بتسويتها وجعلها صالحة لمرور الجيش. وفي اليوم الخامس، (وكان يوم ٨ حزيران/ يونيو عام ٦٧م) وصل يوسفوس، قائد منطقة الجليل، من طبرية الى جوتاباتا، وانضم الى جنده المعتصمين فيها، وعلم فسباسيان بذلك فاسرع بارسال مفرزة من الف خيال، بقيادة بلاسيدس، لمحاصرة جوتاباتا ومنع يوسفوس من مغادرتها، ثم لحق بالمفرزة، بكامل جيشه، في اليوم التالي (٩ حزيران) فوصل الى جوتاباتا مساء وعسكر بجيشه على هضبة واقعة شمال المدينة، على مسافة سبع غلوات منها.

لقد تعمّد فسباسيان ان يكون معسكر جيشه الضخم على مرأى من المتمردين اليهود المعتصمين في المدينة، وذلك بقصد ارهابهم واخافتهم، وقد فعل ذلك القصد فعله اذ خاف هؤلاء ان يتقدموا من سور المدينة فظلوا قابعين فيها هلعا، مما اتاح لجيش فسباسيان ان يرتاح سحابة يوم بطوله لكي يستعد لهجوم قريب على المدينة.

وفي هذه الاثناء، اخذت قوات فسباسيان تحاصر المدينة بطوقين من المشاة تلاهما طوق ثالث من الخيالة حتى سدّت على المعتصمين كل المنافذ، ولم يبق مجال لهرب واحد منهم.

بدأ هجوم الرومان على المدينة في اليوم التالي، وقد تشبث اليهود، في بادئ الأمر، بالارض، فبدأ جند فسباسيان يمطرونهم بوابل من السهام والنبال وحجارة المقاليع وكل انواع الاسلحة، بينما انطلق فسباسيان، مع مشاته الى مكان من السور يمكن اختراقه والتسلل منه، ولكن يوسفوس، وقد قدر خطورة الموقف، فاجأ الرومان بعدد كبير من جنده فقاتلهم بضراوة حتى استطاع ان يردهم عن السور، وقتل منهم ثلاثة عشر رجلا وجرح عدداً كبيراً، بينما قتل سبعة عشر من رجاله وجرح ستة.

وشن الرومان، في اليوم التالي، هجوماً جديداً على المدينة، ولكن اليهود صدوهم بضراوة كذلك، وظل الأمر على هذا المنوال طيلة اربعة ايام، الرومان يهاجمون بضراوة واليهود يردونهم بضراوة اشد، «لا اليهود يرتعشون امام قوة العدو، ولا الرومان يتخاذلون امام مدينة صعبة المنال»[٦٠].

---

(٦٠) -- Ibid, P. 317- 318

لقد كانت مدينة جوتاباتا مدينة صعبة المنال حقا، فهي في موقع لا يتيح للقادم اليها ان يراها حتى يصل اليها، وقد رأى فسباسيان في صمودها بوجهه تحدياً كبيرا له، فقرر ان يقيم اكمة ترابية في مكان من السور يسهل اختراقه، وارسل معظم الجيش لتنفيذ هذه المهمة، ثم قطع كل الاشجار المحيطة بسور المدينة لكي تتاح له رؤية الاسوار ومراقبة تحركات الاعداء عليها، بينما كان اليهود يرمون مواقع الرومان، المحيطين بالاسوار، بالحجارة الضخمة وبكل انواع القذائف.

وما ان انتهى فسباسيان من استعدادات المعركة حتى امر بطارياته الستين من المجانيق ومختلف آلات الرمي بالتمركز حول المكان الضعيف من السور وبدء الرمي بشكل كثيف، على المدافعين عنه، فبدأت المجانيق المختلفة الانواع ترمي المدافعين بالسهام والنبال والحجارة الضخمة والكتل الملتهبة بشكل «غير محتمل» حتى طال الرمي أولئك الذين كانوا داخل المدينة، اما اليهود المحاصَرون فحاولوا القيام بهجمات مضادة على الرومان المتترِّسين حول السور، حيث كانوا ينزعون عنهم صفائح الحماية التي كانت قائمة بين الجند المحيطين بالسور والتي كان المهاجمون اليهود ينفذون منها، فاحكم بذلك الحصار حول المدينة واحبط كل محاولات الهجوم المعاكس التي كان اليهود يقومون بها.

في هذه الاثناء، كان الجنود الرومان قد انجزوا اقامة الهضبة الترابية مقابل الفجوات في السور، فشعر يوسفوس بالخطر المداهم وكان عليه ان يقرر الرد، وبسرعة، على هذا الخطر، فأتى بعمال وأمرهم بان يعملوا في زيادة ارتفاع السور، ولكن الرمي الكثيف للاعداء كان يحول دون ذلك، فامر باقامة شبَاك على الاسوار وتغطيتها بجلود البقر المذبوح حديثاً بغية التقليل من نفاذ السهام والحجارة التي يرميها المحاصِرون، بحيث كانت هذه السهام والحجارة والكتل النارية تنزلق على تلك الجلود فلا تخترقها ولا تحرقها، وكان هذا العازل كافيا لحماية العاملين الذين عملوا في زيادة ارتفاع السور، ليلاً نهاراً، حتى ازداد ارتفاعه عشرين ذراعا، فاسقط في يد الرومان الذين لم يعد بامكانهم تنفيذ خطتهم في اقتحام السور والتسلل منه الى قلب المدينة، وهذا ما شجع المتمردين المحاصرين ان يخرقوا الحصار مرارا ويهاجموا الجنود المحاصِرين، حيث كانت تقع اشتباكات يومية بين الفريقين، فلم يجد فسباسيان بداً، والحالة هذه، من ان يصرف النظر عن خطته القديمة في اختراق السور ومهاجمة المدينة، ثم يشدد الحصار عليها بحيث يدفع اهلها الى الاستسلام او الموت جوعا.

وكان المحاصَرون قد تزودوا، في داخل المدينة، بكل ما يلزمهم من غذاء (ما عدا الماء والملح)، وكان الحصار في الصيف (كما مر معنا)، مما اثار لديهم خوفاً من الهلاك عطشا، ولكنهم، أي المحاصَرين، الذين كانوا يتمتعون بمعنويات عالية، اصروا على الصمود واطالة الحصار ريثما يفقد الرومان، بدورهم، ما لديهم من كميات الغذاء، فوافقهم يوسفوس وقنَّن الماء الموجود في المدينة لكي يكفيهم لأطول مدة ممكنة، ولكن ذلك لم يف بالحاجة اذ اصيب المحاصَرون اليهود بنقص كبير في الماء وبدرجة كبيرة من العطش. ولم يفت الرومان ذلك اذ كانوا يشاهدونهم، من خلف الاسوار، يتجمعون حول نقاط الماء يتناهبون حصص الماء بشكل مأساوي فيقدمون على اصطيادهم بسهامهم ومجانيقهم المحرقة.

وكان فسباسيان يأمل ان تنتهي الماء من المدينة المحاصَرة بسرعة، مما يضطر المدافعين عنها الى الاستسلام، ولكن يوسفوس عمد الى خدعة مضللة في هذا المجال اذ امر جنده بان يبللوا بعض ثيابهم بالماء، ويعصروها في فتحات التصويب في السور فتسيل الماء مما يعطي فسباسيان فكرة عن وفرة الماء في المدينة. وقد فعلت هذه الخدعة فعلها لدى فسباسيان الذي ظن ان قرب نفاذ المياه من المدينة غير صحيح، وان المحاصَرين لن يموتوا جوعا ولا عطشا، فقرر العودة الى القوة لاسقاط المدينة، وهذا ما كان اليهود يرغبون فيه.

وكان يوسفوس قد وجد طريقة مثلى للحصول على المؤن والماء من خارج المدينة، فقد عرف وادياً صعب المسلك لم يكتشفه الرومان فبقي بلا مراقبة منهم، وكان هذا المعبر يصل المدينة بالخارج، فاستخدمه يوسفوس لارسال رسل الى ضواحي المدينة يتزودون منها بالماء والغذاء، ولكي لا يكتشف امر هؤلاء الرسل، كانوا يرتدون جلود الحيوانات فيبدون وهم يدبون على اربعة، كالحيوانات البرية تماما.

ولكن هذه الحيلة اكتشفت من قبل الجنود الرومان الذين عمدوا الى مراقبة الوادي مراقبة شديدة. وادرك يوسفوس، عندها، انه لم يعد هناك مجال للمقاومة، فجمع ضباطه لاستشارتهم واتخاذ قرار مصيري، وكانت فكرة التسلل والهروب هي التي استحوذت عليهم(٦١)، ودارت مناقشات حادة وطويلة بينهم وبين اعيان المدينة وشعبها الذين كانوا

---

(٦١) Ibid, P. 319- 321 --

متشبثين بفكرة ان يبقى المقاتلون معهم يقاومون ويصمدون وان يبقى على رأسهم يوسفوس نفسه، لما يوحيه، للشعب، من ثقة وامان، مما اعطى يوسفوس وجنده دفعة جديدة من الحماس والاندفاع للقتال، فانطلقوا يقاتلون الرومان بعزم جديد وحمية جديدة، مما اضطر فسباسيان لان يأمر مشاته بان «لا ينشبوا القتال مع اناس يطلبون الموت» كما يقول يوسفوس نفسه[٦٢]، ولكنه عهد الى «رماة النبل من العرب» والى «رماة المقاليع وقاذفي الحجارة من السوريين» رد هجمات اليهود[٦٣]. وظل القتال سجالا بين الفريقين لفترة طويلة، وطال الحصار «حتى حسب فسباسيان انه هو المُحاصَر»[٦٤]، ولكن ما ان استطاع جنده ان يقتربوا باكمات التراب من الاسوار حتى قرر استخدام الاكباش فبدأ الجند يعملون على هذه الاكباش تحت غطاء كثيف من المجانيق التي ترمي على الاسوار، وعلى من كان في داخل المدينة من المدافعين، الحجارة الضخمة والسهام والنبال والكتل المحترقة، وكانت آلات الحصار والرمي هذه تقترب كلما تقهقر حماة الاسوار واضطرب الاعداء داخل المدينة، وهكذا ظل رماة المجانيق والمقاليع والنبّالون يقتربون من الاسوار وخلفهم الجيش بينما يتجنب المدافعون عن الاسوار الظهور عليها او الاقتراب منها للرد على المهاجمين. وكانت الاكباش تعمل بالاسوار ضربا حتى فتحت ثغرات في السور مما اثار الرعب في صفوف اليهود المحاصَرين. وصادف ان سهما من الاعداء اصاب فسباسيان بجرح طفيف، مما جعل الجنود الرماة يهتاجون ويستشيطون غضبا، فحملوا على السور حملة رجل واحد، وعلى رأسهم تيتوس ابن قائدهم فسباسيان، وكان المدافعون اليهود، وعلى رأسهم يوسفوس نفسه، يقاتلون بضراوة ويمطرون الجند الذين يعملون على الاكباش بالنار والحديد والحجارة ويحاولون «سد الثغرات التي فتحت في السور باجسادهم». واستمر القتال طوال الليل، ولكن ذلك لم يمنع الرومان من الانقضاض عليه، عند الفجر، واختراقه[٦٥].

فمنذ الفجر، قاد فسباسيان جنوده للانقضاض على السور، مستخدما الخطة التالية:

-كان عليه، اولا، ان يتخلص من المدافعين عن السور، فألف طليعة من ثلاثة أرتال من مشاة الخيالة كانت مهمتهم التوجه الى الاماكن المهدمة من السور وفتح الطريق امام

(٦٢) Ibid, P. 321- 323 --

(٦٣) Ibid, P. 323 --

(٦٤) Ibid. --

(٦٥) Ibid, PP. 325- 326 --

الجيش بعد القضاء على كل مقاومة عدوة عند هذه الاماكن. وكان هؤلاء يتدرعون بدروع تغطي كامل اجسادهم، ومسلحين بالرماح، وكان عليهم ان يكونوا اول الداخلين، من تلك الثغرات، الى المدينة.

- خلف الطليعة، كانت نخبة المشاة من الجيش.

- وخلف المشاة، انتشر طوق من الخيالة مقابل السور كي لا يحاول اِحد من المحاصَرين الفرار.

- وخلف هذا الطوق من الخيالة، انتشر النبّالون ورماة المقاليع وكل آلات الرمي.

- وخلف هؤلاء انتشر حَمَلة سلالم الانقضاض لكي ينصبوها على الاماكن غير المهدمة من السور ويعتلوا السور بواسطتها.

اما يوسفوس، فقد استخدم، في دفاعه، الخطة التالية:

- وضع عند القسم السليم من السور مقاتلين متعبين ورجالا معمَّرين باعتبار انه يصعب على العدو اختراق هذا القسم وبالتالي لن تكون مهمتهم صعبة.

- وضع عند القسم المهدم والمخترق رجالا اقوياء وشجعاناً باعتبار ان عليهم ان يقاوموا بضراوة فيجب ان يكونوا شديدي البأس ومستعدين لمجابهة الاخطار.

- واعطى الأوامر لجنده بان يصموا آذانهم اذا ما علت صيحات العدو ايذاناً بالهجوم (كي لا يأخذهم الخوف والهلع) وان يجثوا على ركبهم ويضعوا تروسهم فوق هاماتهم ليتقوا نبال العدو وسهامه اذا ما امطرهم بها، وان ينتظروا حتى يفرغ رماة نبال الاعداء من رميهم، وينقض المهاجمون، فيندفعوا نحوهم بقوة وعزم ويقاتلوهم بمختلف انواع الاسلحة، وعلى كل منهم ان يقاتل «لا لاجل وطن يجب انقاذه، بل للانتقام لوطن ضائع»، وان يضع نصب عينيه «ذبح الشيوخ وقتل الاطفال والنساء» على ايدي الأعداء[٦٦].

ولكن اهل المدينة، ما ان رأوا حشود العدو حول الاسوار بما لديهم من اسلحة وعديد وقوة، وقد غطوا بمشاتهم وخيولهم، الهضاب المشرفة على المدينة واقتربوا، بسيوفهم ورماحهم المشرعة من الفجوات والثغرات التي فتحوها في الاسوار، حتى اصابهم الهلع

---

(٦٦) -- Ibid, P. 327

والخوف واخذوا يصرخون، كانما الواقعة قد وقعت والمدينة قد احتلت، مما اربك يوسفوس، وجعله يحبس النساء في بيوتهن خشية ان يوهّن من عزم المقاتلين، وانطلق ليأخذ مكانه في صفوف المدافعين(٦٧).

وانطلقت ابواق الفرق الرومانية منذرة ببدء الهجوم، واندفع الجيش بصيحاته المرعبة باتجاه الاسوار كسيل عرم، وهو يمطر المدافعين بوابل من سهامه ونباله ونيرانه، المحرقة وحجارته الضخمة، مما اوقع الرعب والهلع في صفوف المدافعين، ولكنهم تذكروا توجيهات قائدهم فأصموا آذانهم عن سماع الصيحات المرعبة تلك، وحموا ابدانهم باتراسهم من سهام العدو وقذائفه، وما ان استقر الرومان، على خط الانقضاض، حتى اندفع المقاتلون اليهود باتجاه المهاجمين واشتبكوا معهم بالقتال وجها لوجه، وقاتل الفريقان بضراوة منقطعة النظير، اذ كان اليهود «لا يفصمون القتال مع الرومان قبل ان يَقتلوا او يُقتلوا»(٦٨). وكان الرومان يقاتلون حتى الانهاك، حتى اذا ما انهك فريق منهم استبدل بفريق آخر جاهز للقتال، وهو ما لم يكن متاحا لليهود الذين لم يكن لديهم من وفرة الجند ما يمكن ان يشكل احتياطا يستبدل القتلى او المرهقين من المقاتلين.

وكان الرومان يقاتلون بصفوف متراصة ومنتظمة «المرفق على المرفق»، يحمون هاماتهم بتروسهم التي تشكل غطاء حديديا لها، ويتقدمون بخطى ثابتة ووئيدة، وبصفوف متراصة، على طريقة تقدم «السلحفاة» بحيث لم يكن ممكنا اختراق اي صف او فتح ثغرة فيه، فكان الجيش كله «جسما واحدا»، وظلت صفوف الرومان تتقدم بهذا الشكل وتدفع امامها المدافعين اليهود حتى تمكنت من وضع يدها على السور(٦٩).

وقد استخدم اليهود في قتالهم هذا الزيت المغلي يصبونه على رؤوس المهاجمين الذين اسعفتهم تروسهم التي كانت تشكل، بتراصّها المتواصل فوق رؤوسهم، درعا واقيا لهم، ورغم ذلك فقد أصاب الزيت اجساد الكثير منهم فاحرقها، فتراكضوا مذعورين، يحرقهم الزيت المتسلل تحت الدروع والخوذ، ولجأوا الى اسفل السور بعد ان انفرط عقد صفوفهم المتراصة. ثم ان اليهود اخذوا يصبون الزيت، كذلك، على العبّارات الخشبية التي

(٦٧) Ibid. --

(٦٨) Ibid, P. 328 --

(٦٩) Ibid. --

استخدمها الرومان لاجتياز الاكمة الترابية التي اقاموها بجوار السور الى السور نفسه، فاخذ هؤلاء يتساقطون عن تلك العبارات فرادى وجماعات، مما اتاح لليهود حرية استعمال السهام والنبال لاصطيادهم. ولكن فسباسيان عمد الى طريقة جديدة اذ امر ببناء ثلاثة بروج حول السور، بلغ ارتفاع كل منها خمسين قدما، ثم امر بزيادة ارتفاع الكتل الترابية، وغطى سقف كل من هذه وتلك بصفائح حديدية، واقام عليها الرمّاحين والنبّالين ورماة المقاليع وادوات الرمي الخفيفة، فاخذ هؤلاء يرمون على اليهود من ارتفاع يجعلهم بعيدين عن متناول رميهم. وهكذا، فبينما كان الرماة الرومان «يرون اليهود، جيدا، ومن عل، وهم على السور» فيصطادونهم، كان اليهود على عكس ذلك، «غير قادرين، عمليا، على تفادي السهام الموجهة الى رؤوسهم، ولا يستطيعون الانتقام من اناس لا يستطيعون مشاهدتهم»[٧٠]، مما جعل المدافعين يضطرون الى التخلي عن مواقعهم الدفاعية على السور مكتفين بشن هجمات مضادة على المهاجمين الذين كانوا يحاولون تسلق السور. واستمر القتال سجالا، بين الفريقين، طيلة يوم ٨ تموز/ يوليو ٦٧م، وقد كثر القتلى والجرحى منهما معا، اذ احصي من اليهود ستماية قتيل واكثر من ثلاثماية جريح «سحبوا الى داخل المدينة»، ولم يُحصَ عدد القتلى والجرحى من الرومان ولكنه «لم يكن قليلا»[٧١].

استمر حصار الرومان لجوتاباتا طيلة ستة واربعين يوما صمد خلالها المدافعون عنها في وجه كل هجمات الرومان وضرباتهم، وفي اليوم السابع والاربعين أنجز الرومان العمل في زيادة ارتفاع الأكمة الترابية القريبة من السور بحيث اصبحت أعلى منه ويستطيعون، من اعلاها، استكشافه كله. وفي اليوم نفسه، وشى احد اليهود الفارين من المدينة الى فسباسيان بانه لم يبق من المدافعين عن السور سوى قلة ضئيلة وهنت وخارت قواها، فهي قد حرمت من النوم لفترة طويلة وارهقها القتال المستمر حتى انها لن تكون قادرة على رد اي هجوم، ونصح بان يتم الهجوم عند الفجر «حيث يكون الرجال المرهقون قد استسلموا، بسهولة لنعاس الصباح»، ورغم ان فسباسيان لم يكن ليثق باقوال هذا اليهودي الفار، فانه رأى ان لا خسارة من التجربة، وامر قادته بالاستعداد للهجوم.

وفي الساعة التي حددها اليهودي الفار، تقدم الجيش نحو السور، بلا ضجة، وكان

---

(٧٠) Ibid, P. 329 --

(٧١) Ibid. --

تيتوس اول الواصلين اليه، ومعه احد قادة الفرق (دوميتوس سابينوس Domitus Sabinus) وبعض الجند من الفرقتين الخامسة والعاشرة، فذبحوا الخفراء ودخلوا المدينة، ودخل خلفهم القائدان «سكستوس كالفاريوس Sextus Calvarius» و«بلاسيدوس» ومعهما من كان بامرتهما من الفرقة، وما ان اصبح الصباح حتى كان الجنود الرومان قد احتلوا القلعة واصبحوا في وسط المدينة، بينما كان المدافعون عنها، وقد ارهقهم التعب والنعاس، مذهولين من المفاجأة، ولم يستفيقوا منها الا وكان الجيش الروماني كله قد انتشر في المدينة واخذ يقتل كل من يلقاه من اهلها، دون استثناء. اما الجند المنتخبون الذين كانوا مع يوسفوس، فقد آثروا الانتحار على الاستسلام للعدو، «فاجتمعوا في طرف المدينة حيث قتل بعضهم بعضا»[٧٢].

واستمر الرومان، في الايام التالية لاحتلال المدينة، يفتشون عن الهاربين في المخابئ والمغاور والكهوف ويقتلون كل من يعثرون عليه فيها، حتى بلغ عدد القتلى اليهود في موقعة جوتاباتا هذه ٤٠ الف قتيل، وبلغ عدد الاسرى ١٢٠٠ اسير. وبعدها امر فسباسيان بتدمير المدينة وحرق حصونها، وقد سقطت جوتاباتا في العشرين من شهر تموز/ يوليو عام ٦٧م[٧٣].

اما يوسفوس، قائد منطقة الجليل وقائد المدافعين عن المدينة، فقد هرب واختبأ، في كهف، مع بعض اعوانه، الا ان الجنود الرومان اكتشفوا مخبأه واستأمنوه فاستسلم[٧٤]، واصبح مقربا من الرومان بعد ذلك، وصديقا لفسباسيان وابنه تيتوس، كما سنرى.

موقعة يافا (الجليل):

ارسل فسباسيان، في اثناء حصاره لجوتاباتا، القائد «تراجان» قائد الفرقة العاشرة، ومعه الف خيال والفا راجل، لاحتلال يافا، القريبة من جوتاباتا، والتي كانت قد اعلنت تمردها اقتداء بجوتاباتا[٧٥].

---

(٧٢) Ibid, P. 333 ويبدو ان «يوسفوس» لم ينتحر، كما فعل «الجند المنتخبون» الذين كانوا معه، لكي يتسنى له ان يروي «بطولات» اليهود هذه.

(٧٣) ومن قتلى الرومان في هذه الموقعة القائد انطونيوس (Ibid, P. 333)

(٧٤) انظر رواية هرب يوسفوس واختبائه، ثم استسلامه بعد ذلك، في Ibid, PP. 333- 340 وان كنا نعتقد ان الرواية مبالغ فيها الى حد كبير.

(٧٥) والقائد تراجان هو أبو الامبراطور تراجان المسمى باسم ابيه (Ibid, PP. 329)

كانت يافا مدينة لا تؤخذ، فقد كانت تحاط بسورين اثنين بالاضافة الى كونها تحتل موقعا طبيعيا منيعا. وما ان وصل تراجان الى امام المدينة حتى هب اهلها لمقاتلته، فكرّ عليهم بجيشه، ولكنهم لم يصمدوا الا قليلا فطاردهم حتى بلغ السور الأول، واستمر في مطاردتهم والضغط عليهم حتى بلغوا السور الثاني، لكن اهلها الباقين فيها اغلقوا الابواب في وجه مواطنيهم المتقهقرين امام العدو الى داخل المدينة كي لا يدخلها العدو خلفهم، فاعمل الرومان سيوفهم بأولئك الذين حشروهم ما بين السورين حتى افنوهم جميعا، وكان عددهم اثني عشر الف رجل[٧٦].

وقدّر تراجان ان المدينة قد خلت من المقاتلين، ورغبة في ان يتيح لقائده شرف ان يكون اول من يدخلها، كتب الى ڤسباسيان يطلب منه ايفاد تيتوس لكي يدخل المدينة على رأس القوات الرومانية. ووصل تيتوس، بسرعة، على رأس قوة من خمسمئة خيال والف راجل، فتسلم قيادة الجيش واتخذ، لدخول المدينة، تشكيلة القتال، موكلا الى تراجان قيادة الجناح الايمن بينما جعل قيادته في الجناح الأيسر، واتجه بالجيش نحو سور المدينة، حيث شرع الجنود الرومان بتسلق السور بواسطة السلالم والاوهاق وسواها من وسائل القتال، وحاول من تبقى من اهل المدينة مقاومة المهاجمين الا انهم فشلوا في ذلك فارتدوا عن السور تاركين أمره الى المهاجمين الذين ما لبثوا ان اجتازوه ودخلوا المدينة، ولكن اهل المدينة عادوا واستجمعوا قواهم واحتشدوا في الشوارع والأزقة لمقاومة المهاجمين. واستمر القتال طيلة تسع ساعات سقطت، خلالها، النخبة الممتازة من المدافعين عن المدينة، صرعى على ايدي المهاجمين، بينما فتك المهاجمون بمن بقي من اهل المدينة، فذبحوهم جميعا، دون تمييز. وكانت خسارة اليهود في وقعة يافا، من اولها الى آخرها، ١٥ الف قتيل، و٢١٣٠ اسيرا، وكان ذلك في ١٣ تموز/يوليو عام ٦٧م[٧٧].

موقعة جبل جرزّيم:

علم ڤسباسيان بتجمع السامريين على جبل جرزّيم، جنوب نابلس، وهو جبل مقدس بالنسبة اليهم، فقدّر ان لتجمعهم هذا مغزى عدائيا، وارسل اليهم «سيرياليس Céréalis»

(٧٦) Ibid, P. 330 --

(٧٧) Ibid, PP. 330 - 331 --

قائد الفرقة الخامسة، مع ستماية خيال وثلاثة آلاف راجل. ولم يكن سهلا على سيرياليس ان يتسلق، مع رجاله، جبلا يصعب تسلقه، لكي يقاتل عدوا كثير العدد ويحتل مكانا مشرفا وصعب المرتقى، ففضل ان يحاصر الجبل حصارا محكما وان يقيم حراسا على كل المعابر التي يمكن ان يستخدمها المحاصَرون للتسلل خارج موقعهم في الجبل. وقد نجحت خطته هذه اذ افتقد المحاصَرون الماء، وكان الوقت صيفا، كما انهم بدأوا يفتقدون الغذاء، مما ادى الى موت بعضهم عطشا واستسلام بعضهم الآخر للعدو مفضلين العبودية على الموت. وقدّر سيرياليس ان من تبقى من اليهود، على الجبل، لم يعد بمقدورهم الثبات والصمود بعد ان ارهقهم الحصار، وبدأ يتقدم نحوهم بجيشه وبشكل طوق يضيق مع استمرار التقدم، فطلب المحاصَرون التفاوض معه فاجازهم لذلك ووعدهم بالامان وبالابقاء على حياتهم ان هم استسلموا وألقوا سلاحهم، ولكنهم رفضوا ذلك فحمل عليهم وقتلهم جميعا، وكان عددهم احد عشر الفا وستماية، وكان ذلك في ١٥ تموز/ يوليو عام ٦٧م[٧٨].

فسباسيان يحتل عكا وقيسارية وسيتوبوليس (بيسان) ويافا وطبرية وتاريكا:

في الثالث والعشرين من تموز/ يوليو عام ٦٧م، تقدم فسباسيان بجيشه نحو عكا فقيسارية حيث استقبله اهلها بالترحاب وفتحوا له ابواب مدينتهم، فاتخذ منها مكانا لإقامته مع فرقتين من جيشه، خلال فصل الشتاء، بينا سيّر الفرقة الخامسة عشرة نحو سيتوبوليس (بيت شان او بيسان) شرقا.

موقعة يافا (الساحلية):

كان اليهود الذين طردوا او فروا من مدنهم قد لجأوا الى يافا فاعادوا بناءها (بعد ان كان سستيوس قد دمرها) واتخذوا منها قاعدة لهم، وبما انهم اصبحوا منعزلين عن المدن المحيطة بهم والتي كان الرومان قد احتلوها، ولم يبق لهم من منفذ سوى البحر، فقد عمدوا الى انشاء اسطول يعتمدون عليه في تدبير معيشتهم بواسطة القرصنة ضد السفن الآتية من مصر وسوريا وفينيقيا، بحيث اصبح الابحار، في تلك المنطقة، شبه مستحيل، بسبب

---

(٧٨) Ibid, PP. 331 - 332 --

قرصناتهم المتكررة، مما جعل فسباسيان يرسل قوة من المشاة والخيالة لاحتلال المدينة التي لم يكن اهلها يقيمون حرسا على مداخلها، فدخلها الرومان، خلال الليل، بلا قتال. وكان اهل المدينة قد علموا بتوجه الجيش الروماني لاحتلال مدينتهم، ولكن لم يكن لديهم القدرة على مقاومته، ولم يكن لديهم مكان يلجأون اليه، فلجأوا الى سفن الاسطول، في عرض البحر، حيث امضوا الليل كله، ولكن ذلك لم يمر دون خسائر، اصيب بها اهل يافا، اذ اخذت الأمواج عددا كبيرا منهم ورمتهم اشلاء فوق صخور الشاطئ، «بحيث اصبح البحر، وعلى مساحة شاسعة، مصبوغا بالدم، واصبح الشاطىء مليئا بالجثث»[٧٩]، ذلك ان الذين لم تقتلهم الأمواج على الصخور قتلهم الرومان بسيوفهم وسهامهم، حتى بلغ عدد القتلى الذين رماهم البحر على الشاطئ او تلقفهم الرومان بسيوفهم بلغ اربعة آلاف قتيل. وقد ترك الرومان قوة من المشاة والخيالة عسكرت في اعلى المدينة بحيث يمنع مشاتها الاهالي من العودة اليها، من جهة، وتقوم خيالتها بغارات يومية على ضواحي يافا والقرى والبلدان القريبة منها، لتعمل بها سلبا ونهبا وبأهلها قتلا، من جهة اخرى[٨٠].

احتلال طبرية:

واراد فسباسيان ان يلبي دعوة الملك اغريبا لزيارته في مملكته، فسار من قيسارية الى قيصرية (قيصرية فيليب) حيث استراح جيشه عشرين يوما، ولكنه علم، وهو هناك، ان طبرية وتاريكا (وهما من مملكة اغريبا) تمردتا، فقرر السير اليهما لقمع ذلك التمرد، وارسل ابنه تيتوس الى قيسارية ليتسلم قيادة الجيش الذي لا يزال فيها ويسير به الى سيتوبوليس (بيسان) القريبة من طبرية، وذهب هو لملاقاة ابنه والجيش في بيسان.

وسار الجيش، بفرقه الثلاث، بقيادة فسباسيان، من بيسان، باتجاه طبرية، حيث عسكر على بعد ثلاثين غلوة منها (في مكان يدعى سنابري Sennabris)، وعلى مرأى من المدينتين المتمردتين، ثم ارسل قائد مئة يدعى «فاليريانوس» على رأس خمسين خيالا ليدعو المتمردين الى السلام، ولكن ما ان وصل فاليريانوس، مع خيالته الخمسين، الى جوار سور المدينة حيث يعتصم المتمردون وعلى رأسهم «يوسي بن سافاتوس»، وترجل

---

(٧٩) Ibid, P. 341 --

(٨٠) Ibid, P. 342 --

هو ورجاله عن خيلهم رغبة منهم في ابداء المسالمة تجاه المتمردين، حتى هرع يوسي ورجاله نحوهم بسلاحهم يريدون قتالهم، مما اضطر ڤاليريانوس ورجاله الى الهرب، تاركا، هو وخمسة منهم، خيلهم للمتمردين الذين اخذوها الى داخل المدينة، مما اثار غضب ڤسباسيان وجعله يقرر احتلال طبرية.

وشعر يوسي ورجاله المتمردون ان البقاء في طبرية لم يعد آمنا، فانتقلوا الى تاريكا. اما ڤسباسيان، فقد ارسل، في اليوم التالي، القائد تراجان، على رأس مفرزة من الخيالة، الى طبرية ليجسّ اهلها ان كانوا ميالين الى السلم ام الى القتال، فوجدهم ناقمين على المتمردين وميالين للرومان، ومستعدين للترحيب بڤسباسيان وجيشه ترحيبا حارا، فدخل ڤسباسيان وجيشه مدينة طبرية بسلام واقام فيها فترة وجيزة ثم تابع تقدمه نحو تاريكا، حيث عسكر بجيشه في موقع بين طبرية وتاريكا[٨١].

موقعة تاريكا:

كان جميع المتمردين قد وفدوا الى تاريكا معتصمين في حصونها المنيعة، وكان اهالي المدينة قد استعدوا لمغادرتها، اذا ما نشب القتال بين المتمردين والرومان، فاعدوا، لذلك، سفنا اودعوها ساحل البحيرة حيث تقوم المدينة. وكانت هذه السفن مجهزة، في الوقت نفسه، بمختلف وسائل القتال لاستخدامها اذا ما دعت الحاجة الى ذلك. وبينما كان الرومان يجهزون معسكرهم بالخنادق اللازمة للدفاع، قام يوسي، مع مفرزة من رجاله، بغارة على معسكر الرومان فشتت العمال ودمر قسما من المنشآت الدفاعية، ثم انسحب بسرعة عندما رأى الرومان يستعدون للهجوم عليه، الا ان الرومان طاردوه حتى المدينة واجبروا المتمردين على اللجوء الى السفن، لكن المتمردين ابتعدوا بسفنهم، في عرض البحر، الى مسافة لا تطالها رمايات المهاجمين، وأرسوا سفنهم هناك بعد ان اتخذوا تشكيلة القتال البحري استعدادا لأي هجوم من قبل العدو.

وعلم ڤسباسيان ان اهل المدينة احتشدوا في السهل خارجها، فارسل اليهم ابنه تيتوس مع ستماية خيال منتخبين، وما ان وصل تيتوس الى مكان احتشاد اليهود وشاهد

---

(٨١) Ibid, PP. 343 - 348 --

جموعهم الغفيرة حتى ارسل يطلب من ابيه امداده بالمزيد من الجند، فاردفه ابوه بالقائد تراجان مع اربعماية خيال.

ارسل تيتوس الفي نبال بقيادة انطونيوس سيلو، وامرهم ان يتمركزوا على تلة قبالة سور المدينة بحيث يستطيعون شل مقاومة المدافعين عنه، وقد استطاع هؤلاء النبالون منع المدافعين عن السور من اية محاولة لمساعدة المقاتلين من اليهود خارج السور، وعندها، انطلق تيتوس بمن معه مهاجما اولئك المقاتلين الذين انتابهم الرعب فقاوموا لفترة وجيزة ولكنهم هزموا فطاردهم تيتوس ورجاله حتى أثخنوهم بنبالهم وسحقوهم تحت سنابك خيلهم فامتلأ السهل بجثثهم، وهرب من بقي منهم باتجاه المدينة. اما تيتوس فظل يطاردهم حتى استطاع ان يقطع الطريق عليهم ويعيدهم الى السهل بعد ان فتك بالعديد منه، ولكن هؤلاء تمكنوا، بسبب كثرة عددهم، من ان يشقوا لهم طريقا بين صفوف الرومان حتى وصلوا الى المدينة فلجأوا اليها. ولكن المقاتلين الهاربين من وجه الرومان لم يلقوا، في مدينتهم، وبين اهلهم، الترحيب الملائم. فقد كان اهل المدينة غير راغبين بالحرب ضد الرومان، بينما كان الغرباء، الذين لجأوا الى المدينة، مصرين على خوض الحرب واكراه اهل المدينة على مشاركتهم فيها، مما أثار خلافا معلنا بين الفريقين، اي بين اهل المدينة المسالمين والغرباء المصرين على الحرب. وبلغ الصراخ والصياح بين الفريقين اسماع الرومان خارج السور، فقرر تيتوس اغتنام الفرصة وشنَّ هجوم على البلدة، وامر خيالته باقتحام المدينة، وهو في طليعتهم، وادهشت جرأته اهل المدينة والمتمردين معا، وخصوصا اولئك الذين كانوا يحمون السور، فاخذهم الخوف والهلع، فتركوا مخافرهم، وهربوا، وهرب باقي المتمردين كل في اتجاهه، حيث كانت سهام الرومان تحصدهم، سواء اولئك الذين توجهوا الى خارج المدينة او الى البحيرة محاولين ركوب السفن الموجودة على شاطئها، وجرت مذبحة حقيقية في صفوف الغرباء المقاتلين كما في صفوف اهل المدينة، ولما رأى تيتوس انه قضى على المتمردين الحقيقيين اشفق على من تبقى من اهل المدينة وامر جنده بوقف المذبحة، واما اولئك الذين استطاعوا الوصول الى السفن فقد استقلوها وابحروا بعيدا عن مرمى سهام المهاجمين، وخصوصا عندما رأوا المدينة تسقط بايديهم. وارسل تيتوس رسولا الى ابيه يبشره بالنصر المبين(٨٢).

---

(٨٢) -- Ibid, PP. 344- 348

موقعة بحيرة طبرية:

ولكن تيتوس لم يكتف باحتلال المدينة بل قرر خوض معركة بحرية ضد الفارين الذين استجاروا بالسفن واستقروا في عرض البحيرة، فاعد سفنا لهذا الغرض وشحنها بالمقاتلين وارسلها لقتالهم. ووجد اليهود انفسهم محصورين بين البر وقد زخر بالحشود العدوة المتربصة، والماء وقد امتلأت بسفن العدو المهاجمة، فهم لا يستطيعون مواجهة سفن العدو وخوض معركة بحرية معها، وذلك لان سفنهم كانت معدة للقرصنة ولم تكن معدة لقتال حقيقي. وهكذا، فقد اصبح اليهود، في سفنهم، ضمن فكي كماشة فكها الأول في الماء وفكها الثاني في اليابسة، فلم يكن امامهم سوى الاستسلام لقدرهم ومشيئة المهاجم المنتصر، فمن بقي منهم في السفن مات بسهام الاعداء المواجهين له في سفنهم، ومن حاول ان يخرج الى البر تلقفه الاعداء المتربصون به «فقطعوا رأسه او يديه». وقد ذُبح اليهود، في هذه الموقعة، جماعات، بكل الوسائل، وفي كل الاتجاهات، حتى «اصطبغت مياه البحيرة، كلها، بالدم وامتلأت بالجثث، ولم يبق احد حيا»[٨٣]. وقد قدر عدد قتلى اليهود، في هذه الموقعة، بـ ٦٧٠٠ قتيل[٨٤].

ولكن تيتوس لم يكتف بذلك، بل امر، وهو في تاريكا، بان يفصل الاجانب عن اهل المدينة، ثم أمر اولئك الاجانب بان يخرجوا من المدينة، باتجاه طبرية، عن طريق واحد يسلكونه، وما ان وصل هؤلاء جميعهم الى طبرية حتى اقفل خلفهم ابواب المدينة وامر بان يجمعوا في ميدانها، ثم امر باعدام العجزة والمعاقين غير القادرين على القتال منهم، وكان عددهم ١٢٠٠ رجل، اما الفتيان الاقوياء والقادرون على القتال، وعددهم ستة آلاف، فقد ارسلهم الى نيرون، واما الباقون، وعددهم ٣٠٤٠٠ نسمة، فقد باعهم ارقاء وعبيدا، باستثناء من اهداهم الى الملك أغريبا، وهم من مواطني مملكته. وقد باع اغريبا هؤلاء ايضا، وكان معظمهم من اللجاة وحوران والجولان وهيبوس وغدارا، وكانوا جميعهم من المتمردين والمنفيين.

وكانت موقعة بحيرة طبرية في ٢٦ ايلول/ سبتمبر عام ٦٧م[٨٥].

---

(٨٣) Ibid, PP, 350- 351 --

(٨٤) Ibid. --

(٨٥) Ibid, PP. 351- 352 --

موقعة غامالا (Gamala):

بعد سقوط تاريكا، استسلمت معظم حصون الجليل ومدن الرومان، باستثناء جيسكالا (جفت) وجبل طابور وغامالا.

كانت غامالا في الجولان، قبالة تاريكا، على الطرف المقابل من البحيرة، وكانت ذات موقع صعب المسالك(٨٦)، خصوصا وان يوسفوس كان قد جهزها بالسور والحصون والخنادق الدفاعية، مما جعل اهلها يثقون بمناعة مدينتهم واستحالة التغلب عليها.

غادر فسباسيان معسكره في الحمة (Ammathus) مقابل طبرية، واتجه الى غامالا، وما ان بلغها حتى عسكر قبالتها، ثم بدأ باتخاذ مواقع حولها، واحتل الجبل المشرف عليها، وبدأت الفرق المحيطة بالمدينة تقيم اكمات ترابية في المواقع التي اتخذتها حول المدينة بحيث يصبح من السهل الاشراف عليها من تلك المواقع، وكانت الفرقة الخامسة قد تمركزت شرق المدينة (حيث يوجد اعلى حصونها) وتمركزت الفرقة الخامسة عشرة مقابل وسط المدينة، اما الفرقة العاشرة فقد كُلفت ردم الحفر والمجاري التي تفصل المدينة عن مواقع الفرق استعدادا للهجوم.

وما ان انتهى فسباسيان من اقامة الاكمات الترابية حتى ركز عليها آلات الحصار (المجانيق والمقاليع وقاذفات السهام والنبال)، وبدأت تلك الآلات تقذف المدافعين عن السور بمقذوفاتها، مما اضطرهم للانكفاء عنه الى داخل المدينة.

كان فسباسيان يأمل ان لا يطول الحصار، اذ لا بد من ان يحتاج اهل المدينة والمدافعون عنها للماء والغذاء فيضطروا للاستسلام. ومع ذلك، فهو قد اخذ يعّد للهجوم اذ تقدمت رؤوس الاكباش نحو السور، تحت غطاء من السهام والنبال والحجارة، واخذت تعمل في نقبه واحداث ثغرات فيه، وما ان تمكنت هذه من إحداث الثغرات الكافية لدخول المهاجمين، حتى اعطى فسباسيان اشارة الهجوم، فانطلق الجند نحوها مطلقين صيحات الحرب ترافقهم الابواق باصواتها المرعبة، واشتبكوا بالمدافعين الذين تمكنوا من الصمود قليلا الا ان مقاومتهم انهارت امام زخم الهجوم وكثرة عدد المهاجمين، فلجأوا الى اعلى المدينة حيث احتشدوا من جديد واستداروا لمواجهة المهاجمين الذين كانوا يطاردونهم،

---

(٨٦) يذكر يوسفوس ان «غامالا» اكتسبت اسمها من اسم «الجمل» بالعبرية، لانها تقع على مرتفع اتخذ شكل سنام الجمل اذ ان «غامالا» يعني «الجمل» بالعبرية ايضا. (Ibid, PP. 353)

فاستطاعوا التغلب عليهم نظرا لموقعهم المشرف على موقع المهاجمين الذين تاهوا، عندئذ، في ازقة المدينة وشوارعها الضيقة، فاضطروا الى التقهقر واللجوء الى منازل المدينة التي اكتظت، من الداخل وعلى السطوح، بالجنود الرومان بحيث انهارت على من كان بداخلها، فقتل عدد كبير منهم، وعندها، كان لا بد من ان ينسحب المهاجمون من المدينة[٨٧].

ولم يقبل فسباسيان بالهزيمة، فامر جنده بالعودة الى التحشد قبالة السور استعدادا لمعاودة الهجوم، وعاد الى الاسلوب الروماني المعروف وهو اسلوب «السلحفاة» حيث ارتفعت الاتراس فوق هامات المقاتلين فشكلت مظلة حديدية تحميهم من سهام المدافعين ونبالهم، وتقدم الجميع باتجاه المدافعين وبصفوف متينة ومتراصة رغم سقوط العديد منهم ومن قادتهم (القائد ابوتيوس Aebutius) حاكم سوريا. وما ان رأى المدافعون عزم المهاجمين على التقدم، رغم خسائرهم، ونيتهم الصارمة على عدم التقهقر، ادركوا انهم امام جيش لن يستطيعوا قهره فاحبطوا وثبطت عزائمهم، وتلاشت ارادتهم في الدفاع عن مدينتهم، فهرب معظمهم تاركا مواقعه الدفاعية على السور، وانسلوا في الوديان الموصلة الى خارج المدينة والتي كان المحاصِرون للمدينة يجهلونها فلم يغطوها بحراساتهم، اما من بقي في المدينة من اهلها والمدافعين عنها فقد مات قسم منهم جوعا (اذ جمعت الأرزاق في مكان من المدينة وخصصت للمدافعين فقط)، ومع ذلك فقد آثر فسباسيان عدم دخول المدينة من جديد، وابقى على حصارها الى ان يحين الموعد المناسب لاقتحامها.

وفي العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر٦٧م، تسلل ثلاثة جنود من الفرقة الخامسة عشرة الى قاعدة حصن قائم على سور المدينة مقابل موقعهم، وبسرية تامة، استطاعوا انتزاع الحجارة من قاعدة ذلك الحصن الذي ما لبث ان انهار على من كان فيه من المدافعين، مما اثار رعبا في صفوف باقي المدافعين الذين هربوا، بدورهم، تاركين مواقعهم. وحاول بعضهم الهرب باتجاه مواقع الرومان فقتلهم هؤلاء، ومنهم يوسفوس الذي اصيب بسهم حين كان يحاول الهرب، الا انه استطاع النجاة بنفسه. وكذلك، فقد اصاب الذعر اهل المدينة الذين اخذوا «يجرون في كل اتجاه، في غمرة الرعب الذي انتابهم، كانما اقتحم الاعداء كلهم، مدينتهم»[٨٨] ورغم ذلك، فان فسباسيان لم يأمر جيشه بالهجوم العام.

---

(٨٧) -- Ibid, PP. 354- 356

(٨٨) -- Ibid, P. 359

وكان تيتوس قد عاد، في هذه الاثناء، من مهمة لا علاقة لها بحصار غامالا، وعلم بما جرى للجيش في المدينة، فقرر القيام بعمل منفرد، وبمعزل عن ابيه، اذ قام على رأس مئتي خيال ونفر من المشاة، بالتسلل الى المدينة، وما ان رآه حراس السور حتى انكفأوا وهم يصرخون: الى السلاح، وانتشر خبر الهجوم، في المدينة، بسرعة البرق، فانبرى بعضهم لمقاومته الا انهم لم يصمدوا في وجهه.

ولجأ بعض المدافعين الى قلعة المدينة، كما ان الذين حاولوا سد الطريق في وجه تيتوس، في اعلى المدينة، تقهقروا امامه الا انه لم يكن لهم منفذ، في تقهقرهم، سوى ان يرموا بانفسهم في مواقع الرومان الذين قتلوهم. ودعم فسباسيان الهجوم الذي شنه ابنه تيتوس بهجوم من قبله على القلعة، الا انه لم يستطع بلوغها، رغم انه قاد اليها الجيش كله.

كانت القلعة الواقعة في اعلى المدينة صعبة المنال، وكان اعلى المدينة، حيث تحشّد المدافعون، محاطا، من جميع الجهات، بالموانع والصخور التي تمنع المهاجمين من التقدم، كما ان سهام المدافعين المشرفين من اعلى البلدة على المهاجمين كانت تمنع هؤلاء من متابعة التقدم. وقد كبدت محاولات التقدم التي قام بها الرومان نحو مواقع المدافعين، في اعلى المدينة وفي القلعة، خسائر كبيرة دون ان ينجحوا في احتلال المواقع.

و هنا، نرى يوسفوس يقحم الله في عملية الهجوم هذه، حيث يزعم ان ريحاً عاصفة هبت فاخذت تدفع بسهام الرومان ونبالهم، صعدا، نحو قمة الجبل حيث يقوم اعلى المدينة، «فتصيب المدافعين مواجهة»، بينما «تدفع سهامهم عن المهاجمين وتردّ عنهم ضرباتهم»[٨٩] وهو ما لا يمكن ان يقبله منطق، بل يقبل المنطق القول بان الرومان استطاعوا (رغم تسلط المدافعين على مواقعهم وربما بسبب اعاقة الريح العاصفة لسهام اولئك المدافعين عن بلوغ مراميها) ان يصلوا الى القمة حيث حاصروا المدافعين وذبحوهم جميعا. وكانت خسارة اليهود، في هذه الموقعة «اربعة آلاف ذبحوا على يد الرومان» بينما رمى «اكثر من خسمة آلاف انفسهم في الفراغ» (من علو شاهق) فقُتِلوا. وسقطت غامالا بيد الرومان في ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبرعام ٦٧م[٩٠].

---

(٨٩) Ibid, P. 360 --

(٩٠) Ibid. --

موقعة جبل طابور (او تابور):

بينما كان فسباسيان يحاصر غامالا، ارسل قوة من جيش تقدر بستماية خيال، بقيادة «بلاسيدوس» الى جبل طابور الواقع على مسافة متساوية بين السهل الكبير ومدينة سيتوبوليس (بيسان). وكان المتمردون اليهود قد احتشدوا، بكثرة، على ذلك الجبل الصعب الارتقاء، بسبب علوه الشاهق (٥٨٨ م) والذي ينتهي، عند القمة، بهضبة طويلة محاطة بسور منيع (اقامه يوسفوس نفسه) وقد احتمى المتمردون بداخله.

وادرك بلاسيدوس صعوبة احتلال الجبل فعمد الى محاصرته، وتظاهر بالتفاوض فدعاهم للنزول الى السهل بغية الاتفاق، وهو ينوي اخراجهم من وراء السور واجتذابهم الى السهل لأسرهم. وقد استجاب المتمردون لطلب بلاسيدوس وخرجوا من معتصمهم ونزلوا الى السهل وهم ينوون الغدر به وقتاله قبل ان يستعد لذلك. ولكن خدعة بلاسيدوس هي التي نجحت بالتالي، اذ انه، ما ان بدأ القتال، حتى تظاهر بالانسحاب من امام المتمردين الذين لحقوا به، وما ان توغلوا بعيدا في السهل حتى ارتد عليهم بلاسيدوس بخيله، ففوجئوا وهزموا، ولحق بهم فقتل عددا كبيرا منهم، وقطع الطريق على الفارين باتجاه الجبل فقتل قسما منهم، واما الباقون ففروا باتجاه اورشليم. واما من كان في طابور من الاهالي، فقد افتقدوا الماء وخافوا من الموت عطشا، فاستسلموا لبلاسيدوس، بعد حصولهم على ضمانات منه، وسلموا اليه مدينتهم(٩١).

سقوط جسكالا (الجش):

لم يبق امام فسباسيان سوى مدينة جسكالا (الجش). وكان اهل هذه المدينة مسالمين، الا ان المتمردين كانوا يستبدون بها، وخصوصا زعيمهم المدعو «حنا ليفي» الذي كان يتزعم حركة التمرد في هذه المدينة.

ارسل فسباسيان لاحتلال هذه المدينة، ابنه تيتوس على رأس الف خيال، ثم ارسل الفرقة العاشرة الى سيتوبوليس، اما هو فسار على رأس الفرقتين الاخريين، الى قيسارية.

---

(٩١) Ibid, P. 358 --

وسار تيتوس الى جسكالا على رأس خيالته، وكان يأمل ان يحتلها بسهولة، لكنه، ما ان اصبح امام السور حتى وجده مكتظا بالمقاتلين ومعظمهم من المتمردين، بقيادة حنا ليفي، وكانوا قد احتلوا هذا السور واقاموا خفراء على ابواب المدينة. وحاول تيتوس ان يستدرج المدافعين للحوار والمفاوضات حقنا للدماء، وبغية التوصل معهم الى اتفاق او معاهدة، ولكن حنا، زعيمهم والمتحدث باسمهم، رأى ان يراوغ القائد الروماني فيوهمه بانه سيستجيب لمطالبه وهو ينوي الهروب ليلا من المدينة، فطلب اليه هدنة تمتد ليوم السبت باعتباره مقدسا عند اليهود، واستجاب تيتوس لطلبه، فمنحه هدنة تمتد اربعا وعشرين ساعة. وزاد على ذلك بان عسكر بجيشه بعيدا عن المدينة، عند قَدَس (وربما كانت قادش نفتالي)، فاغتنم حنا فرصة ابتعاد الجيش الروماني عن اسوار المدينة وخرج منها هارباً الى اورشليم، مع نفر من اتباعه.

وفي الصباح تقدم تيتوس من سور المدينة ففتح له اهلها الابواب واستقبلوه بالترحاب، ودخل المدينة بجيشه فوجدها خالية من المتمردين، فادرك حيلة حنا وخدعته، وارسل قسما من الخيالة لمطاردته، ولكنه كان قد استطاع الوصول الى اورشليم، واللجوء اليها، واكتفى الخيالة الرومان بتعقب اتباعه، وكان قد تركهم في منتصف الطريق، فقتلوا منهم نحو ستة آلاف، وعادوا، بعدها، ليلتحقوا بقائدهم الذي كان قد دخل المدينة حيث اقام فيها مفرزة من جنده بغية تأمين اهلها ومنع المتمردين من العودة اليها، وتابع سيره الى اورشليم.

وبسقوط جسكالا بيد تيتوس، يكون الجليل كله قد سقط بايدي الرومان[٩٢]. (انظر الخارطة رقم ٣٧)

الحرب الاهلية في اورشليم وتدخّل الادوميين:

عاد تيتوس الى قيسارية، بينما تركها ابوه فسباسيان الى يمنيا (خمنيا) فآزوتوس (أشدود) فأخضعهما وترك في كل منهما مفرزة من جنده، وعاد الى قيسارية.

وكان حنا ليفي قد وصل مع اتباعه الى اورشليم حيث بدأ نشاطه فيها فتبعه العديد من

(٩٢) -- Ibid, PP. 360- 364

الشباب والمريدين، مما اثار نزاعا بينه وبين المسالمين من اهل المدينة. لكن المتمردين استطاعوا التسلط على المدينة والاستبداد بها فعاثوا فيها فسادا، ولجأ الى المدينة عدد كبير من المتمردين الهاربين من الرومان، من مدن عديدة، فكبر جيش حنا واصبح خطرا على اهل اورشليم، بل على اورشليم نفسها، وبدأ حنا يسجن كل من يعارضه ويعذبه ثم يقتله، وقد سمى هؤلاء انفسهم «الزيلوت» اي المتشددين او الاصوليين، المدافعين عن المبادئ اليهودية المتطرفة.

ونشب القتال بين هؤلاء وشعب اورشليم فكثر القتلى والجرحى من الفريقين، وزيّن للاصوليين ان الشعب يسعى للاستنجاد بالرومان ويرغب في دعوتهم لدخول المدينة فاستدعوا بدورهم الأدوميين واستنجدوا بهم على الشعب. وكان الأدوميون يعتبرون انفسهم اقرباء لليهود، فدخل هؤلاء اورشليم بجيش من عشرين الف مقاتل، وتحالفوا مع الاصوليين فزادوا الحرب اشتعالا، كما انضم الأدوميون الى الاصوليين الذين كانوا قد احتلوا الهيكل. واستقوى الاصوليون بالجيش الأدومي وتشجعوا به فاخذوا يقتلون ابناء الشعب دون تميز بين المعارض والمسالم، وخصوصا الزعامات اليهودية في اورشليم، حتى بلغ عدد قتلى اهل اورشليم، على يد الاصوليين، ٨٥٠٠ قتيل[٩٣]. وشارك الادوميون في القتل والسلب والنهب، لكنهم لم يستطيعوا مجاراة الاصوليين في اعمالهم أكثر من ذلك، فآثروا الانسحاب والعودة الى ديارهم، بحسب ما ذكره يوسفوس[٩٤]، بينما استمر الاصوليون في الانتقام من اهل المدينة.

وكان فسباسيان يتفرّج على ما يجري في اورشليم وهو سعيد بذلك، ولم يعمل بنصيحة عدد من قادته الذين رأوا ان يغتنم الفرصة ويهاجم اورشليم فيحتلها، بل انه اراد ان ينتظر حتى ينهك القتال الفريقين فيدخلها بلا عناء، بدلا من ان يحاول احتلالها وهم يتقاتلون ولا يزال كل منهم يمتلك قسطا من العزيمة والقوة، مما يدفع الفريقين الى التصالح والاتحاد فيقاتلونه معا[٩٥].

واهتم فسباسيان، بدلا من ذلك، باحتلال ما تبقى من البلاد، فاحتل غدارا عاصمة

---

(٩٣) -- Ibid, P. 382

(٩٤) -- Ibid, P. 385

(٩٥) -- Ibid, P. 387

البيريه (La Péré) سلما، بعد ان فر المتمردون منها. وارسل بلاسيدوس، مع ثلاثة آلاف من المشاة وخمسماية خيال، لمطاردة الفارين الى «بيت إنّبريس Bethennabris» (او تل نمرين، قرب اريحا، على الضفة الشرقية للاردن) بينما عاد هو الى قيسارية[٩٦].

موقعة بيت إنّبريس (تل نمرين):

كان المتمردون قد تجمعوا في بيت إنبّريس (تل نمرين) وانضم اليهم عدد من الفتيان الذين استهواهم التمرد، وما ان وصل جيش بلاسيدوس الى ضواحي البلدة حتى انقضّ المتمردون عليه، فتظاهر بلاسيدوس بالانسحاب رغبة منه في اجتذاب المهاجمين الى خارج سور البلدة، وقد تم له ذلك، اذ لحقه المتمردون الذين خدعوا بانسحابه، وما ان وصلوا الى مكان ملائم حتى استدار عليهم بلاسيدوس بخيالته ومشاته فطوقهم واكثر من القتل فيهم، وكانوا، اذا حاولوا الهرب من امام الخيالة، قطع المشاة الطريق عليهم وفتكوا بهم، حتى ان عددا منهم لم يجد مفرا من ان يرمي بنفسه على صفوف الرومان التي تتقدم متراصة تحميها التروس كحصن منيع، فتدوسه أقدامهم وتنهشه سيوفهم[٩٧].

وظل بلاسيدوس يطارد فلول المنهزمين الذين حاولوا العودة الى البلدة، واقفل الخفراء الابواب في وجههم خوفا من ان يلحق بهم بلاسيدوس بجيشه، فاصبح المنهزمون محصورين بين السور وخيالة بلاسيدوس حيث كان هؤلاء يسحقونهم فيسقطون صرعى عند اسفل السور. وعندها هاجم بلاسيدوس بخيالته السور، واستمر القتال طوال النهار حتى تمكن بلاسيدوس من السيطرة عليه، فدخل المدينة بجيشه واعمل بها نهبا وباهلها قتلا ولم ينج منهم الا من كان قادرا على الفرار والنجاة.

موقعة الاردن (قرب اريحا):

تحشّد الفارون من بيت إنبّريس عند الاردن قرب اريحا فلحق بهم بلاسيدوس وظل يدفع بجموعهم نحو النهر، ويقتل كل من وقعت يده عليه منهم. وكان الوقت شتاء والنهر يجري غزيرا، وصفّ بلاسيدوس خيالته بتشكيلة القتال وتقدم نحو حشود المتمردين

---

(٩٦) -- Ibid, P. 391

(٩٧) -- Ibid, P. 392

الذين «استثارهم القتال للضرورة، اذ لا يوجد اي مكان يهربون اليه»، وكان جيش بلاسيدوس المنتشر قبالة الضفة الغربية للنهر، على مسافة طويلة، والمتقدم نحوهم، يسد عليهم منافذ الهرب الا الى الامام، او السقوط في لجة النهر، وكلا الامرين مر. وبدأ بلاسيدوس هجومه، فحملت خيالته عليهم اولا وتبعها المشاة بسيوفهم ونبالهم، فاخذ المتمردون المحاصَرون يرمون بإنفسهم في الماء فيقضون غرقا او يسقطون قتلى بسيوف المهاجمين، وقد هلك من اليهود، في هذه الموقعة، خمسة عشر الف رجل على ايدي الرومان، اما الذين هلكوا في لجة النهر فلم يكن احصاؤهم ممكنا، كما اسر الرومان منهم نحو ٢٢٠٠ رجل، واخذوا الكثير من الغنائم.

وتابع بلاسيدوس، بعد هذه الموقعة، احتلال القرى والضواحي المجاورة وكل بلاد البيريه حتى ماكيروس[٩٨].

حروب فسباسيان في اليهودية:

انطلق فسباسيان مع اول الربيع، ومع القسم الاكبر من الجيش، من قيسارية الى انتيباتريس فتمنة فاللد فيمنيا فعمّاوس، حيث ترك الفرقة الخامسة، فبيت لبتنفا (Bethleptenpha) فضواحي بلاد الادوميين حيث اقام حصونا في الاماكن الملائمة، فأدوم فبيتاليريس (Betaliris) فكفرتوبا (Caphartoba) حيث اهلك عشرة آلاف من اهلها واخذ اكثر من الف اسير، وابقى قسما من جيشه هناك، وعاد بالباقي الى عمّاوس، ثم اخترق السامرة ووصل الى نابلس حتى كوريا (Coréa) فجوار اريحا حيث لحق به تراجان مع جيوشه التي كانت في البيريه، (وكان اهل اريحا قد هربوا الى اورشليم فور علمهم بتقدم الرومان نحو مدينتهم) فاحتل الرومان المدينة وذبحوا من بقي فيها. وكان ذلك في حزيران/ يونيو عام ٦٨م[٩٩].

ولكي يحصر اورشليم بين فكي كماشة طرفاها اريحا وعَديدا (أو حدَيدا، على مسافة ٣ كلم شمال شرقي اللد)، أقام فسباسيان، في كل من المدينتين، معسكراً من الجند، وارسل قائده «لوسيوس انيوس»، مع كتيبة من الخيالة ومفرزة من المشاة، لاحتلال

(٩٨) -- Ibid, PP. 392- 393

(٩٩) -- Ibid, P. 394

جيرازا (Gérasa) فهاجمها انيوس واحتلها بسهولة وقتل الف شاب من اهلها واسر الباقين ونهب جنده المدينة.

اما فسباسيان فعاد الى قيسارية واخذ يستعد للانطلاق نحو اورشليم. وفي قيسارية علم فسباسيان بمصرع نيرون، امبراطور روما[١٠٠].

وانطلق فسباسيان، بعدها، في ٢٨ حزيران/ يونيو عام ٦٨م، من قيسارية الى البلدان التي لم تخضع له من اليهودية، فصعد الى القسم الجبلي منها واحتل منطقتي الغوفنيتيك (Gophnitique) والاكراباتين (Acrabatène) ثم احتل بلدتي بيت ايلا (بيت ايل او بيتين Bethela) وافرائيم (قرب غفنة على مسافة ٢٠ كلم شمال اورشليم) حيث ترك فيها مفارز خيالته واندفع، بباقي الخيالة، نحو اسوار اورشليم. الا انه عهد الى احد ضباطه وهو سيرياليس (Céréalis)، بان يقوم، على رأس مفرزتين من الخيالة والمشاة، بغزو أدوم العليا، فهاجم سيرياليس ناحية كافيترا (كافيترا Caphethra) واحرقها، ثم هاجم كفربيس (خربة البيس Capharabis)، لكن هذه كانت محصنة بسور منيع فحاصرها آملا ان يستسلم اهلها قبل ان يهلكوا جوعا وعطشا، وذلك ما حصل فعلا، اذ سرعان ما اتى اهلها اليه مستسلمين، فمشى الى مدينة حبرون (الخليل) فدخلها بالقوة واهلك اهلها الذين فاجأهم قبل ان يستعدوا لمواجهته، واحرق المدينة[١٠١]. وهكذا تم اخضاع معظم البلدان في اليهودية والسامرة باستثناء هيروديون (Hérodion) ومسّادا (Masada) وماكيروس (Machaerus) او ماكيرون، وهي بلدان كانت لا تزال بيد المتمردين، بالاضافة الى مدينة اورشليم التي كان يحاصرها سيمون بن غيوراس Simon Gioras المولود في جيرازا، والآتي اليها، من الجبال، بجيش من الأتباع والمناصرين ليخوض فيها حربا ضد الاصوليين (الزيلوت)[١٠٢]. (انظر الخارطة رقم ٣٧)

اما فسباسيان، فقد اصرّ ضباطه وجنوده على ان ينادوا به امبراطوراً على روما، فاذعن لارادتهم، رغم معارضته في البدء، وسار الى انطاكية ومنها الى الاسكندرية وبعدها الى روما ليتسلم العرش بدلا من فيتاليوس Vitalius الذي كان قد عيّن امبراطورا،

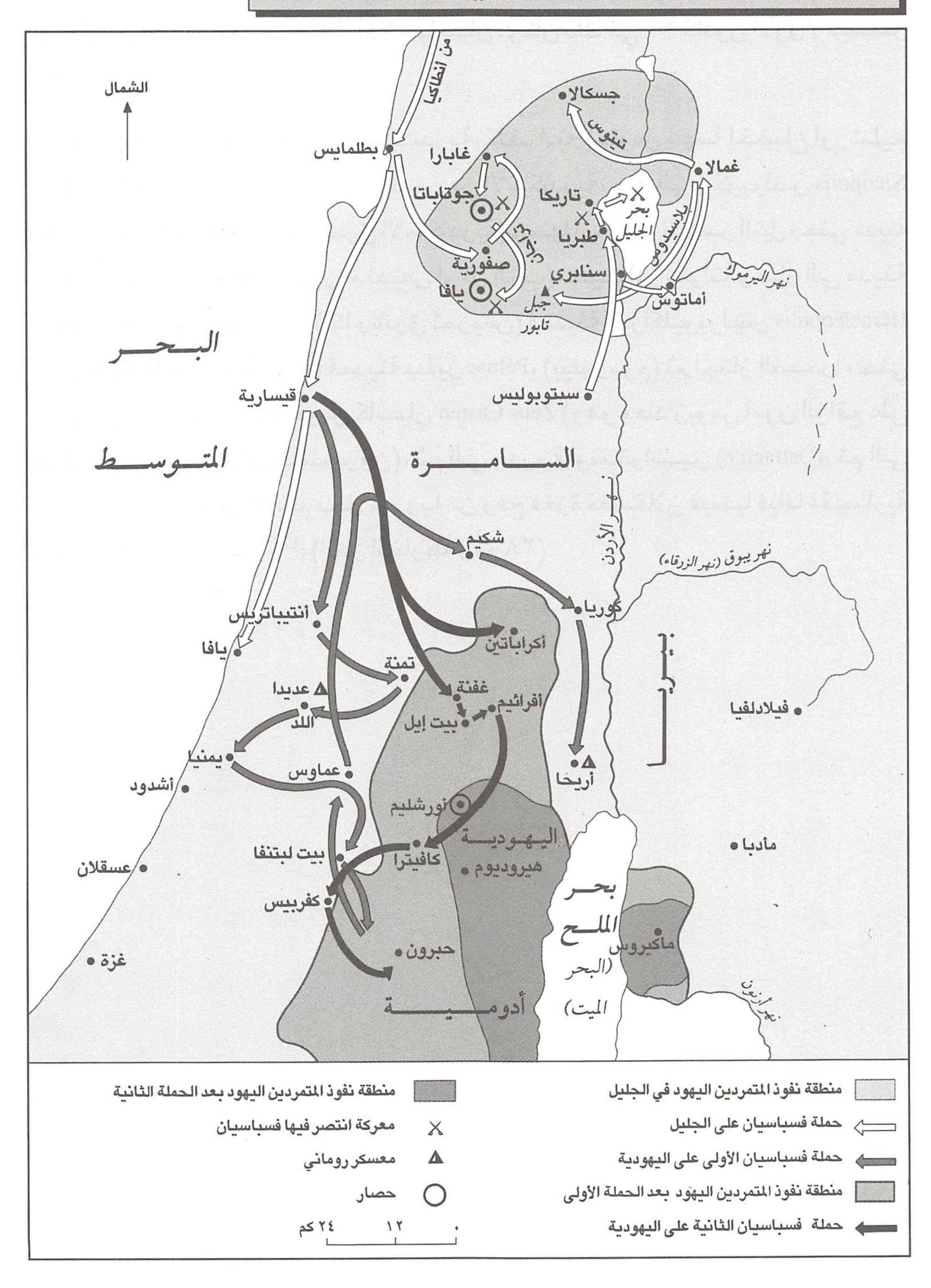
---

(١٠٠) -- Ibid, P. 398

(١٠١) Ibid, P. 403

(١٠٢) Ibid وانظر معلومات اضافية عن سيمون في Ibid, PP. 399_405.

خارطة رقم ٣٧: حروب فسباسيان في الجليل واليهودية



ثم عزل عن العرش بعد هزيمته امام فسباسيان، وكان ذلك في ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر عام ٦٩م[١٠٣].

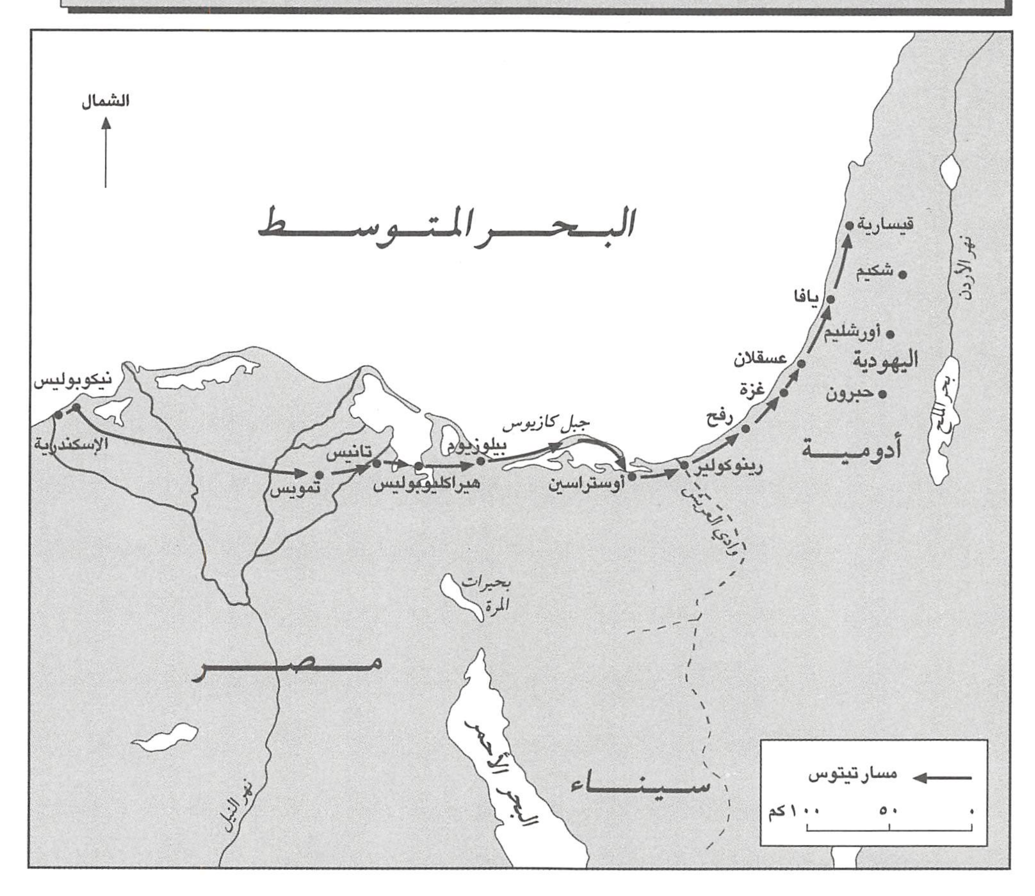
وقبل ان يغادر فسباسيان الاسكندرية، كلف ابنه تيتوس مهمة اخضاع اورشليم وجهّزه بالنخبة من جيوشه، فسار تيتوس من الاسكندرية، براً، الى نيكوبوليس Nicopolis (على ساحل البحر المتوسط، شرق الاسكندرية) ومنها أبحر بقواته عبر النيل، حتى مدينة تمويس Thmuis (جنوب غربي منديس او تل الرب)، حيث أبرّ بقواته وسار الى مدينة تانيس Tanis (على مسافة ٣٠ كلم شرق تمويس) فمدينة هيراكليوبوليس Héracléopolis (التي تغطيها بحيرة المنزلة) فمدينة بيليز Péluse، (بيلوزيوم) ثم اجتاز الصحراء حتى وصل الى مقربة من معبد زيوس كاسيان Zeus Casien (وهو معبد زيوس آمون الواقع على جبل كازيوس، او رأس القصرون)، ثم الى مدينة اوستراسين (Ostracine)، ثم الى رينوكولير (Rhinocolure)، ثم دخل سوريا من رفح فغزة فعسقلان فيمنيا فيافا فقيسارية حيث احتشدت جيوشه[١٠٤]. (انظر الخارطة رقم ٣٨)

---

(١٠٣) انظر معلومات عن الصراع بين فسباسيان وفيتاليوس Ibid, PP. 410_ 412

(١٠٤) Ibid, PP. 412- 413 واوستراسين موقع غير معروف.

خارطة رقم ٣٨: سير تيتوس من الإسكندرية بمصر إلى قيسارية بسوريا



الفصل الثالث

حروب الرومان ضد اليهود -٢-

حروب تيتوس (٧٠م)

تلقى تيتوس، من والده في الاسكندرية، مهمة اخضاع اورشليم، فسار بجيش من مصر، مجتازا الصحراء، الى قيسارية بسوريا، حيث احتشدت قواته استعدادا للمهمة، وكانت اورشليم، في ذلك الحين، مقسمة بين ثلاث فئات من المتمردين، على رأس احداها سيمون بن غيوراس، وعلى رأس الثانية حنا بن ليفي، وعلى رأس الثالثة اليعازار بن سيمون، الا ان اكبر الفئات واقلها فعالية كانت فئة الشعب الرافض للحرب والمغلوب على امره من هذه الفئات التي كانت تتنازع، فيما بينها، السلطة والمغانم معا.

ما ان احتشدت قوات تيتوس في قيسارية حتى انطلق بها نحو اورشليم، وكانت هذه القوات مؤلفة من اربع فرق هي: الخامسة والعاشرة، والثانية عشرة، والخامسة عشرة، وقد امر تيتوس الفرقة الخامسة بان تنضم اليه عن طريق عماوس، وامر الفرقة العاشرة بان تذهب الى اريحا، وسار هو بالفرقتين الاخريين مع من انضم اليه من الملوك والحلفاء، ومع فرقة من المساعدين السوريين، وقد رافقه في رحلته من الاسكندرية الفا جندي منتخب، وثلاثة آلاف من حرس الفرات، كما رافقه «تيبريوس الكسندر» وهو قائد لامع كان حاكما لمصر وكان من مؤيدي فسباسيان والمتحمسين له، فعينه ابنه تيتوس مستشاراً له في حربه بسوريا[١].

---

(١) Josèphe, La guerre des Juifs, P. 419 -

وقد اتخذ الجيش التشكيلة التالية:

- في الطليعة: القوات الملكية وكل القوات المساعدة.

- وبعدها: المهندسون والمرمموں، والمكلفون اقامة المعسكر.

- ثم: امتعة الضباط.

- ثم، قوات الحراسة،

- ثم: تيتوس، القائد العام، مع الجند المنتخب، وخصوصاً الرماحين.

- ثم: خيالة الفرقة،

ثم: آلات الحرب،

- ثم قادة كتائب المشاة والخيالة، مع الجند المنتخب.

- ثم: رايات الفرق واعلامها، مجتمعة حول النسر، والابواق أمامها.

- ثم: الرتل، بالصفوف السداسية.

- ثم: الخدم من كل فرقة، وتسبقهم الامتعة.

واخيراً: المرتزقة، مع حرس المؤخرة(٢).

تقدم تيتوس بجيشه، وبتشكيلته هذه، مجتازا السامرة، فوصل الى جفنة، حيث بات ليلته، ثم تابع تقدمه، عند الفجر، وحتى المساء، حيث بات في «وادي الشوك» بالقرب من مكان يدعى «غابة شاوول» (وهو المكان الذي ولد فيه شاوول، ويبعد عن اورشليم نحو ثلاثين غلوة) حيث عسكر بجيشه، ثم انطلق، مع ستماية خيال منتخبين، نحو اورشليم ليستكشفها وليتعرف على حصونها. ولكنه ما ان أصبح قبالة سور المدينة حتى هب اليهود باعداد كبيرة، وخرجوا من الباب المحاذي للرتل المرافق لتيتوس واقتحموا الصفوف فقطعوا الرتل الى قسمين ومنعوا القسم المتأخر من اللحاق بالقسم المتقدم، وكان تيتوس في مقدمته، مما أدى الى عزل تيتوس وقلة معه عن باقي الرتل، فلم يعد

(٢) Ibid, PP. 419- 420 -

بامكانه ان يتقدم لصعوبة المسالك ووعورتها، كما لم يعد بامكانه ان يعود من حيث اتى ويلحق بالقسم المنفصل عنه من الرتل بسبب كثافة العدو المنتشر بينهما، وشعر تيتوس بانه في خطر، وان نجاته رهن بحنكته وشجاعته فقط، فاقتحم جموع العدو مع من كان معه من الجند، حيث انصبت عليه سهام الاعداء بغزارة، الا انه استطاع ان يفتح له ولجنده، في تلك الجموع، طريقا، وعاد الى معسكره سالما[٣]، ووصلت الفرقة الخامسة، عن طريق عماوس، خلال الليل، والتحقت بتيتوس.

وفي صباح اليوم التالي، تقدم تيتوس بجيشه الى جبل سكوبوس Scopus على مسافة سبع غلوات من المدينة، حيث اصبحت مع الهيكل على مرأى منه، فأمر فرقتين من جيشه (وهما الفرقتان: الثانية عشرة والخامسة عشرة) بان تعسكرا معا، كما امر الفرقة الخامسة بان تعسكر خلفهما على مسافة ثلاث غلوات، كدريئة لهما. وما ان بدأت الفرق العمل حتى وصلت الفرقة العاشرة من اريحا، فأمرها تيتوس بان تعسكر على جبل الزيتون، على مسافة ست غلوات من اورشليم، وفي مواجهتها، حيث يفصل بينهما واد يسمى «وادي قدرون»[٤].

وعلم المتمردون في اورشليم بحشود الرومان حول مدينتهم فتصالحوا واقاموا بينهم هدنة وعهدا بمقاومة تيتوس وجيشه، ثم بدأوا يشنون حملاتهم على الجيش المعسكر حول المدينة.

وكانت اولى تلك الهجمات على الفرقة العاشرة التي كانت منهمكة في إعداد معسكرها، ففوجئت بالهجوم، وترك جندها اعمالهم وانكفأوا، فطاردهم اليهود الذين كانوا يتلقون، من داخل المدينة، تعزيزات مستمرة، الا ان تيتوس اسرع في التدخل «بالنخبة من الجند» التي كانت بامرته المباشرة فشن هجوما جانبيا على اليهود المهاجمين واوقع خسائر في صفوفهم وهزمهم ورماهم في الوادي (وادي قدرون)، الا انهم عاودوا الهجوم من جديد على الرومان. واستمر القتال بين الفريقين حتى منتصف النهار حين ارسل تيتوس قوات لدعم المقاتلين، كما ارسل باقي الفرقة (العاشرة) الى المرتفع لمعاودة اعمال التحصين[٥].

(٣) Ibid, PP. 420- 421 -

(٤) Ibid -

(٥) Ibid, PP. 422 - 423 -

وظلت هجمات اليهود تتكرر، بشكل شبه يومي، على الفرقة الرومانية المحيطة باورشليم[٦]، فرأى تيتوس ان ينتقل بجيشه من جبل سكوبوس ويقترب به من المدينة لكي يستطيع احتواء تلك الهجمات، ثم امر الفرق جميعا بتسوية الارض وردم مجاري المياه بين معسكراتها واسوار المدينة، واقامة المتاريس في مواجهة تلك الاسوار لكي تدرأ، عن المعسكرات، سهام المدافعين وترد هجماتهم التي كانوا يقومون بها، واستطاع الرومان، خلال اربعة ايام، ان يسووا الارض ويقيموا المتاريس كما امرهم تيتوس.

ورأى تيتوس ان يؤمِّن الظعن (الدواب التي تحمل امتعة الجند، وغير المقاتلين التابعين للجيش) لكي يتمركز في مكان آمن، فامر بنشر افضل جنوده في مواجهة الاسوار (الشمالية والغربية) بحيث ينتظمون في سبعة صفوف، في العمق، على الشكل التالي:

- المشاة: في المقدمة، وفي ثلاثة صفوف.

- النبالون: خلف المشاة، وفي صف واحد.

ثم امر الظعن ان يتمركز خلف هذه الصفوف التي تشكل دريئة له.

اما هو، فاقام معسكره على مسافة غلوتين من الاسوار «عند الزاوية الموجهة للبرج المسمى بسيفينوس (pséphinus) حيث يبدأ تحول السور من الشمال الى الغرب»، واما باقي الجيش فاقام معسكره في مواجهة البرج المسمى هيبيكوس (Hippicus)، على مسافة غلوتين، كذلك، من المدينة، بينما بقيت الفرقة العاشرة في معسكرها على جبل الزيتون[٧].
وهكذا تكون الفرق الاربع قد تمركزت حول اورشليم على الشكل التالي:

- شرقاً: الفرقة العاشرة.

- شمالاً وغرباً: الفرقتان الثانية عشرة والخامسة عشرة.

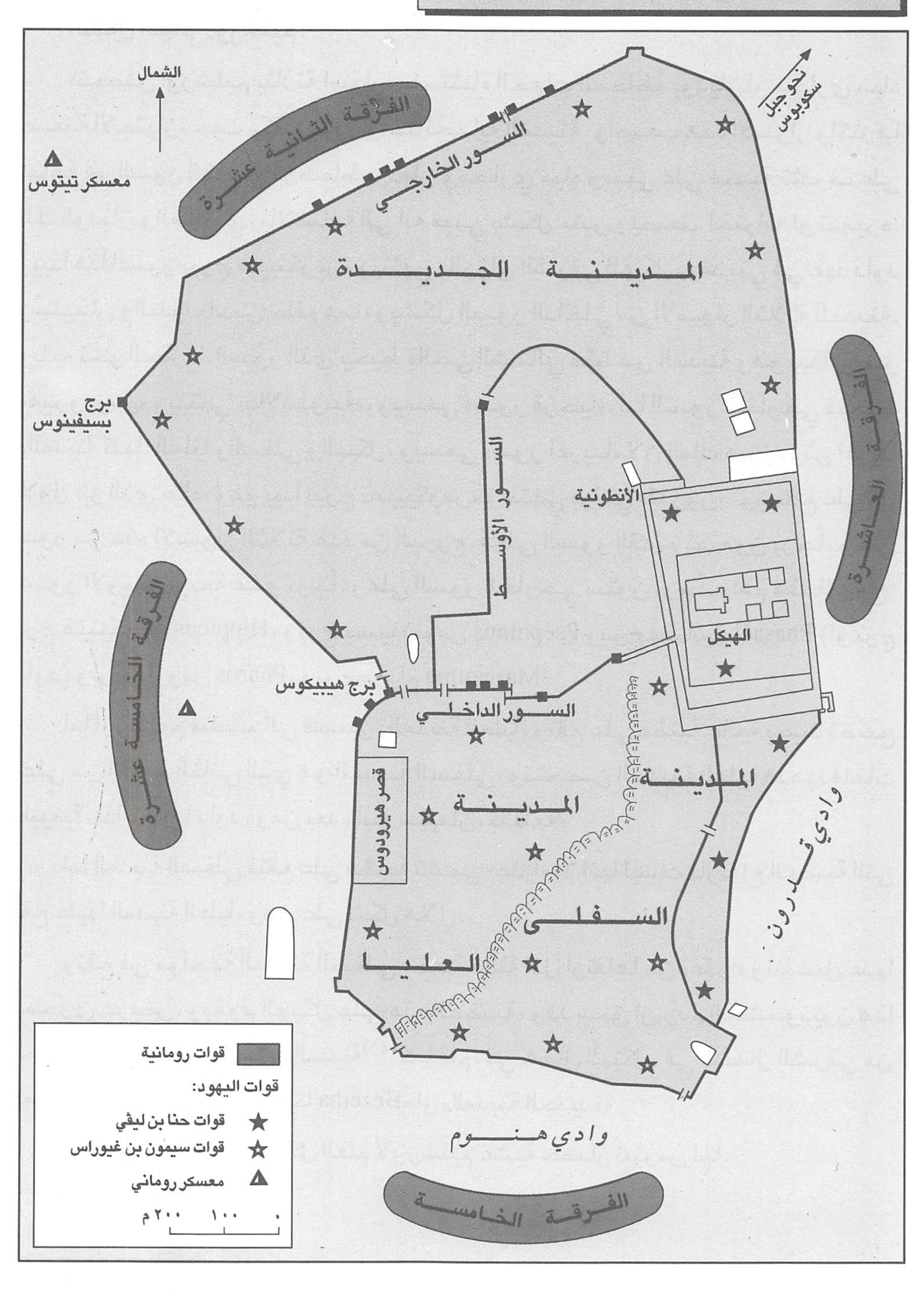
- جنوباً: الفرقة الخامسة. (انظر الخارطة رقم ٣٩)

---

(٦) - Ibid. PP. 423 - 424

(٧) - Ibid. P. 427

خارطة رقم ٣٩: حصار تيتوس لأورشليم



الشكل العام لاورشليم:

تتحصن اورشليم بثلاثة اسوار، باستثناء الجهات المحاطة بوديان او مجاري مياه صعبة الاجتياز، حيث يكفي سور واحد لحماية المدينة. وأصعب هذه الأسوار واكثرها مناعة هو السور القديم لانه محاط بوديان ومجاري مياه ومبني على هضبة تشرف على تلك الوديان والمجاري، بالاضافة الى انه مبني بشكل متين ويصعب اختراقه او تدميره. ويبدأ هذا السور ببرج «هيبيكوس» وينتهي بالرواق الشرقي للهيكل، وقد بني في عهد داود وسليمان والملوك الذين خلفوهما، ويشكل السور الداخلي من الأسوار الثلاثة للمدينة. ويليه نحو الخارج، السور الذي يحيط بالحي الشمالي فقط من المدينة وهو يبدأ بقصر «هيرودوس» وينتهي «بالانطونية»، ويسمى «سور قزحيا». اما السور الخارجي فيحيط بالمدينة كلها: العليا والسفلى والهيكل، ويسمى «سور اغريبا» لان الملك هيرودوس اغريبا الاول هو الذي بناه، وهو يبدأ ببرج «هيبيكوس» وينتهي بوادي «قدرون». ويرتفع على كل سور من هذه الاسوار الثلاثة عدد من البروج، فعلى السور القديم تسعون برجاً، وعلى السور الاوسط اربعة عشر برجاً، وعلى السور الخارجي ستون برجاً. واهم هذه البروج: برج هيبيكوس Hippicus، وبرج بسيفينوس Pséphinus وبرج فسائيل Phasaël (او برج داود) وبرج فاروس Pharos، وبرج مريام Mariamme.

اما اورشليم فتقسم الى قسمين: المدينة العليا، وتقع على هضبة عالية بحيث تصبح اعلى من القسم الثاني الذي هو المدينة السفلى، وتتحصن المدينة العليا هذه بدفاعات طبيعية، لذا سماها داود، ومن بعده ابنه سليمان، بالقلعة.

اما المدينة السفلى فتقع على هضبة تسمى «عقرا» الا انها ليست بارتفاع الهضبة التي تقع عليها المدينة العليا، وهي على شكل هلال.

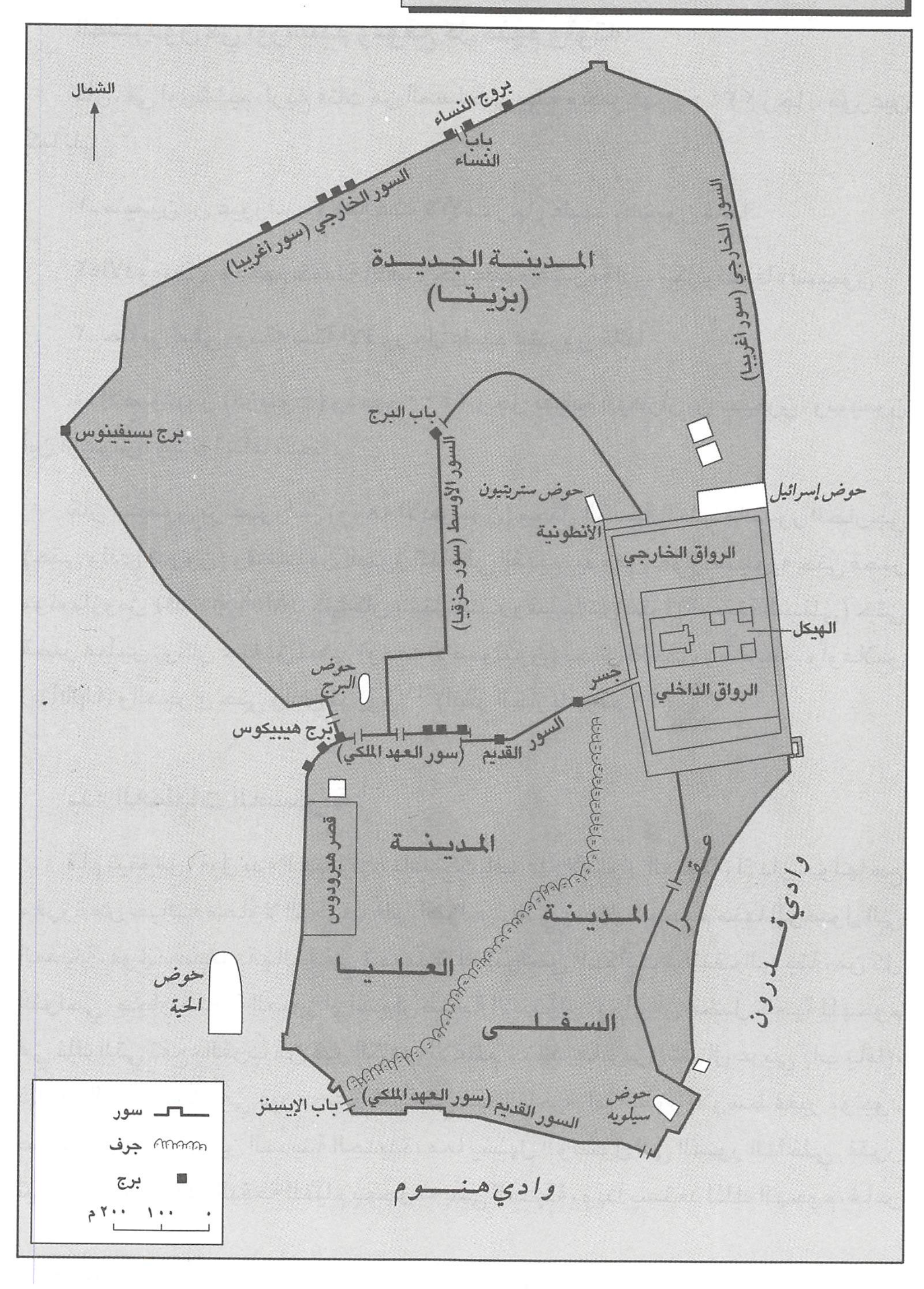
وتقع في مواجهة المدينة السفلى هضبة ثالثة اقل ارتفاعا من «عقرا» وتنفصل عنها بمجرى عريض، ويقوم الهيكل على هذه الهضبة، وقد سبق ان ردم الحشمونيون هذا المجرى لكي يصلوا الهيكل بالمدينة[٨]. كما قام، في شمال الهيكل، في الشمال الشرقي من المدينة، حي جديد سمي «بزيتا Bézétha» او «المدينة الجديدة».

ذلك هو، باختصار، الشكل العام لأورشليم عشية حصار تيتوس لها.

(انظر المخطط رقم ٤)

(٨) Ibid. PP. 428- 432 -

مخطط رقم ٤: أورشليم في عهد تيتوس



المتمردون في اورشليم وموقع كل منهم وقوته:

كان، في اورشليم، اربع فئات من المسلحين يبلغ مجموعهم ٢٣٤٠٠ رجل، موزعين كما يلي:

١ـ سيمون بن غيوراس، ومعه عشرة آلاف رجل عليهم خمسون قائدا.

٢ـ الأدوميون، ومعهم خمسة آلاف رجل عليهم عشرة قادة، وكانوا حلفاء لسيمون.

٣ـ حنا بن ليڤي، ومعه ستة آلاف رجل عليهم عشرون قائدا.

٤ـ الاصوليون (الزيلوت) ومعهم ٢٤٠٠ رجل بقيادة أليعازار بن سيمون، وسيمون ابن آرينوس، وكانوا حلفاء لحنا.

كان سيمون بن غيوراس (ومعه الأدوميون) يحتل المدينة العليا والسور الخارجي (حتى وادي قدرون) وقسما من السور الداخلي القديم، بدء من خزان سيلويه حتى قصر مونوبازوس (Monobazus)، كما كان يحتل النبع وقسما من عقرا (المدينة السفلى) حتى قصر هيلين. وكان حنا بن ليڤي (ومعه الاصوليون) يحتل الهيكل ومحيطه، واوفلاس (Ophlas) والمجرى حتى وادي قدرون[٩]. (انظر الخارطة رقم ٣٩).

بدء العمليات العسكرية:

قام تيتوس، قبل بدء العمليات، باستكشاف عام لأسوار المدينة، اذ دار حولها مع مفرزة من خيالته محاولا التعرف على النواحي التي يسهل الهجوم منها للوصول الى المدينة، فوجد صعوبة بالغة في تحديد تلك النواحي، اذ كانت تكتنف المدينة، من كل النواحي، مجارٍ صعبة العبور او اسوار صعبة الاختراق. ورأى أن افضل ناحية للهجوم هي تلك التي تقع بالقرب من قبر الكاهن الاعظم حنا هرقانوس (شمال غربي باب يافا)، ذلك ان السور الخارجي غير مرتفع كفاية في هذه الناحية، أما السور الاوسط فغير موجود بسبب اهمال تحصين المدينة الجديدة، مما يسهل الوصول الى السور الداخلي. فقرر تيتوس اختيار هذه البقعة للقيام بهجومه على المدينة، وبدأ يستعد لذلك الهجوم، فأمر

---

(٩) Ibid- 438- 439 ومكان قصر مونوبازوس ومكان قصر هيلين غير معروفين.

الفرق بان تتلف ما يقع امامها من ضواحي المدينة، وان يؤتى بالأخشاب اللازمة لاقامة مصاطب اقتراب عالية والاشراف على الاسوار لدكها بواسطة آلات الحرب التي تقام على هذه المصاطب. ثم قسّم جيشه الى ثلاث فئات تقوم بهذه الاعمال مداورة، وأمّن حماية الجنود العاملين على هذه المصاطب بان وضع بينها رماة السهام والنبالين، ووضع امامها بطاريات العرّادات (العقارب) والمجانيق والقاذفات المختلفة وذلك كي يمنع العدو من الخروج بهجمات ضد تلك الاعمال، وضربها من أعلى الاسوار، للحؤول دون الاستمرار في بنائها او هدم ما بني منها[١٠]. وكان المدافعون يرصدون، من اعلى الاسوار والبروج، اعمال المحاصرين، ويحاولون عرقلتها، بالمجانيق والبطاريات القاذفة للنار والسهام وكل ادوات الحرب المعروفة لديهم، فكانوا «يرسلون، الى المصاطب، الحجارة والسهام، من السور، ويخرجون بهجمات حيث يجري القتال وجها لوجه»، ولكن الجنود العاملين في المصاطب كانوا محميين باسلحة رفاقهم كما سبق ان قدمنا. وكانت كل الفرق مجهزة بكل انواع الاسلحة، وخصوصاً الفرقة العاشرة التي تميزت باسلحتها القوية التي كانت تستطيع، بواسطتها «ليس فقط رد هجمات العدو، بل أولئك الذين كانوا على الاسوار ايضاً»[١١].

استمر القصف متبادلا، لفترة طويلة، ورغم ذلك، فقد استطاع الرومان انجاز الاعمال التي كانوا قد بدأوها منذ اول الحصار، مما اتاح لتيتوس ان يقدم آلات الحصار الى مسافة اقرب من الاسوار، فصارت رمايات تلك الآلات على السور اكثر فعالية، وعجز المدافعون اليهود عن الرد عليها واسكاتها، فأمر تيتوس بدفع الاكباش الى السور لكي تبدأ عملية خرقه وفتح الثغرات فيه.

امام هذا الواقع، اوقف اليهود هجماتهم خارج السور، فخلد الرومان الى متابعة اعمال التحصين ظنا منهم ان اليهود قد تعبوا او خافوا فانسحبوا من مواقعهم، ولكنهم فوجئوا، بعد ذلك، بهجوم يهودي من باب مخفي يقع بالقرب من برج هيبيكوس، وقد حمل المهاجمون مشاعل النيران لحرق آلات الرمي الرومانية، وداهموا الرومان في خنادقهم فهزموهم واقتحموا آلات الرمي واشعلوا النار فيها، كما اشعلوا النار في المصاطب (وكانت

(١٠) Ibid, PP. 439- 440 والعقرب، كالعرّاد: قاذف صغير يقذف النبال والسهام والحجارة الصغيرة.

(١١) Ibid. P. 441 -

مبنية من الاخشاب). ولم يتوقف هجوم اليهود الا بعد ان تدخل تيتوس بنفسه ومعه نخبة من خيالة الجيش الروماني «وقد قتل، بيده، اثني عشر من الصف الاول» من المهاجمين، فخاف اليهود وهربوا، «وتبعهم تيتوس، وارغمهم على اللجوء، جميعا، الى المدينة، وانقذ الاعمال من الحريق»، وقد قتل، في هذه المعركة، قائد الأدوميين بسهم اطلقه عليه عربي[١٢].

ما كان لتيتوس ان يستكين امام هذا التحدي، فأمر ببناء ثلاثة بروج عالية تشرف على السور الخارجي، مع مصاطب اقتراب توضع عليها آلات الرمي وترمي على المدافعين عن ذلك السور فترغمهم على الانكفاء. وقد نجحت خطة تيتوس هذه، اذ ان اليهود لم يستطيعوا الثبات امام رمي المجانيق والقاذفات الرومانية، فانكفأوا الى السور الاوسط، عندها امر تيتوس باقتحام السور الخارجي واحتلاله، ثم امر بالاسراع في احتلال السور الاوسط كي لا يتيح لليهود الوقت الكافي للتمركز عليه والدفاع عنه.

ولكن اليهود صمدوا امام هجمات الرومان على السور الاوسط، ودارت بين الفريقين معركة استمرت طوال النهار، يقول يوسفوس: «من اول النهار الى آخره، لم نشهد سوى انقضاضات ومعارك على الاسوار، وهجمات بتشكيلات القتال الذي لم يهمل المقاتلون اي شكل من اشكاله، ولم يكد القتال يتوقف في الليل حتى عاد المقاتلون اليه عند الفجر»[١٣]. وكان تيتوس موجوداً في كل مكان في المعركة، لذا، كان الجنود الرومان يخجلون من ان يتخاذلوا او ينهزموا بحضور قائدهم، فقاتلوا بضراوة منقطعة النظير، وظل القتال مستعرا الى ان تمكن الرومان من احتلال السور الاوسط الذي تركه المدافعون عنه بعد ان اشعلوا النار فيه، ودخل تيتوس المدينة الجديدة على رأس الف من جنوده ومعه النخبة من جيشه التي ترافقه شخصيا، وقد اعطى تعليماته للجند ان «لا يقتلوا موقوفا ولا يحرقوا منزلا»، وسمح للمتمردين «ان يخرجوا بأمان اذا ارادوا متابعة القتال دون الاضرار بالشعب» كما وعد الشعب، في الوقت نفسه «بترميم ممتلكاته»[١٤].

ولكن الرومان لم يستطيعوا البقاء طويلا في المدينة الجديدة، اذ سرعان ما استرد

---

(١٢) Ibid. PP. 442- 443 -

(١٣) Ibid. P. 444 -

(١٤) Ibid. P. 447 -

المدافعون اليهود نشاطهم، وبدأت النجدات تصل اليهم من داخل المدينة، فازداد عددهم وبدأوا يهاجمون الرومان الذين حشروا بين المقاتلين من الامام والسور من الخلف. ولم يكن بامكانهم الانكفاء الى خارج السور بسهولة لان الثغرة التي فتحوها فيه لم تكن كافية لخروج حشودهم، فقاوموا هجمات المدافعين بضراوة الى ان تمكن تيتوس من نجدتهم، كما في كل مرة، بخيالته وجنوده المنتخبين الذين كروا على اليهود فأزاحوهم عن مواقعهم وأتاحوا لرفاقهم الانكفاء الى خارج السور. ورغم ذلك، فقد أصر تيتوس على معاودة اقتحام السور الاوسط فاقتحمه، من جديد، واستمر القتال حوله، ثلاثة ايام كاملة، الى ان تمكن من احتلاله في اليوم الرابع، مرغما اليهود على التراجع الى الداخل، وما ان احتله حتى دمر القسم الشمالي منه، وأقام، في البروج الواقعة في القسم الجنوبي، مخافر للحراسة، وبدأ يستعد لاقتحام السور الداخلي، وهو السور الاخير(١٥).

وكان تيتوس، رغم ذلك كله، ميالا لدخول المدينة سلما، فحاول ان يقنع المتمردين، وخصوصا بعد سقوط السور الاوسط، ان الحصار سيكون محكما وان الجوع سيستفحل باهل المدينة. وحاول، كذلك، ان يغريهم بالسلم، بكل وسيلة، «فأمر الضباط ان ينظموا الجند في ترتيب المعركة ويدفعوا الرواتب لهم على مرأى من العدو» فاذا بأشد المدافعين ضراوة «يصاب بالرعب لمرأى الجيش الملتئم في مكان واحد، ولجمال الاسلحة وانضباط الجند»(١٦). ولم يهمل تيتوس، مع ذلك، استعداداته للقتال، فقسم جيشه الى قسمين وشرع في اعادة بناء المصاطب «القريبة من الانطونية والمواجهة لها من جهة، والقريبة من قبر حنا (قائد الأدوميين) من جهة اخرى»، وكان في نيّته «احتلال المدينة العليا من هذه الجهة، واحتلال الهيكل انطلاقا من الانطونية». وهكذا اخذت المصاطب ترتفع في الجبهتين المذكورتين، رغم محاولات منع قيامها من قبل الأدوميين من جهة قبر حنا، ومحاولات منع قيامها من قبل الاصوليين (الزيلوت) ورجال حنا (الیڤي) المتحالفين، من جهة الانطونية، ورغم الهجمات المتكررة التي كان يشنها رجال سيمون. وهكذا نشط المدافعون اليهود نشاطا ملحوظا في منع اقامة تلك المصاطب، وكانوا يشرفون، من المدينة العليا، على الجنود وهم يعملون فيها، ويستخدمون ضدهم كل آلات الحرب من

(١٥) Ibid. PP. 448 - 449 -

(١٦) Ibid. P. 449 -

قاذفات ومجانيق وعقارب (اذ كان لدى المدافعين ٣٠٠ عقرب و٤٠ قاذفة ومنجنيقاً) مما جعل متابعة العمل في بناء تلك المصاطب امراً صعبا، ورغم ذلك كله، أصر تيتوس على متابعة العمل مستخدما سلاحي الدفاع والاغراء، فامر تيتوس «يوسفوس» بالطواف حول السور ودعوة المدافعين، بلغتهم، للتفاوض، محاولا ان يغريهم بفضائل السلم والامن والتعاون مع امبراطورية قوية كالامبراطورية الرومانية وجيش لا يقهر كجيش الرومان. ولم يلق يوسفوس تجاوبا من بني قومه على دعوته، واخذ تيتوس يسهل في الوقت نفسه، خروج الاهالي من المدينة لاخلائها من غير المقاتلين، كل هذا، بينما كان بناء المصاطب يتقدم بشكل حثيث[١٧].

بدأ العمل ببناء المصاطب في الثلاثين من ايار / مايو عام ٧٠م، وكاد ينتهي بعد سبعة عشر يوما من بدء العمل بها. وكانت اربع مصاطب: واحدة اقامتها الفرقة الخامسة باتجاه الانطونية، عند زاويتها الشمالية الغربية، في وسط حوض يدعى «ستريتيون Struthion»، والثانية اقامتها الفرقة الثانية عشرة على مسافة عشرين ذراعا من الاولى، والثالثة اقامتها الفرقة العاشرة شمال السور الداخلي، في حوض يدعى «أميغدالون Amygdalon» (بالقرب من باب يافا، شمال السور الخارجي)، والرابعة اقامتها الفرقة الخامسة عشرة على مسافة ثلاثين ذراعا من المصطبة السابقة، بالقرب من قبر الكاهن الأعظم[١٨]. في هذه الاثناء، كان المدافعون اليهود يحاولون، مستميتين، منع انجاز العمل بالمصاطب، ولما عجزوا عن ذلك عمدوا الى وسائل اخرى لتدمير ما بناه الجنود الرومان، فقد كان «حنا ليڤي» يقوم، في الوقت نفسه، بحفر نفق من الانطونية حتى مكان المصطبة الأولى، بحَيث اصبحت تلك المصطبة تقوم على فراغ، ثم ادخل، في النفق، وتحت المصطبة، اخشابا وزفتا واشعل النار فيها فهوت المصطبة بمن عليها، مما اثار الذعر في صفوف الجند الرومانيين. وبعد يومين من هذه العملية، قام سيمون بهجوم على باقي المصاطب فتمكن من اشعال النار فيها، ودخل المهاجمون اليهود خطوط الرومان الذين كانوا يحاولون اطفاء النيران المشتعلة في المصاطب وفي آلات الحرب القائمة عليها من جهة، ويردون هجمات اليهود وضرباتهم من جهة اخرى، حتى جرى القتال بين الفريقين بالسلاح الأبيض

(١٧) Ibid. PP. 449- 450 - وكان «يوسفوس» قد انضم الى الرومان ضد بني قومه.

(١٨) Ibid. PP. 461- 463 -

ووجها لوجه. ولما وجد الرومان انفسهم محشورين بين المهاجمين اليهود من جهة والنيران المشتعلة من جهة اخرى، ولما عجزوا عن انقاذ آلات الحرب التي بدأت النيران تأكلها فتصبح رمادا، عندها، لم يروا بدا من الانكفاء، ولم ينقذهم من الهلاك الا تدخل تيتوس نفسه، مرة اخرى، اذ قام، مع جنده المنتخبين، بحركة التفاف على المهاجمين وشن عليهم هجوما جانبيا، مما عزز مقاومة الرومان في مواجهة اليهود الذين اصبحوا محشورين مواجهة ومجانبة فعادوا ادراجهم الى داخل المدينة(١٩).

بعد كل ما جرى، قرر تيتوس اتباع خطة جديدة وحاسمة في التعامل مع اورشليم، فعقد مجلسا استشاريا مؤلفا من كبار ضباطه الذين انقسموا، في اثناء المناقشات، الى فريقين:

- فريق، وهو المتحمس للقتال، يرى بان يقوم الجيش باسره بهجوم عام على السور فيحتله.

- وآخر، وهو الاكثر تعقلا وحذرا، انقسم بدوره، الى رأيين:

رأي يقول باعادة بناء المصاطب، وآخر يقول بان يُكتفى بحصار المدينة على ان لا يُسمح لاحد بالخروج منها، وان لا يُسمح بادخال المؤن اليها، وان لا تصل المؤن الى اهلها باية وسيلة من الوسائل، وان يتركوا للجوع حتى يرضخوا ويستسلموا.

وكان تيتوس يرى انه من العار على جيش كبير كجيشه ان يبقى، حول اسوار اورشليم، بلا فاعلية، وانه من الصعب اعادة بناء المصاطب نظرا لعدم توافر الاخشاب كما كان الامر في السابق، كما انه من الصعب اقامة الحراسة بشكل يمنع، تماما، خروج اليهود من مراكزهم على السور لمهاجمة المحاصرين، وانه من الصعب محاصرة المدينة بشكل محكم، بواسطة الجيش وحده، وذلك بسبب سعة محيطها وصعوبات الارض، مما يعرض الجيش المحاصِر، في هذه الحالة، للخطر، بفعل هجمات المدافعين اليهود، اذ انه، مهما كان الجيش عليما بممرات التسلل من المدينة الى خارجها، فسيظل اليهود ادرى بالممرات المستترة التي لا بد من ان يصعب على الجيش المحاصِر اكتشافها، فيسهل على المدافعين، عندئذ، مهاجمته، مما يعرّضه للخطر الشديد، كما يسهّل عليهم ادخال المؤن بسرية تامة، وهذا ما يُطيل امد الحصار.

لكل هذه الاسباب، مجتمعة، قرر تيتوس بناء سور جديد حول المدينة يحول، بشكل

---

(١٩) Ibid. PP. 463- 465 -

صارم ومحكم، دون خروج اليهود منها، سواء أكان خروجهم لمواجهة الجيش الروماني ام للتفتيش عن الطعام، ويعرضهم لخطر الموت جوعا، ويرغمهم، بعد ذلك على الاستسلام، كما انه قرر اقامة مصاطب اقتراب جديدة في مواجهة المراكز الدفاعية المتبقية في المدينة. ثم أمر ببدء التنفيذ فورا، وبسرعة.

وبالفعل، بدء بناء السور فورا، وبسرعة، واخذ تيتوس يشرف عليه ويزور، شخصيا، أماكن العمل، عدة مرات في اليوم، وقد بدأ السور من «معسكر الأشوريين» (حيث كان يقوم معكسر تيتوس)، حتى «المدينة الجديدة» فوادي قدرون، فجبل الزيتون، ثم اتجه جنوبا، ملتفا حول الجبل المذكور حتى صخرة «بيريستيريون» (Péristeréon) أي «صخرة الحمامة» فالهضبة التي تليها، وهي الهضبة المشرفة على مجرى سيلوام (او سيلويه)، ثم غربا، في مجرى «النبع»، ثم صعودا نحو قبر الكاهن الاعظم انانوس، ثم شمالا حتى ضاحية «بيت بواشيش La maison des Pois Chiches» التي اجتازها حول هيرودوس، حتى التقى، شرقا، بالنقطة التي انطلق منها، عند معسكر القائد (تيتوس). وقد بلغ محيط هذا السور بكامله ٣٩ غلوة، واقيم عليه ١٣ برجا بلغ محيطها عشر غلوات اضافية الى محيط السور. وقد استغرق بناء السور ثلاثة ايام فقط، بحيث سد مداخل المدينة وكل مساربها، وأقام تيتوس عليه حراسة مشددة كان يشرف عليها بنفسه، ومعه ضباطه الكبار، اذ انه كان يقوم، بنفسه، بجولات تفتيشية على الخفراء في الهزيع الأول من الليل، تاركا، لضباطه الكبار، أمر القيام بهذه الجولات في الهزيع الاخير منه[٢٠].

ثم شرع تيتوس باعادة بناء المصاطب الا انه وجد صعوبة كبيرة في تأمين الاخشاب اللازمة لها، فاكتفى ببناء مصاطب في مواجهة الانطونية فقط[٢١].

ويصف يوسفوس في كتابه «حرب اليهود» وبصفحات بالغة التأثير، مرحلة الجوع هذه في اورشليم، وهو جوع استمر حتى الموت الرهيب للآلاف من اهل المدينة. يقول يوسفوس في ذلك: «كان النساء ينتزعن الطعام من أفواه أزواجهن، والأبناء ينتزعونه من أفواه آبائهم، وما هو اكثر مدعاة للرثاء ان الامهات كن ينتزعن الطعام من أطفالهن، ولم يكنّ يتردّدن في حرمانهم من نقاط ماء تعيد اليهم الحياة، بينما هم يذبلون بين أذرعهن»[٢٢].

---

(٢٠) Ibid. PP. 463- 465 - ومكان «بيريستيرون» او «صخرة الحمامة» ومكان «بيت بواشيش» غير معروفين.

(٢١) Ibid. P 466 -

(٢٢) Ibid. P. 457 -

ويروي يوسفوس، في مكان آخر من كتابه، وباسلوب بالغ التأثير ايضا، قصة الام ماري بنت أليعازار، التي اكلت ابنها، اذ يقول إن هذه المرأة «قتلت طفلها، وشوته، وأكلت نصفه واحتفظت بالنصف الباقي ملفوفا» وعندما شم المتمردون رائحة الشواء في منزلها، داهموا المنزل فبادرتهم بالقول: «نعم، انه طفلي، وانا التي فعلت ذلك، كلوا، لانني، انا نفسي، اكلت منه بشهية. لا تكونوا أضعف من أمرأة واكثر رأفة من ام»[٢٣]. ويقول ايضا: «كان الاطفال والشباب باجسادهم المنتفخة، يدورون كالاشباح، في أماكنهم، ويسقطون حيث الموت يلتقطهم.... وكان الكثيرون يقعون موتى على أولئك الذين كانوا يدفنونهم، كما كان الكثيرون يذهبون الى قبورهم قبل ان يدركهم الموت»[٢٤]. ويقدّر يوسفوس نفسه عدد الموتى من الجوع في اورشليم، في هذه المرحلة، بما يلي:

أ ـ عدد الجثث التي أخرجت من البوابة التي كان رجال أمناوس بن أليعازار يقومون بحراستها (وهي التي اخرجت من هذه البوابة دون سواها من بوابات المدينة، واحصاها اولئك الرجال): ١١٥٨٨٠ جثة، وذلك في الفترة الواقعة ما بين اول ايار/ مايو و ٢٠ تموز/ يوليو عام ٧٠م. وفقا لما صرّح به أمناوس نفسه وكان قد لجأ الى تيتوس.

ب ـ عدد جثث الفقراء التي ألقيت من بوابات المدينة الى خارجها، وفقا لما صرح به عدد من أعيان المدينة الذين التحقوا بتيتوس، بعد لجوء أمناوس اليه: ٦٠٠ الف جثة.

ج ـ «عدد الموتى الآخرين لا يمكن تحديده»[٢٥].

فيكون عدد الموتى جوعا من جراء هذا الحصار وفقا لتصريحات أعيان أورشليم، في ذلك الحين هو ٧١٥٨٨٠ نسمة، عدا ذلك العدد من الموتى الآخرين «الذين لا يمكن تحديده» بحسب ما ورد على لسان يوسفوس.

واننا اذ نرى في هذه الأعداد مبالغة لا يقبلها منطق ولا عقل، نعلن ان ذكرنا لها لا يتعدى رغبتنا في تقديم صورة، ولو غير صحيحة، عن ما يدعي اليهود انه قد نتج عن حصار تيتوس لاورشليم من نكبات كان سببها، في الاساس، اليهود انفسهم، خصوصا

---

(٢٣) Ibid. PP. 491- 492 -

(٢٤) Ibid. P. 465 - وانظر Ibid. PP. 495- 470 -

(٢٥) Ibid. PP. 470- 471 -

وان معظم الفظائع التي جرت ضد اليهود، في أثناء الحصار، وفي مرحلة الجوع هذه، كانت على ايدي المتمردين اليهود أنفسهم، وهو ما ذكره يوسفوس نفسه في كتابه(٢٦). مع ما يمكن ان يلمسه القارئ، في مثل هذه المبالغات، من اثارة للشعور اليهودي لا تزال تتفاعل لدى اجيالهم المتتالية، رغم مرور عشرين قرنا عليها.

اتم الرومان انجاز المصاطب خلال واحد وعشرين يوما، وقد قطعوا، لبنائها، كل الاشجار المحيطة بالمدينة، حتى أضحت الارض، حولها، صحراء بلا ظل، وقد بدأ القتال يدور حول هذه المصاطب: يحاول المدافعون الوصول اليها لاحراقها وتدميرها، ويسعى الرومان جاهدين لحمايتها فيضاعفون حراستها، وقد فشل المدافعون في الوصول الى تلك المصاطب بينما اقام الرومان بها، وباسلحتهم وتروسهم، سورا جديدا في وجه المدافعين لا يمكن اختراقه.

وانطلاقا من المصاطب، بدأ الرومان يعملون لاختراق السور الاخير الذي يفصلهم عن الهيكل والمدينة، مستخدمين مختلف الاسلحة واهمها المجانيق والاكباش والقاذفات، بينما يطلق المدافعون عليهم مختلف الرمايات، كذلك، بدءا بالحجارة الضخمة، من الانطونية خصوصا، وانتهاء بالنار والحديد ومختلف المقذوفات، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلا امام الصفوف المتراصة المتترسة والفن العسكري المتطور الذي يمارسه الرومان في قتالهم، فتراجعوا، واستطاع الرومان الوصول الى السور وانتزاع بعض الاحجار منه وإعمال رؤوس الأكباش ضربا فيه لاختراقه، فإذا به ينهار فجأة ويندفع الجنود الرومان من الثغرة المفتوحة باتجاه الانطونية والهيكل. وحاول المدافعون سد تلك الثغرات باجسادهم وبهجماتهم حيث خاضوا مع المهاجمين قتالا شرسا بالسلاح الابيض، بينما اجتهد قسم منهم باقامة سور بديل يمنعون بواسطته تقدم المهاجمين نحو الهيكل. وقد نجح المدافعون في ذلك، اذ انهم اقاموا، امام الهيكل، سورا جديدا اعاق تقدم الرومان نحوه، وقد باءت كل المحاولات التي جرت لاحتلاله (حتى ٢٢ تموز/يوليو عام ٧٠م) بالفشل(٢٧).

وفي ٢٤ منه، قرر عشرون جنديا من الحرس المتقدم للمصاطب، مع حامل شعار

- Ibid. PP. 457- 458 et 465- 470 et 490- 492 (٢٦)

- Ibid. PP. 473- 478 (٢٧)

الفرقة الخامسة، وخيّالين، وبواق، ان يقوموا بمغامرة لاحتلال السور، فتقدموا، في الهزيع الاول من الليل، وبلا ضجة، ومن خلال الركام، باتجاه الانطونية، فوجدوا حراس السور نائمين، فذبحوهم واحتلوا السور من تلك الجهة، وضربوا النفير عاليا. وما ان سمع باقي الحراس على السور النفير حتى ولّوا هاربين دون ان يحاولوا معرفة مصدر الصوت وقوة المهاجمين، وتبعهم، في الهرب، اليهود المدافعون عن السور جميعهم، واتجهوا نحو الهيكل ولجأوا اليه. اما الرومان فما ان رأوا ذلك حتى هبوا لاحتلال السور، ولكن المدافعين استعادوا رباطة جأشهم وانقسموا الى فريقين:

فريق بقيادة (حنا ليڤي) وآخر بقيادة (سيمون)، وارتدوا على المهاجمين حيث دارت معركة عنيفة بين هؤلاء وأولئك، على مداخل الهيكل وحوله، استخدمت فيها مختلف الاسلحة القريبة المدى (السهام والرماح والسيوف)، وكانت الخسائر بالارواح بالغة لدى الفريقين حيث كان المقاتلون «يمشون على اجساد القتلى وسلاحهم فيحطمونها»، وقد استطاع المدافعون، اخيراً، رد الهجوم الروماني وإبعاد المهاجمين عن الهيكل «باتجاه الانطونية»(٢٨).

بعد هذه المعركة، بدأ تيتوس يستعد لجولة اخرى لاحتلال الهيكل، فامر قواته بان تدمر الانطونية كما امر بالاعداد لتقدم الجيش، كله، نحو الهيكل. ورغم انه لم يتخلَّ، خلال ذلك، عن عمليات المفاوضة، اذ كلف يوسفوس باقامة حوار مع (حنا ليڤي)، وان كان بلا طائل، فقد قرر معاودة الاعمال العسكرية، واختار، لذلك، ثلاثين من خيار الجند من كل مئة (Centurion)، وأوكل كل الف منهم الى قائد كتيبة (Tribun)، وعيّن سيرياليس(Céreális)، قائد الفرقة الخامسة، قائدا للجميع، وأمره بان يشن هجوما على مخافر المدافعين في الهزيع الاول من الليل، بينما احتل هو، عند الانطونية، موقعا مرتفعا يستطيع، منه، ان يرى ويسمع كل الذي سيجري على ساحة المعركة.

المعركة الليلية: وصل جند تيتوس الى مواقع المدافعين فوجدوا الخفراء يقظين، على غير ما كانوا يأملون، وجرت بين الفريقين معركة بالسلاح الابيض تنبّه، على اثرها، باقي المقاتلين اليهود الذين كانوا في الداخل فهبوا لمساندة رفاقهم. وتلقى الرومان المهاجمون الصفوف الاولى من المقاتلين اليهود الذين حملوا عليهم، ولكن ظلام الليل

---

(٢٨) - Ibid. PP. 478- 479

جعل المقاتلين، من كلا الطرفين، يقتل بعضهم بعضا، اذ يحسب كل فريق رفاقه اعداء له، ولم يكن ممكنا التمييز بين المقاتلين لا بالصوت ولا بالشكل، وقد أدت استحالة تعرف كل من المقاتلين على رفاقه في كل فريق الى وقوع خسائر بالارواح كانت عند الرومان اقل منها عند اليهود، وذلك لان الجنود الرومان كانوا يتدرّأون بالأتراس الحديدية، ويتقدمون نحو العدو في صفوف متراصة، بالسرايا، وفي نظام عسكري محكم، بالاضافة الى ان كل جندي روماني كان يحفظ كلمة السر، وهو ما لم يكن متوافرا للمقاتلين اليهود الذين كانوا يقاتلون متفرقين ومبعثرين، يتقدمون ويتقهقرون دون اي نظام يربطهم او اي تنسيق فيما بينهم، فكان كل منهم يتلقى رفيقه الذي يقاتل امامه ثم يستدير فيحسبه عدوا ويطعنه بسيفه. وهكذا، فقد سقط من اليهود قتلى وجرحى على ايدي رفاقهم اكثر مما سقط منهم على ايدي الاعداء، وما ان طلع النهار حتى اصبح التمييز بين الرفاق والاعداء واضحا، فانتظم جند كل من الفريقين في وحداتهم واصبحوا يقاتلون بانتظام، الا ان ايا منهما لم يتراجع ولم ينل منه اي تعب، واستمر القتال، بعد طلوع الفجر، وحتى الظهر، دون ان يتمكن اي من الفريقين ان يزيح الفريق الآخر عن المواقع التي بدأ فيها القتال، او يحرز اي انتصار عليه[٢٩].

في هذه الاثناء، كان باقي الجيش الروماني يستعد لاقتحام الهيكل، حيث دمر الانطونية، وأعدّ عبّارات واسعة للعبور اليه، واقتربت الفرق من السور المحيط به وبدأت باقامة المنصّات قبالته، وما ان انتهت من ذلك حتى بدأت هجومها عليه.

ودارت معركة حاسمة بين الطرفين حول الهيكل، تميز، خلالها، اليهود بدفاعهم المستميت، والرومان بقوتهم المقرونة بفنهم العسكري المتميز. وبينما لم يكن لليهود من امل سوى شق طريق، بالقوة، عبر السور، كان الرومان يقتحمون الهيكل بهجمات متتالية، بلا كلل، ويسرعون، جاهدين، في اقامة المنصّات اللازمة لإسناد الهجوم.

في هذه الاثناء، كان المقاتلون اليهود يتحسسون، شيئا فشيئا، اقتراب المعركة من نهايتها التي لن تكون لمصلحتهم، ويرون العدو يتقدم بخطى واثقة نحو المعبد، وأملاً منهم بان يفصلوا بينه وبين المواقع التي احتلها المهاجمون، اقدموا على اشعال النار في القسم الشمالي الغربي من الرواق الذي يصل الانطونية (حيث موقع المهاجمين) بالمعبد، وهكذا، «بدأ اليهود، انفسهم، باحراق الاماكن المقدسة، بايديهم»، ولم يمض يومان على

---

(٢٩) Ibid. PP. 478- 479 -

ذلك، حتى اقدم الرومان (بتاريخ ١٢ آب/ اغسطس عام ٧٠م) على اشعال النار في الرواق المجاور، وامتد اللهب الى مسافة ١٥ ذراعا، فما كان من اليهود الا ان «دمروا السقف، وبلا ادنى احترام لهذه الانجازات، دمروا ما كان يصلهم بالانطونية. ولما لم يعد بامكانهم السيطرة على الحريق، فانهم لم يحركوا ساكنا امام هجمة النار هذه، ولم يحدّوا من تقدمها بالشكل الملائم»، وفي هذه الاثناء، كان القتال لا يزال مستعرا بين الفريقين حول الهيكل[٣٠].

في السابع والعشرين من آب/ اغسطس عام ٧٠م، أنجزت فرقتان من الجيش الروماني المصاطب المكلّفة انشاؤها، فأمر تيتوس بان تقترب الاكباش من الجهة الغربية للهيكل، وقبل وصولها، كانت القاذفات قد دكت جدار الهيكل طوال ستة ايام متتالية دون ان تنجح في التأثير عليه، لكن بعض الجند نجح في اقتلاع احجار من قاعدة الباب الشمالي املا بان ينهار الجدار والباب معا، ولكن ذلك لم يحدث. وعندما رأى الرومان أن كل وسائل الخرق والتدمير وآلات الحصار لم تعد نافعة، استعانوا بالسلالم وتسلقوها للوصول الى الرواقات، فتصدى لهم اليهود من الداخل واستطاعوا ردهم بعد ان قتلوا عددا منه، وخصوصا، اولئك الذين كانوا لا يزالون على السلالم حيث هوت بهم فسقطوا في الفراغ، وما ان لامسوا الارض حتى تحطموا. وحاول الرومان التسلق من جديد، الا ان المدافعين استطاعوا التغلب عليهم وقتل الكثير منهم، فانكفأ الباقون منهزمين. عندها، وجد تيتوس أنه لا بد من استخدام وسائل اخرى اكثر شجاعة، فأمر باشعال النار في البوابات، الا ان النار امتدت وبسرعة فائقة، من البوابات الى كل الاماكن الخشبية المجاورة، ومنها الى الاروقة.

واستمر الحريق النهار بطوله، والليل الذي تبعه، وحوصر المدافعون اليهود بالنار من كل جانب، ولم يعد امامهم اي مخرج يؤمن سلامتهم، وقد أصابت الدهشة معظمهم، فوقفوا، مشدوهين، يتطلعون الى النار وهي تمتد سريعا في كل اتجاه، دون ان يسعوا لاخمادها او ايقاف امتدادها.

وفي اليوم التالي، امر تيتوس جيشه بايقاف الحريق وفتح طريق الى البوابات يسلكه الجيش اليها، ثم جمع قادة الجيش واركانه لتدارس مصير الهيكل، فاجتمع اليه القادة الستة وهم:

---

(٣٠) Ibid. PP. 486- 488 -

ـ تيبيريوس الكسندر، رئيس الاركان العامة	Tibérius Alexander
ـ سكستوس سيرياليوس، قائد الفرقة الخامسة	Sextus Céréalius
ـ لاركوس لبيدوس، قائد الفرقة العاشرة	Larcus Lépidus
ـ تيتوس فريجيوس، قائد الفرقة الخامسة عشرة	Titus Phrygius
ـ فرونتون آرتيريوس، قائد فرقتي الاسكندرية	Fronton Artérius
ـ مارك، انطونيوس جوليان، والي اليهودية.	Marc- Antoine Julien

ومعهم الوكلاء العامون وقادة الكتائب. وبسط تيتوس الوضع العام امام المجتمعين وشرح لهم دقة الموقف وطلب من كل منهم ابداء رأيه في مصير الهيكل، فانقسم المجتمعون الى فئتين:

ـ فئة متشددة، ترى تطبيق قوانين الحرب على الهيكل ما دام اليهود لا يزالون معتصمين فيه، وترى كذلك انهم لن يتخلوا عن الثورة ما دام الهيكل قائماً كمكان يلتقون فيه من كل اطراف البلاد.

ـ فئة أخرى معتدلة، ترى الاحتفاظ به، شرط ان يخليه اليهود ولا يبقى فيه مسلح واحد، ويُحرَق اذا ما عمد اليهود الى دخوله واستخدامه للقتال، اذ انه لن يظل، عندئذ، هيكلا ومكانا للعبادة، بل يصبح حصنا يجب تدميره واحتلاله، وعندها، لا يقع الاثم على الرومان، بل على اليهود انفسهم.

وكانت الكلمة الاخيرة لتيتوس الذي اتخذ القرار التالي:

«حتى لو ان اليهود استخدموا الهيكل للقتال، فهو لن ينتقم من الرجال على اشياء جامدة، ولن يحوِّل، ابدا، الى رماد، اثرا بهذا الجمال، لان ذلك سوف يسيء الى الرومان، مع الاشارة الى انه، لو بقي، لكان حلية تزدان الامبراطورية بها». وقد أيده، في رأيه هذا، كل من فرونتون والكسندر وسيرياليوس. وعندها انهى تيتوس الاجتماع وأمر ضباطه باعطاء الفرصة لوحداتهم كي ترتاح استعدادا للمعركة، الا انه امر النخبة من كتائب الخيالة شق طريق بين الخرائب، والعمل لإطفاء الحريق[٣١].

(٣١) Ibid. PP. 493- 495 -

كان خفراء الجيش الروماني عند بوابة الباحة الخارجية للهيكل عندما شن اليهود المحاصَرون في داخل الهيكل هجوما عليهم، ولكن الحرس الروماني الذي تدرأ بالتروس، لرد سهام المهاجمين ونبالهم، صمد امامهم، ولكن صموده لم يدم طويلا بالنظر الى كثرة عدد المهاجمين وعنف هجومهم. وكان تيتوس يراقب تطورات المعركة من موقعه في الانطونية، فما ان رأى تخلخل جبهة جنوده المقاتلين حتى اسرع في ارسال تعزيزات من خيالة النخبة اليهم. ولم يتمكن اليهود من الصمود في وجه خيالة الرومان فانهارت صفوفهم الاولى امامها، وانهزم الباقون. ولكن ما ان بدأت الخيالة انسحابها حتى استدار اليهود المنهزمون نحوها يبغون الانقضاض عليها، فواجهتهم الخيالة من جديد وهزمتهم، وعندها لجأوا الى الهيكل الداخلي واعتصموا فيه.

إنكفأ تيتوس برجاله الى الانطونية، بعد ان كان قد قرر احتلال الهيكل في فجر اليوم التالي، اي في الثلاثين من آب/ اغسطس عام ٧٠م، وأعدّ الجيش بكامله، لهذا الغرض. ولكن الأقدار كانت قد أعدت للهيكل، في ذلك اليوم، شأنا آخر، اذ ان اليهود كانوا قد عادوا، صباح ذلك اليوم، للهجوم على الرومان من جديد، كما ان قتالا نشب، عند المعبد، بين حراسه اليهود وبين الجنود الرومان المكلفين اطفاء الحريق في الباحة الخارجية للهيكل، فهزم الحراس اليهود امام الجنود الرومان الذين طاردوهم حتى المعبد، حيث اقدم جندي، بمبادرة منه، وبلا اوامر، على رمي شعلة ملتهبة من باب صغير يتصل، من الجهة الشمالية، بالمساكن المحيطة بالمعبد، فالتهمت الحرائق تلك المساكن وامتدت منها الى المعبد. وما ان علم تيتوس بذلك حتى هب لاطفاء الحريق، واخذ يصرخ بجنده لكي يهبوا، بدورهم، لاطفائه، لكن بعضهم أصم أذنيه عن سماعه، بل انه ما ان وصل الى مقربة من المعبد حتى أخذ يرمي الشعل الملتهبة بداخله. اما اليهود المحاصَرون فقد اسقط في ايديهم جميعا، وظلوا حيارى مذهولين مذعورين لا يدرون ماذا يفعلون، فهم محاطون بالنار والاعداء من كل جانب، وليس امامهم الا الموت احتراقا او قتلا، بينما كان الجنود الرومان يقتلون كل من صادفوه من اليهود مقاتلا كان ام غير مقاتل، حتى «تكدست اكوام من الجثث قرب المذبح. وعلى طول درجات المعبد كان الدم يجري ويجرف أجساد الضحايا»[٣٢].

ولم يعد بامكان تيتوس ان يسيطر على جنده المندفع، بوحشية وغضب، نحو الهيكل

(٣٢) Ibid. PP. 495- 496 -

واليهود، يدمر ويقتل ويسبي، كما لم يكن بامكانه قط ان يسيطر على النار التي اخذت تمتد في كل اتجاه في الهيكل كانما تمتد في هشيم، وكل ما كان بامكانه ان يفعله هو ان يتأمل وضباطه «المعبد المقدس مع كل ما يحتويه، مجموعة تفوق ما اشتُهرت به عند الاجانب، وليست ابدا اقل من تلك الصورة التي رسمت لها عند الامم». ولم تكن النار قد وصلت بعد الى الداخل، وان تكن قد التهمت المساكن المحيطة بالمعبد. وحاول تيتوس، في هذه الاثناء، جاهدا ان يحث الجند والضباط على انقاذ ما تبقى من الهيكل، الا ان احدا لم يصغ اليه، اذ كان الجنود مدفوعين «بغضبهم، وحقدهم على اليهود» كما كانت اكثريتهم منشغلة بالسلب والنهب. وفيما كان تيتوس منشغلا باستعادة زمام الامور في الجيش، أقدم احد الجنود، في الظلام، على رمي شعلة ملتهبة على باب المعبد فاشتعل، وامتدت النار الى داخل المعبد، فانسحب تيتوس وضباطه ولم يبق منهم احد يمنع الجنود الذين كانوا خارج المعبد، من اذكاء النار في داخله. ويختم يوسفوس روايته هذه بشهادة تبرئ تيتوس من احراق الهيكل، اذ يقول: «وهكذا احرق المعبد رغم ارادة القيصر»[٣٣].

وكان احراق الهيكل في العام الثاني من ملك الامبراطور فسباسيان[٣٤]، وفي الثلاثين من شهر آب/اغسطس عام ٧٠م، وفي التاسع من شهر آب بالتقويم العبري[٣٥].

وبعد احراق الهيكل، احتل المتمردون القصر الملكي (قصر هيرودوس) وذبحوا من كان قد لجأ اليه من اهل المدينة، وقد بلغ عددهم نحو ثمانية آلاف واربعماية نسمة. وفي اليوم التالي، كان الرومان قد احتلوا كامل المدينة السفلى، واحرقوا كل المنطقة حتى حوض سيلويه (او سيلوام)، وبدأ تيتوس يستعد لاقتحام المدينة العليا حيث يعتصم المتمردون[٣٥ مكرر].

كانت المدينة العليا محاطة بالوديان والمجاري، من كل جانب، وكان يستحيل الاستيلاء عليها بلا مصاطب اقتراب، وفي الثامن من ايلول/ سبتمبر عام ٧٠م، وزع تيتوس الاعمال على الجيش، وكان الحصول على الاخشاب لبناء المصاطب امراً صعبا

---

(٣٣) Ibid. P. 496- 497 -

(٣٤) Ibid. P. 497 -

(٣٥) Ibid. PP. 495 -

(٣٥ مكرر) Ibid, P. 506 -

بسبب افتقار المنطقة المحيطة بالمدينة للاشجار على مسافةماية غلوة، اذ قطعت كل الاشجار المحيطة بها لبناء ما سبق بناؤه من مصاطب، ومع ذلك فقد تدبرت الفِرَق امرها وباشرت اعمالها، وبدأت المصاطب ترتفع غرب المدينة، في مواجهة القصر الملكي، كما بدأت ترتفع عند برج سيمون (وهو البرج الذي بناه سيمون في اثناء قتاله مع حنا)، أي عند الجسر الذي يربط الهيكل بالمدينة الجديدة.

في هذه الاثناء، أدرك الأدوميون ان لا مجال للافلات من قبضة الرومان، فعقد زعماؤهم اجتماعا سريا قرروا على اثره الاستسلام، وارسلوا الى تيتوس يعرضون عليه ذلك، ولكن سيمون منعهم وألقى القبض على موفديهم وقتلهم، ثم ألقى القبض على الزعماء الأدوميين وزجهم في السجن، وأقام حراسة مشددة على معسكرهم، فاصبح جند الأدوميين بلا قادة، وصاروا يتسللون، في غفلة من الحرس اليهودي، الى تيتوس الذي عيّن ضباطا لاستقبالهم جميعا، حيث كان يتم فرز الذين يستحقون العقاب منهم، فيقتل بعضهم ويبيع بعضهم الآخر عبيدا مع نسائهم وأطفالهم، اما باقي الاهالي، وكان عددهم نحو اربعين الفا، فقد سمح تيتوس لهم بان يذهبوا انّى يشاؤون.

ولم يمض ثمانية عشر يوما (في ٢٥ ايلول/ سبتمبر) حتى كانت المصاطب قد أنجزت، ووضع الرومان عليها آلات الحرب باتجاه المدينة العليا والقصر الملكي، فأدرك المتمردون عندئذ ان مدينتهم ساقطة لا محالة، فانسحب قسم منهم الى قلعة عقرا، واخذ القسم الباقي يتمرّس على السور وفي انفاق ارضية، ولكن عبثا كانوا يفعلون، فقد كان الرومان يشرفون على مراكز المدافعين، كما انهم كانوا اكثر عددا وافعل سلاحا واكثر قوة وثقة بالنفس، في وجه فئة خسرت كل شيء، حتى الثقة بقدرتها على الصمود والانتصار.

وما ان بدأت المجانيق والاكباش تفعل فعلها في السور والبروج بحيث دمرت قسما منها، حتى هرب المدافعون. اما قادتهم، وهم سيمون وحنا ومن معهم من ضباط، فقد اسقط في ايديهم، ونال منهم الخوف والرعب، فتركوا البروج ولجأوا الى واد يقع تحت حوض السيلوية، ثم اختبأوا في انفاق ارضية، بينما كان الرومان يحتفلون بانتصارهم، ويرفعون اعلامهم على السور والبروج، ويدخلون المدينة العليا، حيث ظلوا يقتلون ويذبحون من يقع بأيديهم، ولم يتوقفوا عن القتل والذبح حتى المساء، ولكنهم أقدموا، في الليل، على اشعال النار بالمدينة، فما ان اصبح نهار ٢٦ ايلول/ سبتمبر حتى كانت

اورشليم كلها تحترق[٣٦]. اما تيتوس، فقد دخل المدينة العليا حيث اطلق سراح السجناء الذين كان زعماء التمرد قد سجنوهم، ثم دمر باقي المدينة واسوارها، ولم يُبقِ سوى بروجها كدليل انتصاره على حصون لا تقهر.

وتعب الجنود الرومان من كثرة ما قتلوا من بشر، ورغم ذلك فقد وجدوا امامهم جموعا من اهالي المدينة، فامر تيتوس ان لا يقتل منهم الا من كان يحمل سلاحا والذين يستمرون في المقاومة، اما الباقون فيؤخذون اسرى، ولكن الجند كانوا يقتلون كل من وقعت ايديهم عليه، كبيراً كان ام صغيراً، شيخا ام يافعا، مسلحا ام اعزل من السلاح، قويا ام ضعيفا. ودفعوا من بقي منهم من الشباب والرجال القادرين الى ساحة الهيكل حيث اقام تيتوس حراسة عليهم وأوكل امرهم الى فرونتون (Fronton) الذي عمد الى فرزهم وتقرير مصير كل منهم:

- فأعدم كل العصاة والمتمردين، وكان بعضهم يدّل على بعض ويشي به.

- ثم اختار الاكبر والأجمل من الشباب واحتفظ بهم للعرض، يوم النصر، في روما.

- اما الباقون، فقد قيّد، بالسلاسل، من جاوز منهم سبعة عشر عاما، وأرسله للعمل في مصر.

- وأهدى تيتوس مختلف الولايات أعداداً كبيرة من الأسرى بحيث تعرض في المسارح لكي تفترسها الحيوانات على مرأى الجمهور، كما كانت العادة عند الرومان في ذلك الزمن.

- واما من لم تجاوز أعمارهم السابعة عشرة فقد بيعوا عبيدا في سوق النخاسة.

- وخلال الايام التي كان فرونتون يجري فيها عملية الفرز هذه، مات من الأسرى نحو أحد عشر الفا، قضوا جوعا.

وقد بلغ عدد الأسرى، في هذه الحرب كلها، ٩٧ الف اسير، ومات، خلال الحصار، مليون و ١٠٠ الف نسمة، معظمهم يهود ولكن من غير مواليد أورشليم[٣٧].

---

(٣٦) Ibid. PP. 507- 510 -

(٣٧) Ibid. PP. 511- 512 - ويجدر الانتباه، هنا ايضا، الى المبالغة في الارقام التي يقدمها يوسفوس.

وما ان انهى الرومان عملية الفرز هذه حتى بدأوا يبحثون، في الانفاق، عمن لا يزال مختبئا فيها فيقتلونه، وقد وجدوا، في هذه الانفاق نحو الفي جثة كما وجدوا العديد من الأسرى الذين كانوا قد أسروا على ايدي قادة المتمردين واحتفظوا بهم في الانفاق، فأفرجوا عنهم.

واما قائدا المتمردين، حنا وسيمون، فقد لاقيا المصير الذي كان ينتظرهما، اذ استسلم حنا للرومان بعد ان كاد يهلك، في الانفاق، جوعا، هو واخوته، وقد تضرّع اليهم للابقاء على حياته، فحكم بالسجن مدى الحياة. واما سيمون، فقد استسلم، بدوره، وأبقي عليه لكي يعدم في عيد النصر بروما(٣٨).

ثم احرق الرومان، بعد ذلك، كل أحياء المدينة، وأمر تيتوس بتدمير المدينة بكاملها، وكذلك الاسوار والهيكل، حيث دمّرت من أسسها «وسوّيت بالارض تماما، حتى ان من يقصد تلك الأماكن لا يستطيع الظن ابدا انها كانت مأهولة»، ولم يبق تيتوس، من معالم المدينة والاسوار، سوى ثلاثة بروج هي بروج فسائيل وهيبيكوس ومريام، والقسم الغربي من السور، وقد ابقاها لكي تظل شاهدا على ما كانت عليه اورشليم من مناعة، ولتظهر مدى قوة الرومان الذين قهروها(٣٩).

وكان سقوط اورشليم بيد الرومان في السنة الثانية لملك الامبراطور فسباسيان، وفي الثامن والعشرين من ايلول/ سبتمبر عام ٧٠م(٤٠). (انظر الخارطة رقم ٤٠)

بعد سقوط اورشليم، قرر تيتوس ابقاء الفرقة العاشرة مع بعض كتائب المشاة والخيالة، في المدينة المدمّرة، لحراستها، وارسال الفرقة الثانية عشرة الى ميليتين -Mel itène على الفرات، بالقرب من حدود ارمينية، وأبقى معه الفرقتين الأخريين: الخامسة والخامسة عشرة، وتابع مسيره الى «قيصرية فيليب» حيث أقام فترة طويلة كان نصيب الكثير من الاسرى، خلالها، الموت، «إذ ألقي بعضهم للحيوانات المفترسة وأرغم الآخرون على التقاتل فيما بينهم»(٤١) حتى قتل بعضهم بعضا. وفي «قيصرية فيليب» تبلّغ تيتوس

---

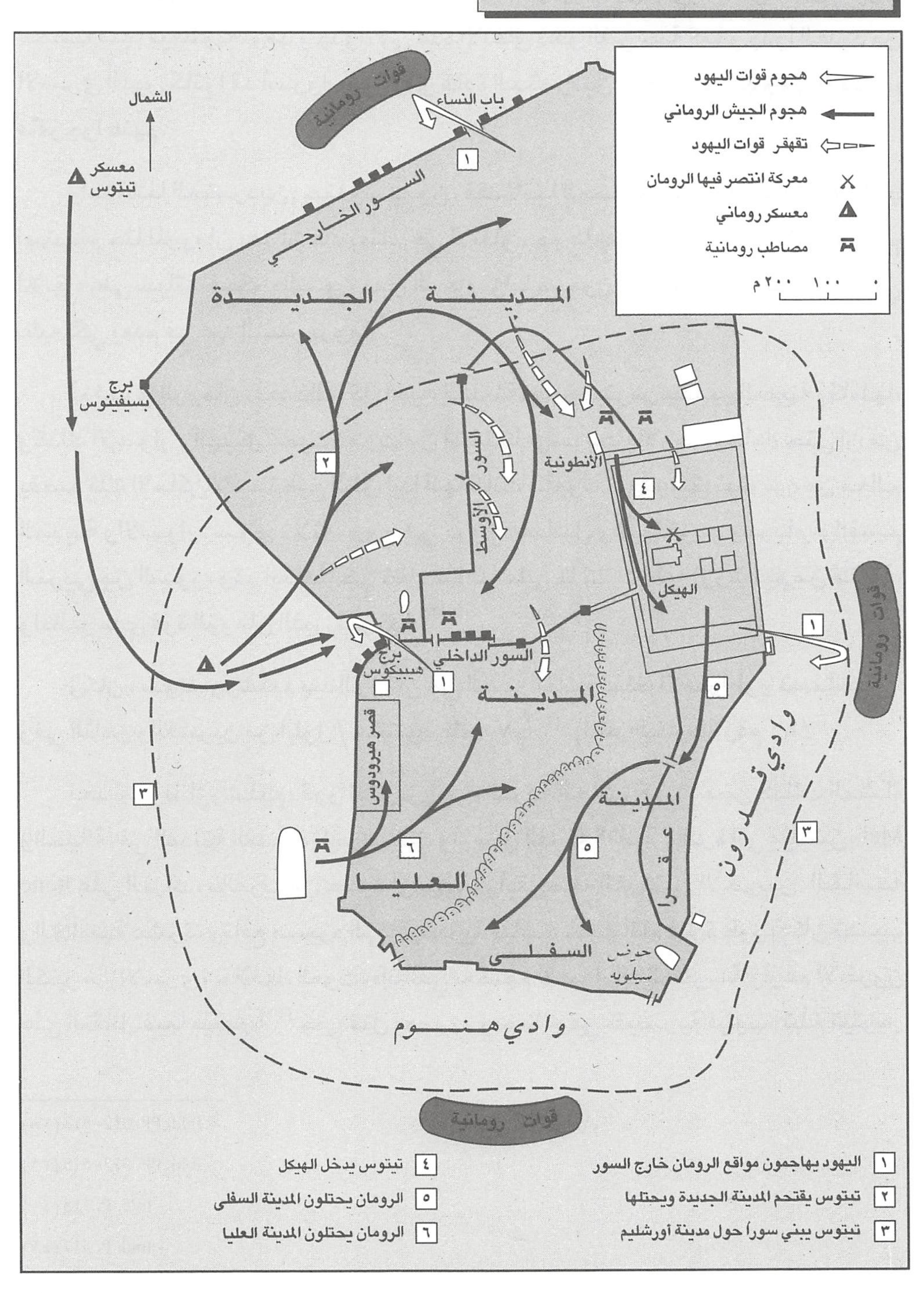
(٣٨) Ibid. PP. 512- 513 -

(٣٩) Ibid. PP. 513- 515 -

(٤٠) Ibid. P. 513 -

(٤١) Ibid. P. 517 -

خارطة رقم ٤٠: معركة أورشليم



نبأ اسر سيمون، فعاد الى قيسارية «حيث اقتيد اليه مكبلا بالسلاسل» فأمر بالاحتفاظ به الى يوم النصر الذي سيقام في روما، كما سبق ان قدمنا.

ومن قيسارية، انتقل تيتوس الى بيروت (وكانت مستعمرة رومانية) حيث مكث فترة طويلة، ثم زار، بعدها، المدن السورية، التي استقبلته بترحاب حار، حتى وصل الى انطاكية حيث طالبه اهلها «بنفي اليهود من المدينة»[٤٢]. وانتقل، بعدها، الى مصر مرورا باورشليم. وفي مصر امر تيتوس كلا من الفرقتين، الخامسة والخامسة عشرة بالعودة الى مواقعها الاساسية، اما هو فأبحر الى ايطاليا مع الأسرى، وما ان وصل الى روما حتى استقبله شعبها وحكامها وعلى رأسهم والده الأمبراطور استقبالا منقطع النظير[٤٣].

وفي روما، جرى الاحتفال بيوم النصر بحضور جماهير الشعب واركان الحكم في الامبراطورية وعلى رأسهم الامبراطور فسباسيان وابناه تيتوس ودوميسيان Domitien حيث تم استعراض الأسرى في هذا الاحتفال الذي اختتم باعدام سيمون بن غيوراس عند معبد جوبيتر، بالقرب من الفوروم بالكابيتول. وكان سيمون قد اقتيد خلال العرض مكبلا بالسلاسل، الحبل ملفوف على عنقه، وسياط الجند تلسع جلده العاري، بينما ترافقه صيحات الجماهير وصخبها وإهاناتها طوال المسيرة[٤٤].

---

(٤٢) Ibid. PP. 518- 519, 524- 525 - ولكن تيتوس لم يستجب لمطلب اهل انطاكية بنفي اليهود منها (Ibid. PP. 524- 525 -).

(٤٣) Ibid. PP. 525- 526 -، وكان الموقع الاساسي للفرقة الخامسة في ميزيا (Mésie) والموقع الاساسي للفرقة الخامسة عشرة في بانونيا (Pannonia) (Ibid. P. 525) وميزيا (Mésie) ولاية من الامبراطورية الرومانية القديمة، أسست في عهد اغسطس، وهي اليوم جزء من بلغاريا وصربيا، في وسط البلقان.

وبانوني (Pannonie): مقاطعة في اوروبا الوسطى، جنوب الدانوب، وشمال ايليريا، استولى عليها الرومان قديما، وهي تؤلف، اليوم، جنوب غربي هنغاريا، وجنوب شرقي النمسا وشمال غربي سلوفينيا. (Pluridictionnaire Larousse)

(٤٤) Ibid. PP. 526- 529 -

والفوروم Forum: مكان يقع بين الكابيتول والبالاتان، حيث كان مجلس الشعب يجتمع لمناقشة الشؤون العامة.

والكابيتول Capitol: أشهر قمم روما القديمة السبع، حيث كان يقوم عليها معبد جوبيتر.

والبالاتان Palatin: احدى قمم روما السبع، بنيت عليها اولى مساكن المدينة، وفيها كان يقطن الأباطرة. (Pluridictionnaire Larousse)

الفصل الرابع

حروب الرومان ضد اليهود ـ٣ـ

حروب ما بعد تيتوس

(٧٠ـ٧٣م و١٣٢ـ١٣٥م)

لم يعد للمتمردين اليهود، بعد سقوط اورشليم، قوة تستطيع الوقوف في وجه الرومان، فتفرقوا في أنحاء البلاد اشتاتا، ولجأت جماعات منهم الى أماكن حصينة الا انها لم تكن عاصية على القوة الرومانية الحاكمة.

وكان «لوسيليوس باسوس Lucillieus Bassus» قد أرسل، من روما، حاكما على اليهودية، خلفا لسيرياليس فيتيليانس Céréalis Vétilianus، وكان على هذا الحاكم ان يطارد فلول المتمردين الذين كانوا قد لجأوا الى بعض الحصون، ومنها حصن ماكيرونت Machérontes. وكان تيتوس قد غادر سوريا الى روما، فحشد باسوس، لذلك، جيشا تألف من الفرقة العاشرة الرومانية (وكانت متمركزة في أورشليم) ومن بعض المفارز المتفرقة في البلاد، واتجه نحو حصن ماكيرونت لحصاره.

١ـ حصار ماكيرونت:

لقد كان احتلال هذا الحصن امرا مهما في نظر الحاكم الروماني، وذلك لتحاشي نمو قوة المتمردين فيه بشكل يصعب، بعده، على القوة الرومانية اخضاعه بلا ثمن باهظ. فقد كان هذا الحصن منيعا بسبب ارتفاعه وصعوبة الارتقاء اليه من جهة، وبسبب السور الذي

يحيط بقسم منه، والمجاري والوديان والحفر التي تحيط بالقسم الآخر، وهي كلها صعبة الاجتياز، من جهة اخرى. وقد بني الحصن في وسط هذه الموانع الطبيعية والمنشأة لكي يصعب على أي مهاجم احتلاله، او الوصول اليه، وخصوصا وانه ارتفعت، على السور، بروج دفاعية لحمايته من المهاجمين.

الا ان العيب الكامن في هذا الحصن هو افتقاره الى الينابيع، لذا، لجأ منشئه (وهو الملك الكسندر ملك اليهود) الى انشاء احواض وآبار لتلقي مياه الامطار في فصول الشتاء واختزانها للفصول غير الممطرة[١].

تفحّص باسوس الحصن من كل الجهات قبل ان يقرر ردم المجرى الذي يحيط به من الجهة الشرقية، وبدأ جنده بأعمال الردم التي اخذ يشرف عليها بنفسه، كما بدأ باعداد مصطبة اقتراب اسرع في انجازها لكي يتمكن من فرض الحصار، بسرعة، على الحصن، وبدأ القصف بآلات الحرب التي يمتلكها.

وكان اليهود المعتصمون بالحصن قد أرغموا الاجانب من اهل المدينة على الانفصال عنهم والاقامة في المدينة السفلى لكي يكونوا اول من يتعرض لهجمات المحاصِرين، أما هم فظلوا معتصمين بالقسم الأعلى من الحصن لانه اكثر مناعة من باقي الأقسام.

وكان هؤلاء المتمردون يقومون بهجمات يومية متتالية على مواقع المحاصِرين حيث كانوا يخوضون معهم القتال وجها لوجه، وخصوصا مع أولئك الذين كانوا يقومون ببناء المنصة، وكانوا يأملون بان يفلتوا من الحصار او ان يرغموا المحاصِرين على التفاوض للخروج من الحصن سالمين.

ولكن باسوس كان يعدّ خطةً أخرى، فقد كان يسعى لزيادة آلام الحصار على المعتصمين بالحصن كي يكرههم على الاستسلام وتسليمه بلا قتال. وكان جنده قد أسروا واحداً من المتمردين (يدعى أليعازار) فأخذ يعذبه على مرأى منهم ساعيا لتثبيط همتهم عن القتال والاسراع بالاستسلام، وقد تحقق له ذلك، اذ أرسل المتمردون وفدا من قبلهم للتفاوض مع باسوس وتسليمه الحصن، وقد طلب الوفد منه السماح لهم بالخروج من الحصن سالمين على ان يأخذوا اليعازار معهم، فوافق باسوس على طلبهم. وعلم

---

(١) Josèphe, Flavius, La guerre des Juifs, PP. 529- 530

الاجانب المقيمون في المدينة السفلى بالاتفاق الذي تم بين باسوس والمتمردين في غفلة منهم، فحاولوا الهرب خوفا من ان يفتك بهم جند باسوس، ولكنهم، ما ان فتحوا أبواب المدينة حتى أبلغ اليهود باسوس بنية مواطنيهم الاجانب، فدهمهم باسوس في المدينة وقتل نحو الف وسبعماية منهم واسترقّ نساءهم وأولادهم، بينما تمكن أقوياؤهم وشجعانهم من الهرب. وقد وفى باسوس بوعده لليهود، اذ سمح لهم بالخروج من الحصن سالمين وردّ اليهم أليعازار، لقاء استيلائه على الحصن[٢].

٢ـ موقعة غابة جارديس:

بعد ماكيرونت انتقل باسوس بجيشه الى غابة «جارديس Jardis» حيث أُبلغ بلجوء عدد كبير من المتمردين اليها، وما ان تأكد له ذلك حتى بدأ يحاصرهم ويضيّق الخناق عليهم بخيالته كي لا يتمكنوا من الهرب، ثم أمر مشاته بان يقطعوا كل اشجار الغابة حيث لجأوا. وحاول المتمردون اختراق الحصار بهجمات مكثفة على خطوط الرومان الذين ردوا هجماتهم بثبات واستمروا في تضييّق الطوق حولهم، وظل القتال مستعرا بين الفريقين حتى قضي على المتمردين جميعا وكان عددهم نحو ثلاثة آلاف «ماتوا جميعهم» و«لم ينج منهم احد» بمن فيهم قائدهم «يهوذا بن آري»، (وكان قائدا في اورشليم اثناء حصارها الا انه استطاع الهرب منها قبل سقوطها بيد الرومان)، بينما لم يخسر الرومان سوى اثني عشر رجلا وبعض الجرحى[٣].

٣ـ حصار مسّادا:

تقع مسادا في الجهة الجنوبية الغربية للبحر الميت، وتقوم على صخرة ذات مساحة كبيرة وارتفاع شاهق، وهي محاطة، من كل جانب، بالمجاري والأودية العميقة، بحيث تبدو مستحيلة على أية قوة، باستثناء طريقين كان يبدو العبور، بواسطتهما، الى سطح الصخرة، غير ممتنع ولكنه غير سهل، وكانت احداهما من الشرق، من جهة البحر الميت Le Lac Asphaltitis وهي كثيرة التعرجات بحيث سميت «الافعى»، وأما الأخرى فكانت من الغرب، وهي اسهل من الأولى.

---

(٢) -- Ibid. PP. 532- 533

(٣) -- Ibid. PP. 533- 534

وكانت الطريق الأولى (الافعى) تنتهي، على بعد ثلاثين غلوة، بقمة ينفرج في وسطها سهل واسع، وفي ذلك السهل أقام «يوناثان» القلعة المسماة «مسّادا»، ثم أقام، بعده، الملك هيرودوس، سوراً على طول محيط القمة، وقد بلغ طول هذا السور سبع غلوات، وبلغ ارتفاعه اثني عشر ذراعاً، وعرضه ثمانية أذرع، وأقيم عليه سبعة وثلاثون برجا يبلغ ارتفاع كل منها خمسين ذراعا. وأما السهل فكان ذا تربة خصبة، مما جعل هيرودوس يزرعه بكل انواع المزروعات تلافيا للمجاعة، اذا ما تعرضت القلعة للحصار في أي حرب، كما بنى فيه قصرا احاطه بسور عال ومتين تعلوه أربعة بروج، وحفر في الصخر أبارا وأحواضا لتلقّي مياه الأمطار، وشق بين القصر والقمة طريقا لا يراها من كان خارج السور او من كان في أسفل القمة. الا انه كان للقمة عدة طرق صعبة العبور وهي: الطريق الشرقية، وقد سبق ذكرها، والطريق الغربية، وقد أقفلت، في أضيق مكان، بواسطة برج عال يبعد عن القمة نحو الف ذراع، ويشكل حاجزا لا يمكن اجتيازه، كما انه لا يمكن الاستيلاء عليه بسهولة[٤].

وكانت قد احتلت هذه الحصن (مسادا) فرقة ارهابية سرية من اليهود تدعى «السيكريين Les Sicaires» او «السيكا Sica» أي «الأرهابيين او حملة الخناجر». وكانت هذه الفرقة تعتبر اليهود المتعاونين مع الرومان أعداء لها فتسعى الى قتلهم، وقد بدأت نشاطها في اورشليم، حيث كان افرادها يقتلون الناس «في وضح النهار، وفي وسط المدينة» وخصوصا «في الأعياد» اذ «يختلطون بالجمهور وهم يخفون تحت ثيابهم خنجرا يطعنون به أعداءهم»، ثم ما يلبثون ان يصرخوا مع الجمهور متظاهرين بما يتظاهر به الجمهور من رعب وهلع، فينفذوا من الوقوع في قبضة السلطة[٥]. وقد استطاعت هذه الفرقة احتلال قلعة مسادا حيث أخذت تنطلق منها في غزوات للارض والبلدان المجاورة كسباً للعيش والغنائم، مما أكسبها شهرة قتالية مرموقة وخصوصا بعد غارة ناجحة على قرية صغيرة تدعى «عين جدي» حيث قامت بطرد مقاتليها وذبح نحو سبعماية من نسائها وأطفالها[٦].

بعد موت باسوس، تسلم حكم اليهودية قائد روماني يدعى «فلافيوس سيلفا»، وقد

---

(٤) Ibid. PP. 539- 540 --

(٥) Ibid. PP. 253- 254 & 537 --

(٦) Ibid. PP. 389- 390 --

رأى سيلفا ان كل اليهودية قد أصبحت خاضعة لحكمه سوى قلعة مسّادا، فسار اليها على رأس جيش حشده من كل قواته في المنطقة، وكان «الارهابيون» يعتصمون في القلعة بقيادة زعيم لهم يدعى أليعازار.

ما ان وصل سيلفا الى جوار مسّادا حتى بسط قواته على المنطقة بأسرها، ثم أقام سورا حول القلعة واختار مواقع ملائمة وضع فيها حاميات وأقام فيها خفراء لكي يمنع على المعتصمين في القلعة أي سبيل للهرب. أما هو، فأقام معسكره في أفضل موقع من الحصار، في المكان الذي تلتقي فيه صخرة القلعة بالجبل لكي يمنع تسرّب أية مؤونة للمحاصَرين، وخصوصا المياه التي كان المحاصَرون بحاجة اليها نظرا لعدم وجود ينابيع في الجبل، حيث يعتصمون. وما ان اتم سيلفا كل هذه الاجراءات حتى بدأ يعدّ العدة لحصار طويل وشاق بسبب صعوبة الاستيلاء على القلعة[٧]. ويحدد «آهاروني» المعسكرات التي أقامتها الحاميات المنتشرة حول القلعة لحصارها بثمانية وزعت على الشكل المبيّن في المخطط، وخصوصاً على الجبهتين: العليا، في الشمال، والسفلى، في الجنوب، من محيط القلعة[٨]. (انظر المخطط رقم ٥).

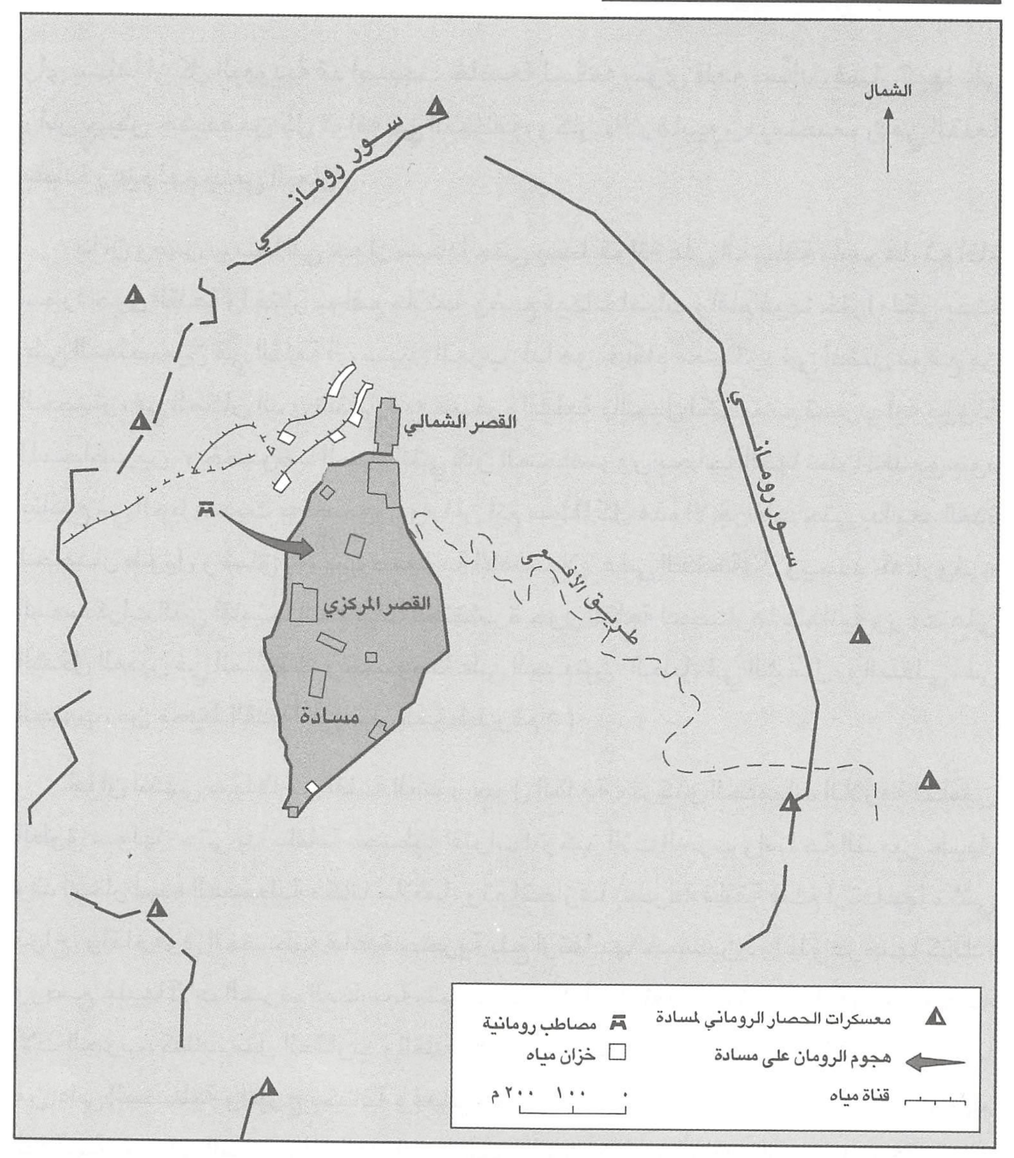
ما ان انتهى سيلفا من اقامة السور حول القلعة وتركيز الحاميات اللازمة لتأمين الطوق حولها، حتى بدأ باقامة مصطبة اقتراب لتركيز آلات الحرب واسلحة التدمير عليها، وقد اختار لهذه المصطبة مكانا ملائما، وتم انجازها بسرعة فائقة فبلغ ارتفاعها مئتي ذراع، وأقام فوق المصطبة قاعدة حجرية بلغ ارتفاعها خمسين ذراعا وعرضها كذلك، ووضع عليها آلات الحرب المناسبة، ثم بنى برجا بلغ ارتفاعه ستين ذراعا ووضع عليه آلات الحرب، كذلك، مثل العقارب والقاذفات والمجانيق. وما ان بدأت هذه الآلات رماياتها من على المصطبة والبرج بكثافة وفعالية حتى اضطر المدافعون الى مغادرة مواقعهم الدفاعية من على السور والانكفاء الى الداخل، ومن بقي منهم على السور لم يكن يجرؤ على رفع رأسه او اظهاره من الموقع الذي هو فيه. وكان سيلفا قد أقام، في هذه الاثناء، كبشا اقترب به من السور وأخذ يضرب به حتى استطاع اختراقه، ولكن المدافعين استطاعوا، وبسرعة فائقة، ان يقيموا سورا آخر في الداخل كان يصعب على كبش سيلفا ان

---

(٧) Ibid. PP. 537- 539 --

(٨) Aharoni, Johanan, The Macmillan Bible Atlas, P. 192

مخطط رقم ٥: حصار مسادة



يصل إليه ويخترقه. وبما أن السور الجديد قد أقيم من الخشب، فقد رأى سيلڤا ان يحرقه، فأمر جنده ان يقذفوه بالمشاعل الملتهبة، وسرعان ما اشتعلت النار في السور، وامتدت الى الداخل حتى أتت عليه كله، مما شجع سيلڤا على ان يقرر شن هجوم على القلعة في فجر اليوم التالي(٩).

ولم يكن في ذهن أليعازار ان يهرب او ان يسمح لاحد من اتباعه بالهرب، لذا، قرر ان

(٩) Josèphe, Op. Cit. PP. 541- 543

يقوم، معهم، بعمل عجائبي هو الانتحار الجماعي، ثم وقف فيهم خطيبا يحثهم على قبول قراره والاقبال عليه، بقناعة وتضحية وشجاعة كي لا يقعوا في أيدي الجنود الرومانيين فيموتوا ميتة الجبناء والمنهزمين[١٠]، واستطاع اقناعهم بذلك، فنفذوا عملية الانتحار الجماعي وكان عددهم ٩٦٠ نسمة، وقد تم ذلك على الوجه التالي، وفقا لرواية يوسفوس:

أحرق المعتصمون كل ما كانوا يملكونه، ثم ذبح كل منهم زوجته وأولاده بيده، واختاروا، بالقرعة، عشرة منهم قاموا بذبح الباقين، ثم انتحر العشرة بان اختاروا، بالقرعة كذلك، واحدا منهم، ذبحهم جميعا، ثم انتحر بسيفه، ولم ينس ان يشعل النار في القصر قبل ان ينتحر[١١].

وعند الفجر، اقتحم سيلفا بجيشه، وبتشكيلة الهجوم، السور، وكانت صرخات القتال، يطلقها الجند مدوية في أرجاء المكان المقفر الا من المهاجمين، ودهش سيلفا وجنده ان لا مقاومة ولا حركة، قبالتهم، على السور وفي داخل القلعة، وكانت دهشتهم أعظم عندما دخلوا القلعة فوجدوا المعتصمين جميعا، مقاتلين ونساء وأطفالا، جثثا هامدة.

وكانت «مسّادا» في الثالث من ايار / مايو عام ٧٢م (وقيل ٧٣م)[١٢].

٤ـ ثورة اليهود ضد الامبراطور تراجان (١١٥ـ١١٧م):

بعد سقوط مسّادا، هرب العديد من «الارهابيين حملة الخناجر» من اليهود الى الاسكندرية بمصر، حيث تجمعوا وبدأوا يثيرون الفتن ويحرضون باقي اليهود على العداء للرومان. يقول يوسفوس في ذلك: «بعض أعضاء هذه الفرقة من الارهابيين الذين استطاعوا اللجوء الى هذه البلاد، لم يكتفوا بالنجاة، بل حاولوا، من جديد، ان يثيروا الاضطرابات ويقنعوا الكثير من الذين استضافوهم بالمطالبة بحريتهم، وباعتبار ان الرومان ليسوا برؤسائهم في شيء، وان لا سيد لهم الا الله. وبما ان بعض اليهود النافذين قاوموهم، فقد عمدوا الى ذبحهم وأكرهوا الباقين على الثورة»[١٣]. ويتابع يوسفوس ان

---

(١٠) اقرأ نص الخطاب في Ibid. PP. 543- 549 --

(١١) -- Ibid. PP. 549 - 550

(١٢) -- Ibid. P. 550

(١٣) -- Ibid. P. 551

زعماء اليهود في المدينة أدركوا الخطر الذي يسببه تصرف الارهابيين عليهم، فعمدوا الى اتخاذ قرار بالتبرؤ منهم ومن سلوكهم ودعوا جمهور اليهود الى الحذر منهم وحرضوه على تسليمهم الى السلطات الرومانية، واستجاب اليهود لهذه الدعوة وأخذوا يفتشون عن أولئك «الارهابيين» ويقضون عليهم ويسلمونهم الى السلطات «فقبضوا على ستماية» منهم، واما الذين استطاعوا الهرب الى داخل مصر فقد ألقي القبض عليهم كذلك.

وأبلغ «لوبوس Lupus»، الحاكم الروماني للاسكندرية، القيصر بما جرى من أحداث، فأمره القيصر بهدم هيكل اليهود في المدينة، وهو الهيكل المسمى باسم بانيه (أونياس)، فاقفل الحاكم الهيكل، ومنع اليهود من ارتياده وممارسة العبادة فيه[١٤]. ولم يذكر يوسفوس اسم القيصر الذي جرت هذه الاحداث في عهده كما انه لم يذكر تاريخ وقوعها، بل ذكر ان الفترة ما بين بناء هيكل اونياس واقفاله بلغت ٣٤٣ سنة. بينما ذكر محقق الكتاب ان بناء ذلك الهيكل كان قد تم عام ١٧٠ق.م. وان الفترة الحقيقية بين بنائه واقفاله هي ٢٤٣ سنة[١٥]. وفي كلا الحسابين، نجد ان هذه الاحداث التي أدت الى اقفال الهيكل لا تتفق مع الفترة الزمنية لحكم تراجان.

وتتحدث المصادر اليهودية عن ثورة قام بها اليهود في مصر، وسيرينا او سيرينايكا (برقة) ضد الامبراطور تراجان بين عامي ١١٥ و١١٧[١٦]، بقيادة زعيم لهم يدعى لوكواس Lukuas او اندرياس Andréas.

فقد ثار اليهود، في البدء، ببرقة (في ليبيا) فقاتلهم تراجان، وعندها لجأوا الى الاسكندرية بمصر، ورغم ان الاسكندرية ظلت سالمة في مطلع الحرب، الا انه، في عام ١١٧م، دخل الجيش الروماني، بقيادة ماركوس توربو (Marcus Turbo)، هذه المدينة وقضى على من كان فيها من اليهود.

وفي الوقت نفسه، ثار يهود ما بين النهرين ضد تراجان، فارسل اليهم جيشا بقيادة

---

(١٤) -- Ibid. PP. 551- 553

(١٥) -- Ibid. P. 553 et Note 1.

(١٦) Barnavi, E. Histoire universelle des Juifs, P. 53
et: Encyclopaedia Judaïca, Vol. 16. P. 280

«لوسيوس كييتوس Lucius Quiétus»، الذي أخمد ثورتهم بعد ان قتل منهم «عشرات الآلاف». وكذلك، ثار اليهود في قبرص بقيادة زعيم لهم يدعى «ارتيميونArtémion»» فسحقت ثورتهم بالطريقة نفسها التي سحقت بها ثوراتهم في الاسكندرية وبرقة وبلاد ما بين النهرين، وسقط من اليهود في هذه الثورة نحو ٢٤٠ الف قتيل، ومنعوا من دخول الجزيرة[١٧].

ولكن الباحثة الاثرية «ميراي هاداس - ليبل Mireille Hadas - Lebel» تشك في قيام ثورة ما بين النهرين ضد تراجان، وهي الثورة التي ورد ذكرها «ولمرة واحدة» عند المؤرخ «ايزيب القيساري Eusèbe de Césarée» حيث تذكر ان لا معلومات عن هذه الثورة سوى ما ذكره هذا المؤرخ من ان تراجان «شك في ان هؤلاء (اي يهود ما بين النهرين) يعدّون، هم ايضا، لثورة، فارسل اليهم «لوسيوس كييتوس» لكي يطهر الولاية منهم، وقام كييتوس بالمهمة حيث كوفيء بان سمي حاكما لليهودية». وان مؤرخا آخر هو الراهب البيزنطي «كزيفيلين Xiphilin» يذكر ان لوسيوس كييتوس «ارسل من قبل تراجان لاخضاع اليهود»[١٨]، وقد اعتمد الاب كزيفيلين، في معلوماته هذه، على المؤرخ الروماني ديون كاسيوس Dion Cassius (القرن الثالث الميلادي) الذي ذكر ان زعيم الحركة الثورية اليهودية كان يدعى «اندرياس» وان اليهود اتهموا «بأبشع أنواع البربرية» وان عدد القتلى من اعدائهم بلغ «مئات الالوف». «وكذلك في قبرص التي قاد الثورة اليهودية فيها رجل يدعى «آرتيميون»، وان اليهود منعوا بعدها من ارتياد الجزيرة، وكل من يرتادها منهم يكون عقابه الموت[١٩]. ولكن الباحثة المذكورة تؤكد قيام الثورة في كل من الاسكندرية وبرقة في عهد الامبراطور تراجان، حيث تذكر عن لسان شاهد عيان هو المؤرخ «آبيان Appien» من الاسكندرية ان مصر شهدت «ابادة حقيقية لليهود في عهد تراجان» وذلك بعد «ما سببوه من اضرار في البلاد»[٢٠]. ويذكر المؤرخ «ساشار» ان «ديون كاسيوس» وضع لائحة بأهم هذه الثورات، كما يذكر، عن المؤرخ نفسه، ان اليهود، في برقة وقبرص «ابادوا

---

(١٧) Barnavi, Ibid --

(١٨) Hadas - Lebel, M. Jérusalem Contre Rome, PP. 151 - 153، وايزيب القيساري، كاتب واسقف يوناني (٢٦٥ - ٣٤٠ م) عاش في فلسطين وكان مطراناً لقيسارية.

(١٩) Ibid. PP. 151- 152 --

(٢٠) Ibid. P. 151 --

نحو نصف مليون نسمة، مفترسين لحومهم، مهرقين دماءهم، مقطعين أجسادهم بالمناشير قطعاً قدموها للحيوانات المفترسة طعاما». ويعلق «ساشار» على رواية ديون كاسيوس هذه بانها «رواية مشوهة للاحداث يقدمها مؤرخ مفعم بالآراء المسبقة» وان اليهود، في الحقيقة، عاشوا «تحت سلطان تعصب مجنون وغير مسؤول أغرق برقة وقبرص بالدماء»(٢١).

وتتحدث «هاداس ـ ليبل» نقلا عن «ايزيب القيساري» الذي يستند في روايته «الى مصادر يونانية من القرن الثاني» الميلادي، ان يهود مصر وبرقة ثاروا «في السنة الثامنة من عهد تراجان» أي عام ١١٥م، مدفوعين «بفكرهم التمردي المخيف» وان ثورتهم أضحت «حربا حقيقية» في عهد «لوبوس» الحاكم الروماني للاسكندرية (وقد سبق ذكره)، حيث «ذبح اليهود في الاسكندرية وبرقة وباقي مصر» بعد ان كانوا قد «خرّبوا البلاد» بقيادة زعيمهم «لوكواس» الذي يلقبه «ايزيب» «بالملك»، وعندها ارسل تراجان لمحاربتهم جيشا بقيادة «ماركوس توربو» الذي «نجح في اخماد الثورة»(٢٢).

ويذكر «يوسفوس» في الصفحات الاخيرة من كتابه، احداثا جرت في برقة في عهد تيتوس (٧٩ـ ٨١م)، حيث قام «الارهابيون» اليهود بثورة على الحاكم الروماني بقيادة زعيم لهم يدعى «يوناثان»، وكان هؤلاء قد لجأوا الى برقة بعد احداث مسّادا، ولكن «كاتولّوس Catullus» حاكم تلك البلاد، ارسل اليهم جيشا «من الخيالة والمشاة» واستطاع اخماد ثورتهم بسهولة «بعد ان اهلك القسم الأكبر منهم»(٢٣)، بينما تمكن «يوناثان» من الهرب ليقع بعد ذلك في قبضة «فسباسيان» بروما ويحكم عليه بالموت(٢٤).

٥ـ ثورة اليهود ضد الامبراطور هادريان:

أو ثورة باركوزبا (او باركوخبا) (١٣٢ـ ١٣٥م)، آخر حروب اليهود في التاريخ القديم:

اندلعت الثورة اليهودية الثانية في القرن الميلادي الثاني، ضد الامبراطورية

(٢١) Sachar, Y, Histoire des Juifs. P. 149

(٢٢) Hadas- Lebel, Op. Cit. P. 151

(٢٣) Josèphe, Op. Cit. P. 553

(٢٤) -- Ibid. P. 554

الرومانية، في عهد الامبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) عام ١٣٢م، واستمرت حتى عام ١٣٥م، وقد كانت نتائجها، بالنسبة الى اليهود «اكثر هولا من الاولى»،[٢٥] وكانت آخر الحروب اليهودية في التاريخ القديم.

أ ـ اسباب الثورة:

تنقل الباحثة «هاداس ـ ليبل» عن التلمود البابلي والمدراش[٢٦] سببين لهذه الثورة: واحد فلسفي - ثيولوجي، وآخر واقعي[٢٧]، ومن الطبيعي ان يأخذ المؤرخون والباحثون اليهود بالسبب الثاني، وهو ان الامبراطور هادريان كان قد قرر، في زيارة له الى اليهودية (عام ١٣٠م) ان يعيد بناء اورشليم التي كانت لا تزال صحراء قاحلة بعد ان دمرها تيتوس (عام ٧٠م) وأحرق هيكلها، وكانت نية الامبراطور باعادة بناء المدينة المقدسة لا تعود الى رغبته في بناء الهيكل اليهودي من جديد، بل الى رغبته في بناء مستعمرة رومانية باسم «ايليا كابيتولينا Aélia Capitolina» تقوم على انقاض اورشليم وتمحو كل اثر للهيكل ولعبادة اليهود فيها، حيث يقوم على انقاض الهيكل اليهودي معبد روماني وثني، مما أصاب اليهود بالاحباط والخيبة وجعلهم يفكرون بالتمرد والثورة على الحكم الروماني في

---

(٢٥) Hadas- Lebel. Op. Cit. P. 160 -

(٢٦) التلمود: الكتاب الأهم، بعد العهد القديم، للديانة اليهودية، وهو نوعان: التلمود البابلي، وتلمود اورشليم، اذ تقوم الديانة اليهودية على نوعين من القوانين: الاول خطي، وهو العهد القديم، والثاني شفهي انتقل من راوٍ الى آخر الى ان دوّن في زمن متاخر حيث كانت: المشنا La Mishna (التي تضم القوانين والاحكام) والغمارا La Gamara (التي تفسر المشنا)، والاغادوت La Aggadot (التي تتضمن الفلسفة والحياة العلمية والتاريخ والعلوم والطب والاخلاق وغيرها). ويتألف التلمود من المشنا والغمارا. وقد وضع التلمود البابلي في بابل في القرن الخامس الميلادي، وهو اكبر من تلمود اورشليم بثلاث مرات واكثر تنظيما منه، اما تلمود اورشليم فقد وضع في فلسطين.

(Malka, V, et S. Le petit Retz du Judaïsme, PP. 128- 129)

والمدراش: نوع من الدراسات الادبية للعهد القديم، تعود في جذورها الى النشاط الفكري لليهودية، وهي تقدم تأويلات مختلفة لنصوص العهد القديم، تجاوز، الى حد بعيد، المعنى اللفظي للكلمة. ويوجد نوعان من المدراش:

- مدراش هالاخا Halakha، ومدراش آغادا Aggada ويعود الأول الى القرن الثاني الميلادي، وهو الاقدم، ويعني بالتاويلات القانونية للنصوص التوراتية، اما الثاني فهو أحدث من الاول (وضع بين القرن الخامس والقرن السابع الميلادي)، واكثر شعبية، اذ يتناول الامور الاخلاقية والدينية ويتضمن اساطير وأمثالا وروايات تاريخية وحكما وافكارا دينية وغير ذلك. (Malka, Ibid, P. 94)

(٢٧) Hadas- Lebel, Op. Cit. PP. 164- 165 وانظر شرحا للسبب الفلسفي ـ الثيولوجي في المرجع نفسه (P. 161)

اليهودية، فهم يرون انه «من غير المسموح للغرباء ان يستقروا في مدينتهم ويقيموا فيها شعائر دينية غريبة»[٢٨].

ب ـ الإعداد للثورة:

كان مرشد الثورة وقائدها الروحي، حاخام يدعى «عقيبة Akiba»، وقد رأى هذا الحاخام في احد القادة اللامعين «الملك المسيح» الذي سيكون خلاص اليهود على يده، وقد جاء في تلمود أورشليم ان عقيبة هذا رأى «نجما ينبثق من يعقوب» وان «كوزبا Kozba» هو هذا النجم، وانه قال عندما رأى كوزبا «هوذا الملك المسيح»[٢٩].

ويبدو ان «سيمون بن كوزبا» او «سيمون باركوزبا» او «باركوخبا» كان يدّعي، امام الحكماء، انه هو المسيح نفسه[٣٠].

وكان اليهود قد استفادوا من دروس الثورة الأولى (١١٥ـ١١٧م)، فأعدوا للثورة الثانية اعدادا متقنا، واختاروا، لاطلاقها، الوقت المناسب، «وهو الوقت الذي كان فيه الامبراطور بعيدا عن اليهودية»، وكانوا قد أعدوا المواقع الحصينة، حيث أقاموا «مئات المخابئ السرية تحت الارض في سهول اليهودية وبعض انحاء الجليل»، مستفيدين من المغاور والكهوف في تلك الانحاء، كما استطاعوا الحصول على كميات كبيرة من الاسلحة وحرضوا، على الثورة، اكبر عدد ممكن من المواطنين اليهود والاجانب الذين كانوا يضمرون الكره للحكم الروماني، وشكلوا قيادة موحدة تسلمت زمام الثورة منذ اندلاعها وحتى انتهائها، وكان «سيمون باركوزبا» على رأس هذه القيادة[٣١]، فقد كان «سيفها والعقل المدبر لها»[٣٢].

وهكذا أعد اليهود للحرب الجديدة بعناية كلية، وبوسائل مبتكرة، اذ انهم كانوا يقدمون العروض لتجهيز الجيش الروماني بالاسلحة، ثم يستفيدون من هذه العروض لتجهيز

---

(٢٨) Ibid. P. 163 -- وانظر: Aharoni, Op. Cit. PP. 193 وSachar, Op. Cit. P. 150

(٢٩) Hadas- Lebel. Op. Cit. P. 164

(٣٠) Ibid -

(٣١) Aharoni, Op. Cit. P. 193

(٣٢) Sachar, Op. Cit. P. 150

الثوار بالاسلحة نفسها. ولكي يتحاشى «باركوزبا» الحصار، أعدّ عددا كبيرا من المواقع المحصنة وربط بعضها ببعض بواسطة انفاق تحت الارض، بحيث يعيق بها تقدم الرومان ومحاولاتهم لحصار قواته[٣٣]، ثم جنّد، للثورة، كل من استطاع تجنيده من اليهود وحلفائهم.

ج ـ الثورة:

بدأت امارات الثورة تظهر في الافق عام ١٣١م حيث أخذ الثوار يحتشدون في «كفر حاربو» بالقرب من «موديين Modiin»، وكانت الاعدادات البالغة الدقة كفيلة بانجاح التحرك الثوري. فما ان اندلعت الثورة عام ١٣٢م حتى كان الشعب قد احتشد حول اورشليم حيث تعسكر الفرقة العاشرة الرومانية، واستطاع «باركوزبا» ان يضع يده، وبسرعة، على اورشليم وكل اليهودية حتى السهل الساحلي، وأجزاء من السامرة. وانتشرت الثورة في اليهودية كانتشار النار في الهشيم، حيث امتدت الى كل مدينة وقرية ودسكرة، باستثناء تلك التي كانت المسيحية قد انتشرت فيها، واستطاع الثوار، بقيادة «باركوزبا» دائما، ومعهم الغرباء المعبّأون ضد الحكم الروماني، ان يوقعوا بالفرقة الثانية والعشرين، الرومانية، هزيمة نكراء، حيث دمرت تلك الفرقة «تدميرا كاملا، واختفت من سجلات الجيش الروماني» بصورة نهائية[٣٤]. ولم يكن امام الحاكم الروماني لليهودية (تينيوس روفوس Tinius Rufus) تجاه اجتياح الثوار هذا، سوى ان يجلو، بفرقته العاشرة، عن اورشليم، ومعه المواطنون غير اليهود الذين كانوا يقيمون في المدينة، ورحلوا جميعا الى قيسارية.

واستطاع «باركوزبا» المدعوم من السنهدرين (Sanhédrin)[٣٥] ومن الاب الروحي

---

(٣٣) Encyclopaedia Judaïca, Vol. 16. P. 281

(٣٤) -- Encycl. Jud. Ibid. ; Sachar, Op. Cit. P. 150 et: Aharoni, Op. Cit. P. 194

(٣٥) السنهدرين: كلمة من اصل يوناني وتعني «مجلس الحكماء»، وهو اعلى مؤسسة يهودية في عصر الهيكل الثاني، وكانت مهمته الاساسية مراقبة تطبيق قواعد التوراة في البلاد، وحسن تأويل الشريعة، واتخاذ القرارات الاجتماعية الملائمة، والحكم في القضايا الشائكة، فهو، اذن، أشبه بمحكمة تمييزية او مجلس اعلى. وكان هناك نوعان من السنهدرين:
ـ السنهدرين الصغير، الذي كان يعقد في المدن، ويتألف من ثلاثة الى خمسة او ٢١ قاضيا.
ـ والسنهدرين الكبير، الذي كان يرأسه قاضٍ يسمى «الناسي Nassi» (اي الامير) مع رئيس للمحكمة، ويتألف من ٧١ عضوا ينتخبون من الفقهاء في التوراة والذين يتمتعون بالكفاية، وخصوصا فيما يتعلق بالشؤون الجرمية والادارية. ويعود لهذا المجلس حق القرار بالحرب او الحكم على «الانبياء المزيفين».
(Malka, V. et S, Le petit Retz du Judaïsme, P. 118)

للثورة «الحاخام عقيبة» أن يبسط سلطته «كسلطة شرعية وحيدة في البلاد»، ولم يخرج عن طاعته سوى «المسيحيين المقتلعين من اصلهم اليهودي، والذين لا يستطيعون، بوضوح، ان يروا باركوزبا مسيحا»[٣٦]، مما أدى الى اضطهادهم من قبل قيادة الثورة.

وحاول «باركوزبا» ان يمتد بالثورة الى الجليل، الا انه لم يفلح في ذلك، «ويشهد الخراب الذي لحق بصفورية وبالأنفاق السرية التي وجدت في الجليل على نشاط الثوار واستعداداتهم»[٣٧]، مما يوضح ان اغلبية اهالي الجليل لم يشاركوا في الثورة ولم يؤيدوها.

وكان لا بد من ان تنظر روما الى ثورة اليهود هذه بعين الجد والقلق وتسعى الى ايقافها والقضاء عليها بكل الوسائل، فعيّن الامبراطور هادريان احد اهم قادته وهو «يوليوس سفيروس» لقمع ثورة اليهود في فلسطين، ووضع بامرته كلا من الفرقتين السادسة والعاشرة الرومانيتين، «وقوات اخرى نقلت من سوريا والعربية وميزيا و الدانوب ومصر، مع وحدات صغيرة من الخيالة والمشاة من بانونيا Panonia وريتيا Rhétia ومن بلدان اخرى»[٣٨]. واتبع سفيروس، في حربه ضد الثوار، التكتيك نفسه الذي اتبعه سلفه فسباسيان، حيث اخذ «يتقدم ببطء، ويحتل موقعا بعد موقع، وقرية بعد قرية، بحيث يظل الضغط على الثوار مستمرا»[٣٩].

تسلم سفيروس قيادة الجيوش الرومانية في فلسطين في السنة الثانية للثورة، (عام١٣٢م)[٤٠]، وبدأ يطبق، في تقدمه، تكتيك «المحدلة» حيث أخذ يتقدم، كما أسلفنا، ببطء وقوة، فاخذت مواقع الثوار تتساقط امامه موقعا اثر موقع. ويبدو ان معركة مهمة جرت بين الفريقين في «عمّاوس» انتصر الرومان فيها، وسميت المدينة، اثر ذلك، بمدينة النصر (نيكوبوليس Nicopolis). واخذ الرومان، في تقدمهم، يسدون على الثوار كل المنافذ، محاولين محاصرتهم، فأقاموا حواجز امام عمّاوس وكفر لا كيتيا(Capher Laquitiya)

---

(٣٦) Aharoni, Op. Cit. P. 194 --

(٣٧) Ibid P. 195 --

(٣٨) Ibid --

(٣٩) Ibid --

(٤٠) يحسبها آهاروني «السنة الثالثة» معتبرا ان الثورة بدأت عام ١٣١م رغم ان معظم المؤرخين اليهود يعتبرون انها بدأت عام ١٣٢م.

وبيت ايل (بيت لحم) واستولوا على ما بقي من اليهودية حتى «بيتار Bethar» او «بيتير Bethther» جنوب غربي أورشليم، وكان آخر موقع للثوار، حيث حوصروا[٤١].

د ـ حصار بيتار ومغاور البحر الميت (١٣٥م):

يقع حصن «بيتار» او «بيتير» على تلة مرتفعة تشرف على واد ضيق وعميق وتقوم، على الجهة الجنوبية منه، قناة تحميه.

لذا، يبدو الحصن منيعا يصعب احتلاله بسهولة، الا انه يفتقر الى المياه، مما يؤثر تأثيرا فعالا على المقاومين بداخله اذا ما حوصروا.

في النصف الأول من العام الاخير للثورة (عام ١٣٥م) وبسبب الضغط الشديد للهجوم الروماني على الثوار، لجأ باركوزبا بجيشه المتقهقر الى حصن بيتار، وكان آخر معاقله. وتقدم سفيروس، بجيشه، لحصاره، فأقام، في البدء، سورا حول الحصن، ثم عبر القناة، بعد ذلك، بواسطة سدود اقامها عليها، وما ان حل فصل الصيف، من العام نفسه، حتى كان الجيش الروماني يخترق أسوار الحصن وينقَضّ على المحاصَرين فيه ويذبحهم جميعا، بمن فيهم باركوزبا نفسه[٤٢] ومعه عقيبة[٤٣].

وكان ثوار من انصار باركوزبا قد اعتصموا في «عين جدي» على الساحل الغربي للبحر الميت، فما ان رأوا تغلب الجيش الروماني على باركوزبا وجيشه ودخوله الحصن، حتى تسللوا الى المغاور الواقعة فوق البحر المذكور واختبأوا فيها، وكانت هذه المغاور منتشرة في سفوح صخور تشرف على الوادي الموصل الى البحر (الميت) ونهر الاردن شمالا وغربا (انظر الخارطة). ولما كان يصعب على الجيش الروماني الوصول الى هذه المغاور، فقد اقام معسكرات فوقها وانتظر نفاد الماء والزاد منها لكي يخرج المعتصمون فيها اليه مستسلمين. ولم يعرف مصير المعتصمين في بعض هذه المغاور (مثل مغارة

---

(٤١) - Sachar. Op. Cit. P. 151; Aharoni, Op. Cit. P. 196 et Encyclopaedia Judaïca P. 281

و«بيتار» تعرف اليوم «بخربة اليهود» وهي تلة تقع على بعد ١١ كلم من القرية العربية المسماة «بيتير» جنوب غربي أورشليم وتشرف عليها (Hadas- Lebel, Op. Cit. P. 169)

(٤٢) - Aharoni, Op. Cit. P. 197

(٤٣) -- Sachar, Op. Cit. P. 151

الرسائل)، اما المعتصمون في (مغارة الرعب) وكانوا «اربعين رجلا وامرأة واحدة» فما ان أدركوا استحالة نجاتهم حتى «أحرقوا كل أمتعتهم واحترقوا معها في المغارة»، وقد اكتشف رفاتٌ لثوار قضوا في «مغاور في صحراء اليهودية وصحراء افرائيم»[٤٤]. وتذكر «الموسوعة اليهودية» كذلك ان رفاتاً اكتشف في هذه المغاور عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ وهو ما يلقي الضوء على «التنظيمات العسكرية والمدنية والدينية لباركوزبا»[٤٥].

ويذكر المؤرخ الروماني «دون كاسيوس» ان الرومان استولوا، في هذه الحرب، على ٥٠ حصنا ودمروا ٩٨٥ قرية، وقضوا على اكثر من مليون نسمة منهم ٨٥٠ الفا قتلوا في المعارك والعمليات العسكرية، وان عددا مماثلا هلك جوعا[٤٦]، الا انه لم يذكر خسائر الرومان فيها، وان كان قد ذكر انهم عانوا من «خسائر كبيرة»، مما دعا «هادريان» لان يعلن، في نهاية الحرب، وامام مجلس الشيوخ، ان «الامبراطور والجيش بخير»[٤٧]. واما من نجوا من الموت، من اليهود، فقد سيقوا «الى سوق النخاسة في الشرق او الى ساحات القتال في المدن الرئيسية في الغرب»[٤٨].

وقد اقام الرومان مكان المذبح، في هيكل اورشليم، هيكلا للاله «جوبيتر» الكابيتولي، ووضعوا فوق باب المدينة، رأس دب هو شعار الفرقة العاشرة، وحرّموا على اليهود ان يطأوا ارض أورشليم «التي حرثت»، تحت تهديد العقاب بالموت[٤٩]. والغى الرومان اسم «اليهودية»، واستعادت فلسطين اسمها الحقيقي الذي انتزعه اليهود منها منذ ان اغتصبوها، وهو «فلسطين سوريا»[٥٠].

ونجد في تلمود اورشليم[٥١] وفي المدراش[٥٢] صورا اسطورية ورمزية للعمليات

---

(٤٤) - Aharoni, Op. Cit. P. 197

(٤٥) -- Encyclopaedia Judaïca, P. 281

(٤٦) Hadas- Lebel. Op. Cit. P. 171; Aharoni. Op. Cit. P. 196; et Sachar, Op. Cit. P. 151

(٤٧) Hadas- Lebel. Op. Cit. P. 173 et Sachar, Ibid.

(٤٨) -- Sachar, Op. Cit. P. 151

(٤٩) -- Hadas- Lebel. Op. Cit. P. 173 et Sachar, Ibid

(٥٠) Sachar, Ibid. et. Gilbert Martin, The Atlas Of the Jewish History P. 15

(٥١) Schwab, Moïse (traducteur), le Talmud de Jérusalem, Traité Taanith Vol. IV. PP. 141- 197

(٥٢) Texte choisi par: Hadas- Lebel, Op. Cit. PP. 165- 167

العسكرية التي جرت في حصار بيتار، وهي صور لا تمت الى الواقع التاريخي بصلة، مما يجعل معظم المؤرخين يحجمون عن اعتمادها مستندا تاريخيا صحيحا، ومن هذه الصور:

يقول الحاخام يوحانان: «كان حول بيتار ثمانون الف زوج من نافخي الأبواق، يقود كل واحد منهم عدة جيوش. وكان مع باركوزبا مايتا الف رجل مبتوري الاصبع (علامة على شجاعتهم)...»[٥٣].

- ويقول عن باركوزبا انه، عندما يذهب الى القتال، «يوقف، بركبة واحدة، القذائف التي ترسلها مجانيق العدو ويعيدها اليه ليقتل أكبر عدد منهم»، ويذكر يوحانان ان هادريان حاصر بيتار طيلة ثلاث سنوات ونصف، ولكنه فشل، في البدء، في احتلالها، الا ان قوطياً (من السامريين) تآمر على باركوزبا وسلّم هادريان الحصن. ويعزو يوحانان ذلك الى الارادة الالهية التي أرادت ان تعاقب «باركوزبا وبيتار» لانهما ارتكبا الخطيئة المميتة، وذلك عندما قتل باركوزبا أليعازار «برفسة من رجله» لانه ظن انه يخونه، وان سيسلّم الحصن الى أعدائه. ويورد التلمود ما ورد في سفر «تثنية الاشتراع» من ان «صخرتهما باعتهما، وربهما سلمّهما»[٥٤].

- ويتابع يوحانان ان الرومان، عندما دخلوا حصن بيتار «ذبحوا عددا كبيرا من اليهود، الى درجة ان الخيل غرقت في الدم حتى انوفها، وان الدم انتزع الصخور التي تزن اربعين مثقالا، ودفع بها الى عرض البحر الذي تلوّن بلون الدم حتى مسافة أربعة أميال منه». ويستدرك يوحانان قائلا: «ليس ذلك لان بيتار قريبة من البحر، فهي على بعد اربعين ميلا منه»، ثم يستطرد: «يحكى ان ثلاثماية نخاع لأطفال صغار وجدوا مسحوقين على حجر واحد»[٥٥].

- اما الحاخام سيمون جاماليل فيقول: «كان في بيتار ٥٠٠ مدرسة، في كل منها ما لا يقل عن ٥٠٠ تلميذ، وكان هؤلاء جميعهم يقولون: اذا فاجأنا الاعداء فسوف نهاجمهم

---

(٥٣) -- Schwab, Op. Cit. Vol. IV PP. 189- 190

(٥٤) Ibid - وقد ورد في سفر تثنية الاشتراع ما يلي:

«كيف يطارد الواحد الفا، ويهزم الاثنان ربوه، لولا ان صخرهم باعهم، والرب أسلمهم؟»

(تث، ٣٢: ٣٠، والربوه: عشرة آلاف).

(٥٥) -- Schwab, Op. Cit. Vol. IV. P. 190

بأقلامنا ونفقأ بها أعينهم. ولكنه، وللأسف، عندما احتل العدو المدينة، قام كل ولد منهم بلف نفسه بكتبه واحترق معها، وبقيت انا وحدي. اما هادريان المجرم، فكان عنده كرمة مساحتها ١٨ ميلا مربعا، وهي تساوي المسافة ما بين طبرية وتسيبوري Cippori، وقد احيطت هذه الكرمة بجثث اهل مدينة بيتار التي وضعت واقفة على اقدامها وملتصقة الواحدة منها بالاخرى (لعدم وجود المكان الكافي)، وقد رفض هادريان حتى دفنها، وكان يجب انتظار سلطان جديد يسمح بذلك»[٥٦].

ـ ويذكر الحاخام يوسيه ان بيتار ظلت ٥٢ سنة بعد خراب الهيكل، وانها دمرت «لاشعال انوار الفرح بتدمير الهيكل»[٥٧].

ـ ويذكر «سيمون بن يوهاي» ان معلمه «عقيبة» صاح عندما رأى «باركوزبا»: «هذا هو الملك المسيح»[٥٨]. وتفسر الباحثة «هاداس ـ ليبل» اسم «باركوزبا» او «بن كوزبا» بانه يعني «ابن الكذبة» (وكوزبا تعني بالآرامية: الكذبة، كما بالعربية). فهل يعني ذلك ان «باركوزبا» (الذي سمى نفسه، هو ايضا، مسيحا)[٥٩] لم يكن اكثر من «مسيح كاذب» او «مسيح دجال؟».

وهكذا، فان روايات التلمود المتعلقة بالتاريخ العسكري لبني اسرائيل، في التاريخ القديم، ليست سوى «روايات عاطفية مصبوغة بالاهتمامات الدينية». لذا، فهي «لا تهدف الى تقديم صورة واقعية للاحداث»، وفقا لما أعلنته الباحثة الاثرية اليهودية «هاداس ـ ليبل»[٦٠].

ولن يشك أي قارئ للتلمود في ان ما ورد فيه من مبالغات وصور اسطورية ورمزية، كما رأينا في النماذج السابقة، يهدف الى تربية الناشئة اليهودية، على مرّ الأجيال والعصور، تربية عنصرية ترتكز على كره الآخرين والتمايز عنهم بغية التسلط عليهم، وهو ما اكدته الممارسات اليهودية في مسارها العنصري الطويل، عبر القرون المنصرمة.

---

(٥٦) Ibid --

(٥٧) Ibid --

(٥٨) Ibid. P. 189 --

(٥٩) Hadas- lebel, Op. Cit. P. 167 ـ وقد نقلت هاداس ـ ليبل عن تلمود بابل (Sanh. 93 b) ان باركوزبا «قال عن نفسه انه المسيح، وقد أعلن ذلك أمام الحكماء» (Hadas- Lebel. Ibid. P.164).

(٦٠) Hadas- Lebel, Ibid, P. 172.

أسماء أباطرة الرومان وحكامهم في اليهودية وقادة الفرقة العاشرة فيها

١ ـ أباطرة الرومان (٢٧ ق. م. ـ ١٣٨م):

- أغسطس (١٦ك٢/ يناير ٢٧ ق.م ـ ١٠ آب/ اغسطس ١٤م).
- تيبريوس (١٧ ايلول/ سبتمبر ١٤م ـ ١٦ آذار/ مارس ٣٧م).
- كاليغولا (١٦ آذار/ مارس ٣٧م ـ ٢٤ ك٢/يناير ٤١م).
- كلود (٢٤ ك٢/يناير ٤١م ـ ١٣ ت١/اكتوبر ٥٤م).
- نيرون (١٣ ت١/ اكتوبر ٥٤م ـ ٩ حزيران/ يونيو ٦٨م).
- غالبا (١٠ حزيران/ يونيو ٦٨م ـ ١٥ ك٢/ يناير ٦٩م).
- أوتون (١٥ ك٢/ يناير ٦٩م ـ ١٤ نيسان/ أبريل ٦٩م).
- فيتليوس (٢ك٢/ يناير ٦٩م ـ ١٤ نيسان/ أبريل ٦٩م).
- فسباسيان (١ تموز/ يوليو ٦٩م ـ ٢٤ حزيران/ يونيو ٧٩م).
- تيتوس (٢٤ حزيران/ يونيو ٧٩م ـ ١٣ ايلول/ سبتمبر ٨١م).
- دوميسيان (١٤ ايلول/ سبتمبر ٨١م ـ ١٦ ايلول/ سبتمبر ٩٦م).
- نيرفا (١٦ ايلول/ سبتمبر ٩٦م ـ ٢٥ك٢/ يناير ٩٨م).
- تراجان (٢٥ ك٢/ يناير ٩٨م ـ ٨ آب/ أغسطس ١١٧م).
- هادريان (١١ آب/ أغسطس ١١٧م ـ ١٠ تموز/ يوليو ١٣٨م).

٢ ـ الحكام الرومان في اليهودية:

- كوبونيوس (٦ـ٩م).

- ماركوس امبيبولوس (٩- ١٢م).

- آنيوس روفوس (١٢-١٥م).

- ڤاليريوس غراتوس (١٥- ٢٦م).

- بيلاطس البنطي (٢٦- ٣٦م).

- مارسيلوس مار لوّس (٣٦-٤١م).

- الملك هيرودوس أغريبا الأول (٤١- ٤٤م).

- كوسبيوس فادوس (٤٤- ٤٦م).

- تيبيريوس يوليوس الكسندر (٤٦ - ٤٨م).

- ڤانتيديوس كومانوس (٤٨- ٥٢م).

- انطونيوس فيليكس (٥٢- ٦٠م؟).

- بورسيوس فستوس (٦٠؟- ٦٢م).

- ليسيوس البينوس (٦٢- ٦٤م).

- جسيوس فلوروس (٦٤-٦٦م).

٣- قادة الفرقة العاشرة الرومانية في اليهودية:

- سكستوس ڤيتلينوس سيرياليس (٧٠- ٧١م؟).

- لوسيوس باسوس (٧١؟- ٧٣).

- لوسيوس فلاڤيوس سيلڤا (٧٣-؟م).

- كونيوس بومبيوس لونجينوس (٨٦م).

- سكتوس هرمتيديوس كامبانوس (٩٣م).

- آتيكوس (٩٩-١٠٣؟).

- كايوس يوليوس كوادراتا باسوس (١٠٣؟- ١٠٥م؟).

- كوانتوس روسيوس كويليوس.بومبيوس فالكو (١٠٥-١٠٧م).

- يتبيريانوس؟ (١١٤م).

- لوسيوس كويتوس (١١٧م).

حكام رومانيون قناصل، أثناء وجود الفرقة السادسة الرومانية في اليهودية (١٢٠؟ ـ ١٣٥م):

ـ كوانتوس تينيوس روفوس (١٣٢م).

ـ كايوس كوانكتيوس سرتوس ببلييوس مارسيلوس (؟).

ـ سكستوس يوليوس سفيروس (١٣٥م).

المرجع: Pritchard, J. Atlas du Monde Biblique, P. 168

الباب السادس

الجذور الدينية
للعقيدة العسكرية الصهيونية

- الفصل الاول: الطبيعة العدوانية.
- الفصل الثاني: العنف والارهاب.
- الفصل الثالث: الاحتلال والتوسع والسيطرة.
- الفصل الرابع: الاتكالية او سياسة الاعتماد على الغير.
- الفصل الخامس: الحرب الجماعية او الامة المسلحة.
- الفصل السادس: قواعد الحرب ومبادئها.
- الفصل السابع: السلوك العام في الحرب (او ما يسمى، تجاوزاً، آداب القتال).
- الفصل الثامن: التعبئة النفسية والمعنوية.
- الفصل التاسع: الاسطورة في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم.
- الفصل العاشر: الحقد اليهودي المتجذر، دينيا وتاريخيا، على الفلسطينيين.

العقيدة العسكرية هي مجموعة المبادئ والافكار التي تعتمدها دولة ما لتسويغ استراتيجية عسكرية خاصة بها، بحيث تشكل هذه الاستراتيجية أساسا صالحا لتحقيق استراتيجيتها العليا او القومية.

وتستمد العقيدة العسكرية الصهيونية (التي هي أساس الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية المعاصرة) جذورها من معتقدات وأفكار استقتها من كتاب اليهود المقدس، أي «العهد القديم» الذي هو التاريخ العسكري والديني المعتمد لدى اليهود بدءا من تاريخ خروجهم من مصر (في القرن الثالث عشر ق.م.). حتى ثورة المكابيين على السلوقيين (في القرن الثامن ق.م.)، رغم ما يشوب أحداث هذا الكتاب من أسطورية، وما يعتريها من شكوك، بسبب بعدها عن المنطق وعن العلمية معا.

واذ تتخذ الحركة الصهيونية كتاب اليهود (العهد القديم) حجة ومبررا، بل سندا إلهياً، لمطالبتها السياسة بأرض الميعاد موطنا لليهود (ولسنا هنا في مجال مناقشة هذه المطالبة القائمة على العنصرية والوهم والاسطورة)، نرى انه لا بد لأي باحث في العقيدة العسكرية الصهيونية من ان يلمس، بوضوح، مدى تجذر هذه العقيدة في الفكر العسكري الديني التاريخي لليهود، والذي أسهب العهد القديم، نفسه، في التعبير عنه والتأكيد عليه، بحيث شكل هذا الفكر مصدرا، لايمكن اهماله، من مصادر العقيدة العسكرية الصهيونية التي قامت عليها الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية المعاصرة.

ويمكننا ان نستخلص، من مراجعة العهد القديم، المعتقدات والافكار التي تشكل، بدورها، العقيدة العسكرية الصهيونية، وهي:

أولا: الطبيعة العدوانية، وينتج عنها، الهجومية ومنطق القوة.

ثانيا: العنف والارهاب، وينتج عنهما: القتل والسبي والتدمير والقسوة الوحشية.

ثالثا: الاحتلال والتوسع والسيطرة، وينتج عنها: الاستيطان اليهودي لارض الغير بعد طرد أهل الارض منها.

رابعا: الاتكالية او سياسة الاعتماد على الغير، وينتج عنها: الاعتماد على الدعم الخارجي، او ما يسمى بالمناورة الخارجية.

خامسا: الحرب الجماعية او الامة المسلحة، وينتج عنها: وجوب القتال على كل قادر، وتسخير الشعب كله لهدف الحرب.

يضاف الى ذلك ما له علاقة بالحرب نفسها، كأداة وكأسلوب عمل، مثل:

سادسا: قواعد الحرب ومبادئها، وينتج عنها: أساليب القتال وقواعده ووسائله.

سابعا: السلوك العام في الحرب او ما يمكن تسميته، تجاوزاً، بآداب القتال، وينتج عنها: اسلوب التعامل مع العدو.

ثامنا: التعبئة النفسية والمعنوية، وينتج عنها: استخدام مختلف وسائل التوجيه النفسي والمعنوي لاقناع المقاتلين وحفزهم على القتال.

وينبغي، استطرادا، ان نبحث في صورتين مهمتين من صور العقيدة العسكرية الصهيونية، تظهران جليا في نصوص العهد القديم وهما:

تاسعا: الاسطورة في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم.

عاشرا: الحقد اليهودي المتجذر، دينيا وتاريخيا، على الفلسطينيين.

وسوف نبحث كلاً من هذه البنود ـ الثوابت، في الفكر العسكري الصهيوني، على حدة(*).

(*) راجع ما كتبناه عن هذا الموضوع في بحثنا عن «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية» الذي نشر في «الموسوعة الفلسطينية»، القسم الثاني، المجلد السادس، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣».

الفصل الأول

الطبيعة العدوانية

لا شك في ان الطبيعة العدوانية التي تميز بها التاريخ اليهودي، وبالتالي، الشعب اليهودي نفسه، هي طبيعة متأصلة في هذا الشعب، بحكم التوارث والتربية الدينية التوراتية، وليست ظرفية او مكتسبة. ونجد في «العهد القديم» أمثلة كثيرة تدل على هذه الطبيعة العدوانية المتميزة بالهجومية ومنطق القوة لدى شعب اسرائيل، اذ يبدو هذا الكتاب مليئا بالتحريض على العدوان والعنف والاحتلال والتوسع والاستيلاء على ارض الغير بدون وجه حق، ويبدو شعب بني اسرائيل شعبا مهاجما دائما، ومعتديا دائما، ولم يكن مدافعا قط، وهو ما فتئ، منذ وجوده، يقاتل كل الشعوب التي تقف حائلا، دون تحقيقه لاطماعه السياسية العدوانية التي يبررها بوعد الرب، رب اسرائيل، له بأرض الميعاد «من نهر مصر الى نهر الكبير، نهر الفرات»[1].

وسيكون من العسير علينا ان نلمّ، في هذا البحث، بكل ما ورد في العهد القديم، من أحداث وروايات تؤكد الطبيعة العدوانية المتجسدة في الاوامر الالهية التي يوجهها رب بني اسرائيل الى شعبه (وهو المسمى، في العهد القديم ذاته، برب الجند او رب الجيوش او رب القوات، ذلك انه هو الذي يتقدم صفوف بني اسرائيل للقتال ضد اعدائهم) لذا، سوف نكتفي بتقديم بعض النماذج الواردة في هذا الكتاب، تاركين للقارئ، أمر العودة الى الكتاب نفسه.

لقد قرر رب بني اسرائيل ان يُخرج شعبه من مصر الى ارض كنعان بعد ان وهبه تلك الارض الممتدة ما بين النيل والفرات والمأهولة من أمم عديدة، من «الحثيين والجرجاشيين

---

(١) العهد القديم، تك ١٥: ١٨ وانظر تعريفا لهذه الشعوب في هذا الكتاب (الباب الاول، الفصل الرابع).

والاموريين والكنعانيين والفرزّيين والحُويين واليبوسيين، سبع أمم أكثر وأقوى منك»، ووعده بان يسلم هذه الشعوب الى يديه، ليضربهم «ويحرّمهم تحريما» (أي يقتلهم تقتيلا)، وأوصاه ان «لا تقطع معهم عهدا ولا ترأف بهم، ولا تصاهرهم، ولا تعط ابنتك لابنه ولا تأخذ ابنته لابنك،.. لانك شعب مقدس للرب الهك»[٢]. ولا يتورع رب بني اسرائيل عن ان يؤكد ظلمه لباقي الشعوب وعدوانه عليها، لمصلحة شعبه، وذلك عندما يتباهى انه يعطي هذا الشعب، دون وجه حق، ما امتلكته شعوب أخرى من ممتلكات وأرزاق، فهو يعطيه «مدنا عظيمة حسنة لم تبنها، وبيوتا مملوءة كل خير لم تملأها، وآباراً محفورة لم تحفرها، وكروما وزيتونا لم تغرسها»[٣]. تماما كما فعل بالفلسطينيين، أهل فلسطين ومالكيها، وذلك بعد مضي أكثر من اثنين وثلاثين قرنا على ما فعله بالامم السبع، أهل تلك البلاد. كما يتباهى انه «طرد» من وجه هذا الشعب «أمما أعظم» منه «وأقوى»، ثم يدخله «أرضهم» ويعطيه «أياها ميراثا، كما هو اليوم»[٤].

وما ان عبر بنو اسرائيل نهر الاردن الى أرض كنعان، أرض الامم السبع (أي الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيين والحويين واليبوسيين) حتى واجهتهم شعوبها، فخاضوا، ضد هذه الشعوب، حروبا يصفها العهد القديم بكل تفاصيلها، ويصف ما ارتكب خلالها بنو اسرائيل، بحق هذه الشعوب، من مجازر وحشية، فهو يصف، مثلا، حربهم مع الاموريين وملكهم «سيحون» الذي منعهم من المرور في مملكته «فأسلمه الرب الهنا بين أيدينا، فضربناه هو وبنيه وكل شعبه، واستولينا على جميع مدنه في ذلك الوقت، وحَرّمنا كل مدينة، رجالها ونساءها وأطفالها، ولم نبق باقيا، واما البهائم فغنمناها لانفسنا مع غنيمة المدن التي استولينا عليها»[٥]. كما يصف ما فعلوه بالملك «عوج» ملك «باشان» حيث «أسلمه» الرب الهه، هو وقومه، الى بني اسرائيل، فصنعوا به مثل ما صنعوا «بسيحون، ملك الاموريين» اذ «ضربناه حتى لم يبق له باق، واستولينا على جميع مدنه»[٦]. وتابع بنو اسرائيل تعدياتهم فاحتلوا ما تبقى من ارض الاموريين «من وادي

---

(٢) م. ن. تث٧: ١ـ٦.

(٣) م. ن. تث٦: ١٠ـ١١.

(٤) م. ن. تث٤: ٣٨.

(٥) م. ن. تث٢: ٣٢ـ٣٥. وكان «سيحون» يقيم في عاصمة ملكه «حشبون» التي لا تزال تعرف باسم «حُسبان»، وهي خربة قائمة على تل منعزل بين أرنون (نهر الموجب) ويبّوق (نهر الزرقاء) بالقرب من مادبا بالاردن.

(٦) م. ن. تث٣: ١ـ ٤. و«عوج» من ملوك الاموريين، امتد ملكه من وادي أرنون بالاردن حتى جبل حرمون. و«باشان» مقاطعة في أرض كنعان، شرق الاردن، بين حرمون وجلعاد، وتشمل حوران والجولان واللجاة، حتى دمشق.

ارنون الى جبل حرمون»[٧] ثم احتلوا ما تبقى من «أرض الرفائيين»[٨] حتى بلغت تخومهم «وادي ارنون، الى وسط الوادي... وإلى وادي يبّوق... حدود بني عمّون، والعربة والاردن... من كنّارات (بحيرة طبرية) الى بحر العربة، بحر الملح (البحر الميت)»[٩] أي انهم احتلوا «جميع أراضي الاموريين، من أرنون الى يبّوق، ومن البرية الى الاردن»[١٠].

ويغالي رب بني اسرائيل في ما يقدمه لشعبه، على حساب الشعوب الاخرى، في أرض كنعان، فيطلق لهذا الشعب الحرية في الاعتداء على باقي الشعوب والتسلط على أرضها وامتلاك تلك الارض، دون ان يقيم لتلك الشعوب وزنا او يحفظ لها حرمة في مُلك او حق هو لها أصلا، وذلك عندما يأمر بني اسرائيل بعبور الاردن الى الارض التي أعطاهم اياها، قائلا لهم «كل مكان تطأه أخامص أقدامكم لكم أعطيته،... من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير، نهر الفرات، كل أرض الحثيين، والى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس، تكون أراضيكم»[١١].

وقد بلغت طبيعة بني اسرائيل من العدوانية حدا جعلهم يتقاتلون فيما بينهم قتالا لا مثيل له في القسوة والشراسة، اذ قاتل «بنو اسرائيل» اخوتهم «بني بنيامين» في «جبع» قتالا مريرا، طيلة ثلاثة أيام، سقط من الفريقين، خلالها، نحو خمسة وستين الف قتيل، وفقا لرواية «العهد القديم» ذاته[١٢]. وكانت الغلبة، في هذه الحرب، لبني اسرائيل الذين لم يكتفوا بان قتلوا من اخوتهم واعدائهم «بني بنيامين» في اليوم الثالث فقط «خمسة وعشرين الفا ومئة، كلهم مستلّو سيف»[١٣]، بل انهم اقتحموا عليهم مدينتهم (جبع) «وانتشروا فيها، وضربوا كل المدينة بحد السيف»[١٤] حتى انهم لم يوفروا «البهائم، وكل ما وجد فيها، وجميع المدن التي وجدوها أحرقوها بالنار»[١٥].

---

(٧) م.ن. تث٣: ٨.

(٨) م.ن. تث٣: ١٣. وأرض الرفائيين هي منطقة أرجوب كلها وأرض باشان كلها (م.ن.) وارجوب: اقليم في باشان.

(٩) م.ن. تث٣: ١٦ـ١٧.

(١٠) م.ن. قض ١١: ٢٢.

(١١) م.ن. يش١: ٢ـ٤.

(١٢) م.ن. قض ٢٠: ١٤ـ٤٨. ويذكر العهد القديم ان بني اسرائيل هزموا في اليومين الاول والثاني وسقط منهم أربعون الف رجل. الا انهم انتصروا في اليوم الثالث.

(١٣) م.ن. قض ٢٠: ٣٥.

(١٤) م.ن. قض ٢٠: ٣٧.

(١٥) م.ن. قض ٢٠: ٤٨.

يتحدث الصحفي الفرنسي «جان لارتيغي» في كتابه «أسوار اسرائيل» عن النزعة العدائية للشعب اليهودي على مر التاريخ والعصور فيقول: «كل التاريخ القديم لاسرائيل، الذي تقصه التوراة علينا، هو تاريخ عسكري قبل كل شيء، فجنود موسى ويشوع وداود لم يتخلوا قطّ عن القتال والنزاع، حتى فيما بينهم. انهم ليسوا برحومين مع اعدائهم المغلوبين... وان يهوذا اله اسرائيل، هو، ايضا، اله الجيوش، انه محارب قاس قاد، بعناد، شعبه غير المنضبط، الذي جرّب كل المستجدات. فقد قاتل اليهود، بالتتابع، كلا من الاشوريين والبابليين والمصريين والكنعانيين والمؤابيين والعمونيين والفرس واليونان والرومان»[١٦]، مغفلا، ربما عن عمد، ذكر عدائهم المتجذر توراتيا لشعب فلسطين، واعتداءاتهم المتكررة تاريخيا، على هذا الشعب.

ويستكمل حكماء صهيون في «التلمود» وفي «بروتوكولاتهم» تعاليم العهد القديم عن طريق شرح هذه التعاليم وتأويلها وتفسيرها بما لا يتناقض مع ما تتضمنه من عدائية للشعوب والاجناس والاديان، وخصوصا الديانة المسيحية، فقد جاء في «التلمود» عن «ابن ميمون» انه قال: «ان من ينكر التعليم اليهودي، وخصوصاً النصارى، تتحتم ابادتهم عن بكرة ابيهم، واهراق دمهم يكون دائما من الاعمال المحمودة، واذا كان التنكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة»[١٧]، كما جاء فيه: «من سفك دم الكفار بيده يقدم قربانا فرضيا لله. وقال الرباني عازار: هذا يعني يسوع وأتباعه. ويقول الرباني يوشافاط، هذا يعني كل الاجانب ايضا بغير استثناء. وان الوصية القائلة «لا تقتل» معناها: لا يجوز لك ان تقتل اسرائيليا»[١٨].

---

(١٦) Larteguy, Jean, Les Murailles d'Israël, P. 46 والمؤابيون هم سكان مؤاب، وهي أرض واقعة شرق البحر الميت. أما العمونيون فهم من نسل لوط، كانوا يسكنون جبال جلعاد بين نهري أرنون ويبّوق عبر الاردن.

(١٧) نويهض: عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد ٢: ١٨٤، والتلمود هو اهم كتاب في الديانة اليهودية بعد التوراة، وقد استمر وضعه قرونا، من دعوة عزرا ونحميا لاعادة بناء الهيكل حتى القرن الميلادي الخامس، وهو عبارة عن الاحاديث الشفهية التي انتقلت من جيل الى جيل حتى تم تدوينها في التلمود. ويوجد تلمودان هما: تلمود بابل وتلمود أورشليم.

(Malka, Victor et Salomon, le petit Retz du judaïsme, PP. 128- 129)

أما «ابن ميمون (١١٣٥ـ ١٢٠٤م) فهو يهودي «لاهوتي وطبيب ورياضي وفيلسوف» ولد في قرطبة وعاش في مصر، وكان «ابن رشد» من اساتذته. وقد ألف في الطب واللاهوت، وأشهر مؤلفاته اللاهوتية: «كتاب التعاليم» وهو خلاصة تعاليم اليهودية، وكتابه عن «التلمود» الذي نشر باسم «الميشنا ـ التوراة» (الشريعة الثانية La sde. Loi) ولابن ميمون اتباع عرفوا باسم «الميمونيين»

(Dict. Ency. Quillet: Maimonide)

(١٨) نويهض، المرجع السابق، مجلد٢: ١٨٤، نقلا عن كتاب «همجية التعاليم الصهيونية للاب بولس مسعد».

أما «البروتوكولات» فهي تخطط لاقامة «حكومة يهودية» تسيطر على العالم وتستَبدّ به. وفي هذا المخطط «رُسمت الطريق التي يجب علينا ان نسلكها نحو غايتنا، وليس لنا ان نحيد عنها قيد شعرة، الا اذا فعلنا ذلك مجازفة ومخاطرة، فنخسر نتائج عملنا لعدة قرون، فيذهب كله سدى»[١٩]، وهو مخطط جهنمي خطير رسمته اليهودية العالمية لكي تتمكن من السيطرة على العالم، وقد بيّنت البروتوكولات الاربعة والعشرون خطوطه كاملة، ومن المفيد جدا العودة اليها للاطلاع على تفاصيل هذا المخطط ومعرفة النوايا اليهودية الشريرة تجاه البشرية جمعاء[٢٠]. الا انه لا بد من ايضاح ان مضمون هذه البروتوكولات يعني برسم استراتيجية بعيدة المدى لا بد من ان تنتهي بان تضع حكومة اليهود العليا يدها على حكم الشعوب في العالم كله، محددة، بالتفصيل، الخطوات الواجب اتباعها للوصول الى هذا الهدف. وقد جاء في نهاية البروتوكول الحادي عشر ما نصه: «والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبي والجلاء، والتفرق والشتات في الارض، وهذا الامر الذي كان فيما مضى مجلى ضعفنا، انقلب، فيما بعد، سبب قوتنا التي افضت بنا الآن الى ان نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا على العالم كله. هذا ما بلغناه، وأما ما بقي علينا ان نبنيه ونرفعه فوق الاساس، فليس علينا بعسير»[٢١].

وبالفعل، استغل اليهود أحداث الإجلاء والسبي والاضطهاد، التي تعرضوا لها عبر العصور، منذ اجلائهم عن مصر حتى سبيهم الى بابل، فإحراقهم في أفران الغاز الالمانية (الهولوكوست) خلال الحرب العالمية الثانية، والتي هي اليوم موضع شك، بل نفي، من العديد من الباحثين الاميركيين والاوروبيين واليابانيين (ولنا عودة الى هذا الموضوع)، واستطاعوا ان يؤججوا، عبر الاجيال، عواطف اليهود تجاه هذه الاحداث التي اتخذوها وسيلة ناجحة لتكوينهم كشعب خاص ومميز، واتحادهم وجمع كلمتهم حول هدف واحد رئيسي هو اقامة دولة يعتبرونها «دولة اليهود» جميعهم، على اختلاف أوطانهم

---

(١٩) م. ن. مجلد ١: ١٨٤ (البروتوكول الاول). وتأكيدا لذلك، حدث اثر الهزيمة العربية في حرب حزيران عام ١٩٦٧، ان خرج اليهود في مختلف عواصم العالم يتظاهرون فرحا بانتصارهم، مرددين شعارات منها «في العام الفين، سوف نحكم العالم». ويبدو ان نبوآتهم هذه بدأت تحقق منذ ان انهار النظام العالمي القديم وتسلمت الولايات المتحدة الاميركية زمام قيادة العالم بعد حرب الخليج عام ١٩٩٠.

(٢٠) انظر البروتوكولات الاربعة والعشرين في م. ن. مجلد ٢: ١٧٩ـ٢٩٢.

(٢١) نويهض، م. ن. مجلد ١: ٢٣١ (البروتوكول الحادي عشر).

وجنسياتهم ولغاتهم، وقد توصلوا الى ذلك فعلا. كما استطاعوا، من خلال دولتهم هذه «اسرائيل» ان يحوّلوا معظم دول العالم وأهمها الى دول مناصرة لهم ومؤيدة لقضاياهم، رغم ما يعتري هذه القضايا من وهم وزيف وبطلان. وها هم يستعدون، اليوم، وبعد ان أسهموا في تدمير العالم الاشتراكي، الى ان يكونوا ركنا مهماً من أركان النظام العالمي الجديد، وحجر الزاوية في النظام الشرق أوسطي الجديد، خصوصا بعد ان تسلمت الولايات المتحدة الاميركية، حليفتهم الاستراتيجية، زمام القيادة في العالم، وبدأت تهيء هذا العالم لتقبل النظام الجديد المرتقب.

فهل تمكّن اليهود، حقا، من ولوج الباب الذي يقودهم الى بسط سلطتهم «على العالم كله»؟ وهل ان ذلك ليس عليهم، حقاً، بعسير؟

لقد قامت الحركة الصهيونية، اذن، على تبرير العدوان والعنف واحتلال أرض الغير، وتجنّد مفكروها لخدمة هذا العدوان بكل الوسائل، مرتكزين، على تبريره، على ما ورد في العهد القديم من وعد الهي، حيث جاء فيه: «في ذلك اليوم، قطع الرب مع أبرام عهدا قائلا: لنَسْلِك أعطي هذه الارض، من نهر مصر الى النهر الكبير، نهر الفرات»[٢٢]. وجاء فيه ايضا ان الرب خاطب ابرام قائلا: «لا يكون اسمك ابرام بعد اليوم، بل يكون اسمك ابراهيم، لاني جعلتك ابا عدد كبير من الامم، وسأنميك جدا جدا وأجعلك أمما... وأعطيك الارض التي انت نازل فيها، لك ولنسلك من بعدك، كل أرض كنعان، ملكا مؤبدا...»[٢٣]. وابراهيم الخليل، كما نعرف، اب لولدين: اسماعيل واسحق، فاذا كان اليهود هم من نسل اسحق، فان العرب، هم من نسل اسماعيل، ويصحّ القول فيهم جميعا انهم «أمم» من صلب ابراهيم. فكيف يكون صحيحا، اذن، ان يفسر قول التوراة هذا لمصلحة بني اسرائيل دون سواهم من نسل ابراهيم، او ليس هذا عدوانا صارخا على ما وعد الله به أحفاد ابراهيم جميعا، وبلا استثناء؟

واذا اردنا ان نكون اكثر دقة والتصاقا بتقاليد العصور القديمة، حيث كان الابن البكر هو الوريث الوحيد لابيه، فقد كان اسماعيل بكر ابيه ابراهيم، حيث ولد اسماعيل وكان ابراهيم في سن السادسة والثمانين[٢٤]، وولد بعده اسحق وكان ابراهيم في سن

(٢٢) العهد القديم، تك ١٥: ١٨.

(٢٣) م.ن. تك١٧: ٨.

(٢٤) م.ن. تك١٦: ١٦

المابة[٢٥]، وشكر ابراهيم الخليل ربه على عطاياه قائلا: «الحمدُلله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسْماعيلَ وإسْحَق ، إنه لَسَميعُ الدُّعاءِ» (ابراهيم: ١٤ / ٣٩) وطلب ابراهيم من الله (عز وجل) ان يرزق ذريته هذه ويكرمها بحب الناس لها، فقال: ﴿ربَّنا إني أسكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بوادٍ غَيْرِ ذي زَرْعٍ عندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ربَّنا ليُقيمُوا الصَلاَةَ فاجْعَل أفئدة منَ النَّاسِ تهويَ إلَيْهم ، وَأرزُقهُمَ منَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُم يَشْكُرُونَ﴾[ابراهيم: ١٤ / ٣٧]، وذلك يعني ان ذرية ابراهيم، من اسماعيل، كانت السباقة الى استيطان الارض التي وعد الله بها نسل ابراهيم، فكيف تكون حلالا لنسل أسحق ومحرمة على نسل اسماعيل؟.

واستنادا الى ما ورد في العهد القديم نفسه، فقد تم وعد الله لابراهيم بعد ولادة اسماعيل بثلاث عشرة سنة (اذ كان عمر ابراهيم تسعا وتسعين سنة)[٢٦] وقبل ولادة اسحق بسنة واحدة. ففي هذه السنة (أي في السنة التاسعة والتسعين من عمر ابراهيم) قرر الله ان يغيّر اسم ابرام فيصبح ابراهيم، ثم قرر ان يمنحه وذريته «كل ارض كنعان»، كما أمر ان «يُختن كل ذكر منكم»[٢٧] أي من نسل ابراهيم، ولم يكن اسحق قد ولد بعد. أفلا يكون الوعد، في هذه الحالة، وان صحّ موجها الى نسل اسماعيل من ابراهيم، دون اسحق؟ خصوصا وان ارادة الرب قضت ان يتم الوعد والختان قبل ولادة اسحق بسنة واحدة؟ وكان ممكنا، لو أراد الرب غير ذلك، ان يتم هذا الوعد بعد سنة واحدة فقط، أي بعد ولادة اسحق، ولكن الرب لم يُتمّه الا في عهد اسماعيل وحده. ويأتي تزوير بني اسرائيل لوعد الله، هذا ان صحّ، وادعاؤهم ان الارض التي اورثها الله نسل ابراهيم لهم وحدهم، دون سواهم، ليؤكد طبيعتهم العدوانية. ولن تستطيع اليهودية، مهما ارتكبت من مغالطات وتزوير، ان تنافس الديانات السماوية الاخرى، وخصوصا الاسلام، على تقديسها لابراهيم الخليل وتكريمها له وايمانها بملته، يقول الخوري بولس الفغالي في ذلك:

«دور ابراهيم في الاسلام لا يضاهيه دور في أية ديانة من الديانات السامية، فاذا كانت المسيحية ديانة عيسى (يسوع) واليهودية ديانة موسى، فالاسلام هو ملة ابراهيم.... واذا كانت جذور اسرائيل تتأصل في الرجاء، واذا كانت المسيحية قد عاهدت

---

(٢٥) م.ن. تك٢١: ٥.

(٢٦) م.ن. تك١٧: ١.

(٢٧) م.ن. تك١٧: ١٠.

الرب على المحبة، فالاسلام يرتكز على الايمان، اكراما لابراهيم ابي المؤمنين ومثالهم»[٢٨].

وقد توارث اليهود الطبيعة العدوانية جيلا بعد جيل الى يومنا هذا، ولم يتورع مفكروهم وحكماؤهم في الحركة الصهيونية، منذ نشوئها، ان يفلسفوا العدوان ويسوّغوه لشعبهم، مستندين، في فلسفتهم هذه، الى وعد الهي زوّروه لمصلحتهم، والى ادّعاء فارغ بان الله فضّلهم على سواهم من بني البشر. أو لم يرد في البروتوكول الخامس من «بروتوكولات حكماء صهيون» انه «جاء على لسان الانبياء اننا نحن اختارنا الله لنحكم الارض كلها، والله منحنا العبقرية لنضطلع بهذا العبء»؟[٢٩].

ورغم ان اليهود منتشرون في كل بلدان العالم، يتمتعون بالمواطنة التامة في هذه البلدان، فيحملون جنسياتها ويتكلمون لغاتها ويخضعون لقوانينها، ولهم ما لباقي مواطنيها من حقوق وعليهم ما على أولئك المواطنين من واجبات، فانهم ظلوا يعيشون، على مدى قرون طويلة من الزمن، تجاوز الثلاثين قرنا، وفي كل بلد، بما يشبه «الغيتو» (وقصة الحي اليهودي في كل بلد او مدينة من بلدان العالم او مدنه معروفة ومعاشة الى اليوم)، حيث يمارسون طقوسهم وعاداتهم التي توارثوها، ويمارسون، كذلك، عداءهم وكراهيتهم للآخرين الذين يسمّونهم «الغوييم» أي الغرباء او الاجانب او غير اليهود، ولو كانوا واياهم ابناء وطن واحد[٣٠]، مدفوعين، ولا شك، بالعقد التي تكفّل زعماؤهم الروحيون والمدنيون تنشئتهم عليها جيلا بعد جيل، وأهمها: عقدة الاجلاء والسبي والاضطهاد وأفران الغاز، وعقدة «شعب الله المختار». وهكذا كنا نراهم يتقوقعون على انفسهم، لا يثقون الا بمن كان من دينهم، ولا يتعاملون الا مع أندادهم من اليهود، خلافا لما ألفناه في المسيحية والاسلام وعرفناه عند المسيحيين والمسلمين.

واستطاع اليهود، وفقا لهذه التنشئة الدينية والمدنية، ان يشكلوا «شعبا» مختلفا عن باقي الشعوب، حتى تلك التي ينتسبون اليها مواطنة ولغة وجنسية، وظلوا يطمحون

---

(٢٨) فغالي، الخوري بولس، المجموعة الكتابية، اسفار الشريعة، سفر التكوين، ص ٢٩٠.

(٢٩) نويهض، المرجع السابق، مجلد ١: ٢٠٥ (البروتوكول الخامس).

(٣٠) الغوييم، كلمة عبرية مفردها (غوي Goye, Goy, Goi) وتعني «الشعب»، ويطلقها اليهود على الشعوب غير اليهودية، وخصوصا المسيحيين (Dict. ency. Quillet: Goye).

للاجتماع في أرض تحتضنهم جميعا، دون سواهم من بني البشر، ولو كان ذلك عن طريق العدوان والاغتصاب والاحتلال، حيث يشكلون دولة لهم هي «دولة اليهود»، الى أي بلد انتسبوا، وفي أي ارض عاشوا[٣١].

واستطاع «تيودور هرتزل» ابو الحركة الصهيونية، ان يحوّل هذا الطموح الى كتاب باسم «دولة اليهود» يحدد فيه، بوضوح، الاستراتيجية التي يجب على اليهود اتباعها لتحقيق هذا الهدف ثم الى حركة باسم «المنطقة الصهيونية العالمية» التي سعت لتحقيقه، وحققته فعلا. ورغم ان «هرتزل» لم يحدد، في البدء، فلسطين بالذات، وطنا قوميا موعودا لليهود، بل انه طرح كلا من الارجنتين وفلسطين كبلدين محتملين لاقامة «دولة اليهود» في أي منهما، ثم انه وافق على خيار آخر هو «أوغندا»[٣٢]، ضاربا عرض الحائط «بالحجة الدينية» التي كان اليهود يتذرعون بها للمطالبة بفلسطين كارض للميعاد، كما يدّعون، بل انه حاول، بالعقلية المادية لليهودي المتمرس، ان «يشتري» فلسطين من السلطان العثماني مقابل «تسوية وضع موازنة السلطنة» كما حاول ان «يشتري» أوروبا للموافقة على مشروعه بان أخذ يزين لها بان هذه الدولة سوف تشكل «جدارا ضد آسيا، ومخفرا أماميا للمدنية ضد البربرية»[٣٣]. كما تدّعي اسرائيل ذلك اليوم. وفي كل حال، فان المطالبة بفلسطين وطنا قوميا لليهود لم يتم، رسميا، الا في المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد، بعد وفاة هرتزل، في بال بسويسرا عام ١٩٠٥[٣٤]. ويرى «آلن تايلر» ان اهتمام هرتزل «كان يكمن في حل مشكلة اللاسامية، لا في تحقيق نبوءات اليهودية التقليدية»[٣٥].

ومهما يكن من امر، فمما لا شك فيه ان العداء للسامية مشكلة خلقها اليهود أنفسهم،

---

(٣١) يذكر انه، إثر هزيمة العرب في عام ١٩٦٧، خرجت تظاهرات من اليهود الفرنسيين في شوارع باريس تردد «فرنسا معنا La France est avec nous»، وأثار ذلك نقاشا حادا في الصحف والمجلات الفرنسية وبين المثقفين الفرنسيين استمر نحو ستة أشهر، وكان التساؤل الأهم: هل ان اليهود الفرنسيين اسرائيليون او لا أم فرنسيون؟

(٣٢) Herzel, Théodore, L'Etat des Juifs, PP. 46- 47 et 102 note 30 وكان انصار هرتزل لا يمانعون اقامة الدولة في اوغندا او في العريش او سيناء (القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ص ٦٧-٦٨).

(٣٣) -- Herzel, Ibid, P. 47

(٣٤) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ص ٦٧. ذلك ان الزعماء اليهود انقسموا، قبل عام ١٩٠٥ الى فريقين احدهما يؤيد هرتزل الذي يقول بايجاد حل فوري للمسألة اليهودية في فلسطين او سواها، وآخر يتمسك بفلسطين وطنا لليهود، وقد تغلّب الفريق الثاني في مؤتمر عام ١٩٠٥ (انظر: تايلر، الن، تاريخ الحركة الصهيونية، ص ١٩-٢٠).

(٣٥) تايلر، المرجع السابق، ص١٤.

وان اقامة وطن لليهود، في أية بقعة من بقاع الارض، في فلسطين او سواها، لا بد من ان يشكل عدوانا صارخا على حقوق الآخرين وملكيتهم ومواطنتهم (كما جرى في فلسطين تماما) وهو ما يؤكد الطبيعة العدوانية لبني اسرائيل.

ولكن هرتزل لم يكن اول مفكر يهودي سعى الى حل عُقَد الشعب اليهودي على حساب شعب آخر، وان كان أول من وضع استراتيجية محددة وواضحة المعالم لاقامة دولة لليهود في أي وطن من أوطان الآخرين، اولا، ثم في فلسطين، وعلى حساب الشعب الفلسطيني، اخيرا. فقد سبق «هرتزل» في التفكير بحل هذه العقد عدد من المفكرين اليهود أمثال الحاخام يهوذا ألكالاي (١٧٩٨ـ ١٨٧٨) والحاخام زفي هيرس كاليشر (١٧٩٥ـ ١٨٧٤) والمفكر اليهودي الالماني موزس هس (١٨١٢ـ ١٨٧٥) الذي يعتبر، عند الكثيرين، «الاب الحقيقي للقومية اليهودية المدّعاة، والدعوة الصهيونية الحديثة»، وهو الذي اقترح «انشاء مستعمرات يهودية عند قناة السويس وعلى ضفتي الاردن... كخطوة أولية على طريق استرجاع اليهودية»[٣٦]، وأرنست لاهاران الذي اقترح اقامة «مملكة يهوذا الجديدة» في المنطقة الواقعة «من السويس الى خليج أزمير، وتشمل سلسلة جبال لبنان الغربية بأسرها»[٣٧]، وكان أهمهم المفكر اليهودي الروسي ليوبنسكر (١٨٢١ـ ١٨٩٤) الذي اتفق مع معظم من سبقه على ان الحل الامثل هو عودة اليهود الى فلسطين، الا انه تفرّد بوضع كرّاس باللغة الالمانية وبعنوان «التحرر الذاتي» وقد نال هذا الكراس شهرة عظيمة لانه وصف، بصراحة متناهية، العُقَد التي يعاني منها الشعب اليهودي في «ديار الشتات» التي هي أوطانه التي ينتمي اليها، ومما قاله بنسكر في كرّاسه هذا:

- «الشعب اليهودي لا وطن ابوياً له، على كثرة أوطانه الام... انه حاضر في كل مكان وليس له مكان في أي بيت أبدا.

- «اليهود ليسوا أمة حية، انهم غرباء، في كل مكان، لذا يحتقرهم العالم.

- «مساواة اليهود في الحقوق المدنية والسياسية لا تكفي لرفع شأنهم في أعين الشعوب.

---

(٣٦) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ص ٥٤.

(٣٧) م.ن. ص ٥٥.

- «الحل الوحيد الصحيح ينطوي على خلق قومية يهودية وايجاد شعب له كيانه الخاص وأرضه.

- «ان تحرر اليهود ووقوفهم على قدم المساواة، أمة بين سائر الامم، يتم عن طريق حصولهم على وطن خاص بهم»[٣٨].

والواضح ان أيا من هؤلاء المفكرين اليهود لم يطرح، اطلاقا، تساؤلا لا بد من ان يُطرح، وهو، لماذا يظل اليهود دائماً «عنصرا مغايرا نافرا... لا يمكن دمجه في غيره من الامم، كما يعسر على أية أمة هضمه واستيعابه»؟[٣٩] أو ليس ذلك لان التنشئة الدينية والمدنية لهذا الشعب، على مر العصور، هي التي جعلته كذلك؟. ثم أو لا ينطوي هذا التمايز لليهود عن غيرهم من الشعوب والاجناس على عنصرية مقيتة لا بد من ان تكون مرتكزة على قاعدة من العداء والحقد والكراهية للآخرين «الغوييم» تجعلهم لا يأتلفون مع هؤلاء «الغوييم»، كما تجعل هؤلاء «الغوييم» لا يأتلفون معهم؟

وكيف يمكن لهؤلاء المفكرين اليهود ان يروا حل عقد شعبهم وأمراضه النفسية على حساب غيره من الشعوب، سواء في فلسطين أم في سواها، دون ان يروا في ذلك اعتداء صارخا على حقوق تلك الشعوب؟

تلك هي الطبيعة العدوانية للانسان اليهودي، هذه العدوانية الناتجة عن التربية الدينية القائمة على التمايز والتعالي وكره الآخرين، كل الآخرين، من بني البشر، والتي توارثوها منذ عهد موسى ومن تبعه من أنبياء وحكماء، الى عهد هرتزل ومن تبعه من قادة ومفكرين وسياسيين.

وبعد هرتزل، برز الكثير من مفكري اليهود وقادتهم السياسيين ليتابعوا رسالته، ويكملوا ما بدأه من خلال «المنظمة الصهيونية العالمية» التي أسسها، وكان أهمهم: حاييم وايزمن وفلاديميير جابوتنسكي ودايفيد بن غوريون ومناحيم بيغن الذين استطاعوا تحقيق حلم هرتزل باقامة دولة لليهود في فلسطين بعد طرد أهلها العرب منها، وذلك بعد نصف قرن تماما من انشاء المنظمة الصهيونية وعقد أول مؤتمر لها في بال بسويسرا عام

(٣٨) م.ن. ص ٥٧.

(٣٩) م.ن.ص.ن.

١٨٩٧. فكان ذلك هو الاعتداء التاريخي الثاني من قبل بني اسرائيل على فلسطين وأهلها، بعد مرور اثنين وثلاثين قرنا على الاعتداء الاول، في عهد يشوع بن نون وخلفائه من حكام بني اسرائيل.

ويتبين من المسار التاريخي للشعب اليهودي على مدى اثنين وثلاثين قرنا، ان «الطبيعة العدوانية» لهذا الشعب هي جزء لا يتجزأ من تربيته الدينية، كما انها عنصر مهم من عناصر الاستراتيجية المجتمعية والسياسية البعيدة المدى، التي وضعها مفكروه وقادته الروحيون والسياسيون، وخططوا لها، ووضعوا النظريات الملائمة لكي يحتفظوا بهذا الشعب، طيلة هذه القرون، خارج المجتمعات البشرية، وفي «غيتو» خاص به، وذلك بعد ان ظلوا يشحنونه، طيلة هذه العصور، بكل عوامل الحقد والكراهية والعداء لباقي الشعوب.

ومنذ منتصف القرن الميلادي الثامن عشر، بدأ اليهود يعدّون العدة لعدوان جديد على فلسطين، وذلك من خلال ما ابتدعوه، وحرصوا على المحافظة عليه وعمدوا الى اثارته بين الفينة والاخرى، مما سموه بالمسألة اليهودية وعقدة اللاسامية، وحاجة هذا الشعب «المظلوم والمشرّد والبائس والمستضعف» الى أرض يمتلكها ووطن يأوي اليه ويستجير به، واستطاعوا، بما أوتوا من حنكة ودراية ودهاء، ان يقنعوا العالم بعدالة قضيتهم، فكانت «فلسطين»، وللمرة الثانية، ضحية عدوانهم، بل فداء لكل شعوب الارض التي نبذتهم وكرهت استضافتهم.

يقول دايفيد بن غوريون «خلال الفي عام، كنا غبارا من أقليات في عشرات البلدان، وكان قدرنا، بأيدي الآخرين. أحيانا، كنا نعامل، هنا وهناك، بانسانية وتسامح، وكانت لنا حظوظنا بان نتطور، وأحيانا اخرى، كنا محاصرين ومطاردين، ومضطهدين ومقتولين»[٤٠]، ولم يحاول أحد ان يسأل بن غوريون: لماذا انتم هكذا دون باقي البشر؟

ويتساءل مناحيم بيغن، بكل بساطة، وفي حديث له عن «عمليات الافناء» التي قام بها هتلر، خلال الحرب العالمية الثانية، ضد اليهود: «هل يمكن ان يُفنى شعب بكامله، وفي القرن العشرين؟ وماذا يقول باقي العالم بذلك»؟[٤١]. ولكن بيغن هذا، الذي يطرح هذا

(٤٠) -- Ben Gourion, Regards sur le passé, P. 9.

(٤١) -- Begin, Menahem, La Révolte d'Israël. P. 42.

التساؤل، هو الذي قاد، بنفسه، عملية طرد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ودياره ليحتلها شعب دخيل معتد وهو الشعب اليهودي، وظل يطارد ذلك الشعب، بجيوشه وطائراته، الى أية ارض لجأ، بغية افنائه، تماما كما فعل هتلر (لو صح هذا الزعم) بالشعب الذي ينتمي اليه بيغن، والذي سعى لأن يثأر له من شعب بريء معتدى عليه، هو الشعب الفلسطيني.

قامت الدولة العبرية على العدوان، اذن، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كما قامت على العدوان، ايضا، في القرن الميلادي العشرين. وكما طرد بنو اسرائيل، بدون وجه حق، ومنذ اثنين وثلاثين قرنا، «سبع امم» من أرضهم وديارهم، طردوا، بدون وجه حق، كذلك، وفي هذا القرن (الميلادي العشرين)، الفلسطينيين العرب من أرضهم وديارهم. وكما امتلك بنو اسرائيل، منذ اثنين وثلاثين قرنا، وبدون وجه حق، «مدناً عظيمة لم يبنوها، وبيوتا مملوءة كل خير لم يملأوها، وآباراً محفورة لم يحفروها، وكروما وزيتونا لم يغرسوها» امتلكوا، في هذا القرن بالذات، وبدون وجه حق كذلك، مدن الفلسطينيين، وبيوتهم المملوءة خيرا، وآبارهم وكرومهم وزيتونهم. فأي تاريخ، في البشرية، اكثر عدوانية وهمجية من تاريخ بني اسرائيل هذا؟

واذ يستمر العدوان اليهودي على فلسطين، يستمر، كذلك، على الشعب الفلسطيني المشرّد في «ديار الشتات»، كما يستمر على الشعوب العربية المجاورة لفلسطين المحتلة. كأنما كتب عرب هذا العصر على أنفسهم، بتخاذلهم المتمادي وغير المبرر، ان يصبحوا، في يوم قريب ربما، عبيدا لبني اسرائيل، وخداما لهؤلاء الذين يطمحون لان يحكموا، ذات يوم، العالم بأسره.

ويكفي ان تكون «اسرائيل» الدولة الوحيدة، في هذا العالم، التي لم يرد في دستورها حدود لها، حتى تتأكد، بلا جدال، الطبيعة العدوانية لهذه الدولة. كما ان الوضع القائم حاليا في الجولان وجنوب لبنان والبقاع الغربي يشكل النموذج الساطع للعدوان الاسرائيلي المستمر والمتمادي ضد سوريا ولبنان.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثاني

العنف والارهاب

تميزت الروايات الواردة في العهد القديم، عن حروب بني اسرائيل ضد غيرهم من الشعوب، بالعنف المطلق الذي يحمل، دون أدنى مبالغة، كل معاني الارهاب الحقيقي، فمن قتل النساء والاطفال والرجال المسنين، وتسخير من يمكن ان يبقى منهم على قيد الحياة، الى تدمير المدن والبلدان والقرى واحراقها، واحراق الاشجار والمزروعات، وسَبي المتاع والحيوانات والبهائم. كل هذه أمور يرويها العهد القديم في نصوصه المتعلقة بحرب بني اسرائيل ضد غيرهم من الشعوب.

ففي حرب موسى ضد المدينيين، هاجم بنو اسرائيل المدينيين باثني عشر الف مقاتل، الفا من كل سبط من أسباطهم الاثني عشر، فهزموهم «وقتلوا كل ذكر، وقتلوا ايضا... ملوك مدين وهم خمسة» كما سبوا «نساء مدين وأطفالهم، وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وأموالهم، وأحرقوا بالنار جميع مدنهم مع مساكنهم ومخيماتهم»[١].

وكان الرب قد كلم موسى، قبل ذلك، قائلا: «انتقم انتقام بني اسرائيل من المدينيين» فقال موسى لقومه: «ليجهّز بعضكم أنفسهم للقتال، وليخرجوا على مدين ليحلوا بها انتقام الرب»[٢]، فكان القضاء على مدين وأهلها وملوكها، وسبي أموالها، هو الانتقام الذي يريده رب موسى ورب بني اسرائيل اذن، وهو نوع من الانتقام اختص رب موسى به بني اسرائيل وكلفهم تنفيذه باعدائهم، بدليل انه قال لموسى: «انتقم انتقام بني اسرائيل» أي الانتقام الذي خصّ الله به هؤلاء القوم، وهو انتقام بالغ الهمجية كما يبدو من الفعل ذاته.

---

(١) العهد القديم، عد ٣١: ٧ـ١١.

(٢) م.ن. عد ٣١: ١ـ٢.

وفي حرب يشوع ضد أهل «العي»، أقدم بنو اسرائيل، بعد انتصارهم، على دخول مدينة «العي» وقتل جميع سكانها «بحد السيف». فكان جميع الذين سقطوا، في ذلك اليوم، رجالا ونساء «اثني عشر الفا، جميع أهل العي». وسلب بنو اسرائيل ما في المدينة من بهائم وغنائم لانفسهم «على حسب أمر الرب الذي أمر به يشوع» ثم «أحرق يشوع العي وجعلها ركاما للأبد»، أما ملك «العي» فقد علقه يشوع «على شجرة حتى المساء» ثم «أمر يشوع فأنزلوا جثته (الملك) عن الشجرة وألقوها عند مدخل المدينة»، وأقام على الجثة «كومة كبيرة من الحجارة»[٣].

وفي حرب يشوع ضد الاموريين، في جبعون، هزم يشوع ملوك الاموريين وأسرهم، وكانوا خمسة (ملوك أورشليم وحبرون ويرموت ولاكيش وعجلون)[٤]، فأمر يشوع قواده ان يطأوا، بأرجلهم، اعناق هؤلاء الملوك «فتقدموا فوضعوا أقدامهم على رقابهم»[٥] (ويستعيد جندي اسرائيلي، في الاراضي الفلسطينية المحتلة، فعلة يشوع هذه، فيقف متباهياً أمام الصحافيين يصورونه وهو يدوس بقدمه على عنق مواطن فلسطيني (انظر الصورة رقم ١ و ٢) ثم قتل يشوع، بعد ذلك، الملوك الخمسة الاسرى «وعلقهم على خمس أشجار، فلبثوا معلقين على الاشجار الى المساء»[٦]، ثم اجتاح يشوع، بعد ذلك، بلاد الاموريين من «مقّيدة» الى «لبنة» فلاكيش فـ «عجلون» فـ «حبرون» وأخيراً «دبير»، فاستسلمت كل هذه البلاد له[٧].

ويروي العهد القديم الطريقة التي تعامل بها يشوع مع هذه البلدان «بحد السيف، وحرّموا (قتلوا) كل نفس فيها، ولم يبُقِ باقيا... بل حرّم (قتل) كل نسمة كما أمر الرب اله اسرائيل»[٨]. ثم يذكر ان يشوع فعل بملك مقّيدة ولبنة ولاكيش وعجلون وحبرون ودبير الشيء نفسه الذي فعله بملك أريحا،[٩] وكان يشوع قد أباح أريحا لبني اسرائيل، بعد ان احتلها، (تماماً كما أبيحت دير ياسين لليهود عام ١٩٤٨)، «فاستولوا على المدينة، وحرّموا كل ما في المدينة من الرجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم

---

(٣) م.ن. يش٨: ١٩ـ٢٩.
(٤) م.ن. يش١٠: ٥.
(٥) م.ن. يش١٠: ٢٤.
(٦) م.ن. يش١٠: ٢٦.
(٧) م.ن. يش١٠: ٢٤ـ٣٩.
(٨) م.ن. يش١٠: ٣٩ـ٤٠.
(٩) م.ن. يش١٠: ٣٠.



جنديان اسرائيليان يرميان ارضاً احد الفلسطينيين في نابلس بينما يدوس عليه احدهما بقدمه
(جريدة السفير بتاريخ ١/١٢/٩٥).

بعد «دبير»، تابع يشوع اجتياحه لبلاد الاموريين، وضرب «المنطقة كلها: الجبل والنقب والسهل والسفوح، وجميع ملوكها.. من قادش برنيع الى غزة، مع كل أرض جوشن الى جبعون. واستولى يشوع على جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة، لان الرب، اله اسرائيل، كان يحارب عن اسرائيل»(١١).

وتجمع ملوك من الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والحويين،

---

(١١) م.ن. يش ١٠: ٤١-٤٢.



مستوطن يهودي يقبّل قبر سفاح الحرم الابراهيمي باروخ غولدشتاين الذي ارتكب جريمته وقُتل في مدينة الخليل بتاريخ ٢٥/٢/٩٤.

(وهم ملوك حاصور ومادون وشمرون واكشاف وغيرهم) لمحاربة يشوع وقومه، فزحف يشوع للقائهم عند «مياه ميروم» حيث «أسلمهم الرب الى أيدي اسرائيل» فهزموهم. ودخل بنو اسرائيل حاصور وضربوا كل نفس فيها بحد السيف محرّمين اياهم، ولم تبق نسمة. وأحرق حاصور بالنار. واستولى يشوع على جميع مدن أولئك الملوك مع ملوكها. وضربهم بحد السيف وحرّمهم (قتلهم) كما أمر موسى، عبد الرب». ولم يحرق يشوع الا حاصور، أما باقي المدن «الواقعة على تلالها» فلم يحرقها يشوع، لانه كان يريدها لسكن قومه، «واما البشر، فضربوهم بحد السيف حتى أبادوهم، ولم يبقوا نسمة»[١٢]. وأخذ يشوع كذلك «تلك الارض كلها: الجبل وكل النقب وكل منطقة جوشن*، والسهل والعربة وجبل اسرائيل وسهله، من الجبل الاقرع الممتد جهة سعير، الى بعل جاد في بقعة لبنان، تحت جبل حرمون. واستولى على جميع ملوكها فضربهم وقتلهم»[١٣].

لقد كان بنو اسرائيل، اذن، يخوضون حرب ابادة وافناء ضد الشعوب الاخرى بلا استثناء، وبأمر من ربهم، بل بمشاركة منه في هذه الحروب، كما يقول الرب نفسه.

ويحدد العهد القديم، بوضوح، قواعد التعامل مع مدن الاعداء التي يحتلها بنو اسرائيل صلحا أم عنوة، فاذا احتلت المدينة صلحا «فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك» أي لشعب اسرائيل. أما اذا احتلت عنوة «فاضرب كل ذكر بحد السيف، وأما النساء والاطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغتنمها لنفسك»[١٤]. هذا بالنسبة الى المدن البعيدة جدا، أما «مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب الهك اياها ميراثا» أي تلك التي تدخل ضمن حدود أرض الميعاد مثل مدن «الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرّزيين والحويين واليبوسيين» فيأمر رب اسرائيل شعبه ان: «لا تستبقِ منها نسمة، بل حرّمهم تحريماً»[١٥]. والقصد من ذلك، في الحالة الاخيرة، واضح، وهو استبدال شعب بشعب، بافناء الشعب الاصيل ليحل محله الشعب البديل، تماما كما جرى في فلسطين.

---

(١٢) م.ن. يش ١١: ١ـ١٤.

(*) وردت «جوشف» في المتن.اذ وردت «جوشن» في الطبعة الاولى (العهد العتيق)، وفي نسخة «جمعيات الكتاب المقدس المتحدة».

(١٣) م.ن. يش ١١: ١٦ـ١٧.

(١٤) م.ن. تث ٢٠: ١٠ـ١٤.

(١٥) م.ن. تث ٢٠: ١٥ـ١٧.

وليس مقنعا ما جاء في العهد القديم من تبرير، بقوله: «كيلا يعلّموكم ان تصنعوا مثل قبائحهم التي صنعوها لآلهتهم، فتخطئوا الى الرب الهكم»[١٦]، وتلك مظاهر الارهاب الجماعي الذي يهدف الى استيطان الشعوب الغالبة في بلدان الشعوب المغلوبة، حيث يعمد المنتصر الى ابادة الشعب المغلوب لكي يحل محله، في دياره. ويظهر ذلك واضحا عندما نرى ان رب اسرائيل لم يدعُ، اطلاقا، الى نشر عقيدته بين باقي الشعوب، بل كان يأمر بافناء تلك الشعوب بدلا من «هديها» الى دينه، بخلاف ما نعرفه لدى المسيحية والاسلام من اصرار على التبشير بالدينين السماويين، وسعي لادخال الناس والشعوب في أي منهما.

وهناك وصايا تعتبر «فرائض واحكاما» يتوجب على شعب اسرائيل ان يحفظها وينفذها على الارض التي أعطاه الرب اياها «لترثها كل الايام التي تعيشونها على الارض». يقول رب اسرائيل لشعبه، في ذلك: «انكم عابرون الاردن لتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم الرب الهكم اياها، فترثونها وتسكنون فيها. فاحرصوا ان تعملوا بجميع الفرائض والاحكام التي أضعها اليوم أمامكم»[١٧]، ومن هذه الفرائض و الاحكام:

اذا خرجت مدينة من المدن «التي أعطاك الرب الهك اياها لتسكن فيها» عن طاعة رب اسرائيل وقال أهلها: «هلمّ نعبد آلهة لم تعرفوها» فاسأل عن صحة ذلك، فان ثبتت صحته، «فاضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وحرّمها بكل ما فيها، واضرب بحد السيف حتى بهائمها.... واحرق بالنار تلك المدينة، وغنيمتها... فتكون تلا للابد لا تبنى من بعد»[١٨].

وبعد، فماذا يمكن ان يكون العنف المطلق والارهاب الجماعي المدمّر ان لم يكن مثل ما قاله رب بني اسرائيل لشعبه عندما أمره بعبور الاردن، اذ قال له: «انك اليوم عابر الاردن لتدخل وتطرد أمما أعظم وأقوى منك، مدنها عظيمة ومحصنة الى السماء.... فاعلم اليوم ان الرب الهك هو يعبر أمامك، كنار آكلة، هو يبيدهم وهو يذلهم امامك، فتطردهم وتبيدهم سريعا، كما كلمك الرب»[١٩]. او كما ورد في سفر أشعيا، عن لسان الرب: «كل من صودف طعن، وكل من أخذ سقط بالسيف، وأطفالهم يسحقون بمرأى منهم، وبيوتهم تنهب

---

(١٦) م.ن. تث٢٠: ١٨.

(١٧) م.ن. تث١٢: ١ وتث١١: ٣١-٣٢.

(١٨) م.ن. تث١٣: ١٣-١٧.

(١٩) م.ن. تث٩: ١-٣.

ونساؤهم تغتصب»[٢٠]. ثم أو ليس هذا ما أكده بن زفي (Ben Zevi) عندما أطلق شعاره «بالنار والدم سقطت اليهودية، وبالنار والدم سوف تبعث»[٢١] كشعار لاول منظمة صهيونية مسلحة قامت في فلسطين عام ١٩٠٩ وهي منظمة «الهاشومير Hashomer» او «الحارس»؟.

ومن يقرأ «مزامير داود» يدرك كم هي مرعبة مطالب النبي داود من ربه، وذلك عندما يناجيه متضرعا اليه ان يهبه القوة لكي «أطارد أعدائي فأدركهم، ولا أعود حتى أفنيهم. وأضربهم فلا يستطيعون النهوض، وتحت قدمي يسقطون»[٢٢]. أو لكي «تصرع مناهضيّ تحت قدميّ... وأما مبغضيّ فاني أبيدهم. يصرخون ولا منقذ... كالغبار في مهب الريح أسحقهم، وكما يداس وحل الطرقات أدوسهم»[٢٣].

وفي مكان آخر، مرعبة هي أقوال الرب عندما نسمعه يحرّض يعقوب على القتال بقوله: «ها انذا جعلتك نورجا، سكة جديدة ذات أسنان، فتدوس الجبال وتسحقها، وتجعل التلال كالعصافة»[٢٤]. او عندما نسمعه يقول لارميا: «اذا قالوا لك: الى اين نخرج: فقل لهم: هكذا قال الرب: الذين للموت فالى الموت، والذين للسيف فالى السيف، والذين للجوع فالى الجوع، والذين للجلاء فالى الجلاء»[٢٥] أو لا يذكرنا هذا القول بمصير الفلسطينيين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧؟، أو عندما يهدد «صور وصيدون وجميع مناطق فلسطين» بقوله: «أبيع بنيكم وبناتكم بايدي بني يهوذا، فيبيعونهم للشبئيين، لأمة بعيدة»[٢٦]. أما الفلسطينيون فحظهم من أرهاب بني اسرائيل كان يفوق حظوظ باقي الامم، كما سنرى[٢٧].

ويزخر العهد القديم بمختلف صنوف التهديد والعذاب والارهاب لاعداء بني اسرائيل

---

(٢٠) م.ن. اش١٢:١٥ـ١٦.

(٢١) -- Bar- Zohar, Michel, Ben Gourion, Le Prophète armé, P. 38 larteguy, J., les Murailles d'Israël, P. 50

(٢٢) العهد القديم، مز ١٨: ٣٨ـ ٣٩.

(٢٣) م.ن. مز١٨: ٤٠ـ٤٢.

(٢٤) م.ن. أش ٤١: ١٥.

(٢٥) م.ن. أر ١٥: ٢. والحديث، هنا، عن شعب اسرائيل عندما غضب الرب عليه، ولكن ما يلفت الانتباه، في هذا القول، هو الوسائل المتعددة للانتقام، والتي استخدمها اليهود بدورهم ضد الفلسطينيين في هذا القرن.

(٢٦) م.ن. يو، ٤: ٨. والشبئيون: تجار من سكان جنوب جزيرة العرب (م.ن. ص ١٩٢٧ حاشية ٨).

(٢٧) راجع لحروب بني اسرائيل ضد الفلسطينيين، أسفار: يشوع، والقضاة، وصموئيل الاول والثاني والاخبار الاول والثاني.

وخصومهم. ونتوقف عند بعض هذه الصنوف، بالاضافة الى ما سبق ان قدمناه منها، لنبين كم ان العنف والارهاب متجذران في التعاليم الدينية اليهودية، مما أضفى على السلوك اليهودي في التاريخ، حالة من الادمان على العنف لم تفارقه. جاء في العهد القديم:

- قبض جدعون بن يواش، في حربه مع سكّوت (قرب نهر الزرقاء)، على سبعة وسبعين من شيوخها «وأخذ أشواكا من البرية، والنوارج، ومزّق بها أهل سكّوت، ودمّر برج فنوئيل، وقتل رجال المدينة»[٢٨].

- وأوصى صموئيل شاول، عند حربه ضد عماليق، قائلا، «أضرب عماليق، وحرّم كل ما لهم، ولا تُبقِ عليه. بل أمِت الرجال والنساء والاولاد وحتى الرضع والبقر والغنم والابل والحمير» و«ضرب شاول عماليق، من حويلة الى شور التي شرقي مصر، وأخذ اجاج، ملك عماليق، حياً، وحرّم (قتل) شعبه اجمع بحد السيف»[٢٩].

- ورفض سيحون، ملك الاموريين، ان يدع بني اسرائيل يمرون من أرضه الى ارض كنعان «فضربه اسرائيل بحد السيف، وورث ارضه (بكل بساطة) من أرنون الى يبّوق، الى بني عمّون،... وأخذ اسرائيل جميع هذه المدن، فسكنوا جميع مدن الاموريين في حشبون (حسبان بالبلقاء) وجميع توابعها»[٣٠]. وكان الرب قد أمر اسرائيل انه «قد بدأت أُسلِم سيحون وأرضه الى يدك، فابدأ بالتملّك ورِثْ أرضه» ويتابع اسرائيل: «فضربناه (سيحون) هو وبنيه وكل شعبه، واستولينا على جميع مدنه... وحرّمنا كل مدينة، رجالها ونساءها وأطفالها، ولم نُبق باقيا، أما البهائم فغنمناها لانفسنا مع غنيمة المدن التي استولينا عليها»[٣١] تماما كما جرى في فلسطين في القرن الميلادي العشرين (عام ١٩٤٨ و١٩٦٧م).

- وهاجم يهوذا المكابي مدينة عقرون، في أرض جلعاد، «فأهلك كل ذكر بحد السيف، ودمّر المدينة من أساسها، وسلب غنائمها، واجتاز في المدينة من فوق القتلى»[٣٢].

---

(٢٨) م.ن. قض ٨: ١٣ـ١٧.

(٢٩) م.ن. ١صم ١٥: ٣و٧ـ٨.

(٣٠) م.ن. عد ٢١: ٢١ـ٢٥.

(٣١) م.ن. تث ٢: ٣١ـ٣٥.

(٣٢) م.ن. ١مك ٥: ٥٠ ـ ٥١.

ـ وجاء في سفر إرميا: «ملعون من منع سيفه عن الدم»[٣٣].

ـ وجاء في سفر زكريا: «وهذه هي الضربة التي يضرب بها الرب جميع الشعوب التي حاربت أورشليم: يفسد لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وعيونهم تفسد في وقوبها، وألسنتهم تفسد في أفواههم»[٣٤].

ـ وخاطب رب بني اسرائيل موسى، وهو في «عربة مؤاب» عند الاردن، مقابل أريحا، قائلا: قل لبني اسرائيل، قومك، انكم «اذا عبرتم الاردن الى أرض كنعان، فطردتم جميع سكان تلك الارض من وجهكم» فانكم سوف «تملكون الارض وتقيمون فيها» لأنني «قد أعطيتكم اياها ميراثا»، ولكنه يأمرهم بان يطردوا كل سكان تلك الارض منها، لا يبقون احدا منهم فيها، «وإن لم تطردوا كل سكان تلك الارض من وجهكم، كان من تبقون منهم كإبرة في عيونكم وكمهامز في جوانبكم، وهم يضايقونكم في الارض التي تقيمون فيها»[٣٥]. ولا شك في ان اسرائيل القرن العشرين لا تزال تتذكر هذه الوصايا وتحفظها وتؤمن بها، وهي تسعى لتنفيذها في عرب فلسطين ما أمكن، وقد نجحت في ذلك الى حد كبير.

هذا غيض من فيض تغص به صفحات العهد القديم، مما يجعلنا نشك في ان يكون رب العالمين جميعا، رب ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم جميعا) على هذا القدر الذي لا يمكن وصفه وتصوره من القسوة والعنف والدموية، ولأجل هذا، جاء في القرآن الكريم، في هذا المجال، ما يلي:

ـ قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّه مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ومن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاس جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[المائدة ٥/ ٣٢] .

وذكر «القرطبي» في تفسير هذه الآية ان الله عز وجل غلّظ الامر «على بني اسرائيل بالكتاب، بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء»، وهم «أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الانفس مكتوبا»، وقد اختصّ الله عز وجل بني اسرائيل بهذا الوعيد «تغليظا عليهم». وأخبر

---

(٣٣) م.ن.أر ٤٨ : ١٠

(٣٤) م.ن. زك ١٤ : ١٢. ووقب العين، محجرها او النقرة التي توجد العين فيها.

(٣٥) م.ن. عد٣٣: ٥٠ـ٥٥.

الله المؤمنين، في هذه الآية، ان رسله جاءت بني اسرائيل بالبيّنات، الا أن أكثرهم جاوز الحد وترك أمر الله[٣٦].

وربما نجد في العهد القديم تعاليم حديثة العهد أقل قسوة من سابقاتها، الا انها تختلف، الى حد كبير، عن تعاليم الاسلام التي تنص على وجوب دعوة الاعداء، قبل قتالهم، الى واحدة من اثنين، الاسلام او الجزية ان كانوا من اهل الكتاب، والا فالحرب، والى الاسلام ان كانوا مشركين او كفرة، والا فالحرب، بينما يوصي العهد القديم بالدعوة الى السلم فقط، دون الدعوة الى الايمان بالله، وقد جاء في العهد القديم: «واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها، فادعها اولا الى السلم، فاذا اجابتك بالسلم وفتحت لك ابوابها، فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك. وان لم تسالمك، بل حاربتك، فحاصرتها وأسلمها الرب الهك الى يدك، فاضرب كل ذكر بحد السيف. وأما النساء والاطفال والبهائم وجميع من في المدينة من غنيمة، فاغتنمها لنفسك، وكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك اياها».

ويحصر رب اسرائيل هذه التعاليم بالمدن البعيدة فقط، أما مدن «تلك الشعوب التي يعطيك الرب الهك اياها ميراثا»، فيوصيه ان «لا تسبق منها نسمة، بل حرّمها تحريما (أي اقتلها تقتيلا)».

ويذكر محققو العهد القديم انه «لم تكن هناك مناسبة لتطبيق هذه القواعد» لان سفر «تثنية الاشتراع» الذي تضمّن هذه التعليمات صدر في عهد «يوشيا»، أي في زمن «نبذ سيطرة اشور» ونشر «الاصلاح الديني» الذي أختطه سفر «تثنية الاشتراع» أي في النصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد. ولم يكن قد «بقي هناك كنعانيون يحرّمون، وما كان بنو اسرائيل يحاصرون المدن الغريبة»[٣٧].

---

(٣٦) القرطبي، الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، جـ٦: ١٤٦ـ١٤٧. وجاء في تفسير الجلالين: من أجل ذلك، اي من أجل ما فعله قابيل باخيه هابيل، وكذلك، عند البيضاوي (ويفسر ذلك ما سبق هذه الآية من آيات). ورغم ان القرطبي يشرح معنى الآيات السابقة ويعزوها الى قتل قابيل لاخيه هابيل (وهو واضح في تلك الآيات)، الا انه يميل، ونحن معه، لان يعتبر هذه الآية حكما مطلقا تجاه اليهود «بحسب طغيانهم وسفكهم للدماء» خصوصا وان الله عز وجل أرسل اليهم رسلا جاءتهم بالبينات الا انهم جاوزوا الحدّ وتركوا أمر الله.

(٣٧) العهد القديم، تث ٢٠: ١٠ـ١٤ وص ٢١ و٢٨٨ حاشية(١).

ولم تخرج «بروتوكولات حكماء صهيون» عن خط العهد القديم في اعتماد العنف أساسا في التعامل مع سائر الشعوب، فقد جاء في البروتوكول الاول ان «خير النتائج التي يراد تحقيقها من التسلط على الغوييم... انما يكون بالعنف والارهاب»، وان «العنف يجب ان يتخذ قاعدة، وكذلك المكر والخديعة»، وان «الشر هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية المقصودة من الخير»[٣٨].

وقد توارث بنو اسرائيل العنف والارهاب جيلا بعد جيل، من عهد موسى ويشوع، وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى القرن الميلادي العشرين، ونفذوا ما توارثوه من عنف وحقد وارهاب على الشعب الفلسطيني طوال نصف قرن من الزمن (منذ عام ١٩٤٨)، ذلك انه لم يكن ممكنا للصهيونية ان تحقق غايتها في اقامة دولة اليهود في فلسطين الا بسلوكها سبيل العنف والارهاب ضد الشعب الفلسطيني، المالك الاصلي للارض، حيث تمكنت، بهذه الوسيلة، من طرده من ارضه واستيطان هذه الارض بدلا منه، تماما كما فعل أسلافهم من قبل بالشعوب الكنعانية البائدة.

وقد استخدمت اسرائيل، منذ قيامها، مختلف وسائل العنف والارهاب بقصد اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم أولا، ثم ردعهم عن السعي للمطالبة او العودة اليها، فيما بعد، حتى غدت هذه الوسائل (العنف والارهاب) حجر الاساس في الاستراتيجية الصهيونية القائمة على مبدأ (الاحتلال والتوسع بهدف الاستيطان) قبل قيام اسرائيل، واستمر بعد قيامها. ثم ما لبث العنف والارهاب ان أضحى، بعد قيام الدولة العبرية، وفي مواجهة النضال الفلسطيني والعربي ضد الاحتلال الصهيوني، استراتيجية رسمية معتمدة من قبل الدولة العبرية، سواء ضد الشعب الفلسطيني، مقاوما كان أم مسالما، او ضد الدول العربية وشعوبها المجاورة للكيان الصهيوني، والرافضة لوجوده، وخصوصا تلك التي احتلت ارضها من قبل العدو الصهيوني، ولا تزال.

وأصبح العنف والارهاب، بالتالي، عنفا رسميا وإرهابا رسميا، تعتمده الدولة العبرية، بهدف ردع المقاومة والشعب الفلسطينيين عن مواصلة نضالهما لاسترداد الحقوق الفلسطينية المغتصبة، كما تعتمده بهدف ردع الدول العربية التي احتلت ارضها عن

(٣٨) نويهض، المرجع السابق، مجلد ١: ١٧٩ و١٨٦.

النضال في سبيل استرداد هذه الارض. والوضع القائم حاليا في جنوب لبنان والبقاع الغربي يشكل النموذج الساطع للعنف الاسرائيلي المستمر والمتمادي ضد لبنان.

وقد اعتمدت الصهيونية العنف والارهاب في كل نشاطاتها السياسية والعسكرية، وفي مختلف مراحلها، أي منذ نشأتها كحركة سياسية وحتى قيام دولتها (اسرائيل)، واستمرت بعد قيام هذه الدولة، ولا تزال. فهي قد اعتمدت العنف والارهاب كوسيلة سياسية في فلسطين، في عهد الانتداب البريطاني، ضد الفلسطينيين، وضد البريطانيين احيانا، كما اعتمدتها كوسيلة عسكرية في سائر مراحل نزاعها مع العرب، في السلم والحرب معا. وقد تنوعت اساليب العنف والارهاب التي استخدمتها الحركة الصهيونية، ثم الدولة العبرية، بدءاً من عمليات النسف والقتل والاغتيال الفردي والجماعي، وصولا الى عمليات عسكرية ضد الآمنين والمسالمين والعزل من السلاح، في فلسطين وسائر الدول العربية من المحيط الى الخليج. ونذكر، على سبيل المثال لا الحصر:

- عمليات العنف والارهاب التي قامت بها المنظمات الارهابية (الهاغاناه والارغون وشتيرن) في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، (عملية نسف فندق الملك داود بالقدس في ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٤٦).

- عمليات اغتيال زعماء سياسيين وقادة عسكريين ومفكرين ومثقفين فلسطينيين (غسان كنفاني، وكمال ناصر، محمد يوسف النجار، وكمال عدوان، وعلي سلامة، ومحمود الهمشري، ومحمد بو ديا، ومحمود صالح، وحسين ابو الخير، ووائل زعيتر، وماجد ابو شرار، ومنذر ابو غزالة، وخليل الوزير (ابو جهاد)، وغيرهم)، بالاضافة الى محاولات اغتيال متعددة ابرزها محاولة اغتيال الدكتور انيس صايغ رئيس مركز الابحاث الفلسطيني ببيروت في ١٩ تموز/ يوليو ١٩٧٢.

- عمليات قصف المخيمات الفلسطينية والقرى والمدن اللبنانية والسورية والاردنية والمصرية طيلة سنوات عديدة من صراع العرب مع العدو الصهيوني.

- عمليات القصف الجوي والمدفعي التي تعرض لها جنوب لبنان في صيف ١٩٩٣ (آب/ اغسطس) والتي استمرت سبعة ايام، وقد عرفت هذه العمليات «بحرب الايام السبعة» على لبنان.

- عمليات القصف الجوي والمدفعي والحصار البحري التي لا يزال يتعرض لها جنوب لبنان الى اليوم.

ـ عملية «عناقيد الغضب» التي نفّذها العدوّ الصهيوني ضد المواطنين اللبنانيين المدنيين في الجنوب والبقاع الغربي بين ١١ و٢٦ نيسان ١٩٩٦.

وغير ذلك من عمليات العنف والارهاب التي ارتكبها الكيان الصهيوني والتي يصعب حصرها (الخطف والاعتقال والسجن ـ اعمال القرصنة البحرية والجوية ـ النسف والتدمير ـ طرد السكان العرب وتدمير المدن العربية ـ عمليات القتل الجماعي ـ الخ....)[٣٩].

وقد حاول الارهابي الصهيوني المعروف «مناحيم بيغن» ان يفلسف استراتيجية العنف والارهاب التي اعتمدتها الصهيونية، وخصوصا المنظمة الارهابية المسماة «الارغون» التي كان يرأسها، في اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين، فرأى ان الصهاينة استطاعوا، في المرحلة الاولى من «الثورة» بلوغ هدف استراتيجي مهم هو نجاحهم في «الغاء العامل العربي المحلي»، اذ انه لم يعد بامكان البريطانيين ان يتذرعوا، بعدها، لبقائهم في فلسطين، «بحماية اليهود من العرب»، وهي الذريعة التي كانوا يتذرعون بها سابقا، ذلك ان اليهود لم يعودوا، كما كان العرب يعتبرونهم، «أولاد الموت»، بل أصبح العرب يحترمون، بل يعجبون «بالابطال» اليهود. وهكذا، أضاع العرب المبادرة العسكرية، وصار على البريطانيين، لكي يبقوا في فلسطين، ان يتذرعوا بـ«حماية العرب من اليهود»[٤٠].

ورأى بيغن ان «الاحترام الممزوج بالخوف والذي سبق ان أوحته الاسلحة اليهودية لدى كل العرب في أثناء الثورة على الانكليز» قد استمر، حتى في مرحلة القتال الذي بدأ في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧، وخلال دخول الجيوش العربية الى فلسطين ابتداءً من ١٥ ايار/ مايو ١٩٤٨[٤١]. ولا غرو، فقد كانت «الهاغاناه» تحظى «باعتبار مرتفع في أوساط الجماهير العربية»[٤٢]. ولا شك في ان «الاعتبار المرتفع» الذي يقصده بيغن منطلقه الخوف لا الاحترام، لان العرب كانوا، بعكس اليهود، ضعفاء وغير منظمين وغير مسلحين، وكانت الدولة المنتدبة تتعمد عدم مساعدتهم وعدم الرأفة بهم او حمايتهم.

(٣٩) انظر كشفا مفصلا نشرناه في الموسوعة الفلسطينية (القسم الثاني ـ المجلد السادس ـ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٨) ضمن بحث لنا في «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية»، وقد شمل هذا الكشف عمليات الارهاب الاسرائيلي الرسمي من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٦.

(٤٠) Begin, Menahem, La révolte d'Israël, PP. 65-- 66 -- ويسمي بيغن أعمال العنف والارهاب التي قام بها اليهود في فلسطين اثناء الانتداب البريطاني «ثورة».

(٤١) - Begin, Ibid, P. 68.

(٤٢) -- Ibid, P. 69

ومما لا شك فيه ان العنف والارهاب يشكلان ركيزتين من أهم ركائز الفكر الاستراتيجي الصهيوني، وقد ظهر ذلك واضحا في كتابات «جابوتنسكي» الذي يرى ان «السيف لا يمكن الغاؤه» وان «التوراة والسيف انزلا علينا، معا، من السماء»[٤٣]، وفي كتابات «وايزمن» اول رئيس للدولة العبرية، الذي رأى أنه، رغم ان الارهاب الذي تقوم به (الهاغاناه) شيء رديء، الا انه ربما كان «بمثابة ظاهرة لها حسناتها لتحقيق الوطن القومي اليهودي»[٤٤]. وكذلك في كتابات «بن غوريون» الذي رأى ان «مملكة داود لا تقوم الا بالدم، وان مصير اليهود مرتبط بقوتهم العسكرية»[٤٥]. وأخيرا في كتابات «مناحيم بيغن» الذي كان يؤمن ايمانا شديدا بفوائد العنف والارهاب من اجل بناء دولة اليهود فيقول: «نحن نحارب، اذن، نحن موجودون»[٤٦]، رغم انه يحاول ان ينفي عن اليهود، وخصوصا منظمة «الارغون»، تهمة الارهاب، معتبرا ان ما تقوم به هو «ثورة» وليس أرهابا[٤٧]. ويتحرك، إزاء كل ذلك، صوت صارخ لضمير يهودي، فيقدم شهادات تتحدث عن «فظاعة الارهاب اليهودي» قبل قيام اسرائيل وبعد قيامها، إذ يقول البروفسور «يسرائيل شاحاك» في كتابه «عنصرية دولة اسرائيل» (La Racisme de l'Etat d'Israel)، (طبع في باريس عام ١٩٧٥)، ما يلي: «اني ادين كل أشكال الارهاب، ليس فقط ذلك الارهاب الموجه ضد اليهود، بل كذلك الارهاب الذي يرتكبه اليهود ضد العرب... لن أعود الى ارهاب المنظمات اليهودية السرية في ظل الانتداب الفرنسي، بل أقف عند ذلك الذي حدث منذ وجود دولة اسرائيل».

ويعلق الكاتب الفرنسي «فنسان مونتي» الذي نقل كلام «شاحاك» بقوله: «وهنا يتجرأ يسرائيل شاحاك على عمل لا تتجرأ عليه الا القلة النادرة من اليهود: تمزيق قناع المعبد، وبكلمة أخرى: مس مقدسات النازية اليهودية»[٤٨]. ويتحدث «شاحاك» عن إرهابي يهودي يدعى «مئير هارزيون» فيقول: «يظهر انه من الصعب ان نجد رجلا أكثر جدارة باسم

---

(٤٣) العابد، ابراهيم، العنف والسلام، ص ١١.

(٤٤) Weizmann, Chaim, Trial and error, P. 359 --

(٤٥) Bar - Zohar, M, Op. Cit. P. 95 --

(٤٦) Begin, Op. Cit. P. 41

(٤٧) Ibid, PP. 77-- 78 --

(٤٨) Monteil, vincent, Dossier secret sur Israël, le terrorisme, P. 17 --

ارهابي أكثر من «هارزيون»، ففي مذكراته، كما في الكثير من المقابلات التي نشرت له في الصحافة الاسرائيلية، يظهر كم كان مجرما، وبأية شهوة كان يقتل، وكم كان يشتهي ان يقتل عربيا وخصوصاً بسكين، اذ يشعر عندها بانه «فحل». ثم يذكر «شاحاك» كيف ان هذا الارهابي طلب ذات يوم من قائده ان يسمح له بقتل راع عربي، أعزل من السلاح، وبسكين كان يحملها. وكيف روى انه تقدم بفرح سادي نحو هذا الراعي فغرز سكينه في ظهره، بينما كان رفيق له يمسك به. وقد وقف مع رفيقه يتأملان، بابتهاج، فوران الدم من جروح الراعي العربي المسكين» (وقد نشر حديث هذا الارهابي في صحيفة هاآرتس الاسرائيلية بتاريخ ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٥)[٤٩]. ويعلق «مونتي» على ذلك بقوله: «وتعتبر غالبية الاسرائيليين هذا الرجل بطلا قوميا»[٥٠]. تماما كما يعتبر الكثير من الاسرائيليين «باروخ غولدشتاين» مرتكب مجزرة الحرم الابراهيمي في عام ١٩٩٤، بطلا قوميا كذلك (انظر الصورة رقم ٣).

ثم يذكرنا، «شاحاك» بالعديد من أعمال العنف والارهاب التي قامت بها اسرائيل ضد أهداف مدنية عربية، مثل: اغتيال قادة منظمة التحرير الفلسطينية (ناصر وعدوان والنجار) في بيروت، (بتاريخ ١٠ نيسان/ ابريل ١٩٧٢)، (حيث قتل نساء بريئات جريمتهن الوحيدة انهن كن يقطنّ بالقرب من المغدورين)، وعمليات القصف بالنابالم لاربد والسلط وغيرهما من المدن الاردنية، (صيف ١٩٦٨) وعمليات القصف المنتظمة لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان (صيف ١٩٧٤)، وخصوصا تلك القنابل الموقوتة التي كانت تنفجر بعد ساعة او ساعتين من القائها، أي عندما يكون الناس منهمكين في اعمال الاسعاف الطبي للمصابين، ويتساءل «مونتي» بعد ذلك: «أو ليس هذا أرهابا أكثر جسامة من ذلك الذي يقع على كريات شمونه؟»[٥١].

ونتساءل، نحن، بدورنا: أو ليست هذه الاعمال سادية يهودية موروثة عبر أجيال تنأى الى العهد القديم، عهد موسى ويشوع؟.

---

(٤٩) -- Ibid

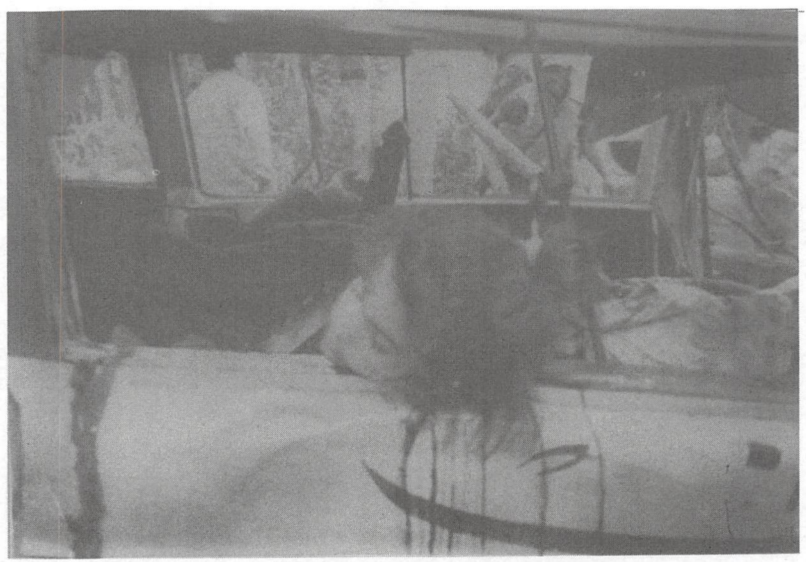
(٥٠) -- Ibid

(٥١) -- Ibid, P. 18

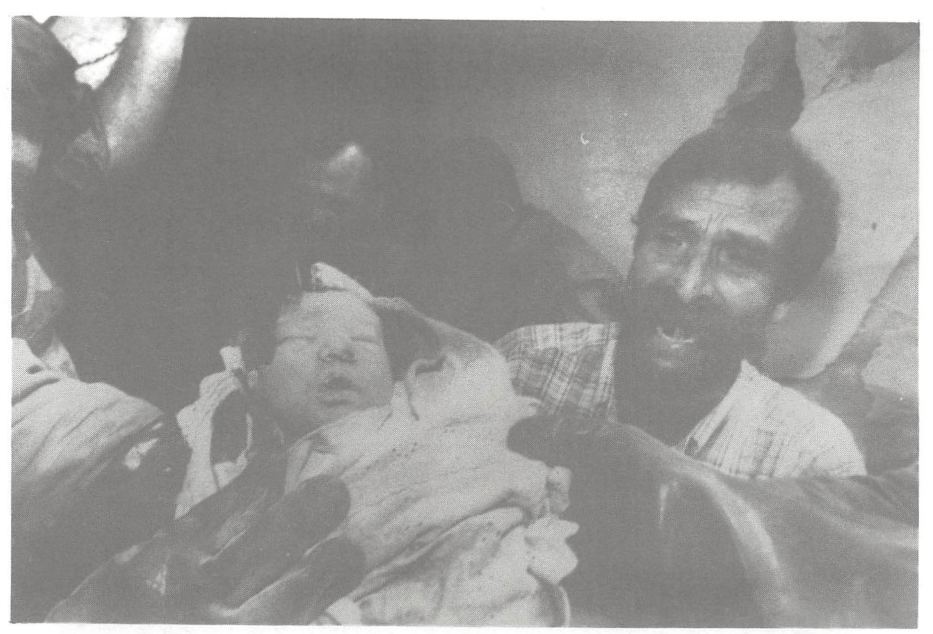
نماذج من الإرهاب الصهيوني الذي مارسته الدولة العبرية في حربها على لبنان: الارهاب الصهيوني خلال عملية «عناقيد الغضب» (نيسان ١٩٩٦).



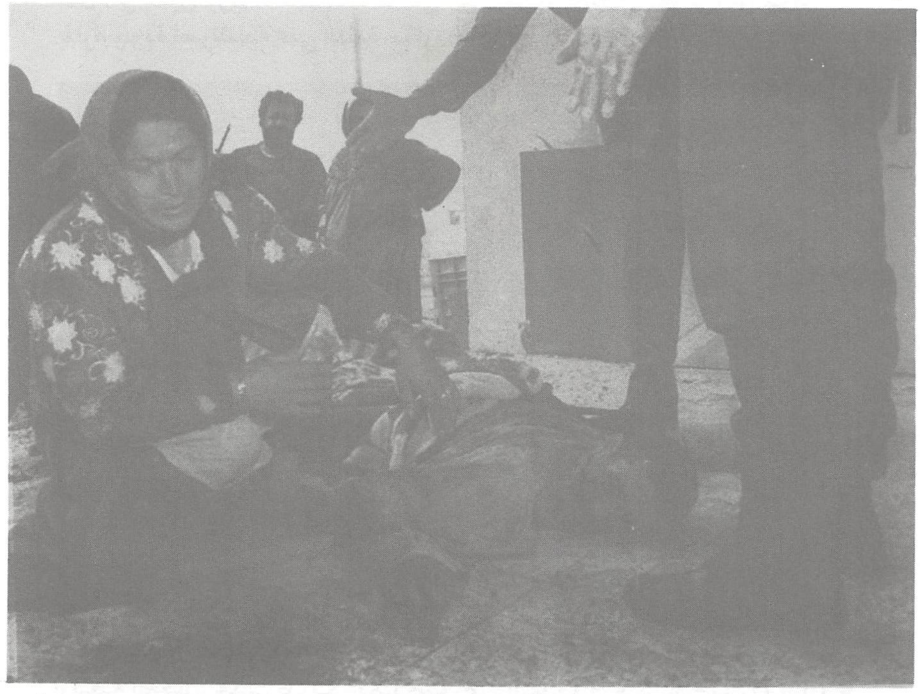
قتل مواطنين أبرياء، بينهم فتيات، في بلدة سحمر بالبقاع الغربي، من جراء غارة جوية اسرائيلية على البلدة، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩٦



تدمير سيارة إسعاف لبنانية، وقتل عائلة بكاملها مؤلفة من ستة أشخاص بينهم أربعة أطفال، على طريق المنصوري - الحنية، قضاء صور، بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٦



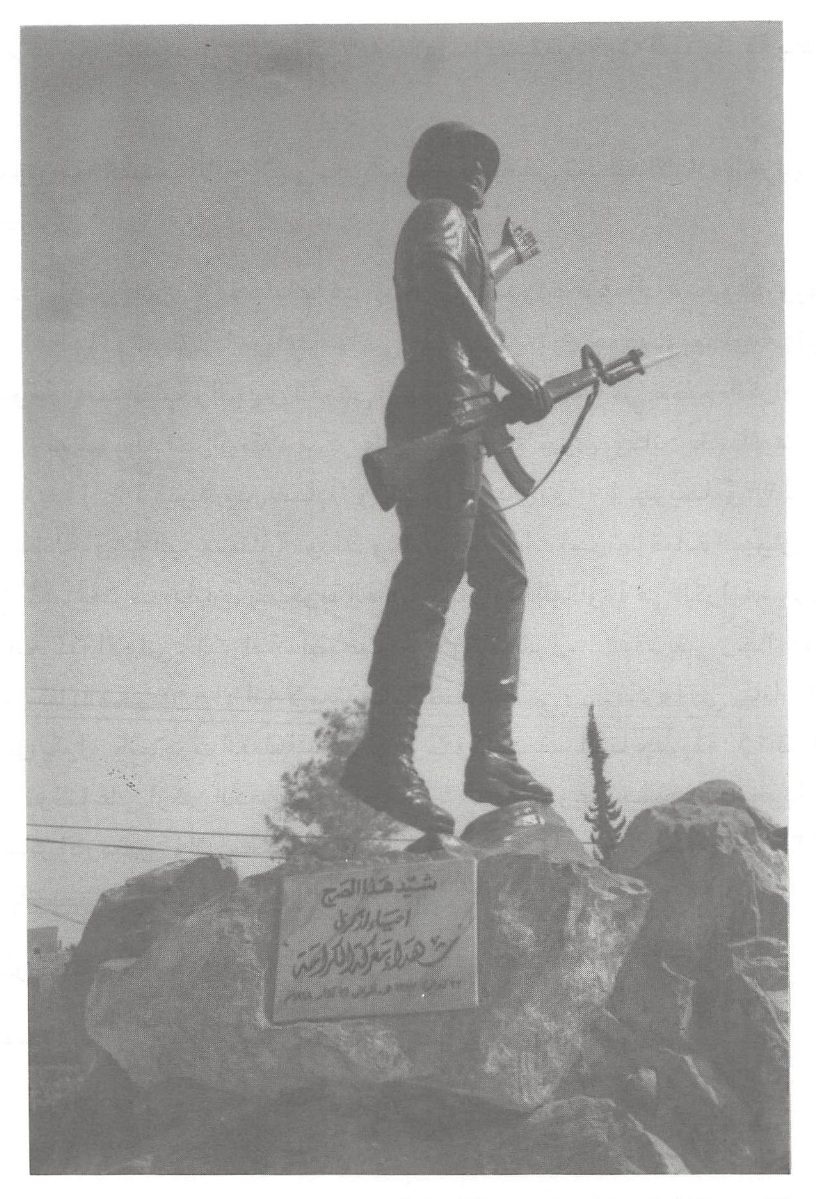
نور العابد ، ولدت في اليوم الخامس للعدوان الصهيوني على لبنان، فقتلها في اليوم الثامن، في ملجأ بالنبطية، بتاريخ ١٨/ ٤/١٩٩٦



رجل قتله العدوان الصهيوني، في قانا بتاريخ ١٨/ ٤/١٩٩٦، وبالقرب منه زوجته وبعض عناصر القوات الفيجية



أشلاء طفلة مزقت رأسها مروحية اسرائيلية في مخيم تابع للأمم المتحدة، في الموقع الفيجي، في قانا، بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦



النصب التذكاري لشهداء معركة الكرامة

الفصل الثالث

الاحتلال والتوسع والسيطرة

ان الهدف الاساسي للعدوان الاسرائيلي المتميز بالعنف والارهاب، على أرض كنعان وشعوبها، منذ اثنين وثلاثين قرناً، هو الاحتلال والتوسع والسيطرة. وها هو التاريخ يعيد نفسه، فتعيد اسرائيل الكرّة، عبر اثنين وثلاثين قرناً، حيث تعتدي، للمرة الثانية على فلسطين وشعبها وما جاورها من بلدان، بالاسلوب نفسه الذي اعتمدته في المرة الاولى، وهو نفسه، العدوان المتميز، بالعنف والارهاب، المستمر والمتمادي، وللاهداف ذاتها: الاحتلال والتوسع والسيطرة. وقد قامت اسرائيل بعدوانها على فلسطين، في الحالتين، استناداً الى نصوص توراتية، وردت في العهد القديم، يدّعي الاسرائيليون انها الهية، وهي تحرّض بني اسرائيل على احتلال ارض الغير واستيطانها وطرد أهلها الاصليين منها، بدعوى «الحق الالهي» المزعوم، لاسرائيل في «ارض الميعاد» والله أكرم وأعدل من ان يكون ظالماً كما يدّعي هؤلاء.

لقد جاء في العهد القديم أنه، بعد وفاة موسى، خلفه يشوع بن نون في قيادة بني اسرائيل، وكان مساعده[١]، فأمره ربه قائلاً: «موسى عبدي قد مات، فقم الآن واعبر الاردن هذا، انت وكل هذا الشعب، الى الارض التي انا معطيها لبني اسرائيل. كل مكان تطأه أخامص أقدامكم لكم اعطيته... من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير، نهر الفرات، كل أرض الحثيين، والى البحر الكبير الذي في مغارب الشمس، تكون أراضيكم»[٢]. ويحدد في مكان

(١) العهد القديم، يش ١: ١.

(٢) م.ن. يش ١: ٢-٤.

آخر، هذه الارض «من بحر القصب (البحر الاحمر) الى بحر فلسطين (البحر المتوسط)، ومن البرية (سيناء) الى النهر (نهر الفرات)»[٣]. وكان الرب قد حدد لموسى، قبل موته، حدود أرض كنعان التي أورثها لشعبه، كالتالي:

ـ **جنوباً**: «من برية صين، على جانب أدوم» أي من طرف بحر الملح (البحر الميت) الى الشرق حتى جنوب «عقبة عقربيم»، الى «صين» فجنوب «قادش برنيع» الى «حصر أدّار» فعصمون، ومن «عصمون» الى «وادي مصر» (وادي العريش) حتى البحر.

ـ **غرباً**: البحر الكبير (البحر المتوسط).

ـ **شمالاً**: من البحر الكبير «الى جبل هور» (غير معروف، وقد يكون سلسلة جبال لبنان الشمالية)، فمدخل «حماة» الى «صدد» فزفرون فحصَر عينان.

ـ **شرقاً**: من «حصَر عينان» الى «شافام» فهربلة (شرق العين) فمنحدرات بحر كنّارة (بحر الجليل) فالاردن فبحر الملح.

ثم أمر موسى ان يعطي هذه الارض «ميراثاً بالقرعة» لتسعة أسباط ونصف السبط من بني اسرائيل، بينما ترك للباقين (وهم سبطا بني جاد وبني رأوبين، ونصف سبط بني منسى) ما كانوا قد أخذوه من أرض «عبر أردن أريحا، جهة الشرق»[٤].

ثم إن رب موسى لم يكتف بتقسيم هذه الارض على أسباط اسرائيل الاثني عشر، بل انه عيّن الرجال المكلفين تنفيذ هذه المهمة «ألعازار الكاهن، ويشوع بن نون، وزعيم من كل سبط، تأخذونه لتقسيم الارض»[٥] ثم أوصى ان يُخصص للأويين (خدم الرب) نصيب معين حدده بنفسه، فيُعطَون «مدناً يسكنونها، و .... مراعي من حول المدن... لبهائمهم وخيراتهم وجميع حيواناتهم»[٦] وأمر ان يُعطى هؤلاء اللأويون «ثماني وأربعين مدينة بمراعيها»[٧].

---

(٣) م.ن. خر ٢٣: ٣١. وهي الحدود المثالية لمملكة داود وسليمان (م.ن..ص ١٩٤ حاشية ١٣)

(٤) م.ن. عد ٣٤: ١-١٥

(٥) م.ن.عد ٣٤: ١٦-١٨

(٦) م.ن. عد ٣٥: ٢-٣

(٧) م.ن. عد ٣٥: ٧.

وهكذا يتدخل رب بني اسرائيل في تقسيم الميراث (غير المحق) لاسباطهم، حتى التفاصيل الدقيقة والصغيرة، مع علمه ان هذه الارض ليست خاوية ولا مهجورة ولا مشاعاً، بل هي ارض مأهولة تقطنها شعوب عديدة ومعروفة. ومع ذلك فهو يعدهم بان «يطرد هذه الامم كلها» من أمامهم حيث «يرثون أمما أعظم وأقوى» منهم[٨].

ويتباهى «العهد القديم» باحصاء «ملوك الارض» الذين ضربهم بنو اسرائيل وورثوا أرضهم «في عبر الاردن، ناحية مشرق الشمس، وهي من وادي أرنون الى جبل حرمون، وكل العربة شرقاً»[٩] ، ثم «ملوك الارض» الذين ضربهم بنو اسرائيل «في عبر الاردن غرباً، من بعل جاد في بقعة لبنان، الى جبل الاقرع الممتد الى سعير» وأعطى أرضهم «لاسباط اسرائيل ارثاً، على حسب اقسامها: في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والنقب، أراضي الحثي والاموري والكنعاني والفرزّي والحوي واليبوسي»[١٠].

ثم يعدّ «العهد القديم» هؤلاء الملوك واحداً واحداً، وهم أولئك الذين طردهم يشوع من ديارهم وممالكهم بدون وجه حق، الا وعدٍ من رب اسرائيل، ويحصيهم واحدا وثلاثين ملكاً[١١]. ولا يكتفي رب اسرائيل بذلك، بل إنه يستطرد حاثاً «شعبه» على التوسع في بلاد الغير وأراضيهم، فيقول ليشوع، وكان قد شاخ وهرم: «انك قد شخت وطعنت في السن، وقد بقيت اراضٍ للامتلاك كثيرة جداً، وهذه هي الاراضي الباقية: جميع نواحي الفلسطينيين، وكل الجشوري، من الشيحور شرقي مصر الى حدود عقرون شمالاً وهي للكنعاني. وأقطاب الفلسطينيين الخمسة هم الغزي والاشدودي والاشقلوني والجتي والعقروني، وهناك العُويّون. ومن الجنوب كل ارض الكنعاني، ومن عارة التي للصيدونيين الى أفيق، الى حدود الاموري، وأرض الجِبْلي وكل لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون، الى مدخل حماة» ويستطرد: «جميع سكان الجبل، من لبنان الى مسرفوت ميّيم، وكل الصيدونيين، سأطردهم من أمام بني اسرائيل»، ثم يوجه كلامه الى يشوع قائلاً: «وانت تكتفي بتوزيعها بالقرعة على اسرائيل ميراثاً كما أمرتك»[١٢]. ثم يشرع الرب في تقسيم هذه الارض بين أسباط اسرائيل سبطا سبطاً[١٣].

---

(٨) م.ن. تث ١١: ٢٣

(٩) م.ن. يش ١٢: ١.

(١٠) م.ن. يش ١٢: ٧ و٨

(١١) م.ن. يش ١٢: ٢٤

(١٢) م.ن. يش ١٣: ١ ـ ٦

(١٣) م.ن. يش ١٣: ٢٢

ولا يتوانى رب اسرائيل عن حث «شعبه» على الاحتلال والتوسع والسيطرة، وذلك عندما يزجرهم لانهم قابعون في «حوريب» ويقول لهم: «كفتكم الاقامة في هذا الجبل (حوريب)، فتحولوا وارحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما في جواره: العربة والجبل والسهل والنقب وساحل البحر، أرض الكنعانيين، ولبنان، الى النهر الكبير، نهر الفرات..... فادخلوا ورثوا الارض التي أقسم الرب لابائكم ابراهيم وأسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»[١٤].

والغريب ان رب اسرائيل يعلن عدم استطاعته تحمل هذا الشعب وحده، فيقول: «قلت لكم ..... اني لا استطيع ان احملكم وحدي. ان الرب الهكم قد كثّركم ... فكيف أحتمل وحدي حملكم وعبئكم وخصوماتكم»[١٥]، فكيف يحمّل هذا الرب باقي الشعوب عبء شعبٍ عجز، هو الرب، عن حمل أوزاره وأثقاله؟

ويبلغ برب اسرائيل التحريض والحماسة حدا يجعله يستخدم كل الوسائل الممكنة لنصرة «شعبه»، فبينما نراه يرسل «ملاكه» ليسير أمام هذا الشعب ويجيء به الى «ارض الاموريين والحثيين والفرزّيين والكنعانيين والحويين اليبوسيين» فيبيدهم[١٦]، اذا به يعود فيرسل «رعبه» أمام بني اسرائيل، ويلقي هذا الرعب على «كل الشعوب» التي يحاربونها، فيجعل جميع اعدائهم «مدبرين» أمامهم[١٧]. ثم يرسل بعد ذلك، «الزنابير» التي «تطرد الحويين والكنعانيين والحثيين» من أمام بني اسرائيل[١٨].

ويستخدم رب بني اسرائيل، في هذا المجال، استراتيجية «المراحل» ببراعة تامة، ويعلّمها لشعبه كي يستخدمها في حروبه (وقد اتقنها هذا الشعب، في كل حال، في حروبه الاولى التي قصها العهد القديم علينا، وفي حروبه الاخيرة التي شهدناها عندما استولى

---

(١٤) م.ن. تث ١: ٦-٨.
(١٥) م.ن. تث ١: ٩-١٢.
(١٦) م.ن. تث ٢٣: ٢٣
(١٧) م.ن. تث ٢٣: ٢٧
(١٨) م.ن. تث ٢٣: ٢٨

على فلسطين في هذا القرن)، فهو - اي الرب - لا يطرد الشعوب الاخرى من امام بني اسرائيل «في سنة واحدة» وذلك «كيلا تصير الارض قفرا» ولكنه يطردها «قليلاً قليلاً» الى ان «ينمو» هذا الشعب «فيرث الارض». ويوصي الرب شعبه، في كل حال، ان لا يقيم الغرباء في الأرض التي يحتلها «كي لا يجعلوك تخطيء اليّ بان تعبد آلهتهم، فيكون ذلك لك فخاً»[19]. معلناً، بذلك سياسة استيطان اليهود تلك الارض بدلاً من أصحابها الشرعيين.

وهكذا نرى رب بني اسرائيل يعلّم شعبه كيف يحتل الارض شيئاً فشيئاً، ومرحلة بعد مرحلة، وفقاً لتكاثره ونمو عدده، وذلك كي لا يترك الارض المحتلة بلا سكان، بل انه ينتظر تكاثر عدده لكي يشغل تلك الارض بعد احتلالها. تماماً كما تفعل اسرائيل، اليوم، عندما تستقدم جموع المهاجرين اليهود الذين يأتون الى فلسطين المحتلة من مختلف بلدان العالم فيستوطنون الاراضي التي تضمها اسرائيل اليها وتبني عليها المستوطنات وفقاً لتكاثر عدد اليهود الذين يقيمون في تلك الاراضي.

ولا يفتأ رب بني اسرائيل يوصي شعبه ان لا يدع احداً من الغرباء في الارض التي يحتلها «كي لا يخطيء اليه» وذلك بغية ان يحافظ الجنس اليهودي على نقائه العنصري الذي سعى للمحافظة عليه منذ بدء وجوده.

وتبدو الرغبة الجامحة للسيطرة لدى اليهود واضحة في بروتوكولات حكمائهم، حيث يعتبرون ان حكومتهم «العليا» سوف تكون مصدر التشريع في العالم، وانهم سوف يتولون، بايديهم، و «حينما يحين الوقت،... تنفيذ الاقضية والاحكام، فنذبح من نذبح، ونعفو عمن نعفو» وانهم هم «ذوو القيادة» سيحكمون «بالقوة»، وأما الاسلحة التي بأيديهم، فهي «مطامح لا حدود لها، وجشع آكل، كاوٍ، وحب انتقام لا يعرف الرحمة، وضغائن وأحقاد»[20].

---

(١٩) م.ن. تث ٢٣: ٢٩-٣٣.

(٢٠) نويهض، عجاج بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد ١: ٢١٧ وانظر: عبد الناصر، شوقي بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ص ١٠٤ (البروتوكول التاسع).

ويدفع الغرور والادّعاء باليهود الى الطموح بانه، لكي يحكموا الارض، ويلجوا «ابواب مملكتهم»، لن يليق بهم «ان يكون فيها دين آخر» غير دينهم، «وهو دين الله الواحد» المرتبط به مصيرهم، باعتبارهم «الشعب المختار»، وحيث يرتبط، بواسطته، مصير العالم بمصيرهم.[٢١] ولهذا، فهم يرون ان مقررات حكومتهم «العليا» ستكون «باتة، لا استئناف لها»[٢٢]، ذلك انه «متى ما وضع ملك اسرائيل، على رأسه المقدس، التاج الذي تقدمه اليه أوروبا، فإنه يصبح أبا العالم»، وهو لن يتردد في «تضحية الافراد الذين يخالفون النظام القائم»[٢٣]. وبما ان الطبيعة نفسها «هي التي خطّت مصيرنا لقيادة العالم والسيادة عليه» فإنه «متى حان الوقت لنمارس الحكم العالمي علناً، ونقبض على زمامه في وضح النهار ..... فاننا سنفرغ كل القوانين في قوالب جديدة، موجزة، واضحة متينة التركيب، الخ ....»[٢٤] ويسهب البروتوكول في الحديث عما يعده للعالم الذي سوف يصبح، بعدها، خاضعاً لسيطرة ملك اسرائيل.

ويوجد، وفي العهد القديم، العديد من الروايات التي تؤكد طموح بني اسرائيل هذا ونزعتهم الى التوسع والسيطرة وحكم العالم. ألم يقطع الرب لموسى، أمام شعبه، عهداً بان يطرد الامم من أمامه ويوسّع حدوده، ولا يدع أحداً يطمع في أرضه؟[٢٥] ثم أخبره ان «اكتب لك هذا الكلام، لاني، بحسبه، قطعت عهداً معك ومع اسرائيل»؟[٢٦]، ثم كتب موسى «كلام العهد» هذا في «لوحي الشهادة» اللذين حملهما معه عند نزوله من جبل سيناء، وأودعهما «تابوت العهد». ودعيت هذه الكلمات (الربانية، بحسب معتقدات اليهود) «الكلمات العشر»[٢٧] واعتبرها بنو اسرائيل عهداً من الرب لهم؟

وقد طبق بنو اسرائيل تعاليم التوراة هذه، في الاحتلال والتوسع والسيطرة،

---

(٢١) نويهض، م. ن. ص ١٤٣ وعبد الناصر، م. ن. ص ١٤١ (البروتوكول الرابع عشر).

(٢٢) نويهض، م. ن. ص ٢٤٧ وعبد الناصر، م. ن. ص ١٤٥ (البروتوكول الخامس عشر).

(٢٣)نويهض، م. ن. ص ٢٥٦ وعبد الناصر، م. ن. ص ١٥٤ (البروتوكول الخامس عشر).

(٢٤)نويهض، م. ن. ص ٢٥٢ وعبد الناصر، م. ن. ص ١٥٠ (البروتوكول الخامس عشر).

(٢٥) العهد القديم، خر ٣٤: ١٠ و ٢٤

(٢٦) م. ن. خر ٣٤: ٢٧

(٢٧) م. ن. خر ٣٤: ٢٨ـ٢٩.

بحذافيرها، في كل مرحلة من مراحل تاريخهم الغابر، ولا يزالون يطبقونها الى اليوم، ويطمحون الى المزيد في المستقبل، مزيد من الاحتلال والتوسع والسيطرة. ذلك المبدأ الذي قامت عليه الحركة الصهيونية التي حققت قيام دولة اسرائيل يعني، في مفهومه الصهيوني الواقعي والحقيقي: اقتلاع شعب من أرضه وبلاده، وسلبه دياره وممتلكاته (وهو الشعب العربي الفلسطيني)، وإحلال شعب آخر مكانه في فلسطين (هو الشعب اليهودي) وذلك دون وجه حق على الاطلاق، وهذا هو الاحتلال بعينه. أما التوسع، فلا يزال ماثلاً للعيان، ومستمرا في القدس العربية والضفة الغربية من فلسطين، بالاضافة الى اطماع الكيان الصهيوني في الجولان السوري والجنوب اللبناني. واما الرغبة في السيطرة فقد بانت جليّة في الكتاب الذي أصدره مؤخراً، وزير الخارجية الاسرائيلية «شيمون بيريز»، والذي حدد فيه، بوضوح تام، استراتيجية العمل الاسرائيلي في المرحلة المقبلة، وفي ظل النظام الاقليمي الجديد المسمى «بالنظام الشرق أوسطي» حيث تكون اسرائيل «الحكومة المركزية» لهذا الشرق الجديد(٢٨).

ونجمل فيما يلي، الاستراتيجيات الثلاث التي اعتمدتها الدولة العبرية، بعد انشائها عام ١٩٤٨، لتحقيق أطماعها الاحتلالية والتوسعية. فقد اعتمدت اسرائيل:

١ ـ استراتيجية خاصة بالاحتلال والتوسع.

٢ ـ استراتيجية خاصة بالهجرة (اليهودية) والتهجير (الفلسطيني والعربي).

٣ ـ استراتيجية استيطانية للارض المحتلة.

وطبقت هذه الاستراتيجيات الثلاث على مراحل وبالشكل التالي:

١ ـ توسيع رقعة المجتمع اليهودي على الارض الفلسطينية المحتلة بشكل تدريجي وذلك بواسطة:

---

(٢٨) انظر كتاب «زمن السلام» (Le temps de la paix) لشيمون بيريز. وانظر، ايضاً، تحليلاً لهذا الكتاب في كتابنا «نحو استراتيجية جادة لعمل عربي موحد» حيث درسنا بالتفصيل، «الاستراتيجية المستقبلية للعمل الصهيوني»، كما وضعها بيريز في كتابه المشار اليه. وانظر كذلك، الوثيقة التي قدمتها الدولة العبرية الى مؤتمر القمة الاقتصادية لشمال أفريقيا الذي عقد في الدار البيضاء في أواخر تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٩٤، والتي تعبّر بوضوح، عن الاطماع الصهيونية والرغبة الجامحة للدولة العبرية باقامة «اسرائيل الكبرى» اقتصادياً وسياسيا. (جريدة السفير بتاريخ ٢/ ١١/ ٩٤: الوثيقة الاسرائيلية الى مؤتمر الدار البيضاء).

أ - زيادة عدد اليهود في هذا المجتمع زيادة سريعة عن طريق الهجرة الجماعية من جهة، والزيادة الطبيعية للسكان اليهود من جهة ثانية، وذلك بهدف توسيع القاعدة البشرية اليهودية التي يتولد منها المجتمع اليهودي المحارب.

ب - زيادة مساحة الاراضي التي يمتلكها اليهود، عن طريق إغراء العرب ببيع أراضيهم اولاً، ثم عن طريق احتلال الاراضي ومصادرتها، كما يجري، حالياً، في القدس الشرقية والضفة الغربية.

ج - زيادة عدد المستوطنات التي تقام على الارض العربية المحتلة وتأمين حمايتها ورفاهيتها.

د - توفير مختلف الوسائل التي تدفع باليهودي الجديد (المستوطن) لكي يتمسك بارضه الجديدة و «وطنه» الجديد، ولا يفكر بالعودة الى وطنه الاصلي.

٢ - تحسين القدرة المالية والاقتصادية للمجتمع اليهودي في فلسطين المحتلة، وذلك عن طريق صندوق الجباية اليهودية والتبرعات اليهودية من جهة، وعن طريق تحسين الانتاج الذاتي لهذا المجتمع، من جهة أخرى.

٣ - تحسين القدرة على التلاحم الاجتماعي بين مختلف أجناس اليهود وطبقاتهم بغية «تقليص الفوارق الاجتماعية» في هذا المجتمع و «رفع المستوى الثقافي» والاجتماعي «وبلورة» المجتمع الواحد[٢٩].

٤ - تحسين القدرة العسكرية للمجتمع اليهودي، عن طريق:

أ - بناء المستوطنات في مناطق استراتيجية عسكرية، دفاعية وهجومية ووفقاً لاستراتيجية عسكرية وسياسية مدروسة.

ب - تشكيل قوات دفاعية فردية وجماعية (منظمة الهاشومير، اي الحارس)، ثم دفاعية - هجومية فيما بعد (الهاغاناه) وقوات أرهابية (الارغون والشتيرن بالاضافة الى الهاغاناه)، بغية الدفاع عن المستوطنات من جهة، وارهاب السكان العرب وتهجيرهم من أرضهم، من جهة أخرى.

---

(٢٩) العابد، ابراهيم، مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية، ص ١١.

ج - تشجيع الاستيطان«في القرى والمدن القليلة السكان في الارض المحتلة بسبب تهجير أهلها منذ عام ١٩٤٨، وفي الارض المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وعلى طول الحدود الجديدة، طبقا للمقتضيات العسكرية وللظروف السياسية»[٣٠]، ومصادرة الاراضي المملوكة وغير المملوكة من الفلسطينيين، مهاجرين كانوا أم مقيمين، وبدواع تخترعها الحكومة العبرية وتتذرع بها، كدواعي الامن والدفاع ومصلحة الاقتصاد الوطني واستخدام قانون الغائب الخ... وبناء مستوطنات يهودية على هذه الارض وفقاً لمخطط عسكري وانمائي واجتماعي مدروس.

٥ - إتّباع استراتيجية «المراحل» أي استراتيجية «القضم والهضم» للاراضي المصادرة، واستخدامها في استراتيجية الاحتلال والتوسع والهجرة والتهجير والاستيطان، وذلك بدءاً من مطلع القرن التاسع عشر، مروراً بعهد الانتداب البريطاني، وقيام الكيان الصهيوني، حتى اليوم، بلا انقطاع.

ويحدد «يغال آلون» المهمات «المركبة» التي تقع على عاتق الدولة العبرية، في مجال «الاحتلال والتوسع بهدف الاستيطان»، وذلك بعد قيامها بنحو ربع قرن[٣١] كما يلي:

«أ - نمو سكاني يهودي عن طريق النمو الطبيعي والهجرة الجماعية.

«ب - تطور الاقتصاد ومقدرة الانتاج الذاتي لتقليص تعلقها (اسرائيل) بالاستيراد ولتحسين الميزان التجاري.

«ج - بلورة المجتمع، ورفع مستواه الثقافي والمهني، مع اجتثاث جذور الفقر والجهل، وتقليص الفوارق الاجتماعية بين أوساط المواطنين.

«د - تشجيع حركة السكن القروية والمدنية في المناطق غير المأهولة، ضمن نطاق اسرائيل بحدود ما قبل حرب حزيران، وعلى الحدود الجديدة[٣٢] بموجب مقتضيات الامن والميزان السياسي.

---

(٣٠) م. ن. ص.ن.

(٣١) نشر كتاب «ثلاث حروب وسلام واحد» ليغال آلون، بالعربية، في اسرائيل، عام ١٩٧٠، وكان يغال آلون قد كتبه بعد حرب عام ١٩٦٧.

(٣٢) أي حدود ما بعد حرب عام ١٩٦٧

«هـ ـ تعزيز قوة جيش الدفاع الاسرائيلي في العدة والعدد.....»[٣٣] .

ولا شك في ان «يغال آلون» يرسم، في هذه البنود، الخطوط الاولى لاستراتيجية اسرائيلية توسعية، وخصوصاً عندما يرى وجوب تشجيع حركة السكن (اليهودي) على طول الحدود الجديدة التي رسمتها حرب عام ١٩٦٧ والتي دعتها اسرائيل «بالحدود الآمنة».

كما يحدد «موشي دايان» استراتيجية اسرائيل في هذا المجال كما يلي:

« ١ ـ السلام الذي يمكن صنعه الآن هو سلام للمدى القصير فقط.

«٢ ـ يجب ان لا نسمح للعرب بتعيين حدود اسرائيل.

«٣ ـ من أجل قيام دولة يهودية، لا بد من : سيادة مكان سيادة، ويهود مكان عرب»[٣٤].

وتتضح، من هذه المبادئ الثلاثة التي وضعها «دايان»، حقيقة الاطماع الاسرائيلية في الاحتلال والتوسع والسيطرة:

١ ـ فأي سلام يمكن ان يقوم بين اسرائيل والعرب هو، في نظره، سلام موقت وليس دائماً، ذلك ان السلام الدائم لن يكون لمصلحة اسرائيل، الدولة التوسعية المعتدية والطامحة للسيادة التامة على الجوار العربي باكمله.

٢ ـ ولاجل هذا، فان اسرائيل لا ترضى، اطلاقاً، بتعيين حدود لها، ذلك ان حدودها يجب ان تظل «مرنة» قابلة للامتداد والتوسع على حساب البلدان المجاورة.

٣ ـ كما ان قيام الدولة اليهودية، مع ما يلزمها من مقتضيات التوسع والسيطرة، يفترض قيام السيادة اليهودية مكان السيادة العربية في أي مكان «تطأه أخامص أقدام اليهود».

لقد امتازت الاستراتيجية الاسرائيلية في مجال الاحتلال والتوسع والسيطرة

---

(٣٣) آلون، يغال، ثلاث حروب وسلام واحد، تعريب: محمود عباسي، ص ١٨٧.

(٣٤) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية بتاريخ ١٦/ ٤/ ٧٣، ص ٢٣٩ (حديث موشي دايان لصحيفة معاريف الاسرائيلية).

بوضوح أهدافها، وباساليبها المرحلية المتدرجة القائمة على نهج «القضم والهضم» وذلك تجنباً لاثارة الرأي العام الدولي من جهة، ولكي تتمكن من استيعاب ما تبتلعه من أراضٍ، وسد الفراغ الناتج عن تهجير أهلها العرب الاصليين بيهود جدد مهاجرين (مستوطنين).

وهي اذ تعلن عن هدف قريب على أساس انه الهدف الاخير، اذا بها تعلن، بعد تحقيقه، عن هدف آخر يليه، مدعية انه الاخير كذلك، حتى اذا ما بلغته أعلنت هدفاً سواه[٣٥]...... وهكذا الى ان تبلغ آخر أهدافها التوسعية التي لن تبلغها على ما يبدو.

وستظل شهية الدولة العبرية مفتوحة لمزيد من الاحتلال والتوسع والتسلط والسيطرة، وللمزيد من العدوانية والعنف والارهاب، غير عابئة بالضمير العالمي والمجتمع الدولي الذي لا يفتأ يسايرها ويمالئها على حساب العرب وحقوقهم وكرامتهم. ولن تقف أطماعها عند حد الا اذا استفاق العرب من سباتهم، وأدركوا الخطر المحدق بهم، فوحدوا صفوفهم، واتحدوا فيما بينهم، لكي يردوا الهجمة الصهيونية الشرسة والمستمرة على أرضهم، والتي تهدد أوطانهم وقوميتهم وهويتهم وأجيالهم.

---

(٣٥) الكيلاني، هيثم، دراسة في العسكرية الاسرائيلية، ص ٢٩٥-٢٩٦.

الفصل الرابع

الاتكالية او سياسة الاعتماد على الغير

لن نكون مبالغين اذا قلنا ان بني اسرائيل لم يخوضوا، في تاريخهم القديم، معركة وحدة دون استشارة «الرب» او مساندته او معونته، وفيما كان اعتمادهم على الرب في معاركهم ضد «الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزّيين والحويين واليبوسيين»[1] والعمونيين والفلسطينيين، في العصر القديم، عصر التوراة، واذا كان مفهوم «الرب» كقوة خارجية يعتمدها بنو اسرائيل في حروبهم كافة، قد تغيّر من عصر الى آخر، فأصبح هذا المفهوم «انكليزياً» في الحقبة ما بين سعي الحركة الصهيونية لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتحقيق «وعد بلفور» حتى فترة «الاحتلال الصهيوني» لفلسطين، ثم أصبح «أميركيا» في الفترة اللاحقة لوعد بلفور، من «احتلال فلسطين» الى التوسع على حساب الارض العربية المجاورة، فان هذا التغيّر لا يلغي حقيقة أساسية هي ان اسرائيل التوراة واسرائيل الصهيونية صنوان في الطبيعة الاتكالية او غريزة الاعتماد على الغير، ربّا كان أم دولة قوية.

ويبدو شعب اسرائيل في التوراة ضعيفا وخائفا ومرتعدا ومترددا قبل أية مواجهة، ويبدو رب اسرائيل موجها ومحرضا بل محاربا في صفوف هذا الشعب. يقول رب اسرائيل لشعبه: «اذا خرجت للحرب على أعدائك، فرأيت خيلا ومراكب مع قوم أكثر منك، فلا تخفهم، فان معك الرب الهك الذي أصعدك من أرض مصر»[2]، ويأمره ان يتقيد

(١) العهد القديم، تث ٧ : ١.

(٢) م.ن. تث ٢٠ : ١.

بتعليمات الكاهن الذي عليه ان يشجع بني اسرائيل، باسم الرب، ويشدّ عزيمتهم، قبل القتال، بقوله: «اسمع يااسرائيل، انتم اليوم مقتربون الى الحرب على اعدائكم، فلا تتراخ قلوبكم، ولا تخافوا ولا تضطربوا ولا ترتعدوا من وجوههم، لان الرب الهكم سائر معكم ليحارب اعداءكم عنكم ويخلّصكم»[٣]. ويزيد الرب من تشجيعه لبني اسرائيل، كأنما هو يشعر بضعفهم وتخاذلهم أمام أعدائهم، فيخاطبهم بشخص يشوع، مساعد موسى وخليفته، قائلا له بحزم: «لا يقف أحد أمامك طول أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك، تشدّد وتشجّع»[٤].

ويتدخل الرب في أدق التفاصيل في حرب بني اسرائيل مع اعدائهم، حتى ضد بني بنيامين أخيهم، اذ يسألونه، عمن يكون البادئ منهم بالقتال ضد بني بنيامين، فيعيّن الرب «سبط يهوذا» ليكون البادئ بالقتال[٥]. ولكن الرب يخذلهم أمام بنيامين، فيعودون اليه باكين[٦] ويسألونه هل يعودون لقتال بني بنيامين من جديد؟ فيقول «اصعدوا اليهم»[٧]. ويتقدم بنو اسرائيل لقتال بني بنيامين ثانية، بناء لنصيحة الرب ولكن الرب يخذلهم ثانية ويهزمهم، فيعودون اليه باكين من جديد[٨]، «وجلسوا هناك أمام الرب، وصاموا ذلك اليوم الى المساء، وأصعدوا محرقات وذبائح سلامية أمام الرب»[٩]. ويسأل «فينحاس بن العازار بن هارون». قائد بني اسرائيل يومذاك، الرب «أنعود نخرج ايضا لمحاربة بني بنيامين واخوتنا أم نكف؟ فيقول الرب له: «اصعدوا، لاني في الغد أسلمهم الى يدكم»[١٠]. ويعود الرب فيرضى عن بني اسرائيل وينصرهم على أخيهم بنيامين فيفتكون به وبقومه وينتقمون منهم انتقاما وحشيا ذريعا[١١].

ويظهر الرب، في قتال يشوع ضد ملك العي، قائدا عسكريا يتقن التكتيك العسكري

(٣) م.ن. تث ٢٠: ٢-٤.

(٤) م.ن. يش ١: ٥-٦.

(٥) م.ن. قض ٢٠: ١٨.

(٦) م.ن. قض ٢٠: ٢٣.

(٧) م.ن. قض ٢٠: ٢٣.

(٨) م.ن. قض ٢٠: ٢٦.

(٩) م.ن. قض ٢٠: ٢٦.

(١٠) م.ن. قض ٢٠: ٢٨.

(١١) انظر تفصيل ذلك في: م.ن. قض ٢٠: ٣٥-٤٨.

والخدعة الحربية، اذ يأمر يشوع ان يجعل له «كمينا من وراء المدينة»[١٢]. وينفذ يشوع فكرة الرب هذه، وكان سبق أن هزم أمام ملك العي، فتنجح الفكرة، وينتصر يشوع وقومه على ملك العي فيفتك به وبقومه[١٣].

وبعد، ماذا كان يبقى على بني اسرائيل ان يفعلوا في أية حرب ما دام الرب يقاتل في مقدمتهم، ويدير لهم عملياتهم الحربية، بل إنه يتكفل بطرد أعدائهم من أمامهم[١٤]، أو ليس هو القائل ليعقوب (واسمه اسرائيل) قبل ان يعبر الاردن الى «فلسطين»:

«فاعلم اليوم ان الرب الهك هو يعبر أمامك كنارٍ آكلة. هو يبيدهم وهو يذلهم أمامك، فتطردهم وتبيدهم سريعا كما كلمك الرب»[١٥]؟

ولكن، ويل لبني اسرائيل ان غضب الرب عليهم، فهو يذلهم ويهزمهم وينصر اعداءهم، فينصر عليهم الفلسطينيين[١٦] كما نصر أخاهم بنيامين عليهم من قبل. ولكن لا يلبث ان يذعن لتوسلاتهم وتضرعاتهم وبكائهم ويتقبل منهم ذبائحهم ومحروقاتهم، فينصرهم. وقد جاء في العهد القديم انه: «تقدم الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل، فأرعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وهزمهم فانكسروا امام اسرائيل»[١٧].

وليس ادل على تدخل الرب في قرارات الحرب عند بني اسرائيل من قول موسى لقومه، بعد هزيمتهم أمام الاموريين: «فقال لي الرب: قل لهم لا تصعدوا (الى جبل الاموريين) ولا تقاتلوا، فاني لست في وسطكم، لئلا تنهزموا أمام اعدائكم. فقلت لكم ذلك فلم تسمعوا، بل عصيتم أمر الرب واعتددتم بانفسكم وصعدتم الجبل، فخرج عليكم الاموريون المقيمون في ذلك الجبل لملاقاتكم وطاردوكم كما تفعل النحل وحطموكم في سعير حُرمة. فرجعتم وبكيتم أمام الرب. فلم يسمع الرب لصوتكم وأصغى اليكم»[١٨].

---

(١٢) م.ن. يش ٨: ٢.

(١٣) م.ن. يش ٨: ٣-٢٩.

(١٤) م.ن. يش ١٣: ٦.

(١٥) م.ن. تث ٩: ٣.

(١٦) م.ن. ١ صم ٤: ١-١١ وقض ١٣: ١، حيث ذكر ان الرب دفع بني اسرائيل «الى يد الفلسطينيين أربعين سنة».

(١٧) م.ن. ١ صم ٧: ٧-١٠.

(١٨) م.ن. تث ١: ٤٢-٤٥.

ويبلغ تدخل الرب في الحرب مع بني اسرائيل حد الاسطورة، وذلك في حربهم ضد الاموريين اذ «كلم يشوع الرب» فقال الرب: «يا شمس قفي على جبعون، ويا قمر على وادي أيالون» فوقفت الشمس في كبد السماء ووقف القمر «الى ان انتقمت الامة من اعدائها»[١٩]. بل يذهب الى أبعد من ذلك فيحارب عن بني اسرائيل في ذلك اليوم، اذ يقول العهد القديم: «ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده... لان الرب قاتل عن اسرائيل»[٢٠].

ويروي العهد القديم، غير ذلك، قصصا خيالية عن تدخل الرب في الحرب الى جانب بني اسرائيل، منها ما جرى في الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا وبني مؤاب وعمون، اذ زحف بنو مؤاب وعمون على يوشافاط لقتاله فنادى يوشافاط الرب «وكان جميع بني يهوذا واقفين أمام الرب باطفالهم ونسائهم وأولادهم»[٢١]، فحل روح الرب على «يحزيئيل بن زكريا بن بنايابن يعيئيل بن متنيا اللاوي»، فقال: «اصغوا يا بني يهوذا جميعكم ويا سكان أورشليم، وانت ايها الملك يوشافاط. هكذا قال الرب لكم: لا تخافوا ولا تفزعوا أمام هذا الجمهور العظيم، لان المعركة ليست لكم، بل لله. كما يروى، في مكان آخر، كيف «خرج ملاك الرب وقتل من عسكر أشور مئة الف وخمسة وثمانين الفا، فلما بكّروا صباحا اذا هم جميعا جثث أموات»[٢٢].

وتكثر في العهد القديم عبارة «رب القوات» و«اله القوات» و«رب القوات اله اسرائيل» مما يدل على مدى عمق حضور هذا الرب، او الاله، في الحياة العسكرية اليومية لبني اسرائيل. من ذلك، قول داود للفلسطيني: «انا آتيك باسم رب القوات، اله صفوف اسرائيل»[٢٣]، ومن ذلك: «ارجع يا إله القوات، تطلع من السماء، وانظر»[٢٤]. و«ما أحب مساكنك يا رب القوات» و«ايها الرب اله القوات، إسمع صلاتي»[٢٥]. و«كذلك ينزل رب القوات للمحاربة على جبل صهيون.... وكالطيور الطائرة يحمي رب القوات أورشليم»[٢٦].

---

(١٩) م.ن.، يش ١٠: ١٢ـ١٣.
(٢٠) م.ن. يش ١٠: ١٤.
(٢١) م.ن. ٢ اخ ٢٠: ١٣.
(٢٢) م.ن. ٢ اخ ٢٠: ١٥ واش ٣٧: ٣٦.
(٢٣) م.ن.، ١ صم ١٧: ٤٥.
(٢٤) م.ن. مز ٨٠: ١٥.
(٢٥) م.ن. مز. ٨٤: ٢ و٩.
(٢٦) م.ن. اش ٣١: ٤ـ٥.

و«هكذا قال رب القوات اله اسرائيل»[٢٧]. وتتردد عبارة «رب القوات» في أسفار أشعيا[٢٨] وزكريا[٢٩] وملاخي[٣٠]. وفي كثير من الاسفار غيرها. ويفسر «قاموس الكتاب المقدس» هذه العبارة بانها «ترجمة للعبارة العبرية «يهوه صباوؤث»، ويعني هذا التعبير ان الرب هو «رئيس قوات العبرانيين»، مستندا، في تفسيره هذا، الى ما ورد في سفر صموئيل الاول(١٧: ٤٥) بان رب القوات هو «اله صفوف اسرائيل»، وبما ورد في سفر أشعيا(٣١ : ٤) بان رب القوات ينزل «للمحاربة على جبل صهيون»[٣١].

ويصب «رب القوات» جام غضبه على الكلدانيين وسكان بابل لانهم امسكوا «بني اسرائيل وبني يهوذا» فسبَوْهم «وأبوا ان يطلقوهم» فينقلب في يد بني اسرائيل سيفا «على الكلدانيين» و«على سكان بابل وعلى رؤسائها وعلى حكمائها» و«على عرّافيها فليهذوا» و«على ابطالها فليفزعوا» و«على خيلها وعلى مركباتها، وعلى جميع الخليط الذي في وسطها فليصيروا كالنساء»، و«على كنوزها فلتنهب». ولا غرو فإله بني اسرائيل «قوي، رب القوات اسمه» وهو «فاديهم». وهو ينذر سكان بابل بان يفعل بهم كما فعل بسدوم وعمورة قبلهم، ويهددهم بشعب مقبل، وبملوك كثيرين، قابضين على «القوس والحربة، قساة لا يرحمون، صوتهم كهدير البحر»، وعلى الخيول راكبين، مصطفين «كرجل واحد للمعركة ضدك يا بنت بابل»[٣٢]. الى هذا الحد يغضب «رب القوات، اله اسرائيل» لشعبه، ويرغي ويزبد مهددا سكان بابل ومتوعدا اياهم بالويل والثبور. ويغضب الرب على أورشليم فيجمع، لمحاربتها، «كل الامم»، «فتؤخذ المدينة وتنهب بيوتهم وتوطأ نساؤهم، ويخرج نصف المدينة الى الجلاء»[٣٣]. وفجأة، يتحول غضب الرب على أورشليم الى رضى عنها وغضب لاجلها، فيخرج ليحارب «تلك الامم» التي اجتمعت عليها «كما يحارب

---

(٢٧) م.ن. أر ٢٩: ٢١ و٢٥.

(٢٨) م.ن. اش ١ و٢ و٣ و٥ و٩ و١٠ الخ....

(٢٩) م.ن. زك ٧ و٨ الخ.....

(٣٠) م.ن. ملا ١ و٢ و٣ و٤.

(٣١) عبد الملك، بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٩٧.

(٣٢) العهد القديم، أر ٥٠: ٣٣ـ ٤٢.

(٣٣) م.ن. زك ١٤: ٢.

في يوم القتال» ويقف على «جبل الزيتون الذي قبالة أورشليم» فينشق الجبل نصفين[٣٤]. ثم يضرب الرب «جميع الشعوب التي حاربت أورشليم، يفسد لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وعيونهم تفسد في وقوبها، وألسنتهم تفسد في أفواههم»[٣٥]. «وترتفع أورشليم وتُسكن.... من باب بنيامين الى مكان الباب الاول والى باب الزوايا، ومن برج حننئيل الى معاصر الملك، ويسكنون فيها، ولا يكون تحريم من بعد، فتُسكن أورشليم بالامن»[٣٦].

بهذه الطريقة وغيرها، يقاتل «رب القوات» اله اسرائيل الى جانب بني اسرائيل، يغضب عليهم تارة فيهزمهم، فيأتون اليه باكين متوسلين ومتضرعين، فيصفح عنهم، ثم يعود فيقاتل الى جانبهم، بل في مقدمة صفوفهم، لينصرهم.

أما بنو اسرائيل، فليس عليهم الا ان يستشيروا ربهم، فاذا أمرهم بالقتال قاتلوا، والا فلا قتال، وان قاتلوا بلا اذن منه فهم، لا شك، خاسرون. ويكفي ان نستمع الى رب بني اسرائيل يخاطب يشوع قائلا: «لا تخافوهم..... فان الرب الهكم هو المقاتل عنكم»[٣٧]، لكي ندرك مدى تجذر الاتكالية في صلب العقيدة العسكرية اليهودية.

ولا يجد رب بني اسرائيل غضاضة في ان ينحاز، في القتال بين العبرانيين انفسهم، الى احد الفريقين منهم ضد الفريق الآخر، فهو ينحاز الى جانب «أبيّا» ملك يهوذا، في حربه ضد «ياربعام» ملك اسرائيل، وذلك عندما نصب ياربعام كمينا لأبيا ويهوذا «فاذا القتال من أمامهم ومن خلفهم» عندها استجار أبيا بالرب الذي ضرب «ياربعام وكل اسرائيل أمام أبيا ويهوذا، فانهزم بنو اسرائيل من وجه يهوذا»، وسقط من بني اسرائيل «خمسمئة الف رجل منتخبون». وهكذا «اعتز بنو يهوذا، لانهم اتكلوا على الرب، اله آبائهم»، أما بنو اسرائيل فقد «اتضعوا»[٣٨] وذلّوا، لان الرب قاتل ضدهم.

ويروي العهد القديم ان رب بني اسرائيل هو الذي قادهم في طريق خروجهم من مصر الى سيناء، فكان «يسير أمامهم نهارا في عمود من غمام ليهديهم الطريق، وليلا في عمود من نار ليضيء لهم»[٣٩]. وانه أمر موسى ان يصنع أبواقا ينفخ فيها لحشد شعبه

---

(٣٤) م.ن. زك ١٤: ٣ـ٤.
(٣٥) م.ن. زك ١٤: ١٢.
(٣٦) م.ن. زك ١٤: ١٠ـ ١١.
(٣٧) م.ن. تث ٣: ٢٢.
(٣٨) م.ن. ٢أخ ١٣: ١٣ـ١٨.
(٣٩) م.ن. خر ١٣: ٢١.

للقتال، وتكون اشارة لطلب النجدة من الرب، الههم، كي يتذكرهم وينقذهم من اعدائهم كلما ضايقهم عدو في حرب(٤٠).

أما رواية العهد القديم عن تدخل رب يهوذا لانقاذ اورشليم من يد سنحاريب، ملك اشور، في عهد حزقيا، وضربه جيش اشور وقتله من عسكره «مئة الف وخمسة وثمانين الفا»، فتظل عاصية على الفهم، بعيدة عن الاقناع. هذا الرب الذي أرسل ملاكه «في تلك الليلة» فقتل هذا العدد الضخم من جيش اشور، «فلما بكّروا صباحا، اذا هم جميعاً جثث أموات»(٤١). ويحاول محققو العهد القديم ان يجدوا، دون ان يوفقوا في ذلك، مبرراً مقنعا لهذه الرواية، فيقولون ان عسكر اشور أبيد «بضربة من عند الله، لربما كانت الطاعون»(٤٢)، ولكن ذلك يظل بعيدا عن الاقناع لانه مجاف للعقل والمنطق، فلا يمكن لاي طاعون ان يقتل هذا العدد الضخم من الناس في ليلة واحدة، كما ان الرواية، بحد ذاتها، غير ثابتة تاريخيا، كباقي روايات العهد القديم التي تقدم تفاصيل عديدة لا يمكن الاعتداد بها.

وتوجد في العهد القديم روايات عديدة يظهر الرب فيها مقاتلا في مقدمة جيوش بني اسرائيل، بل قائداً لهذه الجيوش، ولا يمكن حصر هذه الروايات وتعدادها، جميعها، في هذا البحث. الا انه لا بد من ذكر أبرزها، وهي تلك التي رواها العهد القديم عن تدخل الرب في فتح أريحا، اذ جاء في العهد القديم: «ولما كان يشوع عند أريحا، رفع عينيه ونظر، فاذا رجل واقف امامه وسيفه في يده مسلولا، فاقبل عليه يشوع وقال له: أمنّا أنت أم من أعدائنا؟ فقال: كلا، بل أنا رئيس جند الرب، والآن جئت. فسقط يشوع على وجهه على الارض.... وقال الرب ليشوع: أنظر، اني قد اسلمت أريحا وملكها الى يدك.....»(٤٣) ثم أرشده الى الطريقة التي يستطيع بواسطتها احتلال أريحا وهي: الطوفان حول المدينة سبعة أيام والنفخ في الابواق، ثم الانقضاض(٤٤).

وفي حرب يهوذا المكابي ضد طيموتاوس، عند جازر، يظهر «من السماء، خمسة

---

(٤٠) م.ن. عد ١٠: ٩.

(٤١) م.ن. ٢ مل ١٩: ٣٥.

(٤٢) م.ن. ص ٧١٤ حاشية ١١.

(٤٣) م.ن. يش ٥: ١٣ـ١٤ ويش ٦: ٢.

(٤٤) م.ن. يش ٦: ٣ـ٩.

رجال رائعي المنظر. على خيل لها لجم من ذهب، وتقدموا اليهود، وأحاطوا بالمكابي يحمونه باسلحتهم ويقيانه(ويقونه) الجراح، وكانوا يرمون الاعداء بالسهام والصواعق»[٤٥]. وفي حربه، كذلك،ضد ليسياس، وصي الملك السلوقي انطيوخوس اوباطور في سوريا، ونسيبه، تراءى لمقاتلي يهوذا المكابي «فارس عليه لباس أبيض يتقدمهم وهو يلوّح بسلاح من ذهب»[٤٦].

ونحن نعتقد ان هذه الروايات تدخل في باب التعبئة المعنوية ولا يمكن ان تدخل في باب الحوادث الواقعية الحقيقية، وذلك رغم ما جاء من ان «رئيس جند الرب» تجسد في رجل «سيفه في يده مسلولا». وربما تكون مفيدة المقارنة بين هذه الرواية والروايات الاسلامية التي تذكر ان الملائكة (وليس الله في كل حال) اشتركت مع المسلمين في القتال ببدر، ونصرتهم، وكذلك في وقعة حنين. الا ان «تدخل الرب» يظل العنصر الاهم والبارز في كل حروب بني اسرائيل التي ورد ذكرها، بالتفصيل، في العهد القديم، وذلك بعكس ما هو معروف عن الفتوحات الاسلامية وبطولات المسلمين فيها، بعد توكلهم على الله طبعا، ولكن دون مشاركة (شخصية) منه، كما هي الحال في حروب بني اسرائيل الوارد ذكرها في العهد القديم، حيث يتجسد الرب في رجل أحيانا. وحيث يكون رب بني اسرائيل قائدا عسكريا يقود الجند وينزل بالعدو ضربات هي من المعجزات.

وتظل «الاتكالية، او غريزة الاعتماد على الغير» هي العنوان الابرز في هذه الحروب، حيث تجذرت هذه «الاتكالية» في نسيج الانسان اليهودي وطبيعته، وفي سلوكه العام، السياسي والعسكري، وهو ما نشهده اليوم، بشكل واضح، كما سنبين.

وربما استطعنا تسمية «الاتكالية» او «سياسة الاعتماد على الغير» التي عرفها العبرانيون طيلة تاريخهم، سياسة «الاعتماد على قوة خارجية» او مبدأ «المناورة الخارجية»، هذه «المناورة» التي أضحت، مع الزمن «استراتيجية بعيدة المدى» استخدمها الاسرائيليون ببراعة واتقان فائقين.

فمنذ ان وجد شعب «بني اسرائيل» وهو ينتقل من حضن «رب» الى حضن «رب» آخر، بدءاً بخروجه من أرض مصر، فتيهه في صحراء سيناء أربعين عاما، فعبور الاردن الى

---

(٤٥) م.ن. ٢ مك ١٠: ٢٩-٣٠.

(٤٦) م.ن. ٢ مك ١١: ٨.

فلسطين من أرض كنعان، فحروبه مع شعوب الارض التي أمره «الرب» ان يجتاحها ويطرد أهلها منها، ثم سبيه الى بابل على يد نبوخذ نصر البابلي،.... وفي كل هذه المراحل، كان شعب بني اسرائيل يلجأ، دوما، الى «ربه» الذي يتقدمه في الصحارى والجبال، ويتقدم صفوفه في القتال، بل يحارب عنه في كل معاركه. وهكذا كان اعتماد شعب بني اسرائيل على هذه «القوة الخارجية» التي هي «الرب» مرتكزا أساسيا في العقيدة اليهودية «التوراتية» ورثتها عنه، فيما بعد «العقيدة الصهيونية».

الا ان هذه «القوة الخارجية» التي ورثها الاسرائيليون عن أسلافهم القدامى لم تظل هي نفسها، عبر العصور، خصوصا وان ذلك «التوكل» الالهي أورث الاسرائيليين سياسة أضحت ثابتة في تاريخهم، هي سياسة «الاعتماد على الغير» الذي لم يعد «الرب» في كثير من الأحيان، بل أصبح «دولة عظمى»، وهو ما سمي، في التاريخ السياسي «بالمناورة الخارجية».

وتعرّف «المناورة الخارجية» بأن يعتمد فريق (أو طرف) في نزاعه السياسي او العسكري ضد فريق (او طرف) آخر، على فريق ثالث يسانده ويدعمه في هذا النزاع كي يغلّبه على الفريق الخصم، وهو ما اعتمده بنو اسرائيل طيلة تاريخهم. يؤكد ذلك ما ورد في «البروتوكول الثالث» من بروتوكولات حكماء صهيون، اذ جاء فيه «ونحن اليوم، بصفتنا قوة دولية فلا نغلب، لانه، اذا هاجمنا فريق انتصر لنا فريق آخر»[٤٧]. وهكذا رأينا اليهود ينتقلون، عبر العصور، من حضن «رب» الى حضن «رب» آخر، أي من حضن «دولة» قوية الى حضن «دولة» قوية أخرى، من الفرس الى اليونان فالرومان فالعرب فالعثمانيين فالانكليز فالاميركيين، ذلك أنهم:

ـ عندما سباهم نبوخذنصر الى بابل، لجأوا الى الفرس فكانوا عيونا لهم وجواسيس على الكلدانيين، حتى اذا ما هزم الكلدانيون أمام فارس أعادهم «قورش» الفارسي الى فلسطين وعزّزهم.

ـ وما ان ضعفت شوكة الفرس حتى انحازوا الى الاغريق (اليونان) فقرّبوهم.

ـ وما ان ضعف اليونان حتى انحازوا الى الرومان فوضعوهم في حمايتهم، الى ان

---

(٤٧) نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد ١: ١٩٨ (البروتوكول الثالث).

كان ميلاد السيد المسيح حيث وقف اليهود من الديانة المسيحية موقف المعارض والمناهض، وكانوا سببا في صلب السيد المسيح، وما ان اعتنق الرومان المسيحية حتى شتتوا اليهود واضطهدوهم.

- وما ان انتصر العرب المسلمون على الروم البيزنطيين حتى مالا اليهود العرب المسلمين، تملقا وكذبا، وكان المسلمون يعرفون ذلك من قوله تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذين آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٥ / ٨٢] ذلك ان اليهود كانوا قد ناصبوا النبي محمداً (صلعم) العداء وهو في المدينة المنورة، فقاتلهم وأجلاهم عنها. ورغم ذلك فقد أحسن المسلمون معاملتهم، في افريقيا والاندلس، وفي كل مكان من ارض المسلمين، وظلوا يعاملونهم معاملة حسنة الى ان ظهر خبثهم ومكرهم، وبانت حقيقة أطماعهم بفلسطين.

- وما ان انهارت الامبراطورية العربية الاسلامية حتى انحاز اليهود الى العثمانيين ومالأوهم.

- وما ان انهارت الامبراطورية العثمانية حتى انحاز اليهود الى الانكليز حيث نالوا منهم مأربهم في «وعد بلفور» ثم مساندتهم في احتلالهم لفلسطين.

- وما ان ضعفت بريطانيا حتى انحاز اليهود الى فرنسا التي أخذت تمدّهم بالدعم السياسي والعسكري.

- وما ان صعد نجم الولايات المتحدة الاميركية حتى انحاز اليهود الى الدولة الصاعدة وعقدوا معها «تحالفا استراتيجيا» لم ينفك حتى اليوم، ويبدو انه مستمر باستمرار قوة أميركا.

وهكذا نرى اليهود يحالفون قوة ما وعينهم ترقب صعود قوة أخرى كي يحالفوها متى بدأ نجم القوة التي يحالفونها يأفل. فهم، اليوم، يحالفون الولايات المتحدة الاميركية، الا ان عينهم على اليابان والصين وروسيا واوروبا الموحدة بزعامة المانيا، ينتظرون أفول النجم الأميركي لكي يمدوا يدهم الى النجم الصاعد يساومونه كي يحالفوه.

وقد دخلت «المناورة الخارجية» في صلب الاستراتيجية العامة للصهيونية، منذ نشوئها، وحتى قيام دولة اسرائيل، ولا تزال الى اليوم. وفيما يلي نماذج من «المناورة الخارجية» الصهيونية:

ـ عام ١٩١٧، اعتمدت الصهيونية على انكلترا للحصول على «وعد بلفور» الذي منح اليهود بفلسطين وطنا، فكان كما قيل فيه انه «هبة ممن لا يملك لمن لا يستحق».

ـ عام ١٩٤٧، اعتمدت الصهيونية على الولايات المتحدة الاميركية ورئيسها «ترومان» لاصدار قرار من الامم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ثم اعتمدت عليها عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩ لتحقيق هدنات متتابعة في حربها الاولى ضد العرب، فكانت تلك الهدنات من أهم عوامل انتصار اليهود في هذه الحرب واستقرار دولتهم في فلسطين.

ـ عام ١٩٥٠، صدر «البيان الثلاثي» عن كل من أميركا وفرنسا وانكلترا، ثم صدر عام ١٩٦٧، بيان أميركي مماثل، وكلا البيانين يؤكد حماية اسرائيل وسلامتها وأمنها في مواجهة الدول العربية المحيطة بها، ومدّ اسرائيل بما تحتاجه من أسلحة ومعدات عسكرية لهذا الغرض.

ـ عام ١٩٥٦، اعتمدت اسرائيل على بريطانيا وفرنسا وشنت، بالتنسيق معهما، هجوما على مصر بقصد ضرب القوة العسكرية المصرية المتنامية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر. ثم اعتمدت على فرنسا للحصول على مساعدات عسكرية، وعلى ألمانيا للحصول على مساعدات عسكرية واقتصادية ومالية (التعويضات التي ترتبت لاسرائيل عن أعمال العنف النازية المزعومة باليهود. وقد بدأ يتضح، اليوم، مدى كذب هذه المزاعم). وأخيرا، على أميركا لتأمين الدعم الدولي، المالي والاقتصادي والسياسي والعسكري.

ـ عام ١٩٦٧،اعتمدت اسرائيل على الاسطول السادس الاميركي، وخصوصا سفينة التجسس الاميركية «ليبرتي» التي ظلت تقدم لاسرائيل المعلومات المهمة عن تحرك القوات المصرية (البرية والبحرية والجوية) طيلة حرب عام ١٩٦٧، ومع ذلك فقد أقدمت اسرائيل، في نهاية الحرب، على تفجير هذه السفينة وإغراقها بتاريخ ٨/٦/١٩٦٧.

ـ عام ١٩٧٣، ضمنت الولايات المتحدة الاميركية لاسرائيل عدم الهزيمة في حرب كانت هزيمتها فيها مؤكدة، لولا التدخل الاميركي المباشر، بواسطة جسر جوي عسكري نقل الى الجبهة الاسرائيلية، في سيناء، كل أنواع الدعم العسكري من سلاح ومعدات.

ـ عام ١٩٨١، وقع ميثاق للتعاون الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة

الاميركية، وبفضل هذا الميثاق، أصبحت اسرائيل، عمليا، بمثابة قاعدة عسكرية (برية وجوية وبحرية) لاميركا[٤٨].

ـ ضمنت الولايات المتحدة الاميركية لاسرائيل كل أنواع الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري، كما ضمنت لها أمنها واستقرارها وقوتها في وجه العرب جميعا، وذلك منذ انشائها الى اليوم، ولا تزال. وهي تعتبر، بالنسبة الى الولايات المتحدة الاميركية، «الدولة الاكثر رعاية».

ان ما يساعد الصهيونية (واسرائيل) على هذا السلوك المتميز بالقدرة الخارقة على استخدام المتغيرات الدولية لصالحها، هو ادراكها الواعي «لحقائق الموقف الدولي والتوازن العالمي» وذلك لما تتصف به من «وضوح الرؤية» لهذا الموقف «وعوامله واتجاهاته واحتمالات تطوره». وتسهم الصهيونية العالمية، بكل أجهزتها، في رسم خارطة الموقف الدولي هذا، «وتطوراته وسير اتجاهاته وتحولاته»، وتضع هذه الخارطة بتصرف الدولة العبرية التي تتقن الافادة من المعلومات المقدمة اليها وتحسن استثمارها والاستفادة منها، حتى اذا ما أصبحت الظروف الدولية مؤاتية وملائمة لعمل ما، بادرت الى تنفيذه، مستفيدة من تلك الظروف، ومن الموقف الدولي والتوازن العالمي[٤٩]. ومستفيدة، كذلك، من علاقاتها الوطيدة بالدول ذات السلطة العالمية، أي الدول التي تمتلك القرار الدولي، وهي اليوم، الولايات المتحدة الاميركية، دون سواها.

وهكذا تستطيع الصهيونية (واسرائيل) اتقان «المناورة الخارجية» وتحسن استخدام الظروف الدولية، وصداقاتها وعلاقاتها الدولية، لتحويل تلك الظروف لصالحها، وتنفيذ مآربها، غير غافلة، في كل حال، عن مراقبة التطورات الدولية التي تضطرها للتحول، عند الاقتضاء، من الاعتماد على سند دولي آخذ بالافول، الى سند دولي آخر آخذ بالصعود.

لقد اتقنت الصهيونية (واسرائيل) لعبة الاتكالية، والاعتماد على الغير، واضحت بارعة في استخدام «المناورة الخارجية» الى درجة انها تظل المنتصرة دوما، والمستفيدة دوما، وفي كل الظروف.

---

(٤٨) انظر نص هذا الميثاق عند: مقلد، اسماعيل، الاستراتيجية والسياسة الدولية، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٤٩) الكيلاني، هيثم، دراسة في العسكرية الاسرائيلية، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

انه الارث الكبير الذي ورثته من نصوص «العهد القديم» حيث «الرب» يحارب عن بني اسرائيل، ويتقدم صفوفهم للقتال. ولا يزال هذا «الرب» يحارب عنهم، ويتقدم صفوفهم، الا انه «رب» من نوع جديد لم يعرفه «العهد القديم».

نموذج من «اتكالية» بني اسرائيل في تاريخهم العسكري الحديث: حرب / أكتوبر ١٩٧٣:

في السادس من تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٧٣، هاجمت مصر وسوريا اسرائيل، ونشبت حرب أكتوبر التي كان يمكن ان تلحق باسرائيل هزيمة ساحقة لولا تدخّل الولايات المتحدة الاميركية لنصرتها.

دخلت مصر حرب أكتوبر بجيشين وفرقة مشاة مستقلة واحتياط استراتيجي عام، مع وحدات مساندة بالنار (مدفعية) وسلاح جوي وصاروخي ومعدات هندسية متطورة، وهذه القوات هي:

- **الجيش الثاني:** ويضم ٣ فرق مشاة وفرقة مدرعة واحدة وفرقة ميكانيكية واحدة.
- **الجيش الثالث:** يضم فرقتي مشاة وفرقة مدرعة واحدة.
- **فرقة مشاة:** الفرقة الخامسة.
- **الاحتياط الاستراتيجي العام:** ويضم عددا من التشكيلات المستقلة، أهمها: فرقتان ميكانيكيتان، وكان مركز هذا الاحتياط قرب القاهرة.
- **وحدات المساندة بالنار:** وتتألف من ١٣٥ كتيبة مدفعية تضم نحو ٢١٥٠ مدفعا وهاونا وقاذف كاتيوشا مع ١٩٠٠ مدفع للرمي المستقيم على تحصينات العدو (في خط بارليف) ومنها: مدافع عديمة الارتداد ١٠٧ ملم ومدافع مضادة للدبابات ٨٥ ملم و ١٠٠ ملم وقانصات دبابات (أس يو ٢٠٠) ودبابات (ت ٥٤).
- **سلاح الجو والصواريخ:** ويضم ١٩٠ طائرة ميغ ٢١ وسوخوي ٧ وهوكر هنتر مع عدد من قواعد الصواريخ ضد الطائرات[٥٠].
- **المعدات الهندسية** اللازمة لعبور القناة وتهديم خط بارليف.

---

(٥٠) الايوبي، الهيثم، الموسوعة العسكرية، جـ ١: ٦٩٨.

وكان لدى الجيش المصري، غداة هذه الحرب، وعلى جبهة القتال «نحو ٢٦٠ الف جندي مقاتل، موزعين على نحو ٩ ألوية مدرعة و٨ ألوية مشاة ميكانيكية و١٢ لواء مشاة ولواءي مظليين ونحو ٨ ـ ٩ ألوية مغاوير (صاعقة) ولواء انزال بحري، عدا تشكيلات المدفعية، أي ما مجموعه ٣٩ لواء، ولواء فلسطيني وآخر كويتي»[٥١]. مقابل ذلك، كانت اسرائيل قد ركزت، على الضفة الشرقية للقناة لواءي مشاة، أحدهما احتياط (لواء القدس)، «وبعض قوات المشاة النظامية» وثلاثة ألوية من المدرعات وتضم هذه الاخيرة ثلاثماية دبابة[٥٢].

أما سوريا فقد دخلت هذه الحرب بالقوات التالية:

ـ ٣ فرق مشاة ميكانيكية تتألف كل منها من: لواءي مشاة (كتيبة دبابات في كل لواء) ولواء مشاة ميكانيكي، ولواء مدرع (وتضم الفرق الثلاث ٥٤٠ دبابة).

ـ فرقتين مدرعتين (تضمان ٤٦٠ دبابة) ولواءين مدرعين مستقلين.

ـ لواء مشاة مستقل.

ـ وحدة خاصة من المغاوير المحمولة جوا.

ـ ١٠٤ بطاريات مدفعية وقاذف صواريخ كاتيوشا (مدافع عيار ١٢٢ ملم و١٣٠ ملم و١٥٢ ملم).

ـ شبكة صواريخ سام مضادة للطائرات بمختلف أنواعها[٥٣].

وكان لدى الجيش السوري، غداة هذه الحرب، وعلى جبهة القتال «حوالى ١٢٠ ألف جندي مقاتل، موزعين على نحو ٩ ألوية مدرعة و٦ ألوية ميكانيكية و٧ ألوية مشاة ولواءي مغاوير، عدا المدفعية، أي ما مجموعه ٢٤ لواء»[٥٤]. بالاضافة الى قوة عراقية مؤلفة من «٤ ألوية مدرعة ولواءين ميكانيكيَّيْن ولواء مشاة ولواء مغاوير، أي ما مجموعه ٨ ألوية» ولواء

---

(٥١) عزمي، محمود، دراسات في الاستراتيجية الاسرائيلية، ص ١٠٢.

(٥٢) الايوبي، الهيثم، الموسوعة العسكرية، جـ١: ٧٠١.

(٥٣) م.ن. جـ١: ٧١٠.

(٥٤) عزمي، محمود، دراسات، ص ١٠٢.

مدرع أردني، ولواء مشاة مغربي، أي ان مجموع ما اشترك في الجبهة السورية، من الجانب العربي «١٤ لواء مدرعا و٨ ألوية ميكانيكية و٩ ألوية مشاة و٣ ألوية مغاوير، عدا المدفعية، أي ما مجموعه ٣٤ لواء»[٥٥]. وهكذا تكون مصر وسوريا، ومعهما بعض العرب، قد خاضا حرب تشرين (اكتوبر) «بنحو ٧٥ لواء مقابل نحو ٤٤ لواء اسرائيليا»[٥٦]، مقابل ذلك، كانت اسرائيل قد ركزت، في الجولان، القوات التالية:

- لواء المشاة الميكانيكي (غولاني).

- لواءين مدرّعيْن يضمان ٥ كتائب دبابات (يضاف اليها كتيبة دبابات احتياط وكتيبة دبابات لواء غولاني، فيكون مجموع كتائب الدبابات الاسرائيلية ٧ كتائب).

- ١١ بطارية مدفعية[٥٧].

لقد فوجئت اسرائيل بالهجوم المصري السوري الذي لم تكن تنتظره ولم تكن مستعدة له، فتمكن المصريون والسوريون من اختراق الجبهة الاسرائيلية في كل من منطقتي القناة والجولان، ويقول موشي دايان في مذكراته «تاريخ حياتي» انه، في هذا اليوم، أي يوم اندلاع الحرب، كان لدى اسرائيل «في المنطقة الجنوبية ١٧٧ دبابة و٤٤ مدفعا، وفي المنطقة الشمالية ٢٧٦ دبابة و١٨ مدفعا» ويستطرد بألم: «لقد اندلعت الحرب يوم الغفران، اليوم الوحيد في السنة حيث معظم اليهود في العالم يجتمعون ليصوموا ويصلوا إما في المعابد او في منازلهم. وفي اسرائيل، الهدوء يخيم على البلاد، كل الاعمال متوقفة، فلا اتوبيس ولا شاحنة، ولا حتى سيارة في الشوارع، انه اليوم الذي يجسّد قضاء الله، اكثر الايام إجلالاً عند الشعب اليهودي، ومنذ الآن، سوف يكتسب هذا اليوم خطورة اكبر أيضا»[٥٨].

لقد كانت حرب «يوم الغفران» مفاجأة قاسية ومؤلمة لاسرائيل، بل كادت تكون مدمّرة لها، ولم تكن المفاجأة في توقيت الهجوم وقوته وسرعة اختراق الخطوط الدفاعية

---

(٥٥) م.ن.ص.ن.

(٥٦) م.ن.ص.ن.

(٥٧) الايوبي، الهيثم، الموسوعة، جـ١: ٧١٠ ـ ٧١١.

(٥٨) -- Dayan, Moshé, Histoire de ma vie, P. 447.

الاسرائيلية فحسب، بل كانت ايضا، وبحسب قول دايان، في الطريقة التي قاتل العرب بها، والتي لم يألفها الاسرائيليون من أي جيش عربي قبل ذلك. يقول دايان: «لقد كانت أخطر مسألة لدينا هي مسألة تفوق العرب بالعديد والسلاح. لقد كانوا يقاتلون بعزم، مجهزين بأسلحة روسية ممتازة، من ضمنها الآر بي جي (RPG) وصواريخ ساغار Saggar، وبمساعدة روسيا والبلاد العربية وخصوصا ليبيا، كانوا على استعداد للاستمرار في الحرب حتى لو تكبدوا خسائر فادحة»[٥٩].

وأسرعت اسرائيل في اعلان الاستنفار والتعبئة العامة، وساعدها في ذلك أسلوب متميز في الاستنفار، وقدرة ومرونة في التعبئة عرفت بهما الدولة العبرية منذ انشائها، فلم يمض اكثر من ٧٢ ساعة حتى بدأت وحدات الاحتياط الاسرائيلية، مشاة ومدرعات ومدفعية وسلاح جو وغيرها، تكتمل على الجبهات وتباشر مهماتها القتالية، اذ استطاعت اسرائيل ان تعبئ، خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن، قسما كبيرا من احتياطها، فأصبح لديها، بعد ثلاثة ايام فقط من بدء الحرب، «نحو ٢٧٥ الف جندي مقاتل، موزعين على ١٨ـ ٢٠ لواء مدرعا، و١٠ ألوية ميكانيكية، و٩ ألوية مشاة، و٥ ألوية مظليين عدا تشكيلات المدفعية أي ما مجموعه نحو ٤٤ لواء»[٦٠]. وفي اليوم الخامس من الحرب (١٠ تشرين الاول ـ اكتوبر) انزاح الكابوس المخيف عن صدر الامة اليهودية، اذ تمكن جيش اسرائيل من وقف الزحف العربي، وبدأ يحضّر لهجوم ردّي على الجبهتين، يقول دايان في ذلك: «العاشر من اكتوبر، اليوم الخامس من الحرب، كان أول يوم اتخلى فيه عن تساؤلي، بضيق، عما اذا كانت قواتنا سوف تتمكن من منع العرب من اختراق احدى جبهاتها والتدفق على أرضنا، ففي سيناء كما في الجولان، تكبد العدو تراجعات خطيرة، متحملا خسائر فادحة في الرجال والعتاد «ويستطرد: «ان الجيوش العربية، بعد ان نفذت خططها المسبقة باجتياز القناة واخذ الجولان، لم يعد بامكانها الانتقال الى المرحلة التالية». أما نحن، يقول دايان، «فقد وصلنا الى مرحلة حيث أصبح باستطاعتنا ان نأخذ المبادرات العسكرية... لقد أصبحنا الآن أسياد الخيارات»[٦١]. ولكن، مع اعترافنا بقدرة الجيش

---

(٥٩) Ibid, P. 469. --

(٦٠) عزمي، دراسات، ص ١٠٢.

(٦١) Dayan, Histoire, P. 476. --

الاسرائيلي ومهارته في سرعة الرد على الهجوم العربي واستيعابه، الا ان ايقافه ثم التمكن من قلب ميزان القوى لصالح اسرائيل والانتقال مع موقع الدفاع الى موقع الهجوم، كما حصل في الايام الاخيرة من الحرب، لم يكن ليتم لولا عاملين مهمين هما:

الاول: النية المسبقة لدى الرئيس المصري (السادات) بعدم الاستمرار في الحرب التي أرادها «حرب تحريك لا حرب تحرير»، كما قال هو نفسه، في مذكراته.

والثاني: استخدام اسرائيل، بمهارة، «للمناورة الخارجية» التي اتقنتها، إذ انها استنجدت بالولايات المتحدة الاميركية التي اقامت جسرا جويا بينها وبين اسرائيل بدأ يعمل بتاريخ ١٢ تشرين الاول (أكتوبر) وظل يعمل باستمرار حتى عوضت أميركا على اسرائيل ما خسرته في الايام الاولى من الحرب من عتاد وسلاح، ثم أمدّتها بما تحتاجه اضافة الى ذلك، مما سهل لاسرائيل استعادة قواها والانتقال من الدفاع الى الهجوم[٦٢].

---

(٦٢) -- Beaufre, André, La guerre d'octobre, Encyclopaedia - Universalis, 1974, P. 108.

الفصل الخامس

الحرب الجماعية او الامة المسلحة

كان العبرانيون، في تاريخهم القديم كله، بدءا من خروجهم من مصر، وحتى سبيهم الى بابل، أمة مسلحة وشعبا محاربا. ذلك ما حدثنا به العهد القديم عندما جاء فيه ان الرب أمر موسى «ان يجنّد بني اسرائيل، وان يجعل عليهم نقباء»[1] فأحصى موسى رجال قومه، بعد خروجه من مصر، فبلغ عدد القادرين على حمل السلاح منه، «من ابن عشرين سنة فصاعدا، كل من يخرج الى الحرب في اسرائيل»[2] ٦٠٣٥٥٠ رجلا (ستماية الف وثلاثة آلاف وخمسماية وخمسين رجلا)[3] من الاسباط الاثني عشر، باستثناء اللاويين (وهم كهنة الرب وحرّاس مسكن الشهادة) الذين لم يشملهم هذا الاحصاء، وفقا لاوامر الرب نفسه[4].

كما أمر موسى ان يعين قائدا على رجال كل سبط من الاسباط الاثني عشر، فعين اثني عشر قائدا، كل قائد على راية سبطه «كلٌّ عند رايته، تحت اعلام بيوت ابائهم»[5].

---

(١) ابن كثير، ابو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، جـ ١: ٢٩٨.

(٢) العهد القديم، عد ١: ٢ـ٣.

(٣) م. ن.، عد ١: ٤٦ وانظر لتفصيل ذلك: الفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب.

(٤) م.ن، عد ١: ٤٧.

(٥) م. ن، عد٢: ١ـ ٢٤، وانظر لتفصيل ذلك، الفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب.

وقد ورد في القرآن الكريم ان الله عز وجل أخذ ميثاق بني اسرائيل، وبعث منهم «اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» (المائدة ٥ / ١٢). واذ يذكر ابن كثير هذه الآية في مجال الاستشهاد بان الله عز وجل أمر موسى ان يجند بني اسرائيل ويجعل عليهم نقباء، نجد ان النصف الاخير من الآية نفسها يفسّر النصف الاول منها ويضع شروطا لها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي اسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُم بِرُسُلِي وعَزَّرْتُمُوهُم وأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً

وكان ذلك «في برية سيناء، في خيمة الموعد، في اليوم الاول من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم (العبرانيين) من مصر»[٦].

وهكذا يتبين ان بني اسرائيل عرفوا، منذ العهد التوراتي القديم، حرب الجماعة او «الامة المسلحة» بدءا من خروجهم من مصر، كما قدمنا، حتى اجتياحهم لارض كنعان، الى حين سبيهم على يد نبوخذ نصر. ففي حربهم ضد أخيهم بنيامين، مثلا، «خرج بنو اسرائيل كلهم، واجتمعت الجماعة الى الرب، في المصفاة، كرجل واحد، من دان الى بئر سبع وأرض جلعاد، ووقف أركان كل الشعب اسباط اسرائيل، في مجمع الله، أربع مئة الف راجل مستل سيف»[٧].

ويبدو ان الرب غضب على بني اسرائيل لانهم لم يوفوا بالعهد، بعد خروجهم من مصر، فخرجوا على طاعته، وكانوا في «شطّيم» حيث أخذوا يزنون «مع بنات مؤاب»، وأكلوا من «ذبائح آلهتهن» وسجدوا لهذه الالهة «فاستشاط غضب الرب على اسرائيل»[٨]. وسلط الرب على بني اسرائيل وباء، بسبب عصيانهم له، فقتل منهم «أربعة وعشرين ألفا»[٩]، حتى اذا تابوا، عفا عنهم. وأمر موسى، ومعه العازار بن هارون، ان يعود فيحصيهم من جديد «من ابن عشرين سنة فصاعدا..... كل من يخرج الى القتال من اسرائيل» وكان بنو اسرائيل «في عربة مؤاب، على اردن اريحا»[١٠]، فبلغ عددهم، في هذا

= حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُم سيِّئاتكُم ولأُدْخلَنَّكُم جَنَّاتٍ تَجْري من تَحْتها الأنهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلك مِنْكُم فَقَد ضَلَّ سَوَاء السَّبيلِ﴾، ويستطرد الله عز وجل في آيةٍ تالية متممة للآية السابقة: ﴿فبما نقضهم ميثاقَهُم لعَنَّاهُم وجَعَلْنَا قُلوبَهُم قاسيةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضعه ونَسُوا حَظّاً ممَّا ذُكِّروا به ولا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائنَةٍ منْهُم الا قَليلاً منهم فَاعْفُ عَنْهُم واصفَحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسنين﴾ [المائدة ٥ / ١٢ـ ١٣]. وهكذا يتبين من تفسير هاتين الآيتين (القرطبي والجلالين) ان النقباء ليسوا قادة جيوش (كما تصور ابن كثير، جـ١: ٢٩٨)، وانما هم كفلاء على قومهم بالوفاء بالعهد الذي اخذه الله عليهم (تفسير الجلالين) او هم كبار القوم، تكفَّل كل منهم بسبطه «ان يؤمنوا بالله ويتقوا الله» (القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، جـ٦: ١١٢)، أو هم أفراد بعثة التجسس التي أوفدها موسى لاستكشاف ارض كنعان (م. ن. جـ٦: ١١٢)، وانظر، لتفصيل ذلك، الفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب

(٦) العهد القديم، عد ١: ١.

(٧) م. ن، قض ٢٠: ١ـ٢.

(٨) م. ن، عد ٢٥: ١ـ٣.

(٩) م. ن، عد ٢٥: ٩

(١٠) م. ن، عد ٢٦: ١ـ٣.

الاحصاء، وبعد خلاصهم من الوباء الذي ألّم بهم، ٦٠١٧٣٠ (ستماية الف والفاً وسبعماية وثلاثين رجلا)[١١]. باستثناء اللاويين طبعا.

والجدير بالذكر ان اللاويين، من سبط موسى وهارون، وعددهم ٢٢ الفا من الذكور «من ابن شهر فصاعدا» لم يدخلوا في الاحصاءات التي سبق ذكرها، لانهم كانوا مكلفين حراسة «مسكن الشهادة» وجميع امتعته، كما كانوا مكلفين خدمته والتخييم حوله، وتفكيكه ونصبه عند الاقتضاء[١٢].

وفي عهد «أمصيا» بن يواش ملك يهوذا، أحصى أمصيا بني يهوذا او بنيامين «رئاسات الوف ورئاسات مئتين.... من سن عشرين سنة وما فوق» فبلغوا ٣٠٠ الف (ثلاث مئة الف) منتخبين، «يخرجون الى الحرب ويحملون الرمح والترس»[١٣]. ويبدو ان أمصيا هذا قد اعتمد نظام «المرتزقة» في جيشه فاستأجر، من مملكة اسرائيل «مئة الف بطل بأس، بمئة الف قنطار من الفضة»[١٤]. فكان ذلك أول عهد للمرتزقة في التاريخ المعروف، كما نعلم. ورغم ذلك، فقد حذر الرب أمصيًا من استخدام مرتزقة من اسرائيل في حربه مع «بني سعير» وذلك لان الرب «ليس مع اسرائيل ولا مع بني افرائيم كافة» مما اضطر أمصيا الى تسريح هؤلاء المرتزقة وصرف النظر عن استخدامهم في الحرب الى جانبه[١٥].

وفي تمييز دقيق بين فرعي بني اسرائيل: يهوذا واسرائيل، وهما الفرعان اللذان شكل كل منهما، فيما بعد، وبعد عهد الملك سليمان، مملكة مستقلة، نجد ان فرع يهوذا، وهم بنو يعقوب، قد بلغوا، في عهد موسى ٧٤٦٠٠ رجل ذكر، «من ابن عشرين سنة فصاعدا»[١٦]، بينما بلغ عدد بني اسرائيل، في العهد نفسه ٥٢٨٩٥٠ رجلا، في السن المحددة ذاتها[١٧]. بينما بلغ عدد اللاويين، وهم حماة مسكن الشهادة وحفظته وخدمه، ٨٥٨٠ رجلا «من ابن

---

(١١) م.ن. عد٢٦: ٥ـ٥١.

(١٢) م.ن. عد ١: ٤٨ـ ٥٣ وعد٣: ١٥ و٣٩.

(١٣) م.ن. ٢اخ٢٥: ٥.

(١٤) م.ن. ٢اخ ٢٥: ٦.

(١٥) م.ن. ٢اخ ٢٥: ٧ـ ١١.

(١٦) م.ن. عد١: ٢٠ وعد٢: ٣ـ٤.

(١٧) م.ن. عد ١: ١٩ـ ٤٦، حيث تتكرر عبارة «من ابن عشرين سنة فصاعدا» في معظم الفقرات.

ثلاثين سنة فصاعدا الى ابن خمسين سنة»[١٨]. فيكون مجموع الرجال الذكور المدعوين لحمل السلاح في «كل اسرائيل»:

٧٤٦٠٠ + ٥٢٨٩٥٠ = ٦٠٣٥٥٠ (ستماية الف وثلاثة آلاف وخمسماية وخمسين رجلا ذكرا من سن العشرين فما فوق)، فاذا أضفنا اللاويين الى هذا العدد، يصبح العدد الاجمالي للرجال الذكور القادرين على حمل السلاح في «كل اسرائيل»: ٦٠٣٥٥٠+٨٥٨٠=٦١٢١٣٠ رجلا، هذا بحسب الاحصاء الذي قام به موسى[١٩].

ويرى الدكتور كمال الصليبي ان اتحادا تم بين بني يعقوب، وهم آراميون وقلة، وبين بني اسرائيل، وهم عبرانيون وكثرة، فكان هذا الاتحاد لصالح بني اسرائيل حيث شكل الفريقان شعبا واحدا، هو «كل اسرائيل». ويستنتج الدكتور الصليبي ان «في دقة هذا الاحصاء ما يرجح انه كان تاريخا صحيحا»[٢٠]، الا اننا نشكك في صحة هذه الاحصاءات، تاريخيا، وذلك للسبب التالي:

لقد أجرى موسى هذه الاحصاءات بعد خروجه بشعبه من مصر، مباشرة، أي «في اليوم الاول من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر»[٢١]. وبما انه أحصى الذكور فقط (عدا الشيوخ والنساء والاطفال) ومن سن العشرين فصاعدا (باستثناء اللاويين الذين أحصوا ذكورهم من سن الثلاثين الى سن الخمسين، وهم قلة)، وبما ان هذا العدد يجب ان يساوي، علميا، ثلث مجموع الشعب الخارج من مصر، على الاكثر، فان ذلك يعني ان المجموع العام للشعب العبري الذي خرج من مصر، بقيادة موسى، لا بد من ان يبلغ نحو المليوني نسمة، وهذا أمر غير ممكن التصديق، ان لم يكن مستحيلا (كما سبق أن أشرنا في الفصل الاول من هذا الكتاب).

وكان داود، في اول عهده، حين جاءه الى حبرون «جميع رجال الحرب» ليملّكوه على بني اسرائيل، فاحصاهم فبلغوا ٣٤٠٨٢٢ (ثلاثماية الف وأربعين الفا وثمانماية واثنين

---

(١٨) م.ن، عـ٤ : ٤٧ـ٤٨. وقد سبق ان أُحصي اللاويون الذكور «من ابن شهر فصاعدا» فبلغوا اثنين وعشرين الفا (م.ن، عد٣: ٣٩).

(١٩) انظر ، لهذه الاحصاءات،عد١ ـ ٤.

(٢٠) الصليبي، كمال، خفايا التوراة واسرار شعب اسرائيل، ص ٢٥٤.

(٢١) العهد القديم، عد١: ١.

وعشرين مقاتلا متجردا للقتال) بينهم «حاملو تروس ورماح» و«أبطال بأس للحرب» و«مسلحون للحرب» بجميع أدواتهم[٢٢]، ومن بينهم ٢٢ قائدا مع «صادوق، وهو فتى بطل بأس مع بيت أبيه»[٢٣] و ٢٠٠ رئيس من بني يسّاكر[٢٤].

الا انه، وفي عهد داود كذلك، أحصي شعب اسرائيل «من بئر سبع الى دان» فكان مجموعه «الف ألف ومئة رجل مستل سيف»، وكان بنو يهوذا «أربع مئة الف وسبعين الف رجل مستل سيف»، هذا باستثناء البنياميين واللاويين الذين لم يحصوا، فيكون مجموع بني اسرائيل القادرين على حمل السلاح في عهد داود ١,١٠٠,٠٠٠ + ٤٧٠,٠٠٠ = ١,٥٧٠,٠٠٠ (مليون وخمسماية الف وسبعين الف رجل) مستل سيف[٢٥]، وهذا يعني ان مجموع شعب اسرائيل كان، في ذلك الحين، نحو خمسة ملايين نسمة (باعتبار ان القادرين على حمل السلاح يبلغون، عادة، ثلث كامل الشعب) وهو ما لا يمكن تصديقه.

ولكن نتائج أخرى مختلفة، للاحصاء نفسه، تظهر في سفر آخر من العهد القديم، (سفر صموئيل الثاني) حيث يبلغ مجموع اسرائيل «ثماني مئة الف رجل محارب مستل سيف» ومجموع رجال يهوذا «خمسمئة الف رجل» مستل سيف كذلك[٢٦]، هذا عدا اللاويين طبعاً، فيكون مجموع الرجال القادرين على حمل السلاح في «كل اسرائيل» ١,٣٠٠,٠٠٠ (مليوناً وثلاثماية الف) رجل، أي بفارق ٢٧٠ الف رجل عن ما ورد في سفر الاخبار الاول.

ويحاول المؤرخ الدبس ان يعزو هذا الفارق الى تحريف من قبل نسّاخ العهد القديم[٢٧]، الا اننا اذا ما رجعنا الى النص الوارد في كل من السفرين المذكورين (الاخبار الاول، اصحاح ٢١: ٥و٦) و (صموئيل الثاني، اصحاح ٢٤: ٥ ـ ٩) نجد ان ايوب، قائد

---

(٢٢) م.ن، ١اخ١٢: ٢٤ ـ ٢٩.

(٢٣) م.ن، ١اخ١٢: ٢٤ـ٢٩.

(٢٣) م.ن، ١اخ١٢: ٢٩.

(٢٤) م.ن ١اخ١٢: ٣٢ وانظر، لتفصيل ذلك، الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٢٥) م.ن، ١اخ ٢١: ٥ـ٦.

(٢٦) م.ن، ٢ صم ٢٤: ٩. ويشير محققو العهد القديم الى ان هذه الارقام مبالغ فيها «كما في كثير من الارقام المماثلة في العهد القديم»، (م.ن. ص ٦١٨ حاشية ٤).

(٢٧) الدبس، يوسف، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٢: ٣٢٥.

جيش داود، أحصى بني اسرائيل المنتشرين «من بئر سبع الى دان» بحسب أوامر داود (١ أخ ٢١: ٢)، وانه هو نفسه (وفقا لما جاء في ٢ صم ٢٤: ٥ ـ ٩) خرج مع قادة الجيش «فعبروا الاردن وبدأوا بعروعير (على أرنون، وهي الحدود الجنوبية لمملكة اسرائيل عبر الاردن، في غرب الاردن، بينما الحدود الاخرى هي دان شمالاً وبئر سبع جنوباً)[٢٨]، حتى وصلوا الى «المدينة التي في وسط جاد جهة يعزير»، ثم «أتوا الى جلعاد والى أرض الحثيين في قادش» ثم الى «دان ياعن وما حولها نحو صيدون» ثم الى «حصن صور وجميع مدن الحويين والكنعانيين»، ثم الى «نقب يهوذا، الى بئر سبع»[٢٩] فهل يكون الفارق الحاصل بين الروايتين للاحصاء الواحد ناتج عن خلاف في مساحة المنطقة التي جرى احصاء بني اسرائيل فيها، ام هو ناتج عن تحريف من النسّاخ كما يظن الدبس؟ ومهما كان من أمر، فان ما جاء من أرقام في هذه الاحصاءات يظل بعيداً عن اقتناع الباحث العلمي الرصين بجديتها وصحتها.

الا ان المجتمع العبري كان، طوال هذه الفترة من تاريخه، مجتمع حرب، حيث كان الشيوخ، في عهد سليمان، «يجلسون في الساحات، يتحدثون جميعاً عن الازدهار، والشبان يتسربلون بالبهاء، وبحلل الحرب» وكان سمعان يمد المدن «بالميرة» ويعززها «بالتحصينات»[٣٠].

ولكن العهد القديم أعفى من الخدمة العسكرية الفئات التالية:

١ ـ من بنى بيتا ولم يدشنه «كيلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر».

٢ ـ من غرس كرماً يأكل باكورته «كيلا يموت في الحرب فيأكل رجل آخر باكورته».

٣ ـ من خطب امرأة ولم يأخذها «كيلا يموت في الحرب ويأخذها رجل آخر».

٤ ـ من كان خائفاً ومتراخي القلب «لئلا يذيب قلوب اخوته كقلبه»[٣١].

وذلك ما جرى في المصفاة عندما عبأ يهوذا جيشاً لقتال جورجيانس ونكانور في

---

(٢٨) العهد القديم، ص ٦١٧ حاشية (٣).

(٢٩) م.ن. ٢ صم ٢٤: ٥ـ٦.

(٣٠) م.ن. ١ مك ١٤: ٩ـ١٠.

(٣١) م.ن. تث ٢٠: ٥ـ٨.

عماوس، وهما من قادة ليسياس بطليموس السلوقي، قائد اقليم سورية وفينيقية[٣٢]، حيث أمر يهوذا «من أخذ في بناء بيت، اوخطب امرأة، اوغرس كرماً، او كان خائفاً، بان يرجع الى بيته، بحسب ما ورد في الشريعة»[٣٣].

ورغم ذلك، فقد كان «الرب» يحض بني اسرائيل على القتال ويحثهم عليه وان كانوا قلة في وجه اعدائهم، فيقول لاسرائيل، على لسان موسى: «اذا خرجت للحرب على اعدائك، فرأيت خيلاً ومراكب مع قوم أكثر منك، فلا تخفهم، فان معك الرب الهك» ثم يقول لبني اسرائيل اذا ما اقدموا على قتال قوم أكثر منهم عدداً وعدة: «لا تتراخ قلوبكم، ولا تخافوا ولا تضطربوا ولا ترتعدوا من وجوههم، لان الرب الهكم سائر معكم ليحارب اعداءكم عنكم ويخلّصكم»[٣٤].

واذا كان «دايفيد بن غوريون» قد وصف، عن حق، شعب اسرائيل، بانه، «تجمع للمحاربين»، فذلك لان المجتمع الاسرائيلي «مجتمع عسكري» بطبيعته، بسبب كونه مجتمعاً قائماً على «الاغتصاب والقهر» لذا، فهو سيظل مستنفراً ومعبأ ومجنداً، تماماً كالمجتمع العبري الذي قام في فلسطين، من ارض كنعان، في العصور الساحقة، وعلى حساب شعوب أخرى وعلى أرضها.

ولاجل ذلك، فان الكيان الصهيوني، الذي قام على الظلم، لن يأمن ابداً في محيط عربي واسلامي سيظل معادياً له، مهما اجترحت الدول العظمى، ومعها الانظمة العربية المتخاذلة والمستسلمة، من وسائل لسلام مصطنع لا يمكن ان يستمر. وسيظل قادته يستنفرون الشعب ويعبئونه عسكرياً ونفسياً، وبكل طاقاته وامكاناته البشرية والاقتصادية، لكي يحموا مقومات وجود غير شرعي، ضد أمة (عربية) ستظل شعوبها تطالب باستعادة حقها المغتصب الذي لن يموت، وضد شعب (فلسطيني) سيظل يناضل في سبيل استرداد أرضه التي اقتلع منها بالقهر والعنف وقوة السلاح.

ويتأكد لنا ذلك من دراستنا للإحصاءات التي تقدمها مؤسسات الابحاث الاحصائية

---

(٣٢) م.ن. ص ٩٦٢ حاشية ١١.

(٣٣) م.ن.، ١ مك٣: ٥٥-٥٦. ومن هذه الاحكام انه: «اذا اتخذ رجل أمراة حديثة عهد به، فلا يخرج في الجيش، ولا يحمل عبئا ما، بل ليتفرغ لبيته سنة واحدة، يسرّ امراته التى اتخذها» (م.ن. تث ٢٤: ٥).

(٣٤) م.ن.، تث ٢٠: ١-٤.

عن القوة العسكرية الاسرائيلية، ففي دراسة اعدتها مؤسسة العلاقات الدولية والاستراتيجية (Institut de Relations internationales et stratégiques Iris) بالاشتراك مع جامعة باريس ـ الشمال (Paris - Nord) عام ١٩٩١، تبين ما يلي:

ـ يبلغ عدد سكان اسرائيل ٤٥٧٩٠٠٠ نسمة (منهم ٣٧٣٤٠٠٠ يهودي)، وفيهم:

٥٦٤٠٠٠ من الذكور و ٥٣٤٠٠٠ من الاناث (ما بين الـ ١٨ والـ٣٢ عاما).

ـ يبلغ عديد الجيش الاسرائيلي: ١٤١٠٠٠ عسكري (منهم ١١٠٠٠٠ مجند).

ـ يبلغ عديد الجيش الاسرائيلي عند اعلان التعبئة العامة: ٥٠٤٠٠٠ عسكري، فيهم:

ـ ٤٩٤٠٠٠ عسكري من القوات البرية.

ـ ١٠٠٠ عسكري في القوات البحرية.

ـ ٩٠٠٠ عسكري في القوات الجوية[٣٥].

فاذا اعتمدنا عدد المقاتلين في اسرائيل عند اعلان التعبئة العامة وهو ٥٠٤٠٠٠ مقاتل، كأساس لحسبان نسبة هذا الجيش (المعبأ) الى: عدد سكان اسرائيل، ثم عدد الذكور منهم، نجد ما يلي:

ـ تبلغ نسبة الجيش المعبأ الى العدد الاجمالي لسكان اسرائيل:ـ، ١١٪ (مع العلم ان النسبة المتعارف عليها عالميا، هي ١٠٪ من مجموع السكان).

ـ تبلغ نسبة هذا الجيش الى عدد اليهود في اسرائيل ١٣,٥٪.

ـ تبلغ نسبة هذا الجيش الى عدد الذكور في اسرائيل (من سن الـ ١٨ الى سن الـ٣٢، وهي السن التي يدعى فيها الشباب، عادة، الى الخدمة العسكرية الاجبارية): ٣٦، ٨٩٪.

ـ تبلغ نسبة هذا الجيش الى عدد البالغين ما بين ١٨ و٣٢ سنة، من الذكور والاناث معا (وعددهم ١٠٩٨٠٠٠) = ٤٥,٩٠٪.

---

(٣٥) Boniface, Pascal. et autres, L'année Stratégique 1991, les équilibre militaires, 1990 -- 1991, P 406 --

فاذا اجرينا تقييما لهذه النسب، نجد انها مرتفعة جدا، وخصوصا بالنسبة الى عدد اليهود في اسرائيل (١٣,٥٪) والى عدد الذكور فيها، الذين يدعون، عادة، الى الخدمة العسكرية الاجبارية (٣٦، ٨٩٪) او الى عدد الذكور والاناث الذين يدعون الى هذه الخدمة (٤٥,٩٠٪).

يضاف الى ذلك ان نظام الخدمة العسكرية الاجبارية يقضي بان يخدم المجند:

- ٤٨ شهرا، للضباط.
- ٣٦ شهرا، لباقي العسكريين الذكور.
- ٢٤ شهرا، للنساء.

ثم يخضعون، بعدها، لتدريب دوري سنوي، حتى سن الـ٥٤ للرجال والـ ٢٤ للاناث غير المتزوجات. وتكون مدة التدريب السنوي شهرا واحدا، مما يجعل الدولة تحتفظ بنسبة كبيرة من الشعب في حالة بدنية وذهنية لائقة للقتال. هذا بالاضافة الى ما تتميز به اسرائيل من قوة نووية[٣٦].

وقد بلغت ميزانية الدفاع في اسرائيل لعام ١٩٨٩: ١١,٥٤ مليار شاقل جديد (٦,٠٢ مليارات دولار اميركي) من أصل الميزانية العامة للعام المذكور، وقدرها: ٧٦,٥ مليار شاقل جديد (٣٩,٩١٩ مليار دولار اميركي)، أي ما يعادل نسبة ١٥,٠٨٪ من مجموع الميزانية العامة للدولة، وهي نسبة مرتفعة جدا، خصوصا اذا ما علمنا ان اسرائيل تأتي، من حيث نفقات الدفاع في ميزانية عام ١٩٨٩، في المرتبة الواحدة والعشرين بين دول العالم وعددها ١٣١ دولة، كما تأتي في المرتبة الثالثة بين الدول العربية الاحدى والعشرين (تأتي قبلها كل من مصر والمملكة العربية السعودية فقط)[٣٧].

وتعتبر نسبة التعبئة العسكرية في اسرائيل أعلى نسبة للتعبئة في العالم، فهي تعبئ، من أصل أربعة ملايين ونصف المليون (الذين هم سكان اسرائيل، ومنهم نحو ثلاثة ملايين وسبعماية الف يهودي)، أكثر من نصف مليون مواطن (٥٠٤ آلاف عسكري هو

---

(٣٦) -- Ibid.

(٣٧) -- Ibid, P. 265

مجموع القوات المسلحة، منهم ١٤١ الف عسكري يؤلفون الجيش النظامي، و٤٠٣ آلاف عسكري من الاحتياط، وذلك لاحصاءات عام ١٩٨٩، كما سبق ان رأينا). كما ان اسرائيل تستخدم افضل نظام للتعبئة واسرعه في العالم، اذ يصل، بفضله، مجموع القوات المسلحة الاسرائيلية الى نصف مليون عسكري بعد ٧٢ ساعة فقط من اعلان التعبئة العامة.

وقد سبق ان رأينا ان نسبة التعبئة مرتفعة جدا في اسرائيل، سواء بالنسبة الى مجموع السكان (من يهود وعرب: ١١٪) او بالنسبة الى السكان اليهود فقط (١٣,٥٪)، او بالنسبة الى الذكور والاناث الذين هم في سن التعبئة(٤٥,٩٠٪).

ولهذا يمكن القول ان «مسؤولية الحرب» في اسرائيل هي مسؤولية الامة بأسرها، وليست مسؤولية القيادة السياسية او العسكرية وحدها.

ويعي قادة اسرائيل، ولا شك، خطورة اختيارهم فلسطين وطنا لليهود في قلب أمة عربية يمتد وطنها من المحيط الى الخليج، ويزيد عدد سكانها على المايتي مليون نسمة، وهي تتقدم، باطراد، في كل المجالات العلمية والتقنية والاجتماعية، ولن يمضي زمن طويل حتى تبلغ، في هذه المجالات، مرتبة تجعلها تنافس الدول المتقدمة. كما انهم يعون جيدا، صعوبة، بل استحالة انخراطهم في محيط عربي واسلامي هم معادون له لانهم معتدون ودخيلون عليه، ذلك انهم يمثلون، بالنسبة الى هذا المحيط، «صليبية جديدة» لا بد من التخلص منها، مهما طال الزمن.

لذا، فان مبدأ «الحرب الجماعية» او «الامة المسلحة» هو قدر اسرائيل المحتوم، ولن يكون لها قدر سواه. ويفرض هذا المبدأ على الكيان الصهيوني ما يلي:

١ ـ اتخاذ الحيطة الدائمة، وذلك يعني اتباع نظام صارم في التعبئة العسكرية والاستنفار لا مثيل له في العالم، وهو استنفار لا بد من ان يظل يقظا دائماً، وان يشمل جميع مرافق الحياة في اسرائيل، وان يتميز بالامور التالية:

أ ـ الاعتماد على جيش محترف ومتطور (١٤١٠٠٠ جندي) يعتبر نواة القوات المسلحة العامة (٥٠٤٠٠٠ جندي) التي تتألف، في زمن الحرب، من الجيش المحترف وجيش الاحتياط معا. وهذا ما يفرض على اسرائيل الاحتفاظ بطاقتها البشرية «وتجميد

جزء كبير من اليد العاملة في القوات المسلحة غير المنتجة»[٣٨]، في زمن السلم، وتجميد كل طاقاتها العاملة والمنتجة طيلة مدة الحرب.

ب ـ تحديث نظامها التعبوي وتطويره حتى أصبح «من خيرة أنظمة الاحتياط في العالم»[٣٩] سواء من حيث اختصار الفترة الزمنية اللازمة لتعبئة الاحتياط الى اقصر فترة ممكنة (٧٢ ساعة)، او توسيع «هامش الزمن» اللازم للقيادة العسكرية لاعلان التعبئة، وذلك بفضل استخبارات متطورة ومتقدمة تقنيا.

ج ـ الاعتماد على نظام استخبارات متقدم ومتطور يتيح للقيادتين السياسية والعسكرية الاستعلام عن العدو واكتشاف نواياه في أقصر مدة ممكنة، الامر الذي يتيح لهاتين القيادتين هامشا واسعا من المناورة السياسية والعسكرية يضمن لهما قدرا كبيرا من النجاح وبالتالي من الانتصار في الحرب، باعتبار ان زمام المبادرة يصبح في أيدي تينك القيادتين.

٢ ـ ان ما يؤكد كون المجتمع الاسرائيلي «مجتمع حرب» بالكامل، هو ما تعتمده القيادة السياسية الاسرائيلية في زمن الحرب من تدابير صارمة تخضع لها كل مرافق الحياة في الدولة العبرية، بحيث يصبح «السكان والاقتصاد والسياسة» وكل تلك المرافق «جزءا من استراتيجية الحرب». وهذا ما يفرض على الشعب الاسرائيلي، بكامله، وبلا استثناء، الاندماج «في المجهود الحربي» في مختلف المجالات[٤٠].

٣ ـ تعي اسرائيل جيدا ما يعتورها من نقص في عدد السكان بالنسبة الى البلدان العربية المعادية لها والمحيطة بها، ومن ضحالة في العمق الجغرافي، لذلك فهي تعتمد، للتعويض عن هذا النقص، ما يلي:

أ ـ إعداد جيش متفوق من الوجهتين العلمية والتقنية، ومتمتع بمستوى عال من الكفاءة الحربية والتدريب العسكري.

ب ـ تنظيم دفاع اقليمي متين، يعتمد على القوى الزراعية الاشتراكية المسلحة (الكيبوتز) وعلى السكان غير المجندين.

---

(٣٨) الايوبي، الهيثم، دروس الحرب الرابعة، ص ٧٧.

(٣٩) م. ن. ص ٧٨.

(٤٠) آلون، يغال، ثلاث حروب وسلام واحد، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

ج ـ الاعتماد على استراتيجية عسكرية تترك للقيادتين السياسية والعسكرية المبادرة في شن هجوم وبدء الحرب، وهي استراتيجية «الحرب المسبقة La guerre préventive» واستراتيجية «نقل الحرب الى ارض العدو».

٤ ـ اعتماد اسرائيل، في استعداداتها العسكرية، على ثلاثة أسس ثابتة هي: الجيش النظامي، والجيش المعبأ (بما في ذلك المستوى العالي لتقنية نظام الاحتياط، والمستوى العالي لتقنية الاستعلام العسكري) ونظام الدفاع الاقليمي القائم على المستوطنات.

٥ ـ المحافظة على مبدأ «التفوق المطلق» في المجالات العسكرية والتقنية، مما يحتم عليها متابعة التطور التكنولوجي والعلمي في جميع مجالاته، ولاسيما العسكرية منها، ووضع «البحوث العلمية والتكنولوجية والالكترونية» في خدمة المصلحة العسكرية بغية استثمارها في الحرب[٤١].

٦ ـ اعتماد مبدأ «التعبئة الكاملة» لكل أفراد الشعب وكل الشرائح الاجتماعية «من الناحيتين المادية والمعنوية، وفي أوقات الازمات القومية» الامر الذي يتيح لها ان تسلّم السلاح «لكل مواطن من مواطنيها» بلا خوف ولا حذر، مطبقة بذلك، مبدأ «الحرب الجماعية او الامة المسلحة» بلا تعقيدات، حيث تستطيع الاعتماد على الشعب كله في الاسهام «بالمجهود الحربي» للامة، اسهاما كليا، مما يؤمن لها عنصر «التفوق الكيفي» لقواتها المسلحة، ويجعلها تتلافى المخاطر الناجمة عن «النقص الديموغرافي» الذي تعانيه مقابل «التفوق الكمي» لاعدائها العرب[٤٢].

٧ ـ اعتماد الهجرات اليهودية الكثيفة وخصوصا من الاتحاد السوفياتي السابق، لسد النقص الديموغرافي في اسرائيل، وتتعمد اسرائيل، في اختيار المهاجرين اليها ان يكونوا:

أ ـ من الشباب القادر على حمل السلاح، او المتمرس في القتال.

ب ـ من المتفوقين في العلوم التقنية والابحاث العلمية[٤٣].

---

(٤١) م.ن.، ص ١١٢.

(٤٢) م.ن. ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤٣) انظر بحثا في «الهجرة المكثفة لليهود السوفيات» الى اسرائيل، في: Boniface, Op. Cit. P. 143.

وهكذا يمكن القول، بحق، ان اسرائيل «أمة مسلحة»، وان المجتمع الاسرائيلي هو «مجتمع حرب»، وهو أمر توارثه اليهود عن السلف، جيلا بعد جيل، تماما كما توارثوا الطبيعة العدوانية والعنف والارهاب واحتلال ارض الغير والرغبة في التوسع والنزعة الى التسلط والسيطرة.

الفصل السادس

قواعد الحرب ومبادئها

يبدو «العهد القديم» تاريخا عسكريا بكل ما في الكلمة من معنى، وان امتزج الحدث فيه بالمبالغة والاسطورة الى درجة يصعب معها الاقتناع بصحة الرواية، وبالتالي تصديقها. ويبدو «رب القوات» اله اسرائيل، قائدا عسكريا متمرسا يتقن علوم الحرب وقواعدها ومبادئها، يقود الجيوش بنفسه، ويضع لقادة جيش بني اسرائيل الخطط الحربية، بل انه غالبا ما كان ينفذها هو وينتصر بها، وفقا لروايات العهد القديم ذاته.

لذا، غالبا ما نجد، في العهد القديم، نصوصا تعلّم بني اسرائيل أساليب القتال وتكتيكه ومبادئه ووسائله، وترتيب الجند والجيش، وتوزيع السبي والغنائم، وغيرها من شؤون القتال وتدبير الجند، كأنما لم يكن رب بني اسرائيل مقاتلا في صفوف شعبه فحسب، بل كان قائدا لجيش هذا الشعب ايضا، ولا غرو، فقد وصف، في مواضع كثيرة من العهد القديم، بأنه «رب القوات»، او «اله القوات» كما اسلفنا.

أولا: نماذج من أساليب القتال والتكتيك العسكري عند العبرانيين(*):

وفيما يلي بعض النماذج من أساليب القتال والتكتيك العسكري التي استخدمها بنو اسرائيل في حروبهم المختلفة، وبعض من قواعد الحرب ومبادئها التي يمكن استنتاجها من هذه الحروب:

(*) ملاحظة: مر معنا بعض هذه النماذج في فصول سابقة، الا اننا رأينا من الضروري استعادتها للتدليل، من خلالها، على الاسلوب او التكتيك العسكري الذي نريد شرحه.

ـ النموذج الاول: الخدعة والمفاجاة (في الحرب بين جدعون والمدينيين):

قبل ان يقدم جدعون على خوض الحرب ضد بني مدين، التقى ملاك الرب وطلب منه ان يدعو ربه كي يخلّص بني اسرائيل من «قبضة مدين»، فوعده الرب بالنصر وقال له: «انطلق بقوتك وخلّص اسرائيل من قبضة مدين»، ولما استشعر جدعون ضعفا أمام بني مدين ووجد نفسه غير قادر، وعشيرته، على التغلب عليهم، قال له الرب: «أنا أكون معك، وستضرب مدين كانه رجل واحد»[1].

واجتمع في «سهل يزرعيل» كل خصوم بني اسرائيل «جميع مدين وعماليق وبني المشرق معا». أما جدعون فقد حلّ عليه «روح الرب»، ونفخ في البوق فتبعه أهل «ابيعَزَر»، ثم أرسل رسلا الى «جميع منسى» والى «أشير وزبولون ونفتالي»، فاجتمعوا جميعا لديه[2].

وأراد جدعون ان يتاكد من صدق رؤياه، قبل المعركة، فسأل ربه: «ان كنت مخلِّص بني اسرائيل عن يدي كما قلت، فها انذا واضع جزاز صوف في البيدر، فإن سقط الندى على الجزاز وحده وعلى سائر الارض جفاف، علمت انك تخلص اسرائيل عن يدي كما قلت». وعصر جدعون الجزاز في الغد «فخرج منه الندى ملء كوب ماء». ولم يطمئن جدعون، رغم ذلك، فسأل ربه، للمرة الثانية: «أجرب مرة أخرى بالجزاز، ليكن على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى»، وفي صباح اليوم التالي «كان على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى»[3].

وارتاح جدعون لايمانه بصدق هذه الرؤيا «الاسطورية» فقرر خوض المعركة ضد خصومه المجتمعين عليه في «سهل يزرعيل»، ثم أخذ جيشه ونزل على «عين حرود» قبالة المدينيين وحلفائهم الذين كانوا قد نزلوا عند «تل المورة» في السهل، شمال جيش جدعون. وكان مع جدعون ٣٢ الف مقاتل، فقال له الرب «ناد على مسامع الشعب وقل: من كان خائفا مرتعشا فليرجع وينصرف... فرجع من الشعب اثنين وعشرون الفا، وبقي معه عشرة آلاف»[4]. فأمر جدعون ان يورد جيشه الماء ليشرب، فمن «ولغ في الماء بلسانه كما

---

(١) العهد القديم، قض ٦: ١٤ـ١٦.

(٢) م.ن. قض٦: ٣٣ـ٣٥.

(٣) م.ن. قض٦: ٣٦ـ٤٠.

(٤) م.ن. قض٧: ١ـ٢.

يلغ الكلب» أفرزه جانبا، وكذا «كل من جثا على ركبتيه ليشرب» فجثا معظم الجيش على ركبهم للشرب ما عدا «ثلاثمئة رجل» ولغوا في الماء براحاتهم الى أفواههم[٥]. وهكذا تم اختيار الثلاثماية المقاتلين الذين لم يجثوا على ركبهم، وقال الرب لجدعون «بهؤلاء الثلاث مئة رجل، الذين ولغوا، اخلصكم وأسلم مدين الى يدك»[٦].

وكان «المدينيون والعمالقة وجميع بني المشرق» قد انتشروا في السهل، وهم «كالجراد كثرة»[٧] فقسم جدعون مئاته الثلاث الى ثلاث فرق، كان هو على رأس احداها، وأعطى كل فرد منهم بوقا وجرة فارغة ومصباحا داخل كل جرة، وشرح لهم ماذا يجب ان يفعل كل واحد منهم عند ساعة الصفر، ثم أمر الفرق الثلاث بالانتشار حول معسكر المدينيين وحلفائهم[٨].

وفي الساعة المحددة، وكانت «اول الهزيع الاوسط»، من الليل، وهي ساعة تبديل الحراس والخفراء في المعسكر، نفخ جدعون وفرقته بالابواق وكسّروا الجرار وصرخوا «السيف للرب ولجدعون». وفعلت الفرقتان الاخريان الشيء نفسه، فدب الذعر في صفوف معسكر المدينيين وحلفائهم، «ونفخ الثلاث مئة في الابواق، فجعل الرب كل واحد يوجه سيفه الى صاحبه في المعسكر كله»[٩]. وهرب جند المدينيين وحلفاؤهم في كل اتجاه، وتبعهم بني اسرائيل يطاردونهم عبر الاردن[١٠]، أما جدعون فطارد ملكي مدين «عوريب وزيب» حتى قبض عليهما وقتلهما[١١].

يمكننا ان نستنتج من هذه المعركة الاسطورة، المبادئ العسكرية التالية:

أ ـ الإعداد للمعركة، باختيار الجند المنتخب لها، وباختيار وسائل القتال وأسلحته (البوق والجرة والمصباح والسيف).

---

(٥) م. ن. قض٧: ٤ـ٦.

(٦) م. ن. قض٧: ٧.

(٧) م. ن. قض٧: ١٢.

(٨) م. ن. قض٧: ١٦ـ١٧.

(٩) م. ن. قض٧: ٢٠ـ٢٢.

(١٠) م. ن. قض٧: ٢٢ـ٢٤.

(١١) م. ن. قض: ٢٥.

ب ـ المعركة، وقد تميزت بعنصري الخدعة والمباغتة وبحسن اختيار ساعة الصفر.

ج ـ المطاردة، وهي أساس السلوك في أية معركة ناجحة لاستثمار النصر.

ورغم ما جنح اليه «لارتيغي Larteguy» من اعتبار جدعون، في هذه المعركة «قائدا عسكريا اصيلا وشجاعا، عرف كيف يستثمر عنصر المباغتة وروح الهجوم»[١٢] كما سبق ان قدمنا، فان هذه المعركة تظل، في قناعتنا، وبمبالغاتها غير المنطقية، أقرب الى الخيال والاسطورة منها الى الواقع والحقيقة، وذلك رغم انها تشكل، في قناعات بني اسرائيل في القرن العشرين، واحداً من النماذج التي يقتدون بها في حروبهم العصرية الحديثة ولا سيما «الكمائن والغارات الصاعقة» كما يرى «لارتيغي Larteguy» نفسه[١٣].

النموذج الثاني: المناورة بالخطوط الداخلية (في الحرب بين داود وبني عمّون):

جرت هذه الحرب اثر معاملة سيئة لقيها وفد داود الذي أوفده الى «حانون» ملك بني عمّون لتعزيته بموت والده، فاعد داود لمقاتلته جيشا بقيادة «يوآب» وأخيه «ابيشاي». وكان بنو عمّون قد استعدوا للقتال ومعهم حلفاؤهم من «آراميي بيت رحوب وآراميي صوبا، أي عشرين الف راجل، ومن ملك معكّة الف رجل، ومن رجال طوب اثني عشر الف رجل»[١٤] أي نحو ثلاثة وثلاثين الف رجل. ولم تذكر النصوص التوراتية عديد جيش داود في هذه الحرب، سوى ما ورد ان داود ارسل «يوآب وجيش الابطال كله»[١٥].

واصطف الفريقان للحرب، جيش بني عمّون عند باب مدينتهم، وحلفاؤهم الآراميون «في الحقول» فكان بنو عمّون في وجه يوآب وحلفاؤهم في الحقول خلفه، عندها قسم يوآب جيشه الى فرقتين: الاولى بقيادته وتبقى في وجه الآراميين، والثانية بقيادة أخيه ابيشاي، وتكون في وجه بني عمّون، وأمر أخاه ان يهب لنجدته ان استقوى عليه الآراميون، كما وعده ان يهبّ هو لنجدته ان استقوى عليه عمون. عليه.

---

(١٢) Larteguy, J. Les murailles d'Ysraël P. 214

(١٣) Ibid, P. 212

(١٤) العهد القديم، ٢ صم ١٠: ٦.١.

(١٥) م.ن. ٢ صم ١٠: ٧.

وبدأ القتال بهجوم شنه يوآب على الآراميين «فانهزموا من وجهه»، ولما رأى العمونيون ان الهزيمة حلت بحلفائهم جميعا انهزموا بدورهم «من وجه ابيشاي» ودخلوا مدينتهم، ثم ان يوآب رجع عن «بني عمون وجاء أورشليم»[١٦].

ولما رأى داود انه لن يستطيع هزيمة بني عمون وحلفائهم في وقت واحد، قرر ان يقاتل الآراميين اولا، وكان هؤلاء قد اجتمعوا في حيلام لمعاودة القتال ضد بني اسرائيل، وكان على رأسهم «شوباك» قائد جيش مليكهم «هدد عازر»، فجمع داود «كل اسرائيل» وعبر الاردن الى حيلام وقاتل الآراميين فهزمهم وقتل منهم «أربعين الف فارس» كما دمر «سبع مئة مركبة»، وقتل قائدهم «شوباك». ولما رأى ملوك آرام جيش كبيرهم «هدد عازر» ينهزم أمام داود ألقوا اسلحتهم وصالحوا اسرائيل وكفوا عن نجدة بني عمّون[١٧].

وما ان انتهى داود من قتال الآراميين حتى التفت الى بني عمّون فجمع «كل اسرائيل» لقتالهم وحاصر «ربة» مدينة عمّون حتى استسلمت فدخلها وأهلك «بني عمون» فيه[١٨].

يستنتج من تفاصيل هذه المعركة ما يلي:

أ ـ مبادرة يوآب الى حماية مؤخرته عندما رأى نفسه محاصرا بين جيشين: جيش بني عمون، وجيش الآراميين، فقسّم، لمواجهتهما، جيشه الى قسمين، حيث واجه كل قسم جيشا من الجيشين، ولو لم ينتصر يوآب على الآراميين لفني هو وجيشه وجيش أخيه ابيشاي الذي كان في مواجهة بني عمون.

ب ـ استفاد داود من الخطأ الذي ارتكبه قائده يوآب فنفذ ما نسميه اليوم في العلم العسكري الحديث «المناورة بالخطوط الداخلية Manoeuvre par Lignes intérieures» أي انه وجه جهده الرئيسي، نحو الخصم الاول: الآراميين فهزمهم، وما ان انتهى منهم، حتى وجهه نحو الخصم الثاني: بني عمون، فهزمهم كذلك.

ج ـ طبق داود في معركته الاخيرة، مبدأ «الحرب الجماعية» او «حرب الامة المسلحة»

---

(١٦) م.ن. ٢ صم ١٠: ٨ـ١٤.

(١٧) م.ن. ٢ صم ١٠: ١٥ـ١٩.

(١٨) م.ن. ٢ صم ١١: ١.

حيث «جمع كل اسرائيل»[١٩] لمحاربة الآراميين في حيلام، ثم أرسل «يوآب وضباطه معه وكل اسرائيل»[٢٠] لمحاربة بني عمّون في «ربة» فانتصر في معركته الاولى، ثم انتصر في معركته الثانية.

النموذج الثالث: اسلوب الكمائن:

١ـ في الحرب بين يشوع وملك العي:

يقول العهد القديم، ان الرب هو الذي أوحى ليشوع بفكرة المناورة هذه، اذ أمره ان يأخذ معه لمحاربة العي «جميع رجال الحرب»، كما أمره ان يجعل «كميناً من وراء المدينة»[٢١]. فاستنفر يشوع جميع شعبه ورجال الحرب عنده، وانتخب منهم «ثلاثين الف رجل من رجال القتال»[٢٢] فشرح لهم فكرة المناورة وخطة التنفيذ، وارسلهم ليلا لكي يكمنوا في مكان «بين بيت ايل والعي غربي العي»[٢٣] وأوصاهم ان لا يبتعدوا عن المدينة، وان يظلوا مستعدين للهجوم على مدينة العي عند اشارة معينة حددها لهم، ثم بات هو ليلته في «وسط الشعب»[٢٤] أي في المدينة، مع الجيش.

وفي فجر اليوم التالي، زحف يشوع باكراً بكل جيشه، ومعه «شيوخ اسرائيل» باتجاه «العي» وتقدموا من المدينة حتى اصبحوا في مقابلها، ونزلوا «شمالي العي، والوادي بينهم وبين العي»[٢٥] فأصبحت «العي» بين جيش يشوع من الشمال وعسكر الكمين من الغرب.

واستنفر ملك العي جيشه «وكل شعبه» استعداداً لمجابهة القوات الغازية، واندفع لملاقاة عدوه «جهة العربة» الواقعة بينه وبين جيش يشوع خارج المدينة. وكان يشوع قد

---

(١٩) م.ن. ٢ صم ١٠: ١٧.

(٢٠) م.ن. ٢ صم ١١: ١ وانظر لهذه المعركة Larteguy, Op. Cit. PP. 214- 215

(٢١) م.ن. يش٨: ١ـ٢.

(٢٢) م.ن. يش٨: ٣. وفي مكان آخر «نحو خمسة آلاف رجل» (يش٨: ١٢).

(٢٣) م.ن. يش٨: ٩.

(٢٤) م.ن. يش٨: ٩ وانظر يش ٨: ١ـ٩.

(٢٥) م.ن. يش٨: ١٠ ـ١١. وهنا يذكر العهد القديم ان يشوع «أخذ نحو خمسة آلاف رجل، وجعلهم كمينا بين بيت ايل والعي، غربي المدينة» (يش: ١٢).

سار بجيشه في تلك الليلة «الى وسط الوادي» فسار اليه ملك العي، وكل شعب العي بحيث «لم يبق احد في العي وبيت ايل الا خرج في اثر اسرائيل» وهكذا ترك اهل العي مدينتهم «مفتوحة، وسعوا وراء اسرائيل»(٢٦) دون ان يدركوا ان «وراء المدينة كمينا» يتربص بهم(٢٧).

وما أن بدأ القتال بين الفريقين حتى تظاهر يشوع بالهزيمة أمام عدوه وبدأت قواته بالفرار وملك العي منجذب خلفها يطاردها. وما أن ابتعد ملك العي بجيشه عن مدينته مطارداً فلول جيش يشوع المتظاهر بالهزيمة، حتى اعطى يشوع الكمين اشارة البدء بالتحرك، فانقض الكمين بسرعة على مدينة العي واستولى عليها واحرقها وفتك بمن بقي فيها، ولاحظ ملك العي، وهو في نشوة النصر، ان مدينته تحترق، فارتبك وذعر، وارتد نحو المدينة يريد انقاذها، ولكنه اكتشف انه اصبح محاصراً بين الكمين الذي فتك بالمدينة وبين يشوع الذي انثنى عليه بجيشه ليتخذ موقع المهاجم، فاصبح هو«في وسط اسرائيل هؤلاء من هنا وأولئك من هناك»، فدب الهلع في صفوف جيشه وشعبه وأخذ كل منهم يتلمس طريقاً للهرب، بينما بادر جند يشوع الى الفتك بهم، و «ضربوهم حتى لم يبق منهم باق ولا شريد»(٢٨). ثم تقدم يشوع من مدينة العي فدخلها وضرب كل من بقي فيها «بحد السيف» فكان «جملة من سقط في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر الفا، جميع اهل العي»(٢٩)، أما ملك العي فقد قبض يشوع عليه وقتله ثم «علقه على شجرة حتى المساء»(٣٠).

٢ـ في الحرب بين بني اسرائيل واخوتهم بني بنيامين:

جمع بنو اسرائيل، لهذه الحرب، جميع اسباط اسرائيل «من دان الى بئر سبع وأرض جلعاد» وفيهم «اربع مئة الف راجل مستل سيف»(٣١)، وصعدوا الى مكان في أرض جلعاد يقال له «المصفاة» ليعسكروا هناك استعدادا لمحاربة بني بنيامين.

---

(٢٦) م.ن. يش٨: ١٤ـ١٧.

(٢٧) م.ن. يش٨: ١٤.

(٢٨) م.ن. يش٨: ٢٠ـ٢٢.

(٢٩) م.ن. يش٨: ٢٤ـ٢٥.

(٣٠) م.ن. يش٨: ٢٣ و٢٩. وانظر يش ٨: ١٨ ـ ٢٩.

(٣١) م.ن. قض٢٠: ١و٢ وفي مكان آخر «مئة الف رجل مستل سيف» (يش ٢٠: ١٧).

وسمع بنو بنيامين بتحشد بني اسرائيل لقتالهم فاستنفروا شعبهم وخرجوا من مدينتهم «جبع» وكانوا «ستة وعشرين الف رجل مستل سيف» وفيهم «سبع مئة رجل مختارون، يسر الايدي، كل من أولئك يرمي الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئ»[٣٢].

وتقدم بنو اسرائيل باتجاه «جبع» حيث نزلوا قبالتهم، واصطفوا للقتال عند «جبع». والتقى الفريقان، في اليوم الاول، وفي مقدمة بني اسرائيل «سبط يهوذا»، كما أمر الرب[٣٣]، ودارت بينهما معركة عنيفة انتهت بهزيمة بني اسرائيل الذين تركوا في ساحة القتال «في ذلك اليوم، اثنين وعشرين الف رجل» جميعهم قتلى[٣٤]. وصعد بنو اسرائيل الى بيت ايل «فبكوا أمام الرب الى المساء» وسألوه قائلين: «انعود الى محاربة بني بنيامين اخوتنا ايضا»؟ فقال الرب: «اصعدوا اليهم»[٣٥] فتشجع بنو اسرائيل وخرجوا، في اليوم الثاني، الى المكان نفسه، واصطفوا للقتال من جديد، فخرج بنو بنيامين للقائهم، وهزم بنو اسرائيل ثانية وفروا تاركين خلفهم «ثمانية عشر الف رجل كلهم مستلو سيف»[٣٦]، وصعد بنو اسرائيل من جديد الى الرب في «بيت ايل» فبكوا أمامه وصاموا اليه واقاموا له المحروقات والذبائح فامرهم بالقيام للحرب من جديد، ووعدهم بالنصر[٣٧]. فخرجوا للقتال، في اليوم الثالث، وقد قرروا استخدام اسلوب جديد، وذلك بان نصبوا، عند «عراء جبع»، كمينا من «عشرة آلاف رجل» منتخبين[٣٨]، مهمتهم مهاجمة «جبع» واحراقها.

وخرج بنو بنيامين لقتال خصومهم، فتظاهر بنو اسرائيل بالهزيمة وتقهقروا أمام بني بنيامين الذين ظنوا ان خصومهم قد هزموا، حقيقة، فطاردوهم حتى قتلوا منهم «نحو ثلاثين رجلا»[٣٩]. واستطرد بنو بنيامين في مطاردة بني اسرائيل الذين اوغلوا في التقهقر متظاهرين بالهزيمة، حتى اذا ما رأى بنو اسرائيل الدخان يتصاعد من «جبع» وادركوا ان

---

(٣٢) م.ن. قض ٢٠: ١٥ـ١٦.
(٣٣) م.ن. قض ٢٠: ١٨.
(٣٤) م.ن. قض ٢٠: ٢١.
(٣٥) م.ن. قض ٢٠: ٢٣.
(٣٦) م.ن. قض ٢٠: ٢٥.
(٣٧) م.ن. قض ٢٦ـ٢٨.
(٣٨) م.ن. قض ٢٠: ٣٣ـ٣٤. وهو الاسلوب الذي استخدمه يشوع ضد ملك العي.
(٣٩) م.ن. قض ٢٠: ٣١و٣٩.

الكمين قد دخل المدينة، استداروا نحو خصومهم متخذين وضعية الهجوم. ودب الذعر في صفوف بني بنيامين عندما رأوا مدينتهم تحترق، فانهزموا نحوها، ولحق بهم بنو اسرائيل حتى ادركوهم «مقابل جبع جهة مشرق الشمس» فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا، واما من نجا منهم فقد هرب «الى البرية الى صخرة الرمّون»، فكان مجموع من سقط من بني بنيامين في ذلك اليوم «خمسة وعشرين الفا مستلي سيف، كلهم محاربون بواسل»(٤٠). ثم دخل بنو اسرائيل المدينة فقتلوا من بقي من اهلها، وقضوا على كل ما وجد فيها، حتى البهائم(٤١).

يمكننا أن نستنتج من المعركتين الواردتين في هذا النموذج المبادئ العسكرية التالية:

أ ـ في مرحلة الاستعداد للقتال: اعتمد المحاربون (يشوع وملك العي في المعركة الاولى وبنو اسرائيل وبنو بنيامين في المعركة الثانية) الحرب الجماعية، او حرب الامة المسلحة، فاستنفر كل من الفريقين «جميع شعبه ورجال الحرب» عنده. الا انه، بينما نجد ملك العي يقع في الخطأ الكبير فينجذب خلف عدوه المتظاهر بالهزيمة دون ان يؤمن مدينته بالجند الكافي لحمايته، نرى يشوع يخطط لمناورة بارعة ويعدّها اعدادا جيدا، الامر الذي لم يفعله بنو اسرائيل في اليومين الاولين من حربهم ضد بني بنيامين الذين وقعوا، بدورهم، في الخطأ نفسه الذي وقع فيه ملك العي.

ب ـ في مرحلة المعركة: اعتمد يشوع في معركته ضد ملك العي، اسلوب الكمائن بنجاح تام، بينما كان قتال ملك العي تقليديا، بل انه، كما اسلفنا، وقع في خطأ الانجذاب خلف عدوه دون ان يؤمن مؤخرته ومدينته.

أما بنو اسرائيل، فقد بدأوا معركتهم مع بني بنيامين، بطريقة تقليدية جدا، أي معركة، «مواجهة مباشرة» ففشلوا، في اليومين الاولين، ومنوا بهزيمة نكراء، رغم كثرة عددهم بالنسبة الى عدد خصومهم (خمسة عشر ضعفا بالنسبة الى بني بنيامين) ولكنهم استدركوا الخطأ في اليوم الثالث واعتمدوا اسلوب الكمائن الذي برع به بنو اسرائيل على ما يظهر فأمنوا النصر.

---

(٤٠) م.ن. قض ٢٠: ٤٣ـ٤٦.

(٤١) م.ن. قض ٢٠: ٤٨.

ج ـ في مرحلة المطاردة واستثمار النصر: اعتمد الطرفان في المعركتين اسلوب المطاردة لاستثمار النصر، وإن كان المنهزمان (ملك العي وبنو بنيامين) قد أخطآ التقدير ووقعا في الخدعة الكبرى، خدعة الانجذاب خلف عدو متظاهر بالهزيمة.

نماذج أخرى: يضاف الى هذه النماذج الثلاثة، نماذج اخرى عديدة يصعب حصرها، ومنها:

اسلوب المبارزة: الذي استخدمه «جليات» الفلسطيني، ضد جيش اسرائيل بقيادة «شاول»، اذ «خرج رجل مبارز من صفوف الفلسطينيين اسمه جليات، من جت،... فوقف ونادى صفوف اسرائيل وقال لهم: «.... إختاروا لانفسكم رجلا ينازلني، فان استطاع ان يحاربني وقتلني، صرنا لكم عبيدا، وان ظفرت انا به وقتلته تصيرون انتم لنا عبيدا وتخدموننا»[٤٢]. فبرز اليه داود وضربه بحجر بالمقلاع فقتله[٤٣].

وقد استمر اسلوب المبارزة معمولا به منذ تلك العصور النائية الى عصور ما بعد الميلاد، حتى الفتح الاسلامي (القرن السابع ميلادي)، وان كانت قد تغيرت وسيلة المبارزة من المقلاع الى السيف. وفي أي حال، لا تزال المبارزة مستمرة بين داود الاسرائيلي وجليات الفلسطيني، او العربي، الى اليوم، او ليس هذا ما تعبر عنه الفكرة التي أوحت لاسحق رابين ان يضع عنوانا لفصلين من فصول مذكراته: «رابين ينتظر ناصر»، و«ناصر ينتظر رابين»[٤٤]؟

انها المبارزة المستمرة بين شعبين على ارض عربية هي أرض فلسطين، وستظل مستمرة الى ان تعود الارض الى «جليات» المالك الشرعي لها.

ثانيا: بعض المبادئ العامة في القتال:

من قراءة النصوص التوراتية، استطعنا ان نتلمس بعض المبادئ العامة التي يعتمدها بنو اسرائيل، سواء في حياتهم العسكرية ام في حروبهم، ومن هذه المبادئ:

---

(٤٢) م.ن. ١ صم١٧: ٤ـ٩.

(٤٣) م.ن. ١ صم ١٧: ٤٩ ـ ٥٠.

(٤٤) Rabin, Yitzakh, Memoires, PP. 72& 84 --

١ـ الاحتراز والتحرس:

وذلك في وصية الرب لاسرائيل، اذ يقول لاسرائيل (يعقوب): «اذا خرجت في جيش على اعدائك فاحفظ نفسك من كل أمر سيء»[٤٥] ويقول، في مكان آخر: «على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا لا يسكتون نهارا ولا ليلا»[٤٦].

٢ ـ تقسيم الجيش الى فرق واعطاء كلمة السر:

وزع يهوذا المكابي جيشه، للقتال ضد نكانور، الى أربع فرق، «وأقام كل واحد من اخوته، سمعان ويوسف ويوناثان، قائدا على فرقة، وجعل تحت يده ١٥٠٠ رجل... وجعل لهم كلمة السر: نجدة الله»، ثم اتخذ لنفسه «قيادة الكتيبة الاولى»[٤٧].

٣ـ استطلاع الارض والتجسس والاستعلام عن العدو:

لقد عرف بنو اسرائيل اسلوب «استطلاع الارض والتجسس» او «الاستعلام عن العدو» في عهودهم القديمة، وقد وردت عبارة «التجسس» او «الاستطلاع» في مواضع كثيرة من العهد القديم نذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر:

ـ «فكلم الرب موسى قائلا: أرسل رجالا يستطلعون ارض كنعان التي انا معطيها لبني اسرائيل، رجلا واحدا من كل سبط من اسباط آبائهم ترسلون، كل واحد يكون رئيسا من بينهم». ثم يعدد «اسماء الرجال الذين ارسلهم موسى ليستطلعوا الارض»[٤٨]. ويحدد موسى للرجال الذين أرسلهم مهمتهم بوضوح، فيقول لهم: «إصعدوا من النقب.... فتروا الارض كيف هي، والشعب المقيم بها: أقويٌ هو أم ضعيف؟ أقليلٌ هو أم كثير؟ وكيف الارض التي هو ساكنها: أجيِّدة هي أم رديئة؟ وما المدن التي هو ساكنها: أمخيمات هي ام حصون؟ وكيف الارض: أمخصبة أم عقيمة؟ أفيها شجر أم لا؟». ثم يوصيهم ان «تشدَّدوا

---

(٤٥) العهد القديم، تث ٢٣: ١٠.

(٤٦) م.ن.أش ٦٢: ٦.

(٤٧) م.ن.٢مك ٨: ٢١ـ٢٣.

(٤٨) م.ن.عد١٣: ١ـ١٦.

وخذوا من ثمرها»[49]. ويتابع العهد القديم «فصعدوا واستطلعوا الارض من برية صين الى رحوب، عند مدخل حماة، صعدوا من النقب ووصلوا الى حبرون... ثم وصلوا الى وادي اشكول، وقطفوا هناك غصنا بعنقود واحد من العنب... مع شيء من الرمان والتين.... وعادوا من استطلاع الارض بعد اربعين يوما»[50].

ـ وأرسل يشوع، قبل معركته ضد ملك العي، رجالا يتجسسون على المدينة، قال لهم: «اصعدوا وتجسسوا الارض، فصعد القوم وتجسسوا العي» ثم عادوا وقالوا ليشوع: «لا يصعد كل الشعب، بل يصعد نحو الفي رجل او ثلاثة آلاف رجل ويضربوا العي، لا تكلف كل الشعب الى هناك، فان اهلها قلائل»[51].

٤ ـ تعليمات عسكرية مختلفة:

نجد في العهد القديم بعض التعاليم العسكرية التقنية التي تقودنا الى فهم الكثير من مضمون العقيدة العسكرية لبني اسرائيل في ذلك الزمن الغابر، كقول الرب لهم: «سنّوا السهام وأمسكوا التروس... على أسوار بابل انصبوا الراية، وشددوا الحراسة، واقيموا الرقباء وهيئوا المكامن....»[52]، وقال الرب، في مكان آخر: «أعدّوا الترس والمِجنّب، وازحفوا للقتال. شدّوا على الخيل، وأركبوا ايها الفرسان. وانتصبوا بخوذكم. واصقلوا الرماح والبسوا الدروع»[53]. وغير ذلك العديد من الامثلة.

٥ ـ الاسلوب الدفاعي «السيف والمحراث»:

عرف بنو اسرائيل، في دولتهم الاولى، اسلوبا في الدفاع وصفه العهد القديم بقوله، على لسان نحميا، عندما بدأ اعادة بناء أورشليم بعد عودة اليهود من سبيهم ببابل: «كان النصف من رجالي يعملون العمل، والنصف الآخر متسلحا بالرماح والتروس والقسيّ

(٤٩) م.ن.عد ١٣: ١٧ـ٢٠.

(٥٠) م.ن.عد ١٣: ٢١ـ٢٥.

(٥١) م.ن. يش٧: ٢ـ٣.

(٥٢) م.ن.ار ٥١: ١١ـ١٢.

(٥٣) م.ن.ار ٤٦: ٣ـ٤.

والدروع..... وكان حاملو الاثقال يحملون، عاملين باليد الواحدة، وقد أمسكوا الحراب باليد الاخرى. وكان كل واحد من البنائين يبني وهو متقلد سيفه على حقَويه»[٥٤].

وهو الاسلوب نفسه الذي استخدمه اليهود عندما بدأوا يقيمون المستوطنات في فلسطين في مطلع هذا القرن (العشرين)، وهو ما سمي «باستراتيجية السيف والمحراث»، وتعتمد هذه الاستراتيجية على:

أ ـ أهمية اختيار الموقع الاستراتيجي للمستوطنة.

ب ـ اعداد المستوطنة لكي تكون قادرة على الدفاع عن نفسها والتعاون مع غيرها من المستوطنات لصد أي هجوم عدو.

ج ـ تزويد المستوطنة بمختلف انواع الاسلحة المتاحة لصد أي هجوم محتمل.

د ـ تهيئة المستوطنة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الرجال القادرين على حمل السلاح والقتال.

هـ ـ تأمين الهجرة اللازمة من الشباب المقاتل والمدرب الى هذه المستوطنات، وتدريبه، ان لم يكن مدربا، واعداده للقتال اعدادا تاما.

و ـ انشاء حرس خاص لحماية هذه المستوطنات ليلا نهارا، (الهاشومير، اي الحارس، والهاغاناه).

ولا تزال هذه الاستراتيجية معتمدة في المستوطنات اليهودية في فلسطين المحتلة وخصوصا في الضفة الغربية منها، حيث يحتفظ المستوطنون اليهود باسلحتهم، بينما لا يسمح للمواطن الفلسطيني باقتناء اي سلاح[٥٥].

ثالثا: وسائل القتال:

لقد كانت وسائل القتال في ذلك العصر بدائية جدا، ومحصورة، وأهمها:

---

(٥٤) م.ن. نح ٤: ١٠ ـ ١٢، والحقو: الازار او معقد الازار.

(٥٥) انظر ما ورد عن هذه الاستراتيجية في بحثنا «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية، الذي نشر في (الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، ص ٤١٢).

١ ـ **السيف**، وقد ورد ذكره معنا في نصوص عديدة لا حاجة لتكرارها.

٢ـ **المقلاع**، وقد استعمله داود في مبارزته مع «جليات» الفلسطيني كما ذكرنا[٥٦].

وقد سبق ان ذكرنا انه كان في جيش بني بنيامين، في اثناء قتالهم ضد بني اسرائيل «سبع مئة رجل مختارون، يسر الايدي، كل من اولئك يرمي الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئ»[٥٧].

٣ـ **الرمح والمزراق** (الرمح القصير)، فقد ذكر ان قناة رمح «جليات» كانت «كمطوى النسّاج» وسنان رمحه كانت «ست مئة مثقال حديد»، وبين كتفيه «مزراق من نحاس»[٥٨] وورد في دعاء لداود الى ربه في مزاميره «إسحب رمحا وحربة على مطاردي»[٥٩]. ونكر انه اتى الى داود، في حبرون، من سبط يهوذا «حاملو التروس والرماح، ستة آلاف وثماني مئة مسلح للحرب»[٦٠].

٤ـ **الدرع والخوذة والترس، والمِجنَب**، فقد ذكر ان جليات كان «على رأسه خوذة من نحاس وكان لابسا درعا حرشفية، ووزن الدرع خمسة آلاف مثقال نحاس... وكان يتقدمه رجل يحمل ترسه» كما ان شاول البس داود، قبل مبارزته مع جليات «خوذة من نحاس، والبسه درعا»[٦١]، وورد في دعاء لداود الى ربه، في مزاميره: يا رب «خذ ترسا ومجنبا وانهض الى نصرتي»[٦٢].

٥ـ **القوس**، فقد ورد في أحد مزامير داود قوله: «الله الذي بالقوة يسربلني... يعلّم يديّ القتال، وذراعي شدّ قوس النحاس»[٦٣].

٦ـ **المنجنيق**، اذ ذكر انه، في عهد «عزيا» ملك يهوذا، أعدّ عُزّيا «للجيش كله، تروسا

(٥٦) العهد القديم، ١ صم ١٧: ٤٩ـ٥٠.

(٥٧) م.ن.، قض ٢٠: ١٦.

(٥٨) م.ن. ١ صم ١٧: ٦ـ٧.

(٥٩) م.ن. مز ٣٥: ٣.

(٦٠) م.ن. ١أخ ١٢: ٢٤ـ٢٥.

(٦١) م.ن. ١ صم ١٧: ٥ـ٧ و٣٨ـ.

(٦٢) م.ن. مز٣٥: ٢.

(٦٣) م.ن. مز١٨: ٣٢و٣٥.

ورماحا وخوذا ودروعا وقسيا وحجارة مقاليع، وضع في أورشليم منجنيقات اخترعها رجال حذاق، لتكون على الابراج وعلى الزوايا لرمي السهام والحجارة الضخمة»[٦٤].

٧ـ **الابواق والجرار والمصابيح**، كوسيلة تضليلية استخدمها جدعون في قتاله ضد المديَنيين كما مر معنا، كما استخدمت الابواق للمناداة والهتاف واعطاء الاشارات والاوامر، فقد «كلم الرب موسى قائلا: اصنع لك بوقين... فيكونان لك لدعوة الجماعة وترحيل المخيمات»[٦٥] وقد حدد له استعمالهما على الوجه التالي:

- اذا نفخ بالبوقين معا، يجتمع اليه «كل الجماعة عند باب خيمة الموعد».
- واذا نفخ ببوق واحد، يجتمع اليه «الزعماء، زعماء الوف اسرائيل».
- واذا نفخ نفخة هتاف «ترحل المخيمات المخيمة في المشرق».
- واذا نفخ نفخة هتاف ثانية «ترحل المخيمات المخيمة في الجنوب»[٦٦].

ثم يقول له: «واذا خرجتم الى حرب في أرضكم على عدو يضايقكم، فانفخوا في الابواق، فتُذكروا أمام الرب الهكم وتُنقذوا من اعدائكم»[٦٧].

رابعا: ترتيب الجند والجيش:

١ـ ترتيب الجند:

كان يتم ترتيب الجند وفقا للاسباط او العشائر وبيوت الآباء، وكان لكل بيت، او محلة، راية ورئيس.

فقد قال الرب لموسى وهارون بعد خروج بني اسرائيل من مصر: «ليخيّم بنو اسرائيل كلّ عند رايته، تحت اعلام بيوت آبائهم»[٦٨]. ثم وزع الاسباط بحسب اجنادهم، على اربع مخيمات، لكل مخيم راية، باستثناء اللاويين، فكان عديدهم ٦٠٢٥٥٠ مقاتلا

(٦٤) م.ن. ٢ اخ ٢٦: ١٤ـ١٥.

(٦٥) م.ن. عد ١٠: ١.

(٦٦) م.ن. عد ١٠: ٣ـ٦.

(٦٧) م.ن. عد ١٠: ٩.

(٦٨) م.ن. عد ٢: ١.

موزعين على ١٢ سبطا[٦٩]، يخيمون حول «خيمة الموعد» في الشرق والغرب والشمال والجنوب، وعلى كل سبط قائد (١٢ قائدا). وقد وُزِّع الاسباط، الاثنا عشر، على أربعة مخيمات، لكل مخيم راية، وهي:

في المشرق: ـ راية مخيم يهوذا، وتحتها جند اسباط يهوذا او يسّاكر وزبولون (١٨٦٤٠٠ جندي).

وفي الجنوب: ـ راية مخيم رأوبين وتحتها جند سبطي رأوبين وشمعون (١٥١٥٤٠ جندياً).

وفي الغرب: ـ راية مخيم افرائيم، وتحتها جند اسباط افرائيم ومنسى وبنيامين (١٠٨١٠٠ جندي).

وفي الشمال: ـ راية مخيم دان، وتحتها جند اسباط دان وشير ونفتالي (١٥٧٦٠٠ جندي)[٧٠].

ويبدو ان ترتيب السير كان يتم بالشكل نفسه: اللاويون في القلب ومن حولهم بنو رأوبين الى الجنوب، وبنو افرائيم، الى الغرب، وبنو دان الى الشمال، وبنو يهوذا الى المشرق.

ب ـ **ترتيب الجيش**: كان يتم ترتيب الجيش وفقاً للعدد العشري، فهناك رؤساء الالوف ورؤساء المئات والخمسين والعشرات، وكانوا يسمون «ضباطا» او «رؤساء»، اذ ذُكر ان موسى سخط على «ضباط الجيش، أي رؤساء الالوف ورؤساء المئات القادمين من قتال الحرب»[٧١]، وفي مكان آخر، «تقدم الى موسى ضباط الوف الجيش اي رؤساء الالوف والمئات....»[٧٢]. وورد في مكان آخر «فأخذت رؤساء اسباطكم، وهم رجال حكماء وذوو خبرة، فاقمتهم رؤساء عليكم، رؤساء الف ومئة وخمسين وعشرة»[٧٣]. وقد

---

(٦٩) م.ن. عد٢: ٣٢. وكان قد أصاب بني اسرائيل، بعد خروجهم من مصر، وباء قتل منهم ٢٤ الف رجل، وأعيد احصاء بني اسرائيل فبلغ مجموعهم، بعد كارثة الوباء ٦٠١٧٣٠ رجلا (م.ن. عد ٢٥: ٩ وعد ٢٦: ٥١).

(٧٠) م.ن. عد٢: ١ وانظر الفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب.

(٧١) م.ن. عد ٣١: ١٤.

(٧٢) م.ن. عد ٣١: ٤٨.

(٧٣) م.ن. تث ١: ١٥.

حدد النص صفات الرؤساء والضباط ومزاياهم بان يكونوا «رجالا حكماء وذوي خبرة»، اي اشترط ان تتوافر في الرئيس او الضابط صفتا الحكمة والخبرة، ولا شك في ان الخبرة المطلوبة هي في معرفة الرجال وادارتهم وادارة القتال ولم يرد غير هذا الترتيب في أسفار العهد القديم، وكان هو الترتيب المعتمد في القتال، اضافة الى الترتيب القبلي، اي ان بني اسرائيل كانوا يتقدمون، للقتال، بالاسباط والاسباط بالعشائر، والعشائر بالبيوت، والبيوت بالرجال[٧٤].

وقد قسم داود بني اسرائيل، «بحسب عددهم: رؤساء الآباء ورؤساء الالوف والمئين»، وكذلك كتبتهم «الذين يخدمون الملك»، الى فرق تتبدل كل شهر، على مدار السنة، أي اثني عشر شهرا، وتتألف كل فرقة من أربعة وعشرين الف رجل[٧٥]. وكثيرا ما كان يُعتمد، في المهمات الخاصة، اسلوب اختيار الرجال من الاسباط جميعا وذلك وفقا لنوع المعركة واهميتها، كاختيار جدعون لثلاثماية من اسباط اسرائيل في قتاله مع المدينيين، واختيار يشوع لرجال الكمين في قتاله ضد ملك العي، واختيار بني اسرائيل لرجال الكمين في قتالهم ضد بني بنيامين.

خامسا: توزيع الغنائم:

حددت نصوص العهد القديم كيفية توزيع الاسلاب والغنائم بعد القتال، ووفقا لاوامر الرب الى موسى، على الوجه التالي:

١ـ لا يسبى من الناس الا النساء «اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر»، ويقتل كل رجل و«كل ذكر من الاطفال»، و«كل امراة عرفت مضاجعة رجل»، وأما «اناث الاطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال، فاستبقوهن لكم»[٧٦].

٢ـ يحصى «الاسرى والغنيمة من البشر والبهائم» ويقسمون نصفين: نصف يأخذه الذين خرجوا للقتال، ويأخذ «سائر الجماعة» النصف الآخر[٧٧].

---

(٧٤) م.ن. يش ٧: ١٤.

(٧٥) م.ن. ١اخ ٢٧: ١.

(٧٦) م.ن. عد ٣١: ١٧ـ١٨.

(٧٧) م.ن. عد ٣١: ٢٦ـ٢٧.

٣ـ ترفع الزكاة للرب:

ـ «رأسا واحدا من كل خمس مئة من البشر والبقر والحمير والغنم» من حصة رجال الحرب الخارجين الى القتال، وتعطى للكاهن تقدمة للرب.

ـ «واحدا من كل خمسين من البشر والبقر والحمير والغنم وسائر البهائم» من حصة بني اسرائيل، وتعطى «للاويين المسؤولين عن مسكن الرب»(٧٨).

وتذكر التوراة ان موسى والعازار الكاهن فعلا «كما أمر الرب»، بعد حربهم مع المدينيين، وقسّما الغنائم وفقا لما ورد اعلاه(٧٩).

الا انه كان هناك نصيب من الغنيمة لغير المقاتلين أمثال شيوخ الاسباط والاصدقاء، فقد ذكر العهد القديم ان داود، حينما عاد من حربه مع العمالقة، الى صقلاج «بعث من الغنيمة الى شيوخ يهوذا ولكل من اصدقائه قائلا: هذه بركة لكم من غنيمة اعداء الرب» كما أرسل فعلا مثل ذلك مع الذين في بنوئيل، وراموت النقب، وويتّير، وعرعرة، وسفموت، واشتموع، وراكال، وحرمة، وبورعاشان، وعتاك، وحبرون، وفي «جميع الاماكن التي سار فيها داود ورجاله»(٨٠).

ـ نموذج «للخدعة والمفاجأة» و«للمناورة بالخطوط الداخلية»: حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧:

مما لا شك فيه ان اسرائيل قد استفادت، الى حد كبير، من تعاليم العهد القديم في مجال القتال والحرب. وتعتبر حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧، نموذجا صارخا وناجحا من نماذج تنفيذ مبدأي «الخدعة والمفاجأة» و«المناورة بالخطوط الداخلية» طبقته اسرائيل بنجاح فائق لا مثيل له في تاريخ الحروب الحديثة. وفيما يلي شرح موجز لذلك:

(٧٨) م. ن. عد ٣١: ٢٨ـ٣٠.

(٧٩) م. ن. عد ٣١: ٣١ـ٤٦. وانظر الفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب، وكان نصيب المقاتل كنصيب حارس المتاع في القتال سواء بسواء (الدبس، المرجع السابق، جـ٢: ٣٠٥).

(٨٠) م. ن. ١ صم ٣٠: ٢٦ـ٣١.

١ـ الحرب الجوية:

عبأت اسرائيل أقصى طاقاتها في حرب حزيران، بسرعة بالغة، فبلغ ما حشدته على الجبهات العربية الثلاث (مصر وسوريا والاردن) نحو ٢٦٥ الف جندي موزعين على ٣٨ لواء (٢٤ لواء مشاة و٣ الوية مظليين و ١١ لواء مدرعا)، بالاضافة الى بعض كتائب الدبابات ووحدات المدفعية[٨١]، وفاجأت الجبهة المصرية بغارتين متتابعتين على القواعد الجوية المصرية في سيناء وعلى قناة السويس، وقد نفذت هاتين الغارتين فجرا بطيران منخفض فوق سطح البحر بحيث لم يكن بالامكان اكتشافها من قبل الرادارات المصرية. وقد نفذت الغارة الاولى مجموعة من ١٨٣ طائرة قصفت ١١ قاعدة جوية مصرية، فدمرت ١٩٧ طائرة (١٨٩ طائرة كانت جاثمة على الارض و٨ طائرات دمرت في معركة جوية) وأحالت ستاً من هذه القواعد الى قواعد غير صالحة للاستعمال (٤ في سيناء و٢ غرب القناة)، كما دمرت ١٦ محطة رادار، ونفذت الغارة الثانية مجموعة من ١٦٤ طائرة قصفت ١٤ قاعدة مصرية ودمرت ١٠٧ طائرات. وهكذا خسرت مصر، في صباح ٥ حزيران، وخلال ساعات فقط، ثلاثة أرباع قوتها الجوية: ٣٠٤ طائرات من أصل ٤١٩ طائرة يمكلها سلاح الجو المصري[٨٢].

وما ان انتهت اسرائيل من القضاء على سلاح الجو المصري حتى تحولت الى الجبهتين السورية والاردنية، (وكان الطيران السوري والاردني، ومعهما الطيران العراقي، قد بدأ بشن غارات على المستعمرات الاسرائيلية لتخفيف الضغط عن الجبهة المصرية) فقامت اسرائيل، ظهر اليوم نفسه، بغارة على القاعدتين الجويتين اللتين تملكهما المملكة الاردنية الهاشمية وهما: المفرق وعمان، فدمرتهما، ودمرت معهما سلاح الجو الاردني بكامله، والمؤلف من ٢٨ طائرة، ثم أتبعت ذلك بغارة على القواعد الجوية السورية فدمرت نصف سلاح الجو السوري (٥٣ طائرة من أصل ١١٢ طائرة) كما اسقطت عشر طائرات عراقية. وما ان انقضى نهار ٥ حزيران حتى كان الطيران العربي (المصري والسوري والاردني)، وهو عماد المعركة، خارج ساحة القتال[٨٣].

---

(٨١) عزمي، محمود، دراسات في الاستراتيجية الاسرائيلية، ص ١٠٠ـ١٠١.

(٨٢) -- Dayan, Histoire de ma vie, PP. 326- 327

(٨٣) -- Ibid, PP. 328-- 329

٢ـ الحرب البرية:

بدأ الهجوم الاسرائيلي على الجبهة المصرية بثلاث «مجموعات من الفرق» واحدة في الشمال بقيادة الجنرال يسرائيل تال (Yisrael Tal)، والثانية في الوسط بقيادة الجنرال افراهام يوفي (Avraham Yoffe) والثالثة في الجنوب بقيادة الجنرال أريك (أرييل) شارون (Arik Sharon)(٨٤). وقد بلغ هذا الجيش ثلاث فرق ولواءين مستقلين، ووزعت قواته كما يلي:

ـ **مجموعة الجنرال تال**: لواءان مدرعان ولواء مظلي مع كتائب هندسة ومدفعية واشارة واستطلاع وأفواج آلية.

ـ **مجموعة الجنرال يوفي**: لواءان مدرعان ولواء مشاة ووحدات مغاوير محمولة بسيارات جيب.

ـ **مجموعة الجنرال شارون**: لواء مدرع ولواء مشاة ولواء مظلي (منقول جوا بطائرات عمودية).

ـ **مجموعة غزة**: لواء مشاة وكتيبة دبابات ووحدات دفاع اقليمية.

ـ **مجموعة الكونتيلا**: لواء مدرع ووحدات استطلاع(٨٥).

أما الجيش المصري فقد كان موزعا بين سيناء وشرم الشيخ وقطاع غزة والغردقة والقناة وكان عديده نحو ١٠٠ الف جندي وما بين ٨٥٠ والف دبابة، ويؤلف، في مجموعه:

ـ ست فرق مشاة (خمس فرق مصرية وواحدة فلسطينية).

ـ فرقة مدرعة، مع أربعة أفواج مدرعة.

ـ خمسة الوية مدفعية.

ـ فوج مغاوير.

---

(٨٤) Ibid, P. 337

(٨٥) مصطفى، حسن، حرب حزيران ١٩٦٧، جـ١: ١٠٨.

- قوة خاصة مؤلفة من لواء مدرع ولواء مغاوير آلي (بقيادة اللواء سعد الدين الشاذلي في منطقة الكونتيلا).

- فوج عراقي وآخر كويتي (في منطقة القناة)[٨٦].

وبعد الغارات الجوية الاسرائيلية في صباح ٥ حزيران، فقد هذا الجيش غطاءه الجوي تماما، وأصبحت سماء المعركة مسرحا حرا للطيران الاسرائيلي المعادي، مما سهل للقوات الاسرائيلية البرية مهماتها الهجومية في الاختراق السريع وتدمير القوات المصرية (التي لم تتمكن من الانسحاب) تدميرا تاما، والتمركز على الضفة الشرقية للقناة[٨٧].

وما ان انتهت اسرائيل من الجبهة المصرية حتى استدارت نحو الجبهة الاردنية، وكانت القوات العربية المتمركزة على هذه الجبهة مؤلفة من:

- **القوات الاردنية**: ٧ ألوية مشاة ولواءان مدرعان مع كتيبة دبابات.

- **القوات العراقية**: لواء واحد.

- **القوات المصرية**: كتيبتا مغاوير (يذكر الفريق اول محمد فوزي ٣ كتائب صاعقة بدلا من اثنتين)[٨٨].

- **القوات السعودية**: لواء واحد (ناقص). فكان مجموع الجيوش المتواجدة في الجبهة الاردنية نحو خمسين الف جندي.

وكان لواء مدرع سوري قد انتدب لمؤازرة الجبهة الاردنية الا انه لم يصل الى هذه الجبهة الا مساء ٧ حزيران ولم يشترك في القتال[٨٩].

وقد هزمت هذه القوات أمام الهجوم الاسرائيلي وتخلت عن الضفة الغربية التي احتلتها القوات الاسرائيلية وتمركزت على الحدود الشرقية لهذه الضفة.

---

(٨٦) م. ن. جـ١: ٩٥ـ٩٦، وانظر تفصيلا لهذه القوات وتمركزها في مختلف القطاعات عند فوزي، محمد، حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠، ص ٨٧ـ٨٨.

(٨٧) Dayan, Op. Cit. PP. 337-- 342 --

(٨٨) فوزي، محمد، المصدر السابق، ص ٨٨، وانظر: الايوبي، الهيثم، الموسوعة العسكرية، جـ١: ٦٨٤.

(٨٩) مصطفى، حسن، المصدر السابق، جـ٢: ٢٥ ـ ٢٦، وانظر: ڤانس، ڤيك، ولوير، بيار، الملك حسين، حربنا مع اسرائيل، ص ٨٠ ـ ٨٢، وعزمي، محمود، دراسات، ص ١٠٠.

ولم يبق أمام الجيش الاسرائيلي الا الجبهة السورية التي كانت تحميها قوة مؤلفة من خمسة ألوية مشاة تساندها «قوة ضاربة مؤلفة من لواءين مدرعين ولواءين آليين»، وكانت هذه القوة موزعة على قطاعات الجبهة الاربعة (الشمالي والاوسط والجنوبي وقطاع القنيطرة)، كما كانت تتمحور جميعها حول القنيطرة. وكانت ميزة هذه القوة ان ألوية المشاة فيها غنية بالدبابات (في كل لواء مشاة: كتيبة دبابات من ٢٠ الى ٣٠ دبابة وقانصة دبابات، مع ٣٠ دبابة متخندقة لمقاومة الدبابات العدوة). وكان مجموع الدبابات المتواجدة على الجبهة السورية نحو ٢٦٠ دبابة وقانصة دبابات، ومجموع قطع المدفعية المساندة نحو ٢٦٥ مدفعا من عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم ونحو ١٠٠ مدفع مضاد للطائرات، كما كان الجيش السوري مجهزا بصواريخ كاتيوشا الروسية، وقدر عدد هذا الجيش المتواجد على الجبهة في ذلك الحين بنحو ٦٥ الف جندي[٩٠].

الا انه، وبعد سقوط الجبهتين المصرية والاردنية، لم يعد ممكنا الاحتفاظ بالمواقع السورية في هضبة الجولان وفي مدينة القنيطرة فاحتلتها القوات الاسرائيلية وتمركزت على حدود الهضبة، شرق القنيطرة.

لقد طبقت اسرائيل، في هذه الحرب، عنصر «المباغتة» على الجبهة المصرية، بشكل لا مثيل له، كما انها نفذت «المناورة بالخطوط الداخلية» على الجبهات الثلاث، ببراعة وسرعة فائقتين، فانتصرت بذلك على ثلاثة جيوش عربية بلغ عديدها مجتمعة نحو ٢٤٥ الف جندي مقابل ٢٦٥ الف جندي اسرائيلي، او ما يساوي ٤٢ لواء عربيا (مصر ٢٥ لواء وسوريا ٩ ألوية والاردن ٨ ألوية) مقابل ٣٨ لواء اسرائيليا، خصوصا وان الدول العربية الثلاث دخلت الحرب دون أي تنسيق فيما بينها ودون استراتيجية عسكرية موحدة، مما افقدها ميزة الحركة على «الخطوط الخارجية»[٩١].

بالاضافة الى ذلك، تعتبر حرب الخامس من حزيران، بالنسبة الى التنفيذ الاسرائيلي، نموذجا بارزا من نماذج الحرب الشاملة والخاطفة، فقد حشدت اسرائيل على الجبهات الثلاث كل اسلحتها البرية والبحرية والجوية، حتى انها لم تترك الا عددا قليلا من الطائرات

---

(٩٠) مصطفى، حسن، المصدر السابق، جـ٢: ١٥٦ و١٦٨ـ ١٦٩، وانظر: الايوبي، الهيثم، الموسوعة العسكرية، جـ١: ٦٨٩، وعزمي، محمود، دراسات، ص ١٠٠.

(٩١) عزمي، دراسات، ص ١٠٠ـ ١٠١.

لحماية اجوائها، كما انها عبأت الشعب للحرب تعبئة قصوى؛ لذا، كانت حربها شاملة وخاطفة في آن، بل قياسية في سرعتها. وقد حقق لها عنصر المفاجأة النصر الحاسم والسريع، وذلك عندما استطاعت ان تدمر اسلحة الجو لكل من الدول العربية الثلاث، خلال يوم واحد فقط[٩٢].

(٩٢) لقد نشرنا، في الموسوعة الفلسطينية (القسم الثاني، المجلد السادس، ص ٤٤٢ ـ ٤٥٤) وضمن موضوع «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية» بحثا مفصلا عن هذه الحرب، فارجع اليه.

الفصل السابع

السلوك العام في الحرب
او
ما يسمى تجاوزا «آداب القتال»

ربما نجاوز الحقيقة اذا قلنا انه كان لبني اسرائيل، في حروبهم مع الآخرين، آداب معينة، الا اذا كانت هذه العبارة تعني «السلوك الذي يتبعه بنو اسرائيل تجاه الشعوب التي كانوا يحاربونها» وذلك هو المعنى الذي نقصده بعبارة «آداب القتال».

وفي الواقع، تزخر التوراة بالنصوص التي تحدد كيفية التعامل مع الاعداء بالنسبة الى بني اسرائيل، وقد مر معنا الكثير منها في ما سبق من بحثنا هذا، وسنحاول فيما يلي ان نحدد بعض معالم هذا السلوك وفقا لنصوص العهد القديم:

١ـ التعامل مع الشعوب المغلوبة:

ان الجزاء الذي كانت تلقاه الشعوب المغلوبة على يد بني اسرائيل في حروبها معهم هو: الافناء، والاستعباد، والطرد، والقصد من ذلك واضح وهو: استيطان بني اسرائيل في الارض التي يحتلونها بدلا من الشعوب التي كانت تمتلكها اصلا، والامثلة على ذلك كثيرة في التوراة نفسها:

- في حروبهم مع المدينيين، أمر رب بني اسرائيل فقتلوا «كل ذكر، وقتلوا ايضا، زيادة على قتلاهم، ملوك مدين وهم خمسة..... وسبى بنو اسرائيل نساء مدين وأطفالهم،

وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وأموالهم، وأحرقوا بالنار جميع مدنهم مع مساكنهم ومخيماتهم، وأخذوا الغنيمة كلها، والنهب من بشر وبهائم»[١].

ـ وفي هذه الحرب نفسها (مع المدينيين)، أمر موسى بقتل «كل ذكر من الاطفال»، و«كل امراة عرفت مضاجعة رجل» وذلك كي لا تلد مدينيا، ولكنه أمر بعدم قتل «اناث الاطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال»[٢]. كي يتمتع بهن بنو اسرائيل، باعتبارهن سبيا.

ـ بعد عبور بنو اسرائيل الى سيناء، كلم رب بني اسرائيل موسى وكان «في عربة مؤاب على أردن أريحا» وقال له: «كلم بني اسرائيل وقل لهم: اذا انتم عبرتم الاردن الى ارض كنعان فطردتم جميع سكان تلك الارض من وجهكم.... تملكون الارض وتقيمون فيها، لاني قد اعطيتكم اياها ميراثا»[٣]، ويحذر الرب بني اسرائيل من عدم طردهم سكان البلاد التي يحتلونها فيقول لهم: «ان لم تطردوا سكان تلك الارض من وجهكم كان من تُبقون منهم كإبرة في عيونكم وكمهامز في جوانبكم، وهمّ يضايقونكم في الارض التي تقيمون فيها»[٤].

واضح مما تقدم ان اسلوب بني اسرائيل في التعامل مع الشعوب المغلوبة هو: الافناء للذكور (رجالا وشيوخا واطفالا) والنساء المتزوجات (كي لا يلدن اطفالا لتلك الشعوب)، وامتلاك العذارى عن طريق السبي، وطرد من يتبقى من تلك الشعوب على قيد الحياة ان لم يتمكنوا من افنائهم.

٢ـ التعامل مع المدن المفتوحة:

حددت نصوص العهد القديم، بوضوح، السلوك الواجب اتباعه من قبل بني اسرائيل، مع المدن التي يفتحونها، وميزت هذه النصوص بين المدن الواقعة ضمن حدود ارض

(١) العهد القديم، عدد ٣١: ٧ـ١١.

(٢) م.ن. عد ٣١: ١٧ـ١٨.

(٣) م.ن. عد ٣٣: ٥٠ـ٥٢.

(٤) م.ن. عد ٣٣: ٥٥.

الميعاد وتلك الواقعة خارج حدود هذه الارض، والبعيدة عنها، كما ميزت، فيما يختص بالنوع الاخير من هذه المدن، بين تلك التي تفتح صلحا، والاخرى التي تفتح عنوة، أي حربا.

أ ـ المدن الواقعة خارج حدود ارض الميعاد:

ـ اذا فتحت صلحا: يسخّر كل الشعب الموجود فيها ويستعبد لبني اسرائيل.

ـ اذا فتحت عنوة: يقتل جميع ذكورها، وتؤخذ نساؤها وأطفالها وبهائمها وكل ما فيها غنيمة لبني اسرائيل.

«هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا، والتي ليست من مدن تلك الامم هنا»[٥]. أي الامم القاطنة في ارض الميعاد.

ب ـ المدن الواقعة ضمن حدود ارض الميعاد:

أي «مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب الهك اياها ميراثا»، فهذه «لا تستبق منها نسمة، بل حرمهم تحريما: الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزّيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب الهك»[٦].

ـ اذا حاصرت مدينة «أياما كثيرة» فلا تتلف أشجارها المثمرة، لانه «هل شجرة الحقل انسان حتى تعامله كالمحاصَر؟» بل أتلف الاشجار غير المثمرة فيها، واقطعها «وابنِ آلات الحصار على المدينة التي تحاربك حتى تسقط»[٧].

٣ـ العهود والمواثيق مع الامم المغلوبة:

نهى رب بني اسرائيل شعبه عن عقد اي عهد او ميثاق مع الامم التي ينتصر عليها،

---

(٥) م.ن. تث ٢٠: ١٥، انظر: م.ن. تث ٢٠: ١ـ١٥.

(٦) م.ن. تث ٢٠: ١٦ـ١٧. ويبرر الرب ذلك بقوله: «كي لا يعلّموكم أن تصنعوا مثل قبائحهم التي صنعوها لآلهتهم، فتخطئوا الى الرب إلهكم» (م.ن. تث ٢٠: ١٨) كانما قتل شعوب بكاملها، عند رب بني إسرائيل، ليس خطيئة، كما ان دعوة هذه الشعوب إلى عبادة الرب الذي يعبده بنو اسرائيل، بدلاً من إفنائها، ليست ممكنة.

(٧) م.ن. تث ٢٠: ١٩ـ٢٠.

والمقيمة ضمن حدود ارض الميعاد، وذلك كي لا تكون شعوب هذه الامم «فخا» في وسط شعب بني اسرائيل، فقال له: «احذر ان تقطع عهدا مع اهل الارض التي (انت) داخل اليها، لئلا يكونوا فخا في وسطكم»[8]. وكان كلامه واضحا أكثر في مكان آخر اذ قال: «اذا أدخلك الرب الهك الى الارض التي انت داخل اليها لترثها، وطرد من أمامك أمما كثرة، الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أكثر وأقوى منك، وأسلمهم الرب الهك بين يديك، وضربتهم، فحرِّمهم تحريما. لا تقطع معهم عهدا ولا ترأف بهم، ولا تصاهرهم»[9]. ثم يهدد الرب بني اسرائيل ان هم ارتبطوا «ببقية تلك الامم» التي بقيت معهم، «وصاهرتموها، ودخلتم بينها ودخلت بينكم» فهو سوف يمتنع عن طرد تلك الامم من وجههم، وذلك كي تبقى لهم «شبكة وفخا وسوطا» حتى يزيلهم من تلك «الارض الطيبة» التي اعطاهم اياها[10].

الا ان بني اسرائيل لا يترددون في عقد اية معاهدة مع أمة أجنبية اذا كانت لمصلحتهم، وذلك ما جرى مع السلوقيين في عهد انطيوخوس الخامس الذي كتب الى اليهود عهدا بان «يردّ لهم الهيكل.... ويعيشوا بحسب عادات ابائهم» وان يبيح لهم «أطعمتهم وشرائعهم، كما كانوا عليه من قبل» ويعفو عمن «هفا منهم، فيما سلف، فلا يضايق» شرط ان يخلدوا الى الهدوء ويطمئنوا وينصرفوا «بسرور الى شؤونهم»[11]، وما جرى مع الرومانيين من تأييد لتصرف الملك انطيوخوس السلوقي تجاه اليهود وعهده لهم، والاقتداء به[12].

٤ـ أحكام مختلفة:

ونجد، في العهد القديم، أحكاما عديدة أخرى تتعلق بتعامل بني اسرائيل مع الشعوب المغلوبة او المدن التي يحتلونها، وتبين سلوكهم العام في الحرب، ومن هذه الاحكام:

ـ اذا اتخذ رجل من بني اسرائيل، احدى السبايا زوجة له، فعليه، حين يدخلها الى بيته،

---

(٨) م.ن. خر ٣٤: ١٢.

(٩) م.ن. تث ٧: ١ـ٣.

(١٠) م.ن. يش ٢٣: ١٢ـ١٣.

(١١) م.ن. ٢مك ١١: ١٢ـ٣٣.

(١٢) م.ن. ٢ مك ١١: ٣٤ـ٣٧.

ان يحلق رأسها ويقلّم أظافرها، وينزع عنها ثياب سبيها، ثم يتركها في بيته شهرا تبكي اهلها، ثم يتزوجها بعد ذلك، ويمكن ان يطلقها حرة ان لم يعد يريدها[١٣].

- لا يفتأ رب بني اسرائيل يحثهم على القتال ضد من هم أكثر منهم عدة وعددا، فيقول لهم «الواحد منكم يطارد الفا، لان الرب الهكم هو المحارب عنكم كما قال لكم»[١٤].

يتبين، مما تقدم، ان المبدأ الاهم، في نظر بني اسرائيل، وفقا لوصايا الرب الههم، هو ان لا يبقى في الارض التي أعطاها الرب «ميراثا» لهم، أي شعب سواهم. ومن هذا المنطلق كانت سياسة «الاستيطان» اليهودية عبر التاريخ، بدءا بعهد الاجتياح الاول بفلسطين، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وصولا الى الاجتياح الاخير في القرن العشرين، اذ تقوم هذه السياسة على مبدأ احتلال الارض وطرد أهلها الاصليين منها وتملكها «باسم الرب»، ملكا خاصاً لليهود الى الابد، وتلك هي الاستراتيجية البعيدة المدى والطويلة الامد التي تتبعها اسرائيل في ايامنا هذه، وقد سبق ان نفذتها على الارض الفلسطينية التي احتلتها سابقا (عام ١٩٤٨) ولا تزال تنفذها على الارض الفلسطينية التي احتلتها بعد ذلك (عام ١٩٦٧).

أما العهود والمواثيق التي تبرمها اسرائيل مع الدول العربية المجاورة لها، فلا نظن ان الدولة العبرية تعتدّ بها زمنا طويلا، او تعتبرها نهائية، فهي لا تبرم معاهدة سلام مع دولة عربية الا اذا رأت في ذلك مصلحة لها، او اذا كانت هذه المعاهدة لمصلحتها تماما، وهو ما جرى، حتى الآن، مع مصر والاردن وعرفات، وها نحن نرى هذه الدولة تسعى، من خلال معاهدات السلم هذه، لكي تضع يدها على «الشرق الاوسط الجديد» ضمن نظام أميركي استعماري يوكل اليها أمر المنطقة بكاملها، ويتيح لها ان تتصرف بها تصرف الوكيل المفوض للسيد المطلق، الولايات المتحدة الاميركية، وقد ظهر ذلك واضحا فيما قدمته من مشاريع في القمة الاقتصادية التي عقدت في المغرب، (في أواخر شهر تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٩٩٤) حيث بدت اسرائيل طامعة بكل شيء وراغبة في الهيمنة على كل شيء في هذه المنطقة.

---

(١٣) م.ن. تث ٢١: ١٠ـ١٤.

(١٤) م.ن. يش ٢٣: ١٠.

ولنا في معاهدة «غزة ـ اريحا اولا» التي عقدها عرفات، باسم القلة من الفلسطينيين، مع الدولة العبرية، اسطع مثال على أطماع هذه الدولة، كما لنا في سعي اسرائيل الناشط والمستمر لتطبيق مبدأ استيطان الارض العربية ومصادرتها، في القدس والضفة الغربية، والذي لا بد من ان ينتهي بتهويد فلسطين كلها، أكبر دليل على فشل معاهدة السلام هذه، وغيرها من المعاهدات.

وللعقيدة الدينية اليهودية تأثير كبير على السلوك العام للمحاربين الإسرائيليين، ما دام القتل لا يعتبر، في الشريعة اليهودية، جرما يعاقب عليه القانون، وإن اعتبر «خطيئة ضد قانون السماء» فكيف إذا كان الضحية من «شعب معادٍ»[١٥] كالشعب العربي مثلاً، وذلك ما يفسر حالة الهستيريا التي انتابت الجنود الاسرائيليين إثر حرب تشرين الاول/ اكتوبر١٩٧٣، حيث وُزع على الجنود المتدينين كتيب صادر عن قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي تضمن فتوى للكاهن الاول لهذا الجيش، الكولونيل الحاخام أفيدان، نصت على ما يلي: «عندما تلتقي قواتنا بمدنيين، خلال الحرب او خلال ملاحقة ساخنة او غزو، ولم يكن مؤكدا ان أولئك المدنيين غير قادرين على إيذائنا، فوفق أحكام الهالاخاه، يمكن، لا بل يجب قتلهم.... والثقة بعربي غير جائزة، في أي ظرف، حتى اذا اعطى انطباعا بأنه متحضر» واستناداً الى هذه الفتوى، يقرر الكاهن اليهودي الأكبر «لجيش الدفاع الاسرائيلي» أنه « في الحرب، عندما تهاجم قواتنا العدو، فهي مصرّح لها، لا بل مأمورة، وفق أحكام الهالاخاه، بأن تقتل حتى المدنيين الطيّبين، أي الذين يبدو، ظاهريا، انهم طيبون»[١٦]. إلا أن هذا الكتيب سحب من التداول، فيما بعد، بأمر من رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلي، ولكن الحاخام أفيدان «لم يقدَّم إلى محاكمة عسكرية، كما لم يعترض أي حاخام عسكري او مدني على ما كتب» كما ذكر «أمنون روبنشتاين» في جريدة «معاريف» بتاريخ ١٣ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٥[١٧].

---

(١٥) شاحاك، إسرائيل، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة، ص ١٢٠ ـ ١٢١، عن: الموسوعة التلمودية، ميشنا توراة، قوانين القتل ٢، لإبن ميمون.

(١٦) م.ن. ص ١٢١ عن الكولونيل الحاخام أ.أ. أفيدان، حاخام الجيش الاسرائيلي، في كتيّبه «طهارة السلاح في ضوء الهالاخاه» الذي وضعه في أعقاب حرب أكتوبر. والهالاخاه (Halakha): تعني، بالعبرية، المسير، ويسمى بهذا الاسم كل ما يتعلق بالتوراة من تأويل وتفسير للقواعد والقوانين والاجتهادات في أركان العقيدة اليهودية. وتحتل الهالاخاه مكانة مميزة في القوانين المكتوبة والشفهية للديانة اليهودية: (Malka, V. & S. Le petit Retz du Judaïsme, P. 53).

(١٧) شاحاك، م.ن. ص ١٥١ حاشية(٧).

ويستدل على مدى تأثير هذه العقيدة على الجندي الاسرائيلي من خلال الرسائل المتبادلة بين أحد الجنود الاسرائيليين (ويدعى موشي) وبين حاخام قطعته (ويدعى شيمون ويزر)، وهي رسائل نشرت في الكتاب السنوي الذي تصدره كلية «ميدراشيات نوعام» الدينية الاسرائيلية. ففي رسالة الجندي «موشي» الى حاخامه، يطرح «موشي» سؤالين أثارهما نقاش دار بين جنود القطعة حول كيفية تطبيق ما ورد في كتيب «طهارة السلاح» للحاخام أفيدان، وهذان السؤالان هما:

١ـ هل يجب ان يعامل العرب كالعماليق؟[١٨] أي ان يقتلوا جميعا «حتى يُمحى ذكرهم تحت السماء»؟ أم أنه «يتوجب شن حرب عادلة» أي أن يقتل «الجنود فقط»؟

٢ـ هل يمكن للجندي الاسرائيلي ان يعرّض نفسه للخطر «ببقاء امرأة (عربية) حية»؟ ذلك أن هناك حالات «ألقت النسوة (العربيات) فيها قنابل» على الجنود الاسرائيليين. وهل يسمح له أن يُعطي «العرب، الذين يرفعون أيديهم، ماء»، وقد يكونون مخادعين، «فيقتلوننا»؟[١٩].

وكان جواب الحاخام ما يلي:

يجب ان نميز بين حالتي السلم والحرب «ففي حالة السلم، يمنع قتل غير اليهود، أما خلال الحرب، فالواجب الديني يقضي بأن نقتلهم»[٢٠].

وردّ الجندي (موشي) على رسالة الحاخام هذه برسالة أخرى جاء فيها: «أما بالنسبة الى الرسالة (رسالتك) فقد فهمتها كما يلي: خلال الحرب، ليس مصرحاً لي فحسب، بل مأمور بأن أقتل أي عربي أصادفه، رجلاً كان أو امرأة، إذا كان هناك سبب للخوف من أن يساعدوا، في الحرب، ضدنا، مباشرة او مداورة». ويستطرد (موشي) قائلاً: «الامر الذي يهمني هو انه عليّ أن اقتلهم، ولو كان ذلك يتعارض مع القانون العسكري»[٢١].

---

(١٨) العماليق، السكان الاول لارض كنعان، وهم أول من قاتلهم العبرانيون حين دخولهم هذه الارض، وذكرهم العهد القديم مراراً، ومما قال فيهم لموسى: «تمحي ذكر عماليق من تحت السماء» (تث ٢٥:١٩)، وقال لشاول: «فهلمّ الآن واضرب عماليق وحرّم كل مالهم، ولا تُبق عليه، بل أمت الرجال والنساء والأولاد وحتى الرضّع والبقر والغنم والابل والحمير». (١صم ١٥:٣).

(١٩) شاحاك، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٢٠) شاحاك، م.ن. ص ١٢٤.

(٢١) م.ن. ص ١٢٥.

وإذا ما تناسينا، نحن العرب، المجازر التي ارتكبها المحاربون اليهود في دير ياسين (عام ١٩٤٨) وفي كفر قاسم (١٩٥٦)، حيث قتلوا عرباً محاربين وغير محاربين، لمجرد كونهم عرباً، دون ان يتعرضوا لأية محاسبة او أي عقاب من رؤسائهم، فقد أنبأتنا الصحف، مؤخراً، بمجزرة ارتكبها ضابط يهودي، خلال حرب ١٩٥٦، حيث قتل أسرى مصريين بحجة أن ليس لديه العدد الكافي من الجند لحراستهم، إذ اعترف العقيد المتقاعد «أريي بيرو» بأنه أقدم، في سيناء، وفي تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٩٥٦، على تصفية أسرى مصريين كان قد أسرهم خلال هذه الحملة، وقال: «فتحت النار، بنفسي، على ما يراوح بين ٤٠ و٤٩ جندياً مصرياً.... اعتقلوا قرب ممر متلا» وذلك لأنه «لم يكن لدي عدد كاف من الرجال لحراستهم». وكان «بيرو» قائداً لوحدة من كتيبة المظليين ٨٩٠ التي كانت بقيادة «رفاييل إيتان»، وكان «آرييل شارون» قائداً للواء المظليين[٢٢]. وروى «بيرو» كيف جرى ذلك، فقال إنه كان برتبة نقيب، يعاونه ضابط آخر برتبة ملازم، وقد قاما باقتياد الأسرى في ممر متلا «وأمراهم بالجلوس، ووجوههم الى الارض، ثم أطلقا النار عليهم من رشاشين» وأردف: «ان الاسرى لم يصرخوا لأنهم كانوا في صدمة، وانتهى كل شيء في دقيقتين»، كما أوضح أن قائد الكتيبة «إيتان» كان موجوداً في مكان الاعدام، أما «شارون» فلم يصل إلا في اليوم التالي[٢٣]. وذكر المؤرخ العسكري الاسرائيلي «مائير بايل» أن «موشي دايان» رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في هذه الحرب، «أنّب إيتان لا بيرو، لقتل الاسرى على طول الطريق من رأس سدر إلى شرم الشيخ»[٢٤]. وبالطبع، لم يحاسب الضابطان اليهوديان على جريمتهما هذه، رغم ان هذا الحادث كان قد سجّل في السجلات العسكرية الرسمية التي رفعت عنها السريّة عام ١٩٩٠، وفقا لما ذكره المؤرخ الإسرائيلي «ماتي جولاني»[٢٥].

وفي الوقت نفسه، كشف مؤرخ عسكري إسرائيلي يدعى «أريي اسحاقي» أن وحدة

(٢٢) السفير، بتاريخ ٨/٨/١٩٩٥، ص ١٢، والنهار، بتاريخ ١٨/٨/١٩٩٥، وكان هذا الضابط قد صرّح بارتكابه تلك المجزرة إلى الصحيفة الأسبوعية الإسرائيلية (جيروزاليم بوست).

(٢٣) النهار، بتاريخ ١٨/٨/٩٥، عن (وكالة الصحافة الفرنسية)، والسفير، بتاريخ ١٨/٨/٩٥، عن (وكالة الصحافة الفرنسية والاسوشييتد برس).

(٢٤) السفير، بتاريخ ١٨/٨/١٩٩٥، عن (وكالة الصحافة الفرنسية والاسوشييتد برس).

(٢٥) رويتر (وكالة)، بتاريخ ١٦ آب/ اغسطس ١٩٩٥.

الكوماندوس الإسرائيلية المسماة «شاكد» والتي كانت بقيادة العقيد «بنيامين ابن أليعازر» (وزير الاسكان في حكومة اسحق رابين عام ١٩٩٥) قتلت، في حرب حزيران عام ١٩٦٧، نحو ٣٠٠ أسير مصري، وقال اسحاقي: «في الحقيقة، خلال ساعات، كان قد تمّ تصفية القوة المصرية بالكامل، وضرب بالرصاص نحو ٣٠٠ جندي قتلوا بعد أن استسلم عدد كبير منهم»، وكان «اسحق رابين» (رئيس الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٩٥)، في هذه الاثناء، رئيسا لأركان الجيش الاسرائيلي[٢٦]. وقد أكد المؤرخ الاسرائيلي «ميخائيل بار زوهار»، وهو متحدث باسم وزارة الدفاع، وقوع هذه المجازر، إذ قال: «يمكنني أن اؤكد أن جنود وحدة كوماندوس شاكد قد قتلوا اسرى» وأضاف: «عدت من حرب الأيام الستة (عام ١٩٦٧) بعد أن شاهدت بعيني قتل الأسرى. وعينت (بعدها) متحدثا باسم وزارة الدفاع، وقلت لوزير الدفاع آنذاك «موشي دايان»، انني اطلب منك أن تبلغ ضباط الجيش بأن يكفوا عن ذلك، وأن تتخذ خطوات...»[٢٧]، كما روى، في الوقت نفسه، أنه شاهد «ثلاثة طباخين، في الجيش الاسرائيلي، يطعنون ثلاثة أسرى مصريين حتى الموت، خلال حرب ١٩٦٧ في سيناء»[٢٨].

أما الصحافي الإسرائيلي «غابي براون»، وكان جندياً في حرب حزيران عام ١٩٦٧، فقد كتب، في جريدة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، ما يمكن اعتباره شهادة دامغة على المجازر الوحشية التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في هذه الحرب، ومما كتبه: «في ٨ حزيران، كنت جندي احتياط بامرة الجنرال يسرائيل طل في مطار العريش في سيناء... (حيث) احتجز مئات الاسرى المصريين في خنادق. جلس رجلان إسرائيليان بالزيّ العسكري، يعتمران قبعتين ويضعان نظارات واقية، إلى طاولة..... وبين الحين والآخر، كانت الشرطة العسكرية تخرج أسيراً من داخل الخنادق المكتظة ليتبع ذلك حوار قصير يقتاد، على أثره، عنصران من الشرطة العسكرية الأسير... وعلى مسافة ١٠٠ متر، كان على الاسير ان يحفر قبراً نحو ١٥ دقيقة، ويلقي، بعدها بالمعول. وبعد ذلك، كان الشرطي يصوب سلاحه الرشاش إليه لنسمع أزيز طلقتين او ثلاث أو أربع كل مرة». وأضاف

---

(٢٦) م.ن.ت.ن.

(٢٧) م.ن.ت.ن.

(٢٨) النهار، بتاريخ ١٧/٨/١٩٩٥، عن (وكالة الصحافة الفرنسية والأسوشييتد برس).

«براون» أن المشهد ذاته قد تكرر عشرات المرات، وأن بعض الجنود عبّروا عن استيائهم، فزُجروا وأجبروا على التفرق[٢٩].

والجدير بالذكر أن «اسحق رابين» رئيس الحكومة الاسرائيلية، لم يُبدِ استعداداً لمعاقبة أي من العسكريين الذين ارتكبوا هذه المجازر او جرت باشرافهم[٣٠]، كما انه رفض التحقيق بها عندما كشف النقاب عنها عام ١٩٩٥، وصرّح العقيد الاسرائيلي الاحتياطي «أوفير بن ديفيد» وكان قائدا لكتيبة «ناحال» ضمن قوات «شارون» في حرب عام ١٩٦٧، ان شارون أعطى أمرا لقواته بعدم أخذ أسرى، وكان شعار تلك القوات: «أقتل، دمّر، وقاتل»[٣١].

ويصر الكيان الصهيوني، اليوم، على رفضه لمحاكمة القتلة الذين ارتكبوا هذه الجرائم في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ معتبرا، على لسان وزير العدل الصهيوني، انه «لا يغير القوانين بمفعول رجعي»[٣٢].

مع ان هذا الكيان، برمته، قد قام «بمفعول رجعي» جدا، كما قام هذا الكيان بمحاسبة العديد من «النازيين» ومعاقبتهم، «بمفعول رجعي» كذلك.

---

(٢٩) النهار، بتاريخ ١٨/٨/١٩٩٥، عن (وكالة الصحافة الفرنسية)، والسفير، بتاريخ ١٨/٨/٩٥، عن (وكالة الصحافة الفرنسية الاسوشييتد برس). ويذكر «براون» أنهم زجروا من قبل العقيد «ديفي إيشل» الذي «صاح فينا وشهر مسدسه ليجبرنا على التفرق» (م.ن.).

(٣٠) رويتر، بتاريخ ١٦آب/ اغسطس ١٩٩٥.

(٣١) السفير بتاريخ ٢١/٨/٩٥، «شارون أمر بعدم أخذ أسرى».

(٣٢) السفير بتاريخ ٩/٩/٩٥ «قضية تصفية اسرى الحرب المصريين: اسرائيل تجدد رفض محاكمة الفاعلين».

الفصل الثامن

التعبئة النفسية والمعنوية

تهدف التعبئة النفسية والمعنوية لجيش ما، وشعب ما، الى «حشد القوى» عن طريق تكثيف التوجيه النفسي والمعنوي لهذين الجيش والشعب بشكل يجعلهما متحفزين لخوض حرب وضمان النصر فيها، ويتم ذلك بتحقيق العناصر التالية:

العنصر الاول: خلق الباعث، اي الهدف او الغاية التي تبرر الحرب وتدفع المقاتل للقتال في سبيل تحقيقه، والاستشهاد في سبيله اذا اقتضى الامر، كما تدفع المواطن الى التضحية بالغالي والنفيس، دعما لجيش الوطن، وتحقيقا لذلك الهدف او تلك الغاية.

العنصر الثاني: اعداد الاداة الضرورية لتحقيق الهدف او الغاية، وهي هنا الجيش والشعب، كلاهما.

العنصر الثالث: خلق المناخ النفسي والمعنوي للحرب، وتحقيق العوامل المؤاتية لايجاد هذا المناخ وذلك بتحريض الجيش والشعب وحثهما على القتال لبلوغ الهدف او الغاية.

ونجد في العهد القديم، توافر العناصر اللازمة، كلها، لهذا الغرض، فهو يتميز باسلوب تعبوي، بل هو أشبه بعمل توجيهي تحريضي يدفع اليهود باتجاه الحرب، ولو عن طريق الاعتداء على الغير، وذلك لما فيه من تعاليم مكثفة ومشحونة، ومحرّضة، الى درجة المبالغة، باتجاه هدف محدد هو أرض الميعاد، وبادارة محددة هي شعب بني اسرائيل، وبوسيلة محددة هي الحرب.

ويبدو ان الهدف الاساسي من هذا التحريض، في العهد القديم، هو تحقيق العوامل

النفسية اللازمة والضرورية لكي يصبح الشعب اليهودي شعبا قويا مقاتلا فيتمكن من تحقيق الغاية التي أوكل «الرب» اليه تحقيقها، وهي احتلال ارض الميعاد، وهذا ما التزم به «رب اسرائيل» التزاما ماديا ومعنويا واضحا، تجاه شعبه اليهودي الذي يبدو، في العهد القديم نفسه، شعبا ضعيفا وخائفا ومترددا.

يقول «لارتيغي» في كتابه «أسوار اسرائيل»: «نريد ان نؤكد حقيقة تاريخية ونحطم أسطورة، وهي اسطورة اليهودي كجندي سيء وعاجز عن حمل السلاح، فكل التاريخ القديم لاسرائيل، الذي تقصه التوراة علينا، هو، قبل كل شيء، تاريخ عسكري، وجنود موسى ويشوع وداود لم يتخلوا قط عن القتال والصراع حتى فيما بينهم. انهم ليسوا برحومين مع اعدائهم المغلوبين....»(١).

ولكن كيف يمكن تحطيم اسطورة الجندي اليهودي الذي يصوره لنا العهد القديم، في كل صفحة تقريبا، خائفا ومرتعدا ومذعورا ومترددا، مما يضطر «رب اسرائيل» الى تحريضه على القتال باستمرار، وتشجيعه وترغيبه والايحاء اليه بانه - اي الرب - يقاتل معه، والى جانبه، بل في مقدمة صفوف شعبه، فيصبح رب اسرائيل، رب القوات، قوات بني اسرائيل، والمحارب عنهم والمقاتل معهم كما سبق ان رأينا.

لم يخض، شعب اسرائيل، في عهده القديم، معركة، الا كان مترددا، وفي كل مرة كان يقف أمام «رب اسرائيل» باكيا متوسلا، مقدما «المحروقات والذبائح»، متضرعا اليه ان يقاتل الى جانبه وان يمنحه النصر على اعدائه، فيدفعه «ربه» الى الحرب دفعا، واذا ما انهزم فانه يعود الى ربه، من جديد، باكيا متضرعا متوسلا، حتى يضطر الرب لان يقول له، تكرارا، كما في نصوص العهد القديم كله: اذهب وقاتل فانني سأقاتل معك وأحارب عنك، وقد رأينا ذلك واضحا في حديثنا عن الطبيعة الاتكالية في العقيدة العسكرية الصهيونية.

من هنا، بدأ التوجيه المعنوي في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم ذا أهمية خاصة ومتميزة، وهو في أكثره، تحريض وحث وتشجيع على القتال والحرب للوصول الى الهدف الذي رسمه رب بني اسرائيل لشعبه، وهو امتلاك ارض الميعاد، أرض بني كنعان، واستيطانها، وطرد أصحابها الشرعيين منها.

---

(١) Larteguy, Jean, Les Murailles d'Israël, P. 46

أوليس هو الرب اله اسرائيل الذي قال لبني اسرائيل: «اسمعوا يا بني اسرائيل، انتم اليوم مقتربون الى الحرب على اعدائكم، فلا تتراخ قلوبكم، ولا تخافوا ولا تضطربوا، ولا ترتعدوا من وجوههم، لان الرب الهكم سائر معكم ليحارب عنكم اعداءكم ويخلصكم»[٢].

واذا كان بنو اسرائيل قد عُرفوا، في حروبهم في العهد القديم، بالقسوة والوحشية فكانوا، كما يعترف «لارتيغي»، غير رحومين «مع اعدائهم المغلوبين»، فليس ذلك اطلاقا دليل شجاعة ولا بطولة، لان الفتك بالضعفاء المقهورين هو من شيم الخائفين والجبناء، وان تحطيم اسطورة اليهودي «كجندي سيء وعاجز عن حمل السلاح»، في تاريخه القديم، تعني، بكلمة، الغاء العهد القديم كله.

ولن نكرر، في مجال التوجيه المعنوي العسكري الذي وجهه الرب لبني اسرائيل، في سائر نصوص العهد القديم، ما سبق ان ذكرناه في مجالات سابقة، بل سوف نؤكد على ان بني اسرائيل كانوا بحاجة ماسة، في ذلك الحين، الى التوجيه المعنوي الذي يحضهم على القتال ويحثهم عليه، خصوصاً وان رب بني اسرائيل قد وضع أمام أعينهم هدفا وأمرهم ان يسعوا لتحقيقه، فترددوا، وتلكأوا، وتقاعسوا، فكان ان بالغ في تحريضهم وتشجيعهم وحثهم على القتال للوصول الى الهدف. ومن ذلك، على سبيل المثال، لا الحصر:

- قوله: «ان قلت في قلبك: هذه الامم أكثر مني، فكيف استطيع ان اطردها؟ فلا تخفها بل تذكّر ما صنع الرب الهك بفرعون مصر كلها. تلك التجارب العظيمة التي رأتها عيناك، والآيات والخوارق واليد القوية والذراع المبسوطة التي بها أخرجك الرب الهك. هكذا يصنع الرب الهك بجميع الشعوب التي انت خائف منها»[٣].

- وقوله: «اسمع يا اسرائيل: انك اليوم عابر الاردن، لتدخل وتطرد أمما أعظم وأقوى منك، مدنها عظيمة ومحصنة الى السماء.... فاعلم اليوم ان الرب الهك هو يعبر أمامك كنارٍ آكلة، هو يبيدهم ويذلهم أمامك، فتطردهم وتبيدهم سريعا، كما كلمك ربك»[٤].

- وما ورد في العهد القديم من انه «لما كان يشوع عند أريحا، رفع عينيه ونظر، فاذا

---

(٢) العهد القديم، تث ٢٠: ٣-٤.

(٣) م.ن. تث ٧: ١٧-١٩.

(٤) م.ن. تث٩: ١-٣.

برجل واقف أمامه، وسيفه في يده مسلولا، فأقبل عليه يشوع وقال له: «أمنّا انت أم من أعدائنا؟ فقال: كلا، بل انا رئيس جند الرب، والآن جئت»[٥].

- وقوله - أي الرب - ليشوع: «لا تخف من وجوههم، فاني، في مثل هذا الوقت من غد، أجعلهم جميعا قتلى أمام اسرائيل، فعرقب خيلهم وأحرق مركباتهم بالنار»[٦].

- وقوله «لقد طرد الرب من أمامكم أمما عظيمة قوية، ولم يثبت في وجوهكم احد الى هذا اليوم، الواحد منكم يطارد الفا، لان الرب الهكم هو المحارب عنكم كما قال لكم»[٧]. وفي مكان آخر «قد رأيتم ما فعل الرب الهكم بجميع تلك الامم من أجلكم، لان الرب الهكم هو المحارب عنكم»[٨].

- وقوله ليشوع: «لا يقف احد امامك طول أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك، تشدد وتشجع»[٩].

- وفي سعيه الدؤوب لتحريض بني اسرائيل وتشجيعهم على القتال، يقول «الرب» لهم: «لا يقف انسان في وجوهكم، فان الرب الهكم يوقع رعبكم وخوفكم على وجه كل الارض التي تدوسونها، كما قال لكم»[١٠].

- ودعا موسى بني اسرائيل، قبيل وفاته، للاستعداد لعبور الاردن ودخول أرض كنعان، الارض التي وعدهم ربهم بها «ميراثا ابديا» كما يدّعون، وقال لهم: «تشددوا وتشجعوا ولا تخافوا ولا ترتعدوا أمامهم، فان الرب الهك هو السائر معك، ولا يهملك ولا يتركك»[١١]. ثم دعا موسى خليفته على بني اسرائيل، يشوع بن نون، وقال له، بحضور بني اسرائيل جميعا: «تشدد وتشجع، فانك انت تُدخل هذا الشعب الارض التي أقسم الرب لابائهم ان يعطيهم اياها، وانت تورثهم اياها. والرب هو السائر امامك، وهو يكون معك، ولا

---

(٥) م.ن. تث ٥: ١٣-١٤.

(٦) م.ن. يش ١١: ٦

(٧) م.ن. يش ٢٣: ٩-١٠.

(٨) م.ن. يش ٢٣: ٣.

(٩) م.ن. يش ١: ٥-٦.

(١٠) م.ن. تث ١١: ٢٥.

(١١) م.ن. تث ٣١: ٦.

يهملك ولا يتركك، فلا تخف ولا تفزع»[١٢]. ثم قال الرب، نفسه، ليشوع بن نون، بعد ذلك: «تشدد وتشجع، فانك انت تُدخل بني اسرائيل الى الارض التي أقسمت لهم عليها، وانا اكون معك»[١٣].

ـ ثم وقف يشوع، بعد ذلك، خطيبا بقومه، يحثهم على عبور الاردن واجتياح ارض كنعان، قائلا: «..... تعلمون ان الله الحي هو في وسطكم، وانه يطرد من وجهكم الكنعاني والحثي والحوي والفرزي والجرجاشي والاموري واليبوسي»[١٤].

ـ ويهدد رب بني اسرائيل الامم كلها، على لسان ارميا، بالدمار والفناء، وذلك في معرض دفاعه عن شعبه الذي سبي الى بابل، اذ يقول: «لا تخف يا عبدي يعقوب، يقول الرب، فاني معك، وسأفني جميع الأمم التي دفعتك اليها»[١٥]. ثم يهدد، في موضع آخر، وعلى لسان أرميا ايضا، بابل والكلدانيين بالدمار والخراب، اذ يقول: «ان بني اسرائيل مظلومون..... لكن فاديهم قوي، رب القوات معه، فهو يخاصم لمخاصمتهم...... ويرعش سكان بابل. السيف على الكلدانيين، يقول الرب، وعلى سكان بابل، وعلى رؤسائها وعلى حكمائها. السيف على عرّافيها فليهذوا. السيف على أبطالها فليفزعوا. السيف على خيلها وعلى مركباتها، وعلى جميع الخليط الذي في وسطها، فليصيروا كالنساء»[١٦].

ـ ويتابع الرب وعيده للانتقام من بابل فيقول: «هكذا قال الرب: ها انذا أثير على بابل، وعلى سكان قلب مقاوميّ، ريحا مهلكة، وأرسل الى بابل غرباء فيذرّونها ويخرّبون أرضها....»، ويستطرد، مخاطبا «الامة العظيمة، الآتية من الشمال، لمحاربة بابل واخضاعها»: «لا تشفقوا على شبابها، حرّموا (أي اقتلوا) جميع جيوشها»[١٧]. ثم يناشد شعبه (بني اسرائيل) ان: «اهربوا من وسط بابل (وانجوا كل واحد بنفسه)، لا تهلكوا باثمها، فان هذا وقت انتقام للرب، فهو يجزي مكافأتها»[١٨]. ويستطرد قائلا: «تسقط بابل

(١٢) م.ن. تث ٣١: ٧ـ٨.

(١٣) م.ن. تث ٣١: ٢٣.

(١٤) م.ن. يش ٣: ١٠.

(١٥) م.ن. ار ٤٦: ٢٨.

(١٦) م.ن. ار ٥٠: ٣٣ـ٣٧.

(١٧) م.ن. ار ٥١: ١ـ٣، وانظر: ار ٥٠: ٤١ـ٤٢.

(١٨) م.ن. ار ٥١: ٦.

هي ايضا، يا قتلى اسرائيل، كما انه ببابل سقط قتلى من الارض كلها»[١٩]. الى ان يقول: «هكذا قال رب القوات: أسوار بابل العريضة تقوّض تقويضاً، وأبوابها الشامخة تحرق بالنار»[٢٠].

- ولا يتورع رب بني اسرائيل عن اعلان انه يخرج «ويحارب تلك الامم (التي تحارب أورشليم) كما يحارب في يوم القتال»[٢١]، ثم يستطرد قائلا وبغضب شديد: «وهذه هي الضربة التي يضرب بها الرب جميع الشعوب التي حاربت أورشليم، يفسد لحومهم وهم واقفون على أرجلهم، وعيونهم تفسد في وقوبها (أحداقها)، وألسنتهم تفسد في أفواههم»[٢٢].

- ثم يقيم رب بني اسرائيل، على أسوار أورشليم، حرّاسا «لا يسكتون نهارا ولا ليلا»[٢٣]، فلأجلها هو لا يهدأ «حتى يخرج، كضياء، برّها، وكمشعل متقد خلاصها»، وهو «لاجل صهيون» لا يسكت[٢٤].

- وجاء في العهد القديم، ان يهوذا المكابي، عندما نهد، بجيشه، لقتال «نكانور» قائد جيش بطليموس السلوقي «قائد بقاع سوريا وفينيقية»، هاله منظر جيش نكانور الذي احتشد واصطف «وأقيمت الافيال في مواضعها، واصطفت الفرسان على الجناحين»، و«تفرّس المكابي في كثرة الجيوش وتوفر الاسلحة المختلفة وضراوة الافيال، فرفع يديه الى السماء ودعا الرب صانع المعجزات،... وصلى قائلا: «انك يا سيد، قد أرسلت ملاكك في عهد قزحيا، ملك يهوذا، فقتل من جند سنحاريب مئة وخمسة وثمانين الفا،....، والآن،..... ارسل ملاكا صالحا أمامنا يوقع الرعب والرعدة»، ثم تقدم جيش نكانور «بالابواق والاغاني الحربية، فنازلهم أصحاب يهوذا بالدعاء والصلوات.... فصرعوا لا أقل من خمسة وثلاثين الفا» بينهم «نكانور» نفسه[٢٥].

---

(١٩) م.ن.ار ٥١: ٤٩.

(٢٠) م.ن.ار ٥١: ٥٨.

(٢١) م.ن.زك ١٤: ٣.

(٢٢) م.ن.زك ١٤: ١٢.

(٢٣) م.ن.اش ٦٢: ٦.

(٢٤) م.ن.اش ٦٢: ١.

(٢٥) م.ن.٢مك ١٥: ٢٠-٢٨

- وجاء في العهد القديم، كذلك، ان يهوذا المكابي، عندما حشد جيشه لقتال نكانور، وحرّض جنده على القتال ان «لا يرتاعوا من الاعداء ولا يخافوا من كثرة الامم المجتمعة عليهم ظلما، وان يقاتلوا ببأس» قائلا لهم: «إن هؤلاء انما يتوكلون على سلاحهم وأعمالهم الجريئة، واما نحن فنتوكل على الله القدير الذي يستطيع بايماءة يده، ان يصرع الزاحفين علينا، بل العالم بأسره»[٢٦]. ثم انه، «بعدما شدّدهم بهذا الكلام حتى اصبحوا مستعدين للموت في سبيل الشريعة والوطن، قسمهم الى أربع فرق... ثم أمر عزرا ان يتلو عليهم الكتاب المقدس، وجعل لهم كلمة السر: نجدة الله»[٢٧].

- وفي اثناء حشده لجيشه في «المصفاة» لقتال جيش ليسيّاس الذي هاجم يهوذا (بقيادة بطليموس بن دوريمانس ونكانور وجرجيّاس)، أصدر يهوذا المكابي «أمر اليوم» لهذا الجيش، عشية الحرب، وقد جاء فيه: «تجهزوا وكونوا ذوي بأس، وتأهبوا للغد لمقاتلة هذه الامم المجتمعة علينا لتبيدنا نحن وأقداسنا. فلئن نموت في القتال خير لنا من ان نعاين الشر في قومنا وأقداسنا، وكما تكون مشيئته في السماء فليصنع»[٢٨]. وبعد أكثر من واحد وعشرين قرنا من ذلك التاريخ، وفي حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، وقف الجنرال الاسرائيلي «عوزي ناكيس» قائد المنطقة الوسطى يتلو «أمر اليوم» على جنوده قائلا: «اليوم تحررت القدس. شمال مدينة أجدادنا، وجنوبها، بايدينا، بقي علينا ان نخوض معارك ايضا. وانني انتظر منكم، ايها الجنود، ان تقوموا بواجباتكم بحماسة»[٢٩].

وقد سبق ان مر معنا كيف كان رب بني اسرائيل يشحذ معنويات شعبه ويقويها بوسائل غيبية يقتصر الاقتناع بصحتها على الدين فقط، كأن يخرج ملاك الرب ويقتل من عسكر الاشوريين ١٨٥ الف رجل[٣٠]، او ان يظهر ملاك الرب امام يشوع، عند أريحا، شاهرا سيفه وقادما للقتال معه[٣١] او ان يظهر الملائكة «على خيل لها لجم من ذهب» لكي

---

(٢٦) م. ن. ٢مك ٨: ١٦-١٨.

(٢٧) م. ن. ٢مك ٨: ٢١-٢٣.

(٢٨) م. ن. ٢مك ٢: ٥٨-٥٩.

(٢٩) Narkiss, Uzi, La Battaille pour Jérusalem, P. 292 --

(٣٠) م. ن. ٢ اخ ٢٠: ١٥ واش ٣٧: ٣٦. وانظر الفصل الرابع من هذا الباب.

(٣١) م. ن. يش ٥: ١٣-١٤ ويش ٦: ٢

يساعدوا يهوذا المكابي في حربه ضد طيموتاوس[٣٢]، او ان يظهر للمكابي فارس يرتدي لباسا أبيض ويشهر سلاحا من ذهب، لكي يقاتل معه ضد ليسيّاس[٣٣]. وكل هذه الروايات تدخل في باب «التعبئة النفسية والمعنوية» التي عرفناها، كذلك، في القرآن الكريم، في بدر وحنين، اذ قال تعالى: ﴿وَلَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُم أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ* إذ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُم أَن يُمِدَّكُم رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ* بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِم هَذَا يُمْدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ* وما جَعَلَهُ اللهُ إلاّ بُشْرَى لَكُم وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصرُ إلاّ مِنْ عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ [آل عمران٣/ ١٢٣-١٢٦]. وقال تعالى ايضا: ﴿لَقَد نَصَرَكُم اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا، وَعَذَّبَ الذين كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٩/ ٢٥و٢٦). ورغم ان التمايز بين العهد القديم والقرآن الكريم هو ان الاول ليس كتابا منزلا بل هو موضوع من البشر، على أيدي كهنة بني اسرائيل، خلال سبي بابل وبعده، أي بعد نحو سبعة قرون من الاجتياح الاسرائيلي الاول لارض كنعان، بينما الثاني كتاب منزل على النبي محمد (صلعم) وموحى به اليه، حيث نقله الى حفظته من الصحابة ثم دُوِّن، بعدها مباشرة، فهو، اذن كتاب ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤١/ ٤٢]، ورغم ذلك، فاننا نرى، في هذه الروايات وما شابهها، والواردة في كل من العهد القديم والقرآن الكريم، نوعا من التعبئة النفسية والمعنوية لأتباع كل من هذين الكتابين.

وقد احتلت التعبئة النفسية والمعنوية حيّزا كبيرا ومهماً من نصوص العهد القديم، وذلك لان شعب اسرائيل، وهو الشعب الذي وجه اليه هذا «الكتاب المقدس»، لم يكن في نظر «رب بني اسرائيل»، على ما يبدو، على مستوى المهمة التي كلفها من قبل ذلك الرب، وذلك وفقا لما ورد في العهد القديم ووفقا لمزاعم الشعب اليهودي نفسه. الا ان ما ورد في الكتاب أثر تأثيرا نفسيا بالغا في هذا الشعب وفي المجتمع اليهودي كله، وظل هذا التأثير مستمراً الى اليوم. واننا لنلمس مدى هذا التأثير اذا ما رجعنا الى مذكرات كبار القادة

(٣٢) م.ن. ٢مك ١٠: ٢٩-٣٠.

(٣٣) م.ن. ٢مك١١: ٨.

الاسرائيليين في العصر الحاضر، مدنيين وعسكريين، حيث نجد ان تأثير هذه التعبئة النابعة من نصوص العهد القديم، في طبائع هؤلاء القادة وتربيتهم، هو كبير جدا، حتى لنجد ان بعض هؤلاء القادة الاسرائيليين يتوّجون مقالاتهم العسكرية بنصوص من العهد القديم تذكّر بحروبهم البالغة القدم، والمستمرة، مع الفلسطينيين[٣٤]. وربما كان ذلك ايضا من باب التعبئة النفسية والمعنوية للشعب الاسرائيلي، في صراعه المسلح ضد العرب، فلسطينيين وغير فلسطينيين.

ولا تزال التعبئة النفسية والمعنوية تشكل عنصرا مهماً من عناصر حشد القوى لدى الدولة العبرية، وقد برعت اسرائيل في استخدام مختلف الاساليب لاتقان هذا النوع من التعبئة، سواء أكان على الصعيد الخارجي، بغية كسب الاصدقاء والحلفاء وتحييد الخصوم، وذلك عن طريق «التعبئة الاعلامية» في الدول الكبرى المؤثرة والفاعلة في السياسة العالمية، أم على الصعيد الداخلي، بغية حفز المواطنين الاسرائيليين على الاستعداد للقتال والتهيؤ للحرب في أي وقت. وقد استخدمت اسرائيل، لذلك، الوسائل التالية:

١ـ استراتيجية «الخيار الوحيد» وذلك باقناع المواطن اليهودي في اسرائيل، ان «الخيار الوحيد» للشعب اليهودي لكي يعيش في «وطنه» هو الاستعداد للحرب ضد العرب الذين يهددون كيانه وأمنه واستقراره، مع المثابرة على حقن هذا المواطن بكل أنواع المؤثرات التي تجعله حاقداً، بصورة دائمة، على العرب، وتواقا لقتالهم، كأن يقتنع اليهودي انه «ليس هناك خيار آخر لشعب يقاتل من أجل وجوده، وهو على بينة تامة بان هزيمته في الحرب تعني نهايته كامة»[٣٥].

٢ـ الحض على القتال والاستبسال فيه حتى الموت، ففي مقدمته لكتاب «أسوار اسرائيل» للكاتب الفرنسي «جان لارتيغي»، نرى «موشي دايان» يحض العسكريين

---

(٣٤) صدّر العقيد شاول مقالة عسكرية له عن «أجهزة ضبط النيران في الدبابات» بقصة المبارزة التي جرت بين داود وجليات، كما وردت في العهد القديم، اذ جاء فيه: «ومد داود يده الى الكنف واخذ منه حجرا وقذف بالمقلاع فاصاب الفلسطيني في جبهته، وانغرز الحجر في جبهته فسقط وجهه على الارض، وظفر داود بالفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله، ولم يكن في يد داود سيف» (١ صم ١٧: ٤٩ ـ ٥٠) (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أمن اسرائيل في الثمانينات، ص ١٥٤).

(٣٥) آلون، يغال، انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي، ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

الاسرائيليين، ضباطا وجنودا، على الهجوم والقتال حتى الموت دفاعا عن اسرائيل، اذ يقول: «لم تسعَ اسرائيل قط، منذ عام ١٩٤٨ الى حماية حدودها خلف اسلاك شائكة او خط من التحصينات، فالدفاع بالنسبة الى قادة الجيش الاسرائيلي كان، وسيظل دائما، الهجوم، الهجوم على العدو في أرضه هو»[٣٦].

٣ـ استخدام «خطر الابادة» كحافز معنوي للقتال، اذ ظهر القادة الاسرائيليون، في مناسبات كثيرة، كمحرضين متطرفين لدفع جنودهم الى القتال، مثلا على ذلك:

أ ـ قال العميد شارون، في معرض حديثه عن حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧، وذلك في حديث له نشرته جريدة «معاريف» الاسرائيلية بتاريخ ٧/ ٦/ ١٩٧٢: «ان حرب الايام الستة كانت حربا تهدف الى منع الابادة. ان هدف العدو المعلن عنه كان ابادة دولة اسرائيل. كان هذا هو الشعور الذي رافقنا، وبهذه الروح تحدثنا الى الجنود»[٣٧]. مع ان شارون يعلم، بالتأكيد، انه لم يكن لدى العرب، في حزيران عام ١٩٦٧، نية لبدء الحرب او شنها على اسرائيل، في تلك الظروف.

ب ـ وقال اسحق رابين، في المناسبة نفسها، وفي حديث له نشر في الجريدة نفسها بتاريخ ٢/ ٧/ ٧٢ «ساد الشعب بأسره في اسرائيل شعور بان الحرب هي من اجل استمرار بقائنا.... ولولا هذا الشعور الصادق والصحيح لما حصلنا على ما حصلنا عليه»[٣٨].

ج ـ وفي حديث له أمام مؤتمر حزب العمل الاسرائيلي، في مطلع نيسان/ ابريل عام ١٩٧١، قال ايبا ايبان: «واجهنا الإفناء زمنا طويلا، اما الآن، فقد أصبحنا أسياد مصيرنا، ولن نخاطر بهذا الوضع»[٣٩].

وغير ذلك أحاديث وتصريحات عديدة ظهرت في عدد من الصحف والمجلات

---

(٣٦) Larteguy, Op. Cit. P. 6 --

(٣٧) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عد ١/ ٧/ ١٩٧٢ ص ٢٩٦.

(٣٨) م.ن. عد ١٦/ ٦/ ١٩٧٢ ص ٣٥٦.

(٣٩) اليوميات الفلسطينية، مج ١٣ ص ٢٧٣.

الاسرائيلية[٤٠]. الا ان العديد من القادة الاسرائيليين رفضوا منطق «خطر الابادة» هذا، وصرّحوا ان اسرائيل لم تكن، مطلقاً، معرضة لهذا الخطر، قبل حرب حزيران، ومن هؤلاء:

أ ـ العميد الاحتياطي «متتياهوبيليد» استاذ تاريخ الشرق الاوسط في جامعة تل أبيب، الذي صرّح، في حديث له نشرته جريدة «هآرتس» الاسرائيلية ١٩/٣/٧٢، ان المقولة بان اسرائيل تعرضت، في حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ لخطر الابادة «خدعة ولدت ونمت بعد الحرب فقط»، وان الاسرائيليين لم يكونوا معرضين لهذا الخطر قبل هذه الحرب[٤١].

ب ـ العميد الاحتياطي «عيزر وايزمن» الذي كان رئيسا لشعبة العمليات في الجيش الاسرائيلي خلال حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧، وقد وافق زميله «بيليد» على ان دولة اسرائيل لم تكن معرضة لخطر الدمار قبل هذه الحرب، وذلك في حديث له نشر في جريدة «عال همشمار» الاسرائيلية بتاريخ ٢٠/٣/١٩٧٢[٤٢].

ج ـ ووافق «يغال آلون» الضابطين اللذين سبق ذكرهما على رأيهما في ان اسرائيل لم تكن معرضة لخطر الإبادة عند شن هذه الحرب (حزيران ١٩٦٧)، وذلك في حديث له نشرته جريدة «دافار» الإسرائيلية بتاريخ ١٥/٦/١٩٧٢[٤٣].

وهكذا نرى كم كان عامل «التعبئة النفسية والمعنوية» مهماً وحاسما ومؤثرا في هذه الحرب، كما في باقي الحروب الاسرائيلية ـ العربية.

وتظل «التعبئة الاعلامية» إحدى أهم ركائز «التعبئة النفسية والمعنوية» لدى الاسرائيليين، وقد لعبت التعبئة الاعلامية دورا مهماً أساسيا في التحضير النفسي للعديد من القيادات السياسية في العالم كي تنحاز الى الصهيونية في سبيل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، اذ استطاعت المنظمة الصهيونية ان تستخدم الوسائل الاعلامية، لهذا الغرض، استخداما بارعا. واستمرت الدولة العبرية، بعد انشائها عام ١٩٤٨، في استخدام هذه الوسائل، بالبراعة ذاتها، سواء لتجييش الرأي العام العالمي الى جانبها، او لتحريض شعبها على التحفز للحرب.

---

(٤٠) انظر بحثنا الذي نشر عن «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية» في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٨.

(٤١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عد ١/٤/١٩٧٢ ص ١٧٨.

(٤٢) م.ن. عد ١/٤/١٩٧٢ ص ١٧٨.

(٤٣) م.ن. عد ١/٧/١٩٧٢ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

ولم تغفل «بروتوكولات حكماء صهيون»، بدورها، أهمية الاعلام في تجييش الرأي العام العالمي واليهودي لمصلحة الأهداف الصهيونية، فقد جاء في البروتوكول الثاني: «بواسطة الصحف، نلنا القوة التي تحرّك وتؤثر، وبقينا وراء الستار»[٤٤]. وجاء في البروتوكول الثاني عشر: «ستكون حكومتنا مالكة مقود معظم الصحف.... وبهذا التدبير، نكون قد امتلكنا القوة الاولى الموجهة للرأي العام»[٤٥].

وستظل الدولة العبرية معبّأة للحرب نفسيا ومعنويا، ما دامت أطماعها بالارض العربية لم تنته، وما دامت تدرك جيدا ان الصراع بينها وبين العرب لن تنهيه معاهدات فرضتها، على العرب، ظروف من الضعف والتخلف والانهزامية لا يمكن ان تستمر، ذلك ان الصراع العربي الاسرائيلي هو، في جوهره وأساسه، صراع وجود (بين عقيدتين) لا صراع حدود (بين دولتين).

---

(٤٤) نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد ١: ١٩١ (البروتوكول الثاني).

(٤٥) م.ن. مجلد ١: ٢٣٥ (البروتوكول الثاني عشر)

الفصل التاسع

الاسطورة في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم

تطغى النزعة الاسطورية على التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم بشكل يبعث على عدم تصديق مجريات الامور فيه لبعدها عن المنطق والواقع والمعقول، ويبدو ذلك جليا في نصوص عديدة منه (اي من العهد القديم)، نذكر بعضا منها على سبيل المثال، لا الحصر(*):

١ـ عبور نهر الاردن:

يروي العهد القديم انه لما أمر الرب بني اسرائيل بعبور نهر الاردن باتجاه فلسطين، وكان يشوع على رأسهم، سار الكهنة «حاملين تابوت العهد قدام الشعب»، وما ان انغمست «أقدام الكهنة حاملي التابوت» في مياه النهر وكان ممتلئا ماء «من جميع شطوطه كل أيام الحصاد»، حتى «وقف الماء المنحدر من عالية النهر.... والماء المنحدر الى بحر عربة، بحر الملح، انقطع تماما، وعبر الشعب قبالة أريحا، فوقف الكهنة، حاملو تابوت عهد الرب، على اليبس، في وسط الاردن، راسخين، وكل اسرائيل عابر على اليبس، حتى انتهت الامة كلها في عبور الاردن»(١).

(*) حاولنا ان نناقش، في الفصل الاول من الباب الاول من هذا الكتاب، مسألة شق البحر وعبور موسى وشعبه وغرق فرعون وجيشه فيه، فارجع اليه.

(١) العهد القديم، يش٣: ١٤ـ١٧.

ان دراسة بسيطة لجغرافية الارض التي يجري فيها نهر الاردن ما بين شرق أريحا وبحر العربة بحر الملح أي (البحر الميت)، وفي وقت الحصاد وقت الصيف، وهو الزمن الذي جرى العبور فيه، تجعلنا نعتقد ان مياه النهر كانت جافة، او على الاقل، ضحلة، في ذلك الحين، الامر الذي سهّل عبور بني اسرائيل دون حاجة الى أية معجزة(*).

٢ـ سقوط أريحا:

عبر بنو اسرائيل نهر الاردن مقابل اريحا، فكان عليهم ان يحتلوها، وهي أول مدينة يصلون اليها من أرض فلسطين، وكانوا «نحو اربعين الفا مجهزين للقتال، عبروا قدام الرب للقتال، الى سهل أريحا»[٢]. ويروي العهد القديم ان الرب أمر يشوع بان يدور «جميع رجال القتال» (أي الاربعين الف متجر من الجند للقتال)، حول المدينة، مرة واحدة، لمدة ستة ايام، وخلفهم الكهنة السبعة يحملون «سبعة ابواق من قرون الكباش»، وخلف الكهنة «تابوت عهد الرب» وخلف التابوت «المؤخرة» سائرة وراءه، وأمر يشوع الشعب قائلا:

«لا تهتفوا ولا تُسمعوا أصواتكم، ولا يخرج من أفواهكم كلمة الى يوم أقول لكم اهتفوا فتهتفون»[٣].

وفي صباح اليوم التالي، نفذ يشوع مشيئة الرب بان «حمل الكهنة تابوت الرب، والسبعة الكهنة، حاملو سبعة أبواق من قرون الكباش قدام تابوت الرب، يسيرون وينفخون في الابواق، والمسلحون سائرون أمامهم، والمؤخرة سائرة وراء تابوت الرب، تمشي وتنفخ في الابواق»[٤]، ودار الجميع حول المدينة دورة في ذلك اليوم، ثم أعادوا الكرة، بالترتيب نفسه، وبالطريقة نفسها، ستة ايام متتالية، الى ان كان اليوم السابع، وبينما كان الجميع يدورون حول أريحا دورتهم السابعة، صاح يشوع بشعبه قائلا:

«اهتفوا، فقد أسلم الرب المدينة اليكم»، فهتف الشعب، ونفخ الكهنة في الابواق،

(*) راجع (في المقدمة) الحديث عن زيارتنا لجبل نبو ونهر الاردن، مقابل اريحا، في رحلة خاصة لدراسة هذا الأمر، وذلك في حزيران/ يونيو عام ١٩٩٦.

(٢) م.ن. يش٤: ١٣.

(٣) م.ن. يش٦: ٣ـ ١٠.

(٤) م.ن. يش٦: ١٢ـ ١٣.

«فسقط السور في مكانه، فصعد الشعب الى المدينة، كل واحد على وجهه، واستولوا على المدينة، وحرّموا كل ما في المدينة من الرجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، فقتلوهم بحد السيف»[٥].

الا يجعلنا هذا الوصف الدقيق لاسطورة اريحا بنفخ الابواق نعتقد ان سقوط السور كان بفعل عملية «الانقضاض» عليه من قبل الجند المعدّين للهجوم، وهم نحو أربعين ألفا؟ وان أمر يشوع لشعبه بالهتاف لم يكن سوى مجرد الاشارة للبدء بالهجوم؟ ثم، أوّلا يلفت النظر ان الترتيب الذي اتخذه يشوع للتقدم نحو اريحا واحتلالها، هو ترتيب عسكري محض لوحدة في طور الهجوم؟ فالمقاتلون في المقدمة، وخلفهم البواقون الذين يعطون اشارة الهجوم، وخلفهم تابوت الرب الذي هو موضع حماية وحفظ من الجميع، لذا، فان مركزه «القلب»، واخيرا، المؤخرة، تماما كما هو الترتيب في كل تشكيل عسكري مقاتل. وهكذا ما ان اعطى يشوع اشارة البدء بالهجوم حتى «هتف الشعب ونفخ الكهنة في الابواق» فانقضّ المقاتلون على المدينة، وسقط السور.

٣ـ وقوف الشمس والقمر في كبد السماء:

لما اجتمع ملوك الاموريين الخمسة (ملوك اورشليم وحبرون ويرموث ولاكيش وعجلون) لمحاربة «جبعون» لانها «سالمت يشوع وبني اسرائيل»، استنجد «اهل جبعون» بيشوع فخف لنجدتهم، وصعد من «الجلجال» حيث كان قد أقام، ومعه «جميع المحاربين البواسل» و«كل رجال القتال»[٦] وسار لملاقاة ملوك الاموريين في «جبعون».

وما ان بدأ القتال بين الفريقين حتى كلم يشوع الشمس والقمر قائلا: «يا شمس قفي على جبعون ويا قمر على وادي أيّالون، فوقفت الشمس وثبت القمر، الى ان انتقمت الامة من اعدائها. أوليس ذلك مكتوبا في سفر المستقيم؟، فوقفت الشمس في كبد السماء، وأبطأت عن الغروب نحو يوم كامل.... لان الرب قاتل عن اسرائيل»[٧].

من المنطقي والمعقول ان يشعر المقاتلون بوطأة يوم كامل كأنما الشمس غير راغبة

---

(٥) م.ن. يش٦: ١٤ـ٢١.

(٦) م.ن. يش١٠: ٣ـ٧.

(٧) م.ن. يش١٠: ١٢ـ١٤. وسفر المستقيم: ديوان شعر قديم مفقود (م.ن.ص ٤٣٧ حاشية ٢).

في الغياب عنه، لهول الحرب وشدتها بين فريقين متقاتلين شديدي البأس، ومن الطبيعي ان لا يظهر القمر ما دامت الشمس مشرقة، ومن المنطقي والمعقول ان لا يكون في الامر معجزة، ثم «ما دام الرب» قد «قاتل عن اسرائيل» أفهو بحاجة لكل هذا الوقت الطويل، ولإيقاف دوران الشمس والقمر، لكي ينتصر؟

٤ـ ارتعاد الارض:

يقول العهد القديم، انه، في اثناء القتال بين «يوناثان بن شاول» والفلسطينيين، صعد يوناثان «على يديه ورجليه، وحامل سلاحه وراءه» فأخذ الفلسطينيون يتساقطون أمامه «وكان حامل سلاحه يقتل وراءه»، فقتل يوناثان وحامل سلاحه في الضربة الاولى «نحو عشرين رجلا في نحو نصف تلم فدان الحقل». ويتابع العهد القديم «فحلّ الرعب في المعسكر وفي الحقل وفي كل الشعب، وارتعشت المفرزة والمخربون ايضا، وارتعدت الارض، وكان رعب من لدن الله»[٨].

ان التفسير الوحيد الذي يمكن ان يُعطى لهذه الظاهرة هو تفسير جيولوجي، او طبيعي بحت، كأن يكون قد حصل رعد عظيم او هزة أرضية، ذلك ان الارض «ارتعدت»، فحدث رعب «في المعسكر وفي الحقل وفي كل الشعب». خصوصا وان العهد القديم يستمر في سرد رواية هذه المعركة فيذكر ان شاول هب لنجدة ابنه يوناثان بمن معه من الجند «وجاؤوا الى المعركة فاذا بسيف كل واحد (من الفلسطينيين) على صاحبه» وان العبرانيين الذين كانوا «مع الفلسطينيين من أمس فما قبل» انقلبوا عليهم وانحازوا الى جانب «شاول ويوناثان»، وان جميع الذين سبق ان هربوا، عادوا فالتحقوا بصفوف المقاتلين من بني اسرائيل، مما أدى الى هزيمة الفلسطينيين[٩]، بفعل القتال وليس بفعل المعجزة.

٥ـ انشقاق جبل الزيتون الى نصفين:

يقول العهد القديم ان الرب خرج ليحارب الامم التي اجتمعت لقتال أورشليم «وتقف

---

(٨) م.ن. ١ صم ١٤: ١٢ـ١٥. ويقصد «بالمفرزة» الفلسطينيين الذين اصطفوا مقابل يوناثان (١ صم ١٤: ١١ـ١٢)، و«بالمخربين» الفلسطينيين الذين خرجوا من مواقعهم للقتال في ثلاث فرق باتجاهات مختلفة (١ صم ١٣: ١٧ـ١٨)، ويلاحظ اعتماد تعبير «المخربين» للدلالة على المقاتلين الفلسطينيين في ذلك الحين، وهو التعبير الذي تستخدمه اسرائيل للدلالة على المقاتلين الفلسطينيين اليوم، وبعد مرور اثنين وثلاثين قرنا.

(٩) م.ن. ١ صم ١٤: ٢٠ـ٢٢.

قدماه، في ذلك اليوم، على جبل الزيتون الذي قبالة أورشليم الى الشرق، فينشق جبل الزيتون من نصفه نحو الشرق ونحو الغرب واديا عظيما جدا، وينفصل نصف الجبل الى الشمال ونصفه الى الجنوب»(١٠).

لا بد من ان تكون هذه الظاهرة جيولوجية بحتة، فكثيرا ما يحدث شرخ في الارض من جراء هزة ارضية او زلزال، دون ان يكون هناك مجال لتأويل الحدث بانه «معجزة». ولم يخبرنا العهد القديم عما اذا كان الجبل، جبل الزيتون، عاد فالتأم ورجع الى موضعه، بعد ذلك، ام لا؟ وفي أي حال، يبقى على علماء التاريخ الجيولوجي ان يؤكدوا هذه الواقعة او ينفوها.

٦ـ دور عصا موسى في حرب العمالقة:

يقول العهد القديم، ان موسى أمر يشوع ان يختار، لمحاربة العماليق، رجالا من شعبه، بينما يقف (أي موسى) «على رأس التل وعصا الله في يدي»، ففعل يشوع ما أمره به موسى، وذهب برجاله لقتال العماليق. أما موسى، ومعه هارون وحور، فصعد الى التل وأخذ يراقب سير القتال، «فكان، اذا رفع موسى يده، يغلب بنو اسرائيل، واذا حطها، تغلب العمالقة». ولما تعب موسى «وثقلت يداه» أخذ هارون وحور حجرا وأجلساه عليه «واسند هارون وحور يديه..... فكانت يداه ثابتتين الى مغيب الشمس، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف»(١١).

لا شك في ان قصة، كهذه، تثير الاستهجان والاستغراب ان تنسب الى نبي الله موسى، فاذا كان موسى راغبا بنصرة قومه، فلماذا يخفض، اذن، يديه لكي تغلب العمالقة؟ وهل هو بحاجة الى مثل هذه الحركات لتنفيذ مشيئة ربه بنصرة بني اسرائيل؟

والتفسير الوحيد لهذه الرواية، في نظرنا، هو ان موسى كان يرفع يديه زهوا او اعجابا كلما بدت، في المعركة، اشارة تدل على انتصار بني اسرائيل، وربما كان يخفضهما أسى، كلما بدت، في المعركة، اشارة معاكسة.

---

(١٠) م.ن. زك ١٤: ٣ـ٤.

(١١) م.ن. خر ١٧: ٩ـ١٣.

ويشاركنا الرأي، فيما زخر به العهد القديم من أساطير، العديد من الباحثين في هذا الموضوع، فيقول الباحث «عجاج نويهض» الذي نقل «بروتوكولات حكماء صهيون» الى العربية وشرحها شرحا وافيا، ان اليهود «يجنحون، بكل قواهم، الى الاعتضاد بروح الملاحم لتقوية الروح المعنوية، في سوادهم ورجالهم، فتنبع عندهم الاساطير والغرائب وتحشى بالاقاصيص، ويخلقون لها الصور والاشباح. وبعد رجوعهم من السبي، اشتدت فيهم هذه النزعة دورا بعد دور، ولا سيما في اثناء الحروب المكابية»[١٢]. ويرى الباحث «أنيس فريحة» ان الشمس تسبح الله عز وجل في دورانها، «والحقيقة ان تسبيح الشمس يجعلها تدور في فلكها، لانها، اذا امتنعت عن التسبيح، تقف. وعندما نقول ان يشوع بن نون أوقف الشمس، نعني بقولنا هذا انه منعها عن التسبيح، فوقفت في السماء»[١٣]. فهل يصح ان تتوقف الشمس عن تسبيح الله عز وجل بأمر من يشوع، عبده، إكراما ليشوع وجنده الذين يقاتل الرب في صفوفهم وينصرهم؟

ويرى الباحث «شفيق مقار» انه «لا ذكر هناك، اطلاقا، في أي شيء مما سجله تاريخ مصر، لشخصٍ اسمه موسى، او أي ذكرٍ لسيرته. كما انه لا ذكر هناك لضربات او كوارث طبيعية حلت بمصر، او لأي فرعون غرق، هو وجنوده، في البحر الاحمر»[١٤].

ويفسر «مقار» رواية دور عصا موسى في حرب العمالقة بانها تكرار «لاستخدام عصا آمون في معارك الفراعنة»، اذ كان آمون يحمل عصاه المقدسة في حروبه «لتوفر له الحماية وتضمن لجيشه النصر كلما رفعها عاليا»[١٥].

ويفسر «مقار» كذلك، رواية انشقاق نهر الاردن ومرور العبرانيين فيه على اليابسة، اما بفعل «المد والجزر» في النهر، خصوصا وان العبرانيين اختاروا لعبورهم «الموضع الممكن الخوض فيه من مياه نهر الاردن»، او بفعل زلزال او هزة أرضية ما، خصوصا وان «تلك المنطقة من الارض الفلسطينية منطقة زلزالية، وقد سجلت فيها عدة هزات خلال هذا

---

(١٢) نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، مجلد ٢: ١٣٩.

(١٣) فريحة، انيس، في القصص العبري القديم، ص ٦٠.

(١٤) مقار، شفيق، قراءة سياسية للتوراة، ص ٣١١. وراجع راي مقار كاملا بمسالة خروج العبرانيين من مصر وشق البحر، في الفصل الاول من الباب الاول من هذا الكتاب.

(١٥) مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ١٢٠.

القرن» (جرت احداها في ١١ تموز/ يوليو عام ١٩٢٧)[١٦] لذلك، يرى «مقار» ان «انهيالا من الانهيالات الارضية أوقف تدفق مياه الاردن.... ويبدو ان شيئا كهذا حدث ابان الغزوة الصليبية. وهو ما يستحضر الى الذهن، بلا مهرب، ما يصفه الاصحاح الثالث من سفر يشوع»[١٧].

والغريب ان حكاية شق البحر او النهر تتكرر في روايات العهد القديم، كأنما أضحى هذا الامر اختصاصا عبرانيا تميز به بنو اسرائيل دون غيرهم، ذلك ان ايليا، وبعده اليشاع، أقدما، كذلك، على شق مياه الاردن برداء ايليا، اذ «أخذ ايليا رداءه ولفه وضرب به المياه، فانفلقت الى هنا وهناك، وعبر كلاهما (ايليا وأليشاع) الى اليبس»[١٨]. ولكن اقامة ايليا على الارض لم تطل، اذ صعد «في العاصفة، نحو السماء» على «مركبة نارية وخيل نارية» فصلت بينه وبين أليشاع، «وأليشاع ناظر وهو يصرخ، يا ابي، يا أبي، يا مركبة اسرائيل وفرسانه»، ثم أخذ رداء ايليا، وكان قد سقط عنه، و«ضرب به المياه.... فانفلقت الى هنا وهناك، وعبر أليشاع»[١٩]. وليس لنا أمام هذه الروايات، سوى ان نستهجن اساطير العهد القديم كلها، وبكل ما فيها من لا معقولية ولا منطقية ولا واقعية.

وينقض «مقار» رواية ايقاف الشمس في كبد السماء خلال معركة يشوع ضد ملوك الاموريين في «جبع» وذلك بقوله ان الارض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس، فاذا كان سحر يشوع قد أوقف دوران الارض لاربع وعشرين ساعة، فلا حاجة بنا للاشارة الى ما كان حريًا بان يحدث لو كانت الارض قد توقفت عن الدوران حول محورها طوال جزء من الثانية، لا طوال ٢٤ ساعة» لان في ذلك تعطيلا لقوانين الطبيعة[٢٠] لا يمكن تصوره او حدوثه، خصوصا وان «الرب» يعلم «ان الشمس ليست هي التي تدور حول الارض، وان الارض هي التي تدور حول الشمس»[٢١]، فكيف ان رب بني اسرائيل لم ينبه

(١٦) م.ن. ص ٢٨٤.

(١٧) م.ن.ص. ٢٨٥.

(١٨) م.ن. ٢ مل ٢: ٨.

(١٩) م.ن. ٢مل ٢: ١١-١٤

(٢٠) مقار، السحر في التوراة، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٢١) م.ن. ص ٤٨٢-٤٨٣.

شعبه، وكهنة هذا الشعب، الى قوانين الطبيعة التي وضعها بنفسه، كي لا يخطئوا في تصورها؟ الا اذا كان يعتقد، هو الآخر «ان الشمس هي التي تدور حول الارض»[٢٢].

ولم يكن ممكنا ان نعالج في هذا البحث، كل الاساطير الواردة في العهد القديم، اذ ان ذلك يتطلب كتابا بكامله، وهو ما فعله الاستاذ شفيق مقار في كتابه: السحر في التوراة، بل عرضنا لأهم ما عرف واشتهر من هذه الاساطير، تاركين للقارئ العودة الى العهد القديم نفسه للاطلاع على ما تبقى منها.

---

(٢٢) م.ن. ص ٤٨٣.

الفصل العاشر

الحقد اليهودي المتجذر، دينيا وتاريخيا، ضد الفلسطينيين

يجمع الباحثون، استنادا الى الاكتشافات الاثرية الحديثة، على ان الفلسطينيين قد استوطنوا في فلسطين قبل العبرانيين بعدة قرون (منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد)، فأقاموا فيها مدنا عدة شغلت ساحل فلسطين من حدود مصر جنوبا الى الحدود الجنوبية لسهل يافا، عند أفيق ويافا، شمالا، وكانت أهم مدنهم: غزة وأشقلون (عسقلان) وأشدود وجت وعقرون، وقد خرجوا من موطنهم الاصلي (كفتور، أي كريت والجزر المجاورة لها في بحر ايجه) وعبروا البحر الى مصر ففلسطين. وقد ورد ذكرهم في مواضع عديدة من العهد القديم باسم: كريتيين، نسبة الى جزيرة كريت (١ صم ٣٠ : ١٤ و٢ صم ٨، وصف٢ : ٥)، او كفتوريم، نسبة الى كفتور (تك ١٠ : ١٥، وتث ٢ : ٢٣، وار ٤٧ : ٤) أو فلسطينيين (في معظم مواضع ذكرهم في العهد القديم). كما ورد اسم (كسلوحيم)، في العهد القديم ايضا، كشعب خرج الفلسطينيون من سلالته (١أخ ١ : ١٢). الا ان العهد القديم، فرق احيانا، بين الكريتيين والفلسطينيين (خر ٢٥ : ١٢) حيث اعتبر محققوه الكريتيين شعبا مجاورا للفلسطينيين وبينهما قرابة (م. ن. ص ١٨١١ حاشية ٦).

وقد احتل الصراع اليهودي الفلسطيني المسلح، ولا يزال، حيزا كبيرا من العهد القديم، مما يؤكد الحقد اليهودي المتجذّر، دينيا وتاريخيا، ضد «الفلسطينيين»، ذلك الشعب الذي سكن فلسطين، مع غيره من الشعوب، منذ أقدم الازمان، واستمر فيها، الى اليوم الذي قرر فيه بنو اسرائيل امتلاكها، بعد طرد أصحابها الشرعيين منها، متذرعين بما ورد في العهد القديم من وعد رب اسرائيل لهم بها. ومنذ ذلك الحين، الى اليوم، لا يزال الصراع

المسلح مستمرا بين شعب معتدٍ، هو الشعب اليهودي، وشعب معتدى عليه، هو الشعب الفلسطيني، أيا كانت هوية هذا الشعب وجنسه ودينه ومعتقداته.

بدأت الحرب بين بني اسرائيل والشعوب المختلفة التي كانت مقيمة على أرض فلسطين في ذلك الحين، وهم الاموريون والحويون والحثيون والفرزيون والجرجاشيون والعمونيون واليبوسيون، منذ ان عبر بنو اسرائيل بقيادة يشوع بن نون نهر الاردن، الى الضفة الغربية منه (وكان ذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد) فخاض بنو اسرائيل، ضد هذه الشعوب، معارك عديدة انهزمت، على اثرها، تلك الشعوب أمامهم. واستمر بنو اسرائيل في التوغل شمالا، وأمر الرب يشوع ان يقسّم، قبل موته، تلك الارض على أسباط اسرائيل بالقرعة، فقسّمها ومات نحو عام ١٢٠٠ ق. م. ودفن في «تمنة سارح»، شمال غرب أريحا[١].

وبعد موت يشوع، قرر بنو اسرائيل التوسع شمالاً، في أرض الكنعانيين، واختاروا سبط يهوذا ليكون في مقدمتهم[٢]، فحارب بنو اسرائيل الكنعانيين والعمونيين والعمالقة والمدينيين[٣] فغلبوهم وامتلكوا أرضهم، وجاور بنو اسرائيل الفلسطينيين الذين تمكنوا من وقف تقدمهم، ثم غلبهم الفلسطينيون، وحكموهم اربعين عاماً. يقول العهد القديم: «وعاد بنو اسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب، فأسلمهم الرب الى ايدي الفلسطينيين»[٤]، وهكذا بدأت الحرب المصيرية المستمرة بين بني اسرائيل وشعب يقطن أرض كنعان اسمه «الشعب الفلسطيني» ولا تزال. لقد باد الكنعانيون والحثيون والاموريون والمؤابيون والفرزّيون والحويون واليبوسيون والعمونيون والعمالقة، ولم يتمكن بنو اسرائيل من ابادة الشعب الوحيد الذي بقيت سلالته منغرزة في تلك الأرض، ارض فلسطين، الى اليوم، وهم «الفلسطينيون».

وفي عهد شمشون، تحرر بنو اسرائيل من نير الفلسطينيين، وذلك بعد ان هدم الهيكل عليهم وعلى نفسه قائلاً «لتمت نفسي مع الفلسطينيين»[٥].

---

(١) العهد القديم، يش ٢٤: ٢٩ـ٣٠.
(٢) م. ن. قض ١: ١ـ٢.
(٣) م. ن. قض ١ـ١٢.
(٤) م. ن. قض ١٣: ١.
(٥) م. ن. ١٦: ٢٠.

وعادت الحرب من جديد بين بني اسرائيل والفلسطينيين في عهد صموئيل، فكان بينهم قتال في «أفيق» هُزم فيه بنو اسرائيل وقتل منهم نحو «اربعة آلاف رجل»[٦] ثم عاد القتال فتجدد بين الفريقين فهُزم بنو اسرائيل ثانية وسقط منهم «ثلاثون الف رجل»[٧]. واجتمع بنو اسرائيل بعد هزيمتهم في «المصفاة» وقرروا متابعة الحرب مع الفلسطينيين وذلك بعد أن أعادوا ترتيب صفوفهم واستعدوا للقتال من جديد، ويروي العهد القديم ان الفلسطينيين، لما علموا باجتماع بني اسرائيل في المصفاة صعدوا اليهم، لكن بني اسرائيل «خافوا من الفلسطينيين»، وقالوا لصموئيل: «لا تكف عن الصراخ لأجلنا الى الرب إلهنا، فيخلصنا من الفلسطينيين» واستجاب الرب لصموئيل. وما ان تقدم الفلسطينيون للقتال حتى «أرعد الرب بصوت عظيم» على الفلسطينيين الذين «هزمهم» صوت الرب «فانكسروا أمام اسرائيل» ووضع صموئيل في ذلك المكان حجرا دعاه «أبان هاعيزر»، أي «صخرة النصر» تذكاراً لمعونة الرب له في حربه مع الفلسطينيين[٨].

وخلف شاول صموئيل في حكم بني اسرائيل، فاستنفر شعبه لقتال الفلسطينيين وحشد لذلك نحو «ثلاثة آلاف» مقاتل. وسمع «كل اسرائيل» بالامر فالتفوا حول شاول وساروا معه لقتال الفلسطينيين ونزلوا في «الجلجال». ولما علم الفلسطينيون بذلك استنفروا بدورهم، واحتشد من الفلسطينيين، لمحاربة اسرائيل، «ثلاثون الف مركبة وستة آلاف من الفرسان، وشعب مثل الرمل الذي على ساحل البحر كثرة» وعسكروا في «مكماش» شرق «بيت آون». وما ان علم بنو اسرائيل بجموع الفلسطينيين التي احتشدت لقتالهم خافوا وعبر بعضهم الاردن الى أرض «جاد وجلعاد»[٩] وتخلى بنو اسرائيل عن شاول، وانفضوا من حوله هرباً من مواجهة الفلسطينيين[١٠].

والجدير بالذكر، انه لم يكن يوجد صانع سيف او رمح او سكة فأس او منجل او معول «في كل أرض اسرائيل»، وان بني اسرائيل كانوا يقصدون بلاد الفلسطينيين لكي يسن كل

---

(٦) م.ن. ١ صم ٤: ١-٢.
(٧) م.ن. ١ صم ٤: ١٠.
(٨) م.ن. ١ صم ٧: ٦-١٢.
(٩) م.ن. ١ صم ١٣: ٢-٧.
(١٠) م.ن. ١ صم ١٣: ٨.

واحد «سكته ومعوله وفأسه ومنجله»[11]. وهكذا لم يكن لدى اسرائيل، عندما أزفت الحرب، «سيف ولا رمح»، الا انه وجد منهما مع «شاول» وابنه «يوناثان»[12].

وكان مجموع المقاتلين الذين بقوا الى جانب شاول وابنه يوناثان «ست مئة رجل» فصعد بهم من الجلجال الى «جبع بنيامين»[13] حيث أقام. أما الفلسطينيون «المخربون»، كما يدعوهم العهد القديم[14]، فقد خرجوا لقتال شاول وجنده في ثلاث فرق باتجاهات ثلاثة[15] وكان مركزهم في «مكماش».

ويتدخل رب اسرائيل كعادته، وبحسب رواية العهد القديم، لمساعدة بني اسرائيل في حربهم مع الفلسطينيين، فيوحي الى ناثان بن شاول بالخروج لمحاربتهم. ويستعد الرب لصنع معجزة لصالح بني اسرائيل، فيخرج يوناثان ومعه «الخادم الحامل سلاحه» فقط دون ان يخبر أباه بذلك، ويخرج الفلسطينيون لقتاله، فيتساقطون أمامه «وكان حامل سلاحه يقتّل وراءه». ثم ترتعد الارض وترتجف فيرتعد الفلسطينيون، ويهب شاول برجاله لنجدة ابنه، فيجتمع العبرانيون جميعهم على الفلسطينيين الذين ينهزمون «من مكماش الى ايّالون»[16].

«وكانت حرب شديدة على الفلسطينيين كل أيام شاول»[17] اذ استمرت هذه الحرب سجالا بينه وبينهم، الى ان كان يوم جمع فيه شاول قواته للقتال في «وادي البطمة»، وجمع الفلسطينيون قواتهم للغرض نفسه في «أفس دميم» بين «سوكو وعَزِيقة» و«وقف الفلسطينيون على جبل من ههنا، ووقف بني اسرائيل على جبل من هناك، وبينهم الوادي»[18].

---

(١١) م.ن. ١ صم ١٣: ١٩-٢٠.
(١٢) م.ن. ١ صم ١٣: ٢٢.
(١٣) م.ن. ١ صم ١٣: ١٥-١٦.
(١٤) م.ن. ١ صم ١٣: ١٧ و ١ صم ١٤: ١٦. ولا شك في ان العدو الاسرائيلي استعار هذا الاسم من العهد القديم ليطلقه على الفدائيين الفلسطينيين اليوم.
(١٥) م.ن. ١ صم ١٣: ١٧-١٨.
(١٦) م.ن. ١ صم ١٤: ٤-٣١. وانظر: لهذه المعركة، ما سبق ان ذكرناه عنها في الفصل التاسع من هذا الباب (الاسطورة: ارتعاد الارض).
(١٧) م.ن. ١ صم ١٤: ٥٢.
(١٨) م.ن. ١ صم ١٧: ١-٣.

وكان على الفلسطينيين «جليات»، الذي وقف ودعا بني اسرائيل للمبارزة، على ان يختاروا لمبارزته واحداً منهم، فان قتل هو يصبح الفلسطينيون عبيدا لبني اسرائيل وان قتل الاسرائيلي، يصبح بنو اسرائيل عبيدا للفلسطينيين[١٩].

وظل جليات على هذه الدعوة «اربعين يوما»[٢٠] دون ان يتقدم واحد من بني اسرائيل لمبارزته، الى ان كان يوم برز فيه داود بن يسّي الافراتي، وكان اصغر اخوته سنا، فألبسه شاول ثيابه «وجعل على رأسه خوذة من نحاس، وألبسه درعا، وتقلّد داود سيفه فوق ثيابه» وحاول ان يمشي بها فلم يستطع، فنزعها عنه، ثم «أخذ عصاه بيده، وانتقى خمسة حجارة ملس من الوادي ووضعها في جيب كيس الراعي الذي له، ومقلاعه بيده»[٢١]. وتقدم من جليات، فاستحقره جليات وهزئ به لحداثته وصغر سنه، وتقدم جليات من داود ومعه رمحه، وحامل الترس أمامه، ودار بين الاثنين حوار[٢٢] انتهى بان «مد داود يده الى الكيس وأخذ منه حجرا وقذف بالمقلاع، فضرب الفلسطيني في جبهته، وانغرس الحجر في جبهته، فسقط على الارض»[٢٣] فتقدم منه داود «وأخذ سيفه واستله من غمده وقتله، وقطع به رأسه»[٢٤] وما ان رأى الفلسطينيون ما حدث لجليات حتى فروا هاربين ولحق بهم بنو اسرائيل يطاردونهم حتى «أبواب عقرون»[٢٥].

كان لانتصار داود على جليات أثر كبير في صفوف بني اسرائيل كاد ينقل زعامة هذا الشعب من شاول الكهل الى داود الفتى، حتى ان شاول فكر «ان يوقع داود في يد الفلسطينيين»[٢٦]. وعادت الحرب من جديد بين بني اسرائيل والفلسطينيين «فخرج داود وحارب الفلسطينيين وضربهم ضربة شديدة، فهربوا من وجهه»[٢٧] وهاجم الفلسطينيون «قعيلة» ونهبوا بيادرها «فمضى داود ورجاله الى قعيلة وحارب الفلسطينيين

(١٩) م.ن. ١ صم ١٧: ٤-٩.
(٢٠) م.ن. ١ صم ١٧: ١٦.
(٢١) م.ن. ١ صم ١٧: ٣٨-٤٠.
(٢٢) انظر للحوار: م.ن. ١ صم ١٧: ٤٢-٤٧.
(٢٣) م.ن. ١ صم ١٧: ٤٩.
(٢٤) م.ن. ١ صم ١٧: ٥١.
(٢٥) م.ن. ١ صم ١٧: ٥٢. وانظر معركة داود وجليات مفصلة في السفر نفسه، الاصحاح ١٧ بكامله.
(٢٦) م.ن. ١ صم ١٨: ٢٥.
(٢٧) م.ن. ١ صم ١٩: ٨.

وساق مواشيهم وضربهم ضربة شديدة، وخلّص داود أهل قعيلة»[٢٨]. وعظم شأن داود بعد ذلك الى حد ان شاول لم يعد يرى بدا من القضاء عليه، فهرب داود من وجهه، ومعه من أصحابه ستماية رجل ولجأ الى «آكيش بن ماعوك» في «جت» من أرض الفلسطينيين. «وكان عدد الايام التي سكن فيها داود في ريف الفلسطينيين سنة واربعة اشهر»[٢٩].

وبدأ بنو اسرائيل والفلسطينيون يستعدون لاستئناف الحرب فيما بينهم، وكان داود ما زال، ورجاله، عند «آكيش» في «جت». وخشي شاول مغبة قتاله مع الفلسطينيين، عندما رأى جموعهم وكثرة تحشداتهم، وكان الفلسطينيون قد احتشدوا في «أفيق» ونزل بنو اسرائيل «عند العين التي في يزرعيل»[٣٠]. وعبر أقطاب الفلسطينيين «مئة مئة والفا الفا» في مقدمة الجيش، جيش الفلسطينيين، وعبر «داود ورجاله في الآخر مع آكيش»[٣١]، فغضب أقطاب الفلسطينيين من آكيش لوجود داود ورجاله معه في الحرب، ورفضوا ان يشاركهم داود القتال ضد بني اسرائيل، عشيرته، وقالوا لآكيش: «لا ينزل معنا الى الحرب» ولا يكون لنا «خصما في القتال» بل «ليرجع الى المكان الذي عينته له»[٣٢]. ولما أخبر آكيش داود بالامر، اغتم وقال لآكيش: «ما الذي صنعت وما الذي وجدت في عبدك منذ يوم صرت بين يديك الى هذا اليوم حتى لا أسير وأحارب أعداء سيدي الملك؟»[٣٣]. ولكن آكيش أنبأه اصرار أقطاب الفلسطينيين على قرارهم، ودعاه للعودة، برجاله، الى ارض الفلسطينيين، «وأما الفلسطينيون فصعدوا الى يزرعيل»[٣٤] لقتال بني اسرائيل. ونشب القتال بين الفريقين في «جبل الجلبوع» فهُزم بنو اسرائيل هزيمة نكراء، و«ضيّق الفلسطينيون على شاول وبنيه» وقتلوا أبناءه يوناثان وأبينا داب وملكيشوع، وأصيب شاول في المعركة بسهم جرحه جرحا بليغا لم يكن يأمل بالعيش من بعده، فطلب من حامل سلاحه ان يسلّ سيفه ويطعنه، ولكن حامل سلاحه لم يجرؤ على ذلك، فاستل شاول سيفه وسقط عليه فمات، وعمل حامل سلاح شاول بنفسه الشيء ذاته. «ورأى

---

(٢٨) م.ن. ١ صم ٢٣: ١و٥.
(٢٩) م.ن. ١ صم ٢٧: ١-٢و٧.
(٣٠) م.ن. ١ صم ٢٩: ١.
(٣١) م.ن. ١ صم ٢٩: ٢.
(٣٢) م.ن. ١ صم ٢٩: ٤.
(٣٣) م.ن. ١ صم ٢٩: ٨.
(٣٤) م.ن. ١ صم ٢٩: ٩-١٠

رجال اسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الاردن ان قد انهزم رجال اسرائيل ومات شاول وبنوه، فتركوا المدن وهربوا. وأتى الفلسطينيون وأقاموا فيها»[٣٥].

كان داود، في اثناء القتال بين شاول والفلسطينيين، قد ذهب برجاله الى جهات «صقلاج» بالجنوب، حيث كان العمالقة قد غزوا تلك الجهات وغنموا «من ارض فلسطين ومن أرض يهوذا» غنائم عظيمة، فضربهم وقضى عليهم، وأرسل الى شيوخ يهوذا ما اكتسب من أيدي العمالقة من غنائم[٣٦].

ورغم الخصومة التي كانت قائمة بين شاول وداود، فما ان علم داود بموت شاول وأبنائه الثلاثة حتى بكى ورجاله عليه وعلى «يوناثان ابنه، وعلى شعب الرب وبيت اسرائيل»[٣٧]. وأقام داود، بعد موت شاول، في «حبرون» فجاءه أسباط اسرائيل وبايعوه «ملكا على اسرائيل»[٣٨]، وكان عمره ثلاثين عاما، وقد ملك أربعين عاما: «ملك حبرون على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وملك في أورشليم ثلاثا وثلاثين سنة على كل اسرائيل ويهوذا»[٣٩]. وما ان تسلم داود ملك بني اسرائيل حتى عاد لمخاصمة الفلسطينيين وقتالهم، وأخذ حصن صهيون وأقام فيه «وسماه مدينة داود»[٤٠].

ولما علم الفلسطينيون بان داود أضحى ملك بني اسرائيل وانه أخذ أورشليم من اليبوسيين وأخذ الحصن وأقام فيه، استنفروا، وانتشروا في «وادي رفائيم»، وقد عزموا على قتاله. واستنفر داود ورجاله وجاء الى «بعل فراحيم» حيث نشبت بينه وبين الفلسطينيين معركة انتهت بهزيمة الفلسطينيين[٤١]. واستجمع الفلسطينيون، قواهم بعد ذلك، وعادوا للقتال من جديد في المكان نفسه، فهزمهم داود ثانية وطاردهم «من جبع الى

(٣٥) م. ن. ١ صم ٣١: ١ـ٧. وانظر: ١ اخ ١٠.
(٣٦) ١صم ٣٠.
(٣٧) م. ن. ٢ صم ١: ١٢.
(٣٨) م. ن. ٢ صم٥: ٣.
(٣٩) م. ن. ٢ صم٥: ٤ـ٥.
(٤٠) م. ن. ٢ صم٥: ٦ـ٩.
(٤١) م. ن. ٢ صم٥: ١٧ـ ٢٠. وسمي ذلك الموقع «بعل فراحيم» بعد انتصار داود على الفلسطينيين في هذه المعركة (م. ن. ٢ صم ٥: ٢٠).

مدخل جازر»[42]. وضرب داود الفلسطينيين بعدها «وأذلهم، وأخذ داود زمام الحكم من أيدي الفلسطينيين»[43].

وتوالت هزائم الفلسطينيين أمام داود فأخذ «جتّ وتوابعها» من أيديهم[44] ثم حاربهم في جازر[45]. «وذاع اسم داود في تلك الارض كلها، وأوقع الرب رعب داود على جميع الامم»[46] الى ان مات «بشيبة صالحة، وقد شبع من الايام والغنى والمجد»[47]. فخلفه في الحكم ابنه سليمان، التي انشطرت مملكة اسرائيل بعد وفاته، الى شطرين: مملكة اسرائيل، التي قامت في معظم ارض فلسطين في الشمال، ومملكة يهوذا، في بقع صغيرة في الجنوب[48].

ومما يلفت النظر تحالف الفلسطينيين والعرب ضد مملكة يهوذا في أيام «يورام ابن يوشافاط» ملك يهوذا، اذ يروي العهد القديم ان الرب أثار «على يورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بقرب الكوشيين، فزحفوا على يهوذا واجتاحوها ونهبوا كل ما وجد من الاموال في بيت الملك، وأسروا بنيه ونساءه فلم يبق له ابن الا يوآحاز، أصغر بنيه»[49].

وتوارث ملوك يهوذا، بعد ذلك، الخصومة مع الفلسطينيين والعرب، ملكا إثر ملك، فحارب «عُزيا»، وهو الملك العاشر ليهوذا[50]، الفلسطينيين والعرب «الساكنين في جوربعل»، وهدم، في أثناء حربه مع الفلسطينيين، «سور جتّ وسور يبنة وسور أشدود» وبنى مدنا «في أرض اشدود وعند الفلسطينيين»[51]. الا انه، في عهد الملك «آحاز» الملك الثاني عشر ليهوذا، «انتشر الفلسطينيون في مدن السهل ونقب يهوذا، واستولوا على بيت شمس وايّالون وجديروت وسوكو وتوابعها وتمنة وتوابعها، وجمزو وتوابعها، وسكنوا

---

(٤٢) م.ن. ٢ صم٥: ٢٢ـ٢٥، وانظر: ١أخ ١٤: ٨ـ١٦.
(٤٣) م.ن. ٢ صم٨: ١.
(٤٤) م.ن. ١أخ ١٨: ١.
(٤٥) م.ن. ١أخ ٢٠: ٤.
(٤٦) م.ن. ١أخ ١٤: ١٧.
(٤٧) م.ن. ١أخ ٢٩: ٢٨.
(٤٨) البستاني، فؤاد افرام، دائرة المعارف، مجلد ١٢: ٣٣٠.
(٤٩) العهد القديم، ٢أخ ٢١: ١٦ـ١٧.
(٥٠) البستاني، دائرة المعارف، مجلد ١٢: ٣٣٥ (وقد سماه عزريا) وانظر: العهد القديم، ٢أخ ٢٦: ١ـ٣.
(٥١) العهد القديم، ٢أخ ٢٦: ٦ـ٧.

هناك»[٥٢]، فاقتصرت مملكته على أورشليم وحدها، وانحاز هو الى تجلت فلاسر الثالث، الملك الاشوري، الذي «ضيّق عليه ولم يؤيده» وظل محصورا في مملكته الصغيرة «أورشليم» الى ان توفي فخلفه ابنه الملك «حزقيا» على أورشليم فقط بعد ان خضعت كل فلسطين للملك الاشوري[٥٣].

وفي سنة وفاة الملك «آحاز» كان هذا القول:

«لا تفرحي يا فلسطين باسرها بان قضيب ضاربك قد انكسر، فانه من اصل الحية يخرج الارقم، ونسله يكون تنينا طيارا، وسيرعى أضعفُ الناس، ويربض المساكين مطمئنين، وانا أميت نسلك بالجوع وهو يقتل بقيتك. وَلْوِل ايها الباب، أصرخي ايتها المدينة، لتخرْ عزيمتك يا فلسطين باسرها، لان دخاناً آتٍ من الشمال وليس من يفرّ في تجمعاته. بماذا يحارب رسل الامة؟ ان الرب اسس صهيون وبها يعتصم بائسو شعبه»[٥٤].

ويظهر ان رب بني اسرائيل ظل حانقا على فلسطين والفلسطينيين، لا يترك مناسبة الا ويحرّض بني اسرائيل على الانتقام منهم ويصب جام غضبه عليهم، فلنسمعه يقول: «بما ان الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام، فانتقموا باحتقار من كل قلوبهم للتدمير عن عداوة قديمة، لذلك، هكذا قال السيد الرب: ها اناذا أمد يدي على الفلسطينيين... وأجري عليهم انتقاما عظيما بتوبيخات غضب، فيعلمون اني انا الرب، حين اجعل انتقامي عليهم»[٥٥].

ويقول: «ان كلمة الرب عليكم يا كنعان أرض الفلسطينيين، فأبيدك لعدم وجود السكان، ويكون ساحل البحر مراعي.... ويكون نصيبا لبقية بيت يهوذا، فهناك يرعون، وفي بيوت أشقلون، عند المساء يربضون، لان الرب الههم يفتقدهم ويغيّر مصيرهم»[٥٦].
ويقول اخيرا: «بسبب اليوم الآتي لدمار جميع الفلسطينيين، لاستئصال كل باق ينصرهم، من صور وصيدون، لان الرب يدمر الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور»[٥٧].

---

(٥٢) م.ن. اخ ٢٨: ١٨.

(٥٣) م.ن. ٢ اخ ٢٨: ٢٠-٢٧، وقد كتب اسم «تجلت فلاسر» كالتالي «تلجت فلناسر» (٢اخ ٢٨: ٢٠).

(٥٤) م.ن. اش ١٤: ٢٨-٣٢.

(٥٥) م.ن. حز ٢٥: ١٥-١٧.

(٥٦) م.ن. صف ٢: ٥-٧.

(٥٧) م.ن. إر ٤٧: ٤. وجزيرة كفتور: جزيرة كريت، وكان يعتقد ان الفلسطينيين اتوا منها (م.ن. ص ١٧٢٢ حاشية ٢).

ولكن، وبعد أكثر من ثلاثين قرنا مرت على قوله هذا، هل استطاع رب بني اسرائيل ان «يدمر الفلسطينيين» الذين لا يزالون متشبثين ومتجذرين في أرضهم «فلسطين» رغم كل الحقد والكراهية اللذين حشدهما، ضدهم، في قلوب شعبه «بني اسرائيل»؟

نموذج من حروب اليهود ضد الفلسطينيين في العصر الحديث:

كثيرة هي النماذج التي يمكن تقديمها عن حروب اليهود ضد الفلسطينيين، وخصوصا منذ قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وقد اخترنا «معركة الكرامة» كنموذج لمقاومة الفلسطيني ودفاعه عن حقه في الحياة والكرامة:

معركة الكرامة (٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨):

في ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨، عبرت حدود الاردن قوات اسرائيلية قدرت بلوائين مدرعين ولواء مشاة ولواء مظليين وخمس كتائب مدفعية (١٠٥ و١٥٥ ملم) مع أربعة أسراب طائرات مقاتلة (ميراج وميستير) وطائرات هليكوبتر لنقل المظليين[٥٨]، وذلك على أربعة محاور:

- محور سويمة عبر جسر الامير عبدالله، باتجاه «مثلث الرامة».

- محور العارضة، عبر جسر الامير محمد (داميا) باتجاه «مثلث المصري».

- محور وادي شعيب، عبر جسر الملك حسين (اللنبي)، باتجاه مخيم «الكرامة» للاجئين الفلسطينيين وبلدة «الشونة» الاردنية.

- محور غور الصافي (للتضليل، وربما للاندفاع الى الكرك)[٥٩].

وذلك بهدف:

- ضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن التي بدأت تنشط بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

---

(٥٨) قيادة الجيش العربي الأردني، المجلة العسكرية، عدد خاص، رقم ٧٤ ص ٩٨.

(٥٩) م.ن. ص ٩ ـ ١٠.

- زعزعة ثقة الشعب الاردني بجيشه الذي بدأ يستعيد قوته العسكرية بعد حرب حزيران.

- تعزيز ثقة الشعب الاسرائيلي بجيشه بعد فشله في تحطيم الارادة العربية نتيجة لهزيمة حزيران.

قامت اسرائيل اذن، في عمليتها هذه، بحرب محدودة، لاهداف محدودة، وبوسائل محدودة، الا انها لم تحقق أيا من أهدافها في هذه العملية، بل جوبهت بمقاومة عنيفة من قبل المقاومة الفلسطينية والجيش العربي الاردني، وخصوصاً في مخيم «الكرامة» وبلدة «الشونة»، ولم تستطع احراز تقدم يذكر على المحاور الاخرى، وكانت خسائرها في هذه الحملة فادحة (٣٥٠ قتيلا بين ضابط ورتيب وجندي، و٤٥٠ جريحا، و٢٠ دبابة و٧ طائرات مقاتلة، و٨٨ آلية مختلفة، وذلك وفقا لاحصاءات أجرتها قيادة الجيش العربي الاردني)[٦٠]. ويعترف «دايان» بصعوبة العملية وشراسة المقاومة في الكرامة فيقول: «لقد تبين ان العملية الاولى - الكرامة - أصعب مما كنا نتصور،.... فقد لقي رجالنا مقاومة شديدة من قبل المخربين»، الا انه لا يعترف بالخسائر التي ورد ذكرها في بيانات الجيش الاردني بل يقول: «استمرت العملية حتى الغروب وكانت خسائرنا جسيمة: ٢٩ قتيلا و٩٠ جريحا، وتركنا على أرض المعركة ٤ دبابات و٤ آليات مدرعة، جميعها معطوبة «ولكنه يقدر خسائر الاردنيين والفلسطينيين تقديرا جسيما، اذ بلغت بحسب قوله: «٢٣٢ قتيلا و٣٠ دبابة مدمرة، و١٣٢ أسيرا من المخربين»[٦١].

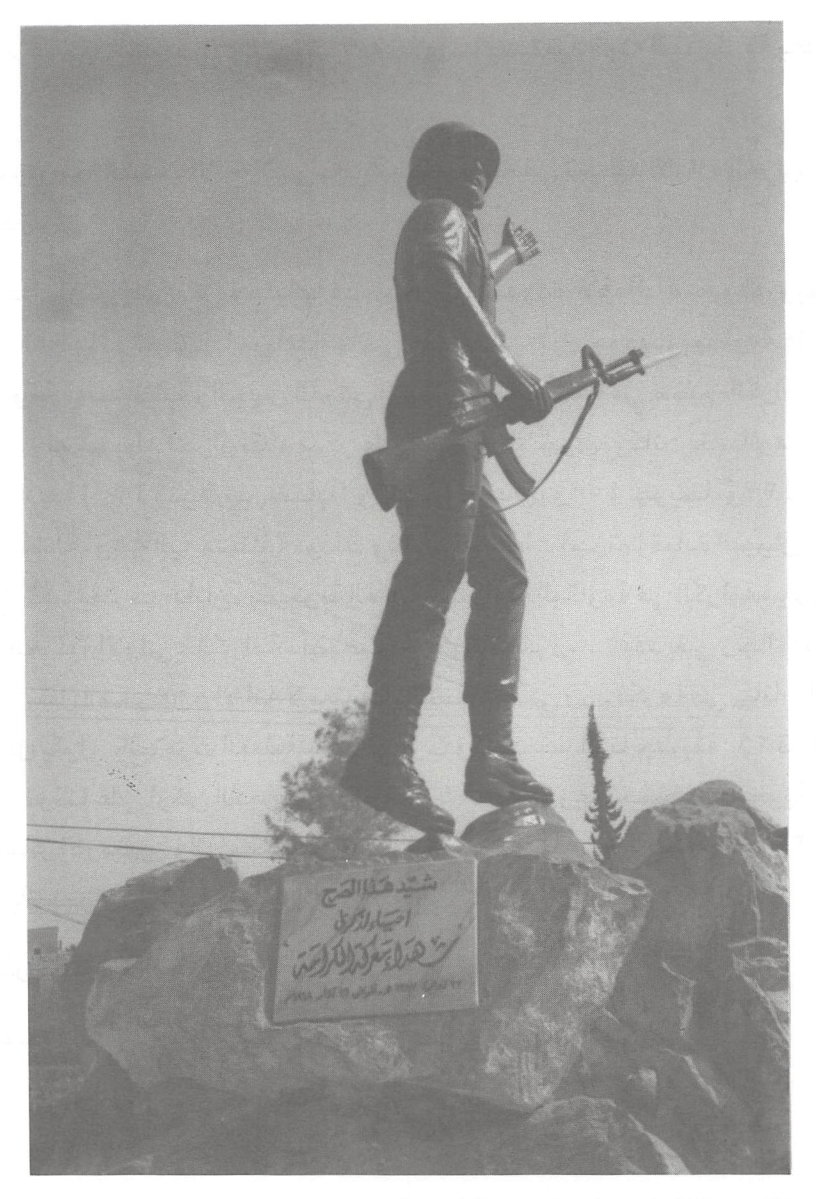
(أنظر الصورتين رقم (٩) ورقم (١٠).

للنصب التذكاري الذي اقيم في الاردن لشهداء معركة الكرامة).

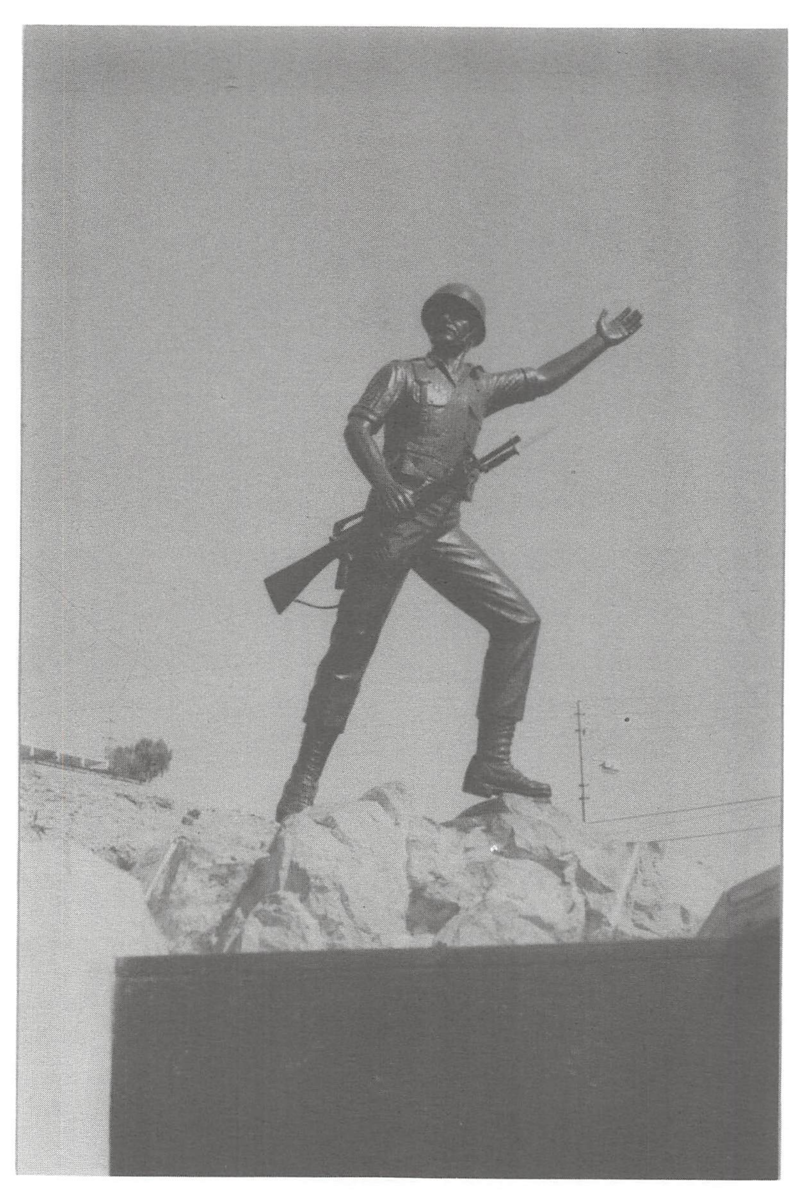
---

(٦٠) م.ن. ص ٩-١٣.

(٦١) Dayan, M. Histoire de ma vie, P. 390 --



النصب التذكاري لشهداء معركة الكرامة



النصب التذكاري لشهداء معركة الكرامة

خاتمة واستنتاج

لو أننا صدقنا كل الروايات والاخبار التي وردت في العهد القديم، لأمكننا القول، بلا نقاش، ان العبرانيين شعب منبوذ من كل الشعوب والامم، وذلك ما أكدته التجارب العديدة عبر العصور.

ففي العصور الاولى من التاريخ القديم (في القرن السابع عشر قبل الميلاد)، استقر العبرانيون، بقيادة يعقوب، في مصر، وكانوا قلة لا تتعدى خمساً وسبعين نسمة[1]، الا انهم بدأوا يتناسلون حتى أضحوا «شعبا كثيرا». ولم يتمكن هذا الشعب من أقامة علاقات حميمة مع الشعب المضيف بسبب ما اتصف به العبرانيون من «شذوذ طباعهم وعنصريتهم»، فهم «أنانيون منطوون، بطبعهم، عنصريون في حياتهم المنعزلة، لا يحبون خيرا لغيرهم»[2]. وصفهم السيد المسيح بأنهم «أولاد أبيكم ابليس، تريدون اتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء، قتالا للناس، ولم يثبت على الحق، لانه ليس فيه شيء من الحق»[3].

وضاق المصريون بالعبرانيين ذرعا، فاضطهدوهم وسخّروهم «في الاشغال العامة» بحسب قول، «سترابون»[4]، حيث بنوا للفرعون رعمسيس الثاني مدينتي «رمسيس» و«فيتوم»[5]، كما شاركوا في بناء الاهرامات. ولا غرو، فقد ظلوا، طيلة مدة اقامتهم في

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، خر ١: ٥.

(٢) الخشاب، عبد المحسن، تاريخ اليهود القديم بمصر، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر يوحنا ٨: ٤٤، ويذكر الخشاب ان العبرانيين كانوا يعبدون، قبل موسى، الاله «ست» وهو «اله الشر، والشيطان، اي الاله العدو» في عقيدة المصريين (م. ن. ص ٣٧).

(٤) الخشاب، م. ن. ص ٢٢ (عن سترابون).

(٥) ولسون، جون، الحضارة المصرية، ص ٤٠١. ويذكر موريس بوكاي «ان هاتين المدينتين هما» قنتير وتانيس» (Bucaille, Maurice, La Bible, Le coran, et la Science, P. 229)

وانظر: حسن، سليم، مصر القديمة، جـ٧: ١٢٠.

مصر، التي زادت على الاربعماية عام[٦]، غير متآلفين مع أهل تلك البلاد، حتى ان «ابن هابو» الذي ورد ذكره في كتابات المؤرخ المصري «مانيتو»، «حذر أمنحوتب الثالث (القرن ١٤ ق. م) من وجود العبرانيين الذين سماهم «النَّجِسين» في مصر، وطلب منه طردهم من البلاد». كما ان «مانيتو» نفسه نعتهم «بالموبوئين» الذين ظلوا «يهددون أمن البلاد» حتى «تم طردهم»[٧].

ولم يحتمل المصريون ان يروا العبرانيين بينهم، فنفوهم الى منطقة بعيدة عن المناطق الآهلة بالسكان، واختاروا لهم «أرض جاسان» أو «أرض غوشن» في «وادي طميلات»[٨]، وهي منطقة تقع شمال سيناء، بينها وبين البحرين: الاحمر والابيض، حول مدينة «القنطرة» الحالية «وكانت هذه المنطقة الواقعة عند بداية طريق حورس البحري، الذي يربط بين مصر وفلسطين، معزولة عن باقي البلاد» ، ذلك انها محاطة «ببحيرة المنزلة» من الشمال، و«بحيرة التمساح» من الجنوب، مع ترعة «تربط بين البحيرتين»، مما يجعل منطقة القنطرة او «أرض جاسان» هذه «معزولة تماما بالمياه عن باقي الارض المصرية» ولا يصلها بها «الا جسر واحد... وكان هذا الجسر تحت حراسة عسكرية»[٩].

ويحاول مؤلف سفر الخروج من العهد القديم تبرير اضطهاد المصريين للعبرانيين وتسخيرهم لهم بقوله: «ونما بنو اسرائيل (في مصر) وتوالدوا وكثروا، وعظموا جدا جدا، وامتلأت الارض منهم. وقام ملك جديد على مصر لم يعرف يوسف، فقال لشعبه: ها ان شعب بني اسرائيل أكثر وأعظم منا، تعالوا نحتال عليهم كيلا يكثروا، فيكون انهم، اذا وقعت حرب، ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون على هذه الارض. فاقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون (رعمسيس الثاني) مدينتي خزنٍ هما فيتوم ورعمسيس»[١٠]. ويبدو، من هذا النص، ان اضطهاد العبرانيين في مصر، وتسخيرهم في الاشغال العامة، كان في عهد رعمسيس الثاني الذي سمي «فرعون

---

(٦) Bucaille, Ibid, P. 228

(٧) عثمان، احمد، تاريخ اليهود، جـ ١: ٥٦ و ٨٠ و«مانيتو» مؤرخ مصري كتب تاريخ السلالات المصرية باللغة اليونانية، وبطلب من بطليموس الثاني في القرن الثالث قبل الميلاد (م. ن. ج ١: ٧٩).

(٨) حسن، سليم، المرجع السابق، جـ٧: ١٠٨.

(٩) عثمان، المرجع السابق، جـ١: ٣٨.

(١٠) الكتاب المقدس، العهد القديم، خر ١ :٧ـ١١.

الاضطهاد» كما سمي مرنبتاح (او منفتاح) «فرعون الخروج»[11]. لذا، فان تناسلهم وتكاثرهم لم يكن مبرراً لنفيهم بعيدا في ارض مصر، في أرض جاسان، وكان ذلك قد تم منذ وصولهم اليها، مع ابيهم يعقوب[12]، وكانوا «خمسة وسبعين نفسا» فقط، كما سبق ان ذكرنا، او «سبعين نفسا» كما ورد في سفر التكوين[13].

ورحل العبرانيون عن ارض مصر بقيادة موسى، بعد اربعماية عام من اقامتهم فيها. ورغم ان مؤلف سفر الخروج يصر على هذا الخروج الجماعي للعبرانيين من مصر الى أرض كنعان، فان الكثير من الشواهد تدل على ان خروجهم قد تم، في فترات متلاحقة وبجماعات صغيرة، عن طريق التسلل، وليس عن طريق الحروب (الفتوح) التي أشار اليها العهد القديم (وقد سبق ان أشرنا الى ذلك في الفصل الاول من الباب الاول من هذا الكتاب)[14].

استقر العبرانيون في ارض كنعان (فلسطين)، وقامت بينهم وبين أصحاب تلك الارض حروب استمرت قرونا طويلة هي القرون التي اقام العبرانيون، خلالها، فيها. ويستغرق العهد القديم في الحديث عن هذه الحروب وذكر تفاصيل المعارك التي خاضها العبرانيون ضد الشعوب (السبعة) التي كانت تقطن هذه الارض قبلهم، لكي ينتزعوها منهم، تماما كما فعلوا بالعرب الفلسطينيين في القرن العشرين، الا انهم، رغم ذلك، لم يستطيعوا القضاء نهائيا على تلك الشعوب.

وغزت أرض كنعان في تلك الحقبة من الزمن، شعوب عديدة أولها المصريون وآخرها الرومان مروراً بالأشوريين والبابليين والسلوقيين، فكان العبرانيون دائما، على مدى قرون، «الضحية الدائمة» لغزوات هذه الشعوب، وكانت «أورشليم» مدينتهم المقدسة، عرضة للنهب والتدمير، كما كانوا هم انفسهم، عرضة للنفي والسبي والتقتيل على ايدي الشعوب الغازية.

---

(١١) Bucaille, Op. Cit. PP. 232 -- 233

(١٢) عثمان، المرجع السابق، جـ١ : ٢٨.

(١٣) العهد القديم، تك ٤٦ : ٢٧، وتضيف الترجمة اليونانية خمسة اسلاف لافرائيم ومنسى فيكون المجموع ٧٥ (م. ن. ص ١٤١ حاشية ٤).

(١٤) Barnavi, Elie, Histoire Universelle des Juifs, P. 4 et: Pritchard James, Atlas du Monde Biblique, P. 57.

وكانت أخطر المراحل التي مرت على العبرانيين في أرض كنعان هي:

- القضاء على مملكة اسرائيل على ايدي الاشوريين (في القرن الثامن قبل الميلاد).

- القضاء على مملكة يهوذا على ايدي البابليين وتدمير أورشليم وسبي العبرانيين الى بابل (في القرن السادس قبل الميلاد).

- تدمير أورشليم على يد تيتوس الروماني (عام ٧٠ م).

- وأخيرا، القضاء على العبرانيين في أرض كنعان وتشتيتهم على يد الامبراطور الروماني هادريان (عام ١٣٢ ـ ١٣٥ م). وكانت هذه آخر حروب العبرانيين في فلسطين، في التاريخ القديم. ذلك ان اليهود لم يجتمعوا، بعد هذه الحرب، في فلسطين، او سواها، طيلة ثمانية عشر قرنا، وحتى القرن الميلادي العشرين، وكانوا، خلال هذا الزمن الطويل، قد تفرقوا في مختلف انحاء العالم وانتموا الى دول وأمم ومجتمعات مختلفة، الا انهم لم يستطيعوا الاندماج في هذه المجتمعات، واكتساب الانتماء الحقيقي، الوطني والعاطفي خصوصا، لتلك الدول والأمم، حتى انهم تفردوا في السكن منعزلين في «غيتو» خاص بهم، عرف، في معظم مدن العالم، بالحي اليهودي أو حارة اليهود[١٥]، الامر الذي جعلهم، في القرون الاخيرة خصوصا، عرضة للاضطهاد والتنكيل والازدراء من قبل شعوب تلك الاوطان وحكامها في أوروبا، الشرقية منها والغربية، وفي ألمانيا، وروسيا على وجه الخصوص.

ويتساءل المرء، أمام روايات هذه الاحداث المتلاحقة والمتمادية ضد اليهود، طيلة قرون عديدة: لماذا يكون اليهود وحدهم، دون سواهم من شعوب ارض مصر وكنعان في الزمن القديم، ودون سواهم من شعوب الارض قاطبة، في الزمن الحديث، عرضة للاضطهاد والتنكيل والعزل من قبل غيرهم من الشعوب، غازية كانت هذه الشعوب، أم مجاورة أم مشاركة لهم في الجنسية والمواطنة، كما جرى لهم في أوروبا الشرقية وفرنسا وألمانيا وروسيا في القرنين الأخيرين؟ وقبلها مع العرب المسلمين الفاتحين والصليبيين الغزاة؟

ويسهل التبرير عندما نعلم ان اليهود، منذ ان تفرقوا في «ديار الشتات» عام ٧٠م ثم عام ١٣٥م، سعوا لان ينعزلوا، في أي مواطن اقاموا، في مجتمعات خاصة بهم، لا

---

(١٥) ظاظا، حسن، الشخصية الاسرائيلية، ص ٧٠ و٧٦.

يختلطون بباقي الشعوب، ويتصرفون كأنهم دولة ضمن دولة، حيث يديرون شؤونهم بأنفسهم، وبواسطة «حكومة سرية» محلية تدعى «السنهدرين» (Sanhédrin) تتشكّل حيثما وجدوا، وضمن مجتمعاتهم المغلقة. وكانت مهمة «السنهدرين» هي المحافظة على «التكتل العنصري» لليهود حيث يقيمون، وتأمين «عزلة شبه كاملة» لهم عن باقي الشعوب التي يعيشون وسطها. وهكذا، فقد كان «السنهدرين» أول هيئة عنصرية تنظم أوضاع اليهود، فهو «المجلس الاعلى الذي يحكم الطائفة (اليهود)، ويملك، وحده، حق الحل والعقد في شؤونها»[١٦].

وقد ظل هذا الوضع قائما حتى العصور الوسطى، حيث تطور «السنهدرين» الى شكل آخر من أشكال التنظيم العنصري اليهودي عرف «بالقهل» او «القهيلة»[١٧]، وكان «مجلس القهل» او «المجلس البلدي اليهودي» يتمتع بصلاحيات واسعة ونفوذ كبير على ابناء الطائفة اليهودية، فهو يعتبر «حكومة سرية واجبة الطاعة» تفرض الضرائب على الجالية اليهودية وتقرر الاعانات لفقرائها وتنفذ المشاريع الخيرية العائدة لمنفعتها[١٨]، كما انه يتمتع «بحق اصدار التشريعات والفتاوى». وقد تمتع هذا المجلس، خلال الحكم العربي في الاندلس، بحق «معاقبة اليهود على الجرائم الدينية حتى تنفيذ عقوبة الاعدام في من تقضي عليهم شريعتهم بذلك»[١٩]، كما كان يتولى «تعيين القضاة ورؤساء المحاكم المالية ورجال الدين ومعلمي المدارس وكل من يحمل مسؤولية في الخدمة العامة» للطائفة اليهودية[٢٠].

وهكذا اصبحت صلاحيات «مجلس القهل» تشكل خطرا على صلاحيات الدولة نفسها، إذ أصبح هذا المجلس «دولة ضمن دولة» مما أثار مخاوف معظم الدول الاوروبية وجعلها

---

(١٦) ظاظا، حسن، م. ن. ص ٥١ . وكان «السنهدرين» قائما في المجتمع اليهودي، في أورشليم، قبل تدميرها على يد تيتوس عام ٧٠، وكان الرومان قد الغوه قبل ذلك، الا ان اليهود حافظوا عليه بصورة سرية وكان ينعقد في أماكن سرية من بلاد الرومان (م. ن. ص٥٣). وقد سبق ان شرحنا معنى «السنهدرين» في حواشي الفصل الرابع من الباب الخامس من هذا الكتاب، فارجع اليه.

(١٧) م. ن. ص ٥٤ والقهل او القهيلية تعني: الاجتماع او الجماعة، من «قول» بالعبرية، أي النطق والكلام (م. ن. ص ٥٨). وكان «مجلس القهل» يتكون من سبعة أعضاء، وهو المجلس البلدي الخاص باليهود في كل بلد (م. ن. ص ٦٠).

(١٨) م. ن. ص ٦٠.

(١٩) م. ن. ص ٦٢.

(٢٠) م. ن. ص ٦٣.

تنظر الى هذا المجلس، ومن خلاله، الى اليهود، بعين الشك والريبة. وزاد من هذين الشك والريبة استمرار انغلاق اليهود في حاراتهم وأحيائهم، «وتهمة الدم» التي نَسبت الى اليهود قيامهم بذبح المسيحيين واستخدام دمهم لعجن فطير الفصح عندهم، وقد ظلت هذه التهمة قائمة «حتى مشارف القرن العشرين»[٢١]. وعندما فتح المسلمون بيت المقدس عام ١٥ هـ (٦٣٦م) اشترط الخليفة عمر بن الخطاب على أهلها ان لا يسكن معهم «أحد من اليهود»[٢٢]، وذلك بسبب ما لقيه النبي(صلعم) وصحبه المسلمون، في بدء الدعوة الاسلامية، من عسف وصدّ وتآمر عليهم من قبل يهود يثرب وكل جزيرة العرب.

وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس عام ١٠٩٩م «جُمع اليهود في الكنيسة (الكنيس) واحرقوها عليهم»[٢٣]. وقد كانت الحملات الصليبية، وخصوصا الثانية والثالثة منها، مسرحا لاعتداءات الاوروبيين المسيحيين على اليهود في المشرق وذلك «بسبب ما كان بينهم وبين المسلمين في الشرق والاندلس والمغرب من تفاهم وتعاون، في ظل حرية أعطاها لهم العرب على نحو لم يروه في التاريخ»، فنكل الصليبيون باليهود حيثما وجدوهم. وجرى الامر نفسه ضدهم، في المانيا، في القرن الثاني عشر، حيث نكّل المسيحيون الالمان بهم بعد ان اتهموهم بقتل المسيحيين «وخلط دمهم بخبز عيد الفصح»[٢٤].

وقد طرد اليهود من اسبانيا، بعد سقوط الاندلس بأيدي الملوك الكاثوليك عام ١٤٩٢. كما قتل منهم، في بولونيا، عام ١٦٤٨، وعلى يد قوزاق بوغدام (Bogdam Chmilnisky) نحو ٣٠٠ الف نسمة[٢٥].

---

(٢١) م. ن. ص ٧٢، وقد بلغ الامر من الخطورة حداً جعل البابا بولس الرابع يصدر، في آب/ اغسطس ١٥٥٥م، مرسوما يفرض، بموجبه، على اليهود الاقامة في حي خاص بهم «يغلق عليهم في ساعة معينة من المساء ولا يفتح حتى مطلع الفجر». وظل هذا المرسوم نافذ المفعول حتى الغاه البابا بيوس التاسع في نيسان/ ابريل عام ١٨٤٧ (م. ن. ص ٧٥) هذا بالرغم من ان اليهود، انفسهم، كانوا يختارون الاقامة في أحياء خاصة بهم.

(٢٢) الطبري، ابو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، جـ٣: ٦٠٩.

(٢٣) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، جـ١: ٤٢٧، وابن القلانسي، (ذيل) تاريخ دمشق، ص٢٢٢.

(٢٤) ظاظا، حسن، المرجع السابق، ص ٧١ - ٧٢. وقد سجل «كاتب يهودي معاصر لتلك الفترة هو افرايم بن يعقوب، من مدينة بون» بالمانيا، حوادث الاعتداء على اليهود في المانيا والتنكيل بهم.

(٢٥) غارودي، روجيه، المازق، اسرائيل، ص ٨٢.

وفي العهد الامبراطوري في فرنسا، تبرّم الفرنسيون من انغلاق المجتمع اليهودي على نفسه، ومحاولة اليهود السيطرة على الاقتصاد والتجارة الفرنسيين، مما دعا الامبراطور نابليون بونابرت، في مطلع القرن التاسع عشر، لان يكتب الى وزيره للشؤون الدينية «بورتاليس» كتابا يشكو فيه من سلوك اليهود فيقول: «لا أحد يشكو من البروتستانت ولا من الكاثوليك كالشكوى من اليهود، مما يبين ان الاذى الذي يرتكبه اليهود لا يأتي منهم كأفراد بل من وضع هذه الامة نفسه. فهم حشرات وجراد يدمرون فرنسا»[٢٦]، ثم انه أقدم، في ٦ تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٨٠٦ على جمع الحاخامين اليهود في مؤتمر بباريس وطرح عليهم اسئلة محددة يستطيع، من خلالها، ان يدرك مدى ولائهم لفرنسا «وهل يتعارض هذا الولاء مع الشريعة الاسرائيلية»، ومن هذه الاسئلة:

- «هل يعتقد اليهودي الفرنسي ان المسيحي الفرنسي غريب، من «الغوييم»؟

- «ما هي الروابط التي تربط يهود فرنسا بالوطن بحسب الشريعة الاسرائيلية؟

- «هل يلتزم اليهودي الفرنسي بكل واجبات المواطن، حتى الخدمة العسكرية؟

- «هل يملك الحاخام سلطة محاكمة اليهودي ومعاقبته خارج قوانين الدولة؟»[٢٧].

وكانت، ايطاليا، في ذلك الحين، تابعة للامبراطور الفرنسي، فرضخ يهودها لهذا القرار، واجتمع «السنهدرين» اليهودي في باريس خلال شهري شباط/ فبراير وآذار/ مارس من عام ١٨٠٧ للاجابة عن هذه الاسئلة، وكان في الاجابات كثير من التملق للامبراطور الذي لم يتردد في ان يصدر، بعد ذلك، وفي ١٧ آذار/ مارس عام ١٨٠٨ قوانين تحدد حقوق اليهود[٢٨].

وفي روسيا القيصرية، أصدرت الامبراطورة كاترين الثانية (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) قوانين فرضت، بموجبها، على اليهود الاقامة في مناطق محددة لا يغادرونها الا «باذن استثنائي». واتهم الروس اليهود «بالتلاعب في الاقتصاد» و«التفاهم سرا مع الاتراك»، وذلك خلال الحرب التي جرت بينهم وبين الاتراك العثمانيين عام ١٨٧٧، فجرى التنكيل باليهود في

---

(٢٦) م. ن. ص ٥٤ حاشية (١٢) نقلا عن Gyges, Les Juifs dans la Société Francaise, Paris, 1956, P. 29

(٢٧) ظاظا، م. ن. ص ٥٥.

(٢٨) م. ن. ص. ن.

عدة مدن روسية أبرزها أوديسا وكييف، وفي منطقة «خرسون»، عام ١٨٨١م[٢٩]. وفي مطلع القرن الحالي، تعرض اليهود في روسيا لاعمال عنف عديدة في عدة مدن (نيقولاييف عام ١٩٠٠ وأوديسا عام ١٩٠١ وكيشينيف عام ١٩٠٣ وهو ميل عام ١٩٠٤ وفي جيتومير وعدة مستوطنات يهودية عام ١٩٠٤، ثم في أوديسا من جديد عام ١٩٠٥ ايضا وهي ما سمي بـ«بوغروم Pogrom (s) او مذابح اليهود»[٣٠].

ولم تكن الشيوعية التي قامت في الاتحاد السوفياتي عام (١٩١٧) أقل عداء لليهود من الحكم القيصري، ذلك ان اليهود كانوا قد انخرطوا في حركتين مهمتين في روسيا هما: المنظمة العمالية الماركسية (البوند) والحركة الصهيونية، وكلتا الحركتين تطالب «باستقلال ذاتي للطائفة اليهودية» يقوم على الهوية القومية لليهود، سواء أكان ذلك في روسيا أم في فلسطين. وكانت هذه المطالب منافية للمبادئ الماركسية التي ترفض «الدين كأسس للقومية»[٣١].

وفي ألمانيا، حيث الروايات الاسطورية التي تحيط بأخبار الهولوكوست (او افران الغاز) والتي تزعم الصهيونية ان المانيا الهتلرية قد احرقت فيها ما يقارب الخمسة ملايين يهودي، لا تزال هذه الروايات مدار نقاش وجدل طويل[٣٢]. وقد وقعت حوادث مماثلة ضد اليهود في كل أنحاء اوروبا الشرقية وخصوصا خلال الحرب العالمية الثانية.

ان التعليل الوحيد لكل ما تقدم هو ان اليهود قوم لم يتعودوا ان يتآلفوا مع غيرهم من الشعوب بسبب عنصريتهم وأطماعهم وسوء تعاملهم مع هذه الشعوب، بالاضافة الى ما يسمى «بعقدة الاضطهاد» التي استخدموها، لابتزاز العالم بأسره، ببراعة تفوق كل وصف. واذا كان اليهود قد لقوا، في القرون الاخيرة، ما لقوه من معاملة أقل ما يقال فيها انها «مختلفة» عن باقي الجماعات التي تشكل الامة او الدولة التي ينتمون اليها، فلم يكن

---

(٢٩) م. ن. ص ٨٥.

(٣٠) م. ن. ص ٨٩ ـ ٩٠. و: غارودي، روجيه، المرجع السابق، ص ٨٢. وهي التسمية التي اطلقت على المذابح التي جرت لليهود، في روسيا القيصرية، قبل الثورة البلشفية.

(٣١) م. ن. ص ٨٨ ـ ٨٩، ولكن ذلك لم يمنع الاتحاد السوفياتي من ان يوافق، عام ١٩٤٧، على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وان يكون بين المؤيدين الأول لقيام اسرائيل، الدولة الدينية العنصرية، في أرض فلسطين، وعلى حساب شعبها، عام ١٩٤٨.

(٣٢) سوف نعود لمناقشة هذا الموضوع في مكان آخر من البحث.

ذلك الا بسبب اصرارهم على «التمايز» و«التفرد»، في أي مجتمع يعيشون، عن باقي جماعات هذا المجتمع.

والغريب العجيب هو ان العرب، الذين عاملوا اليهود برفق وانسانية لم يعاملهم بمثلها أي شعب آخر، وذلك طيلة مراحل قيام الدولة العربية والاسلامية سواء في الشرق أم في الاندلس، وبينما كان الغرب الاوروبي يعاملهم بازدراء واحتقار، كان العرب، أنفسهم، أول ضحايا اليهود في فلسطين.

والغريب العجيب ايضا، بعد كل هذا، ان ينتظر الغرب (الاميركي والاوروبي) اندماج المجتمع اليهودي العنصري الاستعماري القائم، حاليا، في فلسطين، بالمجتمع العربي (الاسلامي والمسيحي المشرقي)، وذلك رغم كل التجارب التي خبرها هذا الغرب من انعزالية اليهود وعنصريتهم وأنانيتهم.

ويصح التساؤل: من اين اكتسب اليهود عقدة التمايز والتفرّد والانعزال والتعالي هذه التي عرفها البشر فيهم طيلة حقبات تاريخهم؟

لقد كرر التلمود، أكثر من مرة قوله: «كما ان العالم لا يمكن ان يعيش بلا هواء، فانه لا يمكن ان يعيش بدون اسرائيل»[٣٣]. فمن اين اتت نفحة التعالي والغرور هذه التي أصابت بني اسرائيل فجعلتهم «شخصية مشبوهة كريهة»[٣٤] في كل المجتمعات؟

لم تقدم لنا المصادر التاريخية المصرية القديمة الكثير عن العبرانيين الذين وفدوا الى مصر بقيادة يعقوب (ابي يوسف) في القرن ١٧ ق. م. فأُسكنوا أرض جاسان، بعيدا عن الاماكن الآهلة بالمصريين، باستثناء ما سبق ان قدمناه، سواء عن المصادر نفسها او عن العهد القديم. ويقدم الباحث الاثري المصري «سليم حسن»، تأكيداً لما نراه، مطالعة بهذا الصدد، نقتطف منها ما يلي: «وتاريخ بني اسرائيل في مصر لم نجده في النقوش... ولكن تاريخ هؤلاء القوم كما ذكره مؤلف التوراة ـ وهو اسرائيلي المنبت ـ قد أضفى على حوادثه أهمية لم يخطر ببال مؤلف مصري ان يسبغها عليه في هذا العهد بعينه، بل ربما كان لا يعرف شيئا عنها، وحتى اذا كان يعلمها، فانها كانت، في نظره، من الحوادث التافهة التي لا

---

(٣٣) ظاظا، حسن، المرجع السابق، ص ٩، نقلا عن التلمود البابلي.

(٣٤) م.ن. ٧١.

تستحق ذكرا او تدوينا....». ويستطرد الباحث المصري قائلا: «وما ذكره لنا كتاب التوراة عن اقامة اسرائيل في مصر ينحصر في العهدين اللذين شملا حياة كل من يوسف وموسى... أما بالنسبة لعهد يوسف، فانه كان من الطبيعي ان نرى أعمال بني اسرائيل غير مذكورة في الوثائق المصرية في عهده، اذ ان يوسف، على الرغم من انه كان ذا مكانة في حكومة الفرعون، غير انه لم يتعد ان كان وزير مالية وحسب ـ كما يقال ـ وان كل عمل عظيم يقوم به، ويستحق التسجيل، كان لا بد من نسبته الى فرعون الذي كانت النقوش تهدف الى تعظيمه والاشادة بذكره... وعلى ذلك، فان اسم يوسف لم يكن يظهر، بطبيعة الحال، وكان موسى، من الوجهة المصرية، أقل شأنا من يوسف، فقد كان، كما تقول التوراة، لقيطا في قصر فرعون، ثم هاربا من وجه العدالة، ثم متكلما عن عبيد غرباء، أما عن الاسرائيليين انفسهم في أرض غوشن (وادي طميلات) فلم يكن لهم مكانة اجتماعية او سياسية تذكر، فقد كانوا، في عهد يوسف، من رعاة البدو، وكان كل راع يعدّ في نظر المصري لعنة. وفي زمن موسى، كان الاسرائيليون، فوق كل ذلك، عبيدا. ومن ذلك نفهم انهم لم يكونوا، بأية حال، من هؤلاء الناس الذين كانوا يعنون عادة بتدوين اعمالهم في السجلات الرسمية...» باستثناء خروجهم من ارض مصر بقيادة موسى «وعلى ذلك، فان الاشارة اليه في السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر ممكنة، وبخاصة اذا كان هؤلاء القوم يقومون باعمال جسيمة كبيرة مفيدة للبلاد عامة وللفرعون خاصة»[٣٥].

ويحاول الباحث المصري عبد المحسن الخشاب ان يعزو اضطهاد المصريين للعبرانيين الى عبادة هؤلاء للاله «ست» أي «الشيطان» عند المصريين، «وكان العبرانيون الاسرائيليون من عبدته المتعصبين، فقد اختاروا الها وجدوا فيه، على خلاف غالبية المصريين، مثلهم الاعلى»، وكان هذا الاله «يرمز الى الجدب والقحل والصحراء والرمال الحارقة والبحر الذي يبتلع ماء النيل ويفسد الارض مستشهدا، على ذلك، بقول السيد المسيح لليهود: «انتم أولاد ابيكم ابليس» الذي «كان، منذ البدء قتّالا للناس» (انجيل يوحنا ٨: ٤٤)[٣٦]. ولكن الخشاب يعود فيستطرد ان المصريين «بعد ان عرفوا بني اسرائيل (العبرانيين) في معاملتهم معهم تمام المعرفة، وخبروا اخلاقهم وشذوذ طباعهم

---

(٣٥) حسن، سليم، المرجع السابق، جـ٧: ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣٦) الخشاب، عبد المحسن، المرجع السابق، ص ٣٧.

وعنصريتهم التي انطوت عليها نفوسهم، ألحقوهم بأبناء من اب هو ست، اله الشر والشيطان، أي اله العدو في عقيدتهم»[٣٧]. ويقول في مكان آخر من النص نفسه: «أدخل المصريون هؤلاء العبرانيين واليهود، في التقاليد المصرية، في ذرية ست، وجعلوه ابا لهم في خرافاتهم الدينية»[٣٨]، مما يؤكد ان طباع اليهود وعنصريتهم هي التي جعلت المصريين يكرهونهم وينبذونهم ويلحقونهم بالاله ست «اله الشر والشيطان، اي اله العدو في عقيدتهم»، وليس ما سبق ان ذكره عن عبادة اليهود لهذا الاله، وهو أمر مستبعد جدا، وذلك لان يعقوب ابن اسحق هو الحفيد المباشر لابراهيم الخليل، فلا يعقل ان يكون قد عبد الها آخر غير اله ابراهيم، الامر الذي لم تنبئنا به الكتب السماوية.

وتختلف روايات التوراة حول أسباب إسكان العبرانيين في أرض جاسان فور وصولهم الى مصر، اذ يذكر سفر التكوين، لذلك، روايتين، احداهما ان فرعون سأل اخوة يوسف عن حرفتهم فأجابوه «عبيدك رعاة غنم، نحن وآباؤنا جميعا... فدع عبيدك يقيمون بارض جاسان»، وكانوا قد وصلوا اليها من ارض كنعان، فأمر الفرعون يوسف بان يسكنهم أرض جاسان، بناء على طلبهم[٣٩]. والثانية انه ما ان علم فرعون بقدوم أهل يوسف الى أرض مصر حتى استدعى اليه يوسف وقال له: «أبوك واخوتك قد قدموا اليك، فهذه ارض مصر أمامك، فاقم اباك واخوتك في أجود أراضيها.... وأسكن يوسف أباه واخوته واعطاهم ملكا في أرض مصر، في أجود ارض منها، وهي أرض رعمسيس كما أمر فرعون»[٤٠]. الا ان سفر الخروج اكتفى بان حدثنا عن أسباب اضطهاد الفرعون (رعمسيس الثاني) لليهود حين ذكر ان هذا الفرعون خشي نموهم وتكاثرهم وخاف ان ينضموا الى اعدائه، ان وقعت حرب، اي حرب، ضدهم، فاذلهم بتسخيرهم في الاشغال العامة حيث بنوا مدينتي «فيتوم ورعمسيس»[٤١]. ولم تتحدث التوراة، بأي شكل من الأشكال، عن العلاقة التي قامت بين المصريين والعبرانيين خلال الاقامة الطويلة (٤٠٠ سنة) لهؤلاء في مصر، بينما تؤكد مختلف المصادر القديمة على حالة النفور والكراهية التي كانت قائمة بين الشعبين خلال هذه الفترة.

---

(٣٧) م.ن.ص.ن.

(٣٨) م.ن.ص.ن.

(٣٩) العهد القديم، تك ٤٧: ١ ـ ٦ ب.

(٤٠) م.ن. تك ٤٧: ٥ ب و٦ و١١. وارض رعمسيس هي ارض جاسان.

(٤١) م.ن. خر ١: ٨ ـ ١١.

أما بصدد عبادة العبرانيين للاله ست، فهو أمر غير ثابت، بل اننا نميل الى الاعتقاد بان المصريين هم الذين نسبوا الى العبرانيين عبادة هذا الاله «والحقوهم به» كما سبق ان مر معنا، ويؤكد ذلك ما ورد في التوراة من ان يعقوب أوصى، عند وفاته، بان يدفن مع آبائه، حيث دفن «ابراهيم وسارة امرأته»، وحيث دفن «اسحق ورفقة امرأته» وحيث دفنت «ليئة» احدى زوجاته في مغارة في «حقل المكفيلة» بارض كنعان، وقد نقل يوسف جثمان ابيه يعقوب من مصر الى أرض كنعان حيث دفنه في تلك المغارة تنفيذا لوصية ابيه[٤٢]، مما يشير الى ان يعقوب مات على دين ابيه اسحق وجده ابراهيم، ولم يذكر التاريخ، كما لم تذكر التوراة، بعد ذلك، شيئا عن هذا الشعب الذي ظل في مصر اربعة قرون بعد يعقوب.

وبما ان التوراة قد تحدثت، بالتفصيل، في سفري التكوين والخروج، عن يعقوب وقومه الذين دخل بهم الى مصر، ثم انتقلت، مباشرة، الى وفاته وجنازته، متغاضية تماما عن تبيان أوضاع العبرانيين وعلاقاتهم بالمصريين خلال اربعماية عام من اقامتهم بينهم، ثم انتقلت، بعد ذلك، الى الحديث عن اضطهاد فرعون للعبرانيين واقدامه الى تسخيرهم واستعبادهم، بسبب نموهم وتكاثرهم، متعمدة، ان تتخذ، من هذين النمو والتكاثر، سببا وحيدا لاضطهادهم، فاننا نجد في ذلك تبريرا غير كاف وغير مقنع، وان السبب الذي تغاضت التوراة عن ذكره وذكرته باقي المصادر، وهو حالة النفور والكراهية التي سادت بين الشعبين، كان السبب الجوهري والاساسي للاضطهاد.

ولن نفتش طويلا عن أسباب حالة النفور والكراهية التي قامت بين المصريين والعبرانيين في تلك الفترة ما دمنا نجد، في العهد القديم، وبعد مضي أكثر من ستة قرون على خروجهم من مصر، ما يشير الى سيل من العقد والامراض النفسية المتحكمة بذلك الشعب. هذا السيل من العقد والامراض الذي يلمسه، بوضوح بارز، كل قارئ للعهد القديم الذي بدأ أحبار بني اسرائيل يكتبونه في ديار السبي، في بابل، في القرن السادس قبل الميلاد.

لقد أدعى بنو اسرائيل، في هذا الكتاب، انهم شعب الله المختار، وان الرب، الههم، أورثهم أرضا طيبة تدر «لبنا حليبا وعسلا» هي «أرض الكنعانيين والحثيين والاموريين

(٤٢) م.ن. تك ٤٩: ٢٩-٣٢ وتك ٥٠.

والفرزيين والحويين واليبوسيين»[٤٣]. كل هذه الامم والشعوب يخضعها لهم، ويطردها من وجههم، «كل مكان تطأه اخامص أقدامكم، لكم أعطيته... من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير، نهر الفرات،..... والى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس، تكون أراضيكم، فلا يقف احد امامك طول حياتك.... لا أهملك ولا أتركك»[٤٤].

بهذا المنطق المتعالي، وبهذه العقلية المتعجرفة المريضة، يريد العبرانيون ان يخاطبوا العالم بأسره، مدعين انهم أسياد هذه الارض، أهلها خدم لها وعبيد، وذلك ببركة الرب الههم الذي أعطاهم «مدنا عظيمة حسنة» لم يبنوها، و«بيوتا مملوءة كل خير» لم يملأوها، و«آبارا محفورة» لم يحفروها و«كروما وزيتونا» لم يغرسوها[٤٥]. وهكذا، وبارادة الرب يهوه، رب الجند والمقاتلين الاسرائيليين، يبيح اليهودي احتلال ارض غيره وبيته وبئره وكرمه وزيتونه.

أمام هذه الاساطير الخرافية، يقف العقل الانساني متعجبا مندهشا، بل مذهولا: كيف يمكن للمرء ان يؤمن بأن هذا الكلام صادر عن اله؟

ومن هنا نبدأ بتقييم «العهد القديم» كتابا سماويا؟ منزّلا؟ دينيا؟ انسانيا؟ اخلاقيا؟

يكاد يجمع الباحثون، على ان كتب الشريعة الخمسة، الواردة في العهد القديم، وهي:

التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع، تختلف اختلافا يكاد يكون كليا عن التوراة التي أوحي بها الى موسى (عليه السلام)، الا انهم يجمعون، بالتأكيد، على ان ما بقي من العهد القديم (غير كتب الشريعة هذه) هو من تأليف أحبار اليهود الذين انكبوا على كتابته بدءا من زمن السبي البابلي (في القرن السادس قبل الميلاد) وحتى ثورة المكابيين (في القرن الثاني قبل الميلاد).

وسنورد، فيما يلي، شهادات تؤيد رأينا هذا، وهو ان التوراة التي بين أيدينا ليست بتوراة موسى، وانْ باقي أسفار العهد القديم هي من وضع أحبار اليهود.

---

(٤٣) م.ن. خر ٣: ١٧.

(٤٤) م.ن. يش ١: ٣ـ٥.

(٤٥) م.ن. تث ٦: ١٠ـ١١.

١ـ **القرآن الكريم**: وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تؤكد تحريف اليهود للتوراة، ومن هذه الآيات:

ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ، سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ . . .﴾ [المائدة٥ / ٤١]. وجاء في أسباب نزول هذه الآية ان رسول الله (صلعم) مر بيهودي «محمما مجلودا»، فسأل بعض اليهود: «أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم؟» فقالوا: نعم، فسأل السؤال نفسه رجلا من علمائهم (وردت «غلمانهم» في النيسابوري، ونعتقد انه خطأ مطبعي، والصحيح «علمائهم» كما وردت في السيوطي)، بعد ان ناشده الله «الذي أنزل التوراة على موسى (عليه السلام)»، فقال الرجل: «لا، ولولا انك نشدتني لم أخبرك. نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا اذا أخذنا الشريف تركناه، واذا اخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم»، فنزلت الآية(٤٦).

وقد تكرر هذا القول الكريم في آية أخرى حيث جاء: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ، لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ . . .﴾ [النساء٤ / ٤٦]. وجاء في أسباب النزول للسيوطي (على هامش القرآن الكريم) ان اليهود كانوا يحرّفون الكلام الذي أُنزل في التوراة من نعت النبي محمد (صلعم)، ويقولون للنبي الكريم اذا امرهم بشيء «سمعنا قولك وعصينا أمرك»، كما يقولون له «راعنا»، وهي «كلمة سبّ بلغتهم»، وكان الرسول الكريم «قد نهى عن خطابه بها». ثم انهم كانوا يلوون بألسنتهم عند قراءتهم للتوراة فيحرّفون كلماته ويغيّرون معانيها. ويذكر المؤرخ «كمال الصليبي» ان فئة من أحبار اليهود تدعى «المصوريتّين» أي «أهل التقليد» هي التي كانت تقوم بهذا العمل بدءا من القرن السادس حتى القرن العاشر الميلادي، وقد قام هؤلاء «بتحريف النصوص التوراتية عن طريق ادخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية... مما غيّر إعراب الجمل وحوّر المعاني». وقد رفض فريق آخر من أحبار اليهود يدعى «الربّانيين» عمل «المصوريتّين» هذا، الا انه قُبل به فيما

(٤٦) النيسابوري، ابو الحسن، اسباب النزول، ص ١٥٩. والسيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، ص ٨٠.

بعد «وأصبح النص التوراتي المصوريتّي المضبوط من التوراة هو النص المعتمد من اليهود»، كما قبل به المسيحيون ايضا واعتمدوه في ترجماتهم للعهد القديم، مع ان «علماء التوراة اليوم، بمن فيهم علماء اليهود، يعرفون تماما ان ضبط المصوريتّين للتوراة لم يكن صحيحا في مواقع كثيرة»، وان «محاولات التصحيح» التي أجراها علماء التوراة لم تفلح، حتى اليوم، باعادة تكوين التوراة تكوينا صحيحا، وذلك لان التحريف الذي جرى على النص التوراتي «أضخم بكثير مما يتصوره علماء التوراة»[٤٦ مكرر]. هذا ما يراه «الصليبي» من تحريف اليهود للتوراة، ولكن ما ورد في نصوص القرآن الكريم يؤكد ان التحريف قد تجاوز حدود «ليّ الالسنة» و«ادخال الحركات والضوابط» الى تغيير متعمد في الكلمات والعبارات، الى حدّ «اخفاء» كثير منها واستبدالها بسواها، كما سيتبين لنا فيما سنستعرضه من آيات كريمة.

ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه ، إِذ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ من شَيْء ، قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذي جَاءَ بِه مُوسَى نُوراً وَهُدَىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً . .﴾ [الانعام ٦/ ٩١]. وجاء في اسباب نزول هذه الآية ان اليهود سألوا رسول الله (صلعم): «يا محمد، أ أنزل الله عليك كتابا؟ قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا» فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤٧]. وورد في تفسير الجلالين ان اليهود كتبوا التوراة على قراطيس (اي في دفاتر مقطعة) لكي يخفوا ما يريدون اخفاءه منها، مثل نعت النبي محمد (صلعم).

ـ وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُم وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُم يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعْلَمُونَ﴾[البقرة ٢/ ٧٥]. وقد نزلت هذه الآية في أحبار اليهود الذين كانوا «يسمعون كلام الله في التوراة ثم يحرّفونه» أي يغيّرونه[٤٨]. وجاء في أسباب نزولها انها نزلت في السبعين رجلا، الذين اختارهم موسى (عليه السلام) «ليذهبوا

(٤٦ مكرر) الصليبي، كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص ١٥ ـ ١٦.

(٤٧) النيسابوري، م. ن. ص ١٧٩. وجاء في اسباب اخرى للنزول ان حبرا يهوديا بدينا «خاصم» النبي (اي جادله) فقال له النبي (صلعم): «أنشدك بالذي انزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين؟» فغضب اليهودي وقال: «والله ما انزل الله على بشر من شيء» فنزلت هذه الآية (النيسابوري، م. ن. ص. ن، والسيوطي، المصدر السابق، ص ٩٠).

(٤٨) تفسير الجلالين (جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي)، بهامش القرآن الكريم.

معه الى الله»، فلما عادوا أدّى الصادقون منهم ما سمعوا من كلام الله، وأما الآخرون فقالوا: «سمعنا الله، من لفظ كلامه، يقول: ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا، وان شئتم فلا تفعلوا ولا بأس». إلا ان اكثر المفسرين يرون ان هذه الآية نزلت في اليهود الذين غيّروا آية الرجم وصفة محمد(صلعم)(٤٩).

- وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ الله، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِم وَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة٢/ ٧٩]. وجاء في أسباب نزول هذه الآية انها نزلت في أحبار اليهود الذين غيّروا من صفات النبي (صلعم) كما وردت في التوراة، فقالوا ان التوراة وضعته «طويلا أزرق سبط الشعر» بينما ذكرت التوراة انه «أكحل أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه»، وقد قام أحبار اليهود بهذا التحريف في التوراة كي ينفوا صفة النبوة عن محمد (صلعم)(٥٠).

- وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[المائدة٥ / ١٣].

وجاء في تفسير هذه الآية للجلالين انها تعني اليهود الذين حرّفوا نعت النبي محمد (صلعم) في التوراة وغيّروه، كما انهم نسوا ما أمروا به في التوراة من اتّباع النبي محمد (صلعم)(٥١).

- وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَانْتُم تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران٣/ ٧١]. وجاء في تفسير هذه الآية للجلالين انها نزلت في اليهود الذين كانوا يخفون صفات النبي (صلعم) كما وردت في التوراة وهم يعلمون ذلك ويعلمون انها حق.

- وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيراً مِمَّا كُنْتُم تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِير، قَدْ جَاءَكُم مِنَ الله نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة٥/ ١٥]. وجاء في أسباب نزول هذه الآية انها نزلت في اليهود وكانوا قد أتوا الى النبي (صلعم) يسألونه عن الرجم، فسأل عن أعلمهم فدلوه على ابن صوريا، فناشده «بالذي أنزل التوراة على موسى

---

(٤٩) النيسابوري، المصدر السابق، ص٣٥.

(٥٠) النيسابوري، م. ن. ص ٣٤ والسيوطي م. ن. ص ١٠. والاعيَن: الذي عظم سواد عينيه في سعة (محيط المحيط).

(٥١) تفسير الجلالين، بهامش القرآن الكريم

والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم» فقال له ابن صوريا انه «لما كثر (الزنى) فينا، جلدنا مئة وحلقنا الرؤوس»(٥٢)، مخفيا، بذلك، الحكم الحقيقي للزنى، كما ورد في التوراة، فحكم الرسول عليهم بالرجم ونزلت الآية.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران٣ / ٧٨]. وجاء في تفسير هذه الآية، للجلالين، انها نزلت في اليهود، وخصوصا «كعب بن الاشرف»، حيث كانوا يلوون ألسنتهم عند قراءتهم للتوراة كي لا يفهم كلامهم ويحرّفون بقراءتهم، ما يريدون تحريفه منه، وخصوصا صفات النبي (صلعم)، فتحسبهم يقرأون الكتاب الذي أنزله الله وهم لا يقرأونه، ويقولون هذا من عند الله، وهم كاذبون.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران٣ / ٧٧]. وجاء في أسباب نزول هذه الآية انها نزلت في اليهود الذين أغراهم كعب بن الاشرف بالمال كي يشهدوا ان صفات النبي ليست هي التي وردت في التوراة قائلين انهم وجدوا النعت الوارد في كتابهم مخالفا لنعت محمد (صلعم)، فنزلت بهم الآية(٥٣). وذكر السيوطي انها نزلت في «حي بن أخطب وكعب بن الاشرف وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدّلوه وحلفوا انه من عند الله»(٥٤).

ويجمع المفسرون المسلمون على تأكيد وقوع التحريف، في التوراة الا انهم يختلفون في معنى هذا التحريف ومداه، فمنهم من يرى ان التحريف والتبديل تمّا في التأويل لا في النص، ومن هؤلاء البخاري والرازي وابن كثير. ومنهم من يرى ان التحريف والتبديل قد أصابا «جملا قليلة وألفاظا يسيرة»، ولكن أكثره ظل كما أنزل على موسى (عليه السلام). وآخرون يرون ان معظم التوراة التي أنزلت على موسى قد حرف وبدل بشكل اساسي بحيث لم يبق منها الا النزر اليسير، ومن هؤلاء: ابن حزم الاندلسي والامام الغزالي،

(٥٢) السيوطي، المصدر السابق، ص ٧٨.

(٥٣) النيسابوري، المصدر السابق، ص ٩٦. ولا خَلاق لهم: لا نصيب لهم.

(٥٤) السيوطي، المصدر السابق، ص ٤٣.

والامام الشافعي، وابن قيّم الجوزية، وابن تيميّة وغيرهم[٥٥]. ويرى بعض العلماء ان التحريف قد تم، في معظمه، بالتبديل او الزيادة او النقصان، او بتغيير المعنى (في التفسير) دون تغيير اللفظ[٥٦]، مما أدى الى ضياع التوراة الاصلية، اذ طغى عليها التحريف والتبديل لفظا ومضمونا ومعنى، وخضعت للكثير من أهواء النسّاخ والمؤلفين وأذواقهم ومآربهم وميولهم. ويكفي ان نذكر ما طرأ على آخر أسفار التوراة (تثنية الاشتراع) من زيادة وتعديل، حتى ندرك جسامة هذا التحريف ومداه، فنحن نقرأ فيه تفاصيل عن وفاة موسى، وما كان لموسى ان يتحدث عن تفاصيل وفاته، كما نرى في أسفار التوراة كلها، ان الحديث يجري على لسان موسى (وكلم الرب موسى، وقال الرب لموسى، وتقدم الى موسى، وخرج موسى وبركات موسى، ونشيد موسى، الخ.....) وليس بلسان موسى نفسه، مما يؤكد ان موسى ليس هو المتكلم، وبالتالي ليس هو واضع هذه الاسفار.

ثانيا: الكتاب المقدس:

يعرّف محققو الكتاب المقدس (العهد القديم) في ما سمي «بمدخل الى الكتاب المقدس» والذي نقلته «الرهبانية اليسوعية من الترجمة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدس»[٥٧]، هذا الكتاب (العهد القديم) بانه «مجموعة كتب مختلفة جدا» يمتد زمن وضعها «على أكثر من عشرة قرون، وتنسب الى عشرات من المؤلفين المختلفين»، وقد وضع «بعضها بالعبرية، مع بعض المقاطع بالآرامية، وبعضها الآخر باليونانية» وتشتمل على مختلف الفنون الادبية «كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والوعظ والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة»[٥٨]. أما واضعوه فهم عبارة عن «أناس مقتنعين بان الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكانا في التاريخ بتشريعه ومبادئه في الحياة الفردية والجماعية»[٥٩]. فالقضية، اذن، قضية قناعة من أناس يدّعون ان «الله دعاهم لتكوين شعب» وليست قضية

---

(٥٥) البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص ١١٨ـ١١٩.

(٥٦) م.ن.ص ١٢٠.

(٥٧) البار، المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٥٨) الكتاب المقدس، العهد القديم، ص ٢٩.

(٥٩) م.ن.ص.ن.

وحي منزل ولا قضية أناس ملهمين. انها مسألة تأليف بشري لنصوص سطرت فيها القناعات الشخصية لهؤلاء المؤلفين «بدعوة من الله» كما يدّعون.

وكان محققو العهد القديم أكثر صراحة ووضوحا في التعبير عن قناعاتهم عندما قالوا ان اسفار الكتاب المقدس «عمل مؤلفين ومحررين عرفوا بانهم لسان حال الله في وسط شعبهم، ظل عدد كبير منهم مجهولا»، وان «معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة»[٦٠]. ويذكر هؤلاء المحققون ان هذه الاسفار لم توضع في صيغتها النهائية الا بعد ان «انتشرت زمنا طويلا بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القرّاء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل اعادة صيغة بعض النصوص الى حد هام او قليل الاهمية». وأكثر من ذلك، فان أحدث الاسفار «ما هي، أحيانا، الا تفسير وتحديث لكتب قديمة»[٦١]. غير منزلة ولا سماوية ولا دينية طبعا، وهو ما يؤكد، بلا أدنى شك، ان معظم ما جاء في هذه الاسفار لا علاقة له، من قريب او بعيد، بالسماء.

ويذكر هؤلاء المحققون ان أسفار الشريعة الخمسة، او «التوراة»، تحتوي «من جهة على روايات وتقاليد قصصية، ومن جهة اخرى على شرائع بحصر المعنى، وتقاليد اشتراعية أثرت في مراحل تكوين شعب اسرائيل وأمّنت بنيته»[٦٢]، فهي تبدو، اذن «بشكل تاريخ وعقيدة في آن واحد، لا بشكل مقالة في العقيدة»[٦٣]. الا انه، وان كانت شرائع التوراة تعبّر، الى حد كبير، عن شريعة موسى، رغم ما أدخل عليها من تعديلات واضافات وفقا لاهواء المؤلفين، فان الروايات والقصص التي وردت في أسفار هذه التوراة تبدو أقرب الى الاساطير الخرافية منها الى الحقائق التاريخية العلمية.

ثالثا: سبينوزا:

لقد اكتسبت آراء الفيلسوف الهولندي «باروخ دي سبينوزا Baruch de Spinoza» (١٦٣٢ـ ١٦٧٧)، في التوراة خصوصا، والعهد القديم عموما، أهمية خاصة لدى الباحثين

(٦٠) م.ن. ص ٣٠.

(٦١) م.ن. ص.ن.

(٦٢) م.ن. ص ٥٩.

(٦٣) م.ن. ص ٦٢.

والمفكرين في كل الاوساط العالمية، وذلك لما تضمنته من صراحة وجرأة نادرتين في نقد الفكر الديني العبراني.

يرى سبينوزا [٦٤] ان الظواهر المعجزات التي رواها العهد القديم ليست خروجا على الطبيعة، بل انها خليط من خيال الرواة وحوادث الطبيعة، ويتساءل عما اذا كان ممكنا حدوث شيء ما يناقض قوانين الطبيعة، ولكنه ينفي ذلك قائلا انه «لا جديد يحدث في الطبيعة» وانه يتبين «بأعظم قدر من الوضوح، ان المعجزات كانت ظواهر طبيعية، وبالتالي يجب تفسيرها بحيث لا تبدو جديدة... او مناقضة للطبيعة، بل يجب ان نفسرها مبينين، بقدر ما نستطيع، اتفاقها التام مع سائر الاشياء». وعلى هذا الاساس، يحاول سبينوزا ان يفسر ما ورد في العهد القديم من معجزات مثل شق البحر بعصا موسى، والضربات العشر، وتوقيف الشمس في كبد السماء، بانها احداث طبيعية ليس فيها شيء من الاعجاز، وان شق البحر، مثلا، حصل على يد الاسكندر المقدوني كما حصل على يد موسى، فهل يجب اعتبار الاسكندر نبيا، اذن؟. وهكذا يحاول سبينوزا ان يجرّد العهد القديم، ولا سيما التوراة، من خصوصية مهمة ترفعه الى مرتبة القداسة، وهي اعتماد المعجزة، الى حد كبير، لاثبات نبوة موسى (عليه السلام).

انطلاقا من هذه النظرية، يرى سبينوزا ان «القاعدة العامة» التي يجب اعتمادها لتفسير الكتاب المقدس هي ان «لا ننسب اليه أية تعاليم سوى تلك التي يثبت الفحص التاريخي، بوضوح تام، انه قال بها» [٦٥]، يعني ان تكون علمية البراهين التاريخية هي الاساس في تفسير الكتاب المقدس وتصديق روايته. ويحدد سبينوزا الطريقة التي يجب ان يتم بها هذا «الفحص التاريخي»، وهي كناية عن مجموعة من الاسئلة يجب طرحها قبل اتخاذ القرار النهائي بمصداقية الكتاب، وهي:

- «سيرة مؤلف كل كتاب واخلاقه والغاية التي كان يرمي اليها، ومن هو، وفي أية مناسبة كتب كتابه، وفي أي وقت، ولمن، وبأية لغة كتبه؟

- «الظروف الخاصة بكل كتاب على حدة: كيف جمع أولا، وما الايدي التي تناولته، وكم نسخة مختلفة معروفة من النص، ومن الذين قرروا ادراجه في الكتاب المقدس؟

---

(٦٤) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩، وانظر م. ن. ص ٢٣٠ ـ ٢٤٠.

(٦٥) م. ن. ص ٢٤٤.

- «وأخيرا، كيف جمعت جميع الكتب المقننة في مجموعة واحدة؟»[٦٦].

ويرى سبينوزا انه لا بد من قرار حاسم بان «لا نسلم بشيء لا يخضع لهذا الفحص أولا يستخلص منه، بوضوح تام، على انه عقيدة مؤكدة للانبياء»، وعندها، وبعد ان ننتهي من فحص الكتاب على هذا الاساس، نعمد الى «دراسة فكر الانبياء والروح القدس»[٦٧] لكي نصل الى النتيجة المنطقية التي نصنّف، على أساسها، الكتاب بين الكتب المقدسة او نرفض تصنيفه بينها.

وعلى هذا الاساس، ينتقل سبينوزا الى التحقيق في أسفار العهد القديم، والتحقق من «قدسيتها»، فيقرر اننا «نجهل تماما مؤلفي كثير من هذه الاسفار، او نجهل الاشخاص الذين كتبوها... او نشك فيهم»، كما اننا «لا ندري في أية مناسبة وفي أي زمان كتبت هذه الاسفار التي نجهل مؤلفيها الحقيقيين، ولا نعلم في أي أيدي وقعت، وممن جاءت المخطوطات الاصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولا نعلم، اخيرا، اذا كانت هناك نسخ كثيرة اخرى في مخطوطات من مصدر آخر»[٦٨]. اضافة الى ذلك، فنحن «لا نملك هذه الاسفار في لغتها الاصلية، أي في لغة كاتبها» مما يزيد من صعوبة تفسيرنا لها تفسيرا صحيحا[٦٩].

ويرى سبينوزا ان المعلومات التاريخية، عن الكتاب المقدس، «ناقصة، بل وكاذبة»، وان الاسس التي تقوم عليها معرفة هذا الكتاب «غير كافية، ليس فقط من حيث الكم» بحيث لا نستطيع ان نقيِّمها بشكل صحيح، «بل انها، ايضا، معيبة من حيث الكيف»، ولكن الناس المتشبثين بآرائهم الدينية يرفضون «ان يصحح أحدٌ آراءهم» هذه، بل انهم «يدافعون بعناد» عن هذه الآراء، مهما كانت مغلوطة ومشوشة، كما يدافعون عن «الاحكام المسبقة... التي يتمسكون بها باسم الدين». وهكذا، لم يعد العقل مقبولا «الا عند عدد قليل نسبيا»[٧٠].

---

(٦٦) م.ن. ص ٢٤٦. والكتب المقننة canonique، هي الكتب التي اعترفت بها الكنيسة رسميا، في القرن الرابع الميلادي، على انها كتب مقدسة (م.ن. ص.ن. حاشية ٤).

(٦٧) م.ن. ص.ن.

(٦٨) م.ن. ص ٢٥٥.

(٦٩) م.ن. ص. ٢٥٦.

(٧٠) م.ن. ص ٢٦٥.

واستنادا الى هذه النظريات، يثير سبينوزا تساؤلات مهمة حول أسفار العهد القديم عموما، وأسفار التوراة خصوصا، ثم يقرر ما يلي، معتمدا في تقريره على (ابن عزرا): «ان موسى ليس هو مؤلف الاسفار الخمسة (التوراة) بل ان مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وان موسى كتب سفراً مختلفا»[٧١].

ولتأكيد تقريره هذا، يقدم سبينوزا البراهين التالية:

١- «لم يكتب موسى مقدمة التثنية لانه لم يعبر الاردن».

٢- «كان سفر موسى، في حجمه، أقل بكثير من الاسفار الخمسة» (كتب السفر كله على حافة مذبح واحد، وفقا لما جاء في التثنية ٢٧ ويشوع ٨: ٣٢).

٣- ورد في سفر التثنية (٣١ : ٩) ان موسى كتب هذه التوراة (او هذه الشريعة)، «ويستحيل ان يكون موسى قد قال ذلك، بل لا بد من ان يكون قائلها كاتبا آخر يروي اقوال موسى وأعماله».

٤- عندما يتحدث الراوي، في سفر التكوين (الاصحاح ١٢)، عن رحلة ابراهيم في أرض كنعان، يقول:

«والكنعانيون حينئذ في الارض» مما يدل على انهم، اي الكنعانيين، لم يكونوا في هذه الارض عندما كتب هذا الكلام، مما يعني ان هذا الكلام قد كتب «بعد موسى، وبعد ان طرد الكنعانيون ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق»، وبالتالي، فان الراوي «لم يكن موسى، لان الكنعانيين، في زمان موسى، كانوا لا يزالون يملكون هذه الارض».

٥- ورد في سفر التكوين (٢٢ : ١٤) ان «جبل موريا سمي جبل الله» الا ان ذلك الجبل لم يحمل هذا الاسم «الا بعد الشروع في بناء المعبد»[*]. ويستطرد سبينوزا: «والواقع ان موسى لا يشير الى أي مكان اختاره الله، بل انه تنبأ بان الله سيختار، بعد ذلك، مكاناً سيطلق عليه اسم الله».

٦- ورد في سفر التثنية (٣ :١١) عبارة خاصة بعوج ملك باشان: «وعوج هذا هو، وحده، بقي من الرفائيين، وسريره سرير من حديد، أوليس هو في ربة بني عمّون؟ طوله

---

(٧١) م. ن. ص. ٢٦٦.

(*) ورد في نسخة الكتاب المقدس، العهد القديم، طبعة الرهبانية اليسوعية الصادرة عن جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٨، والتي بين ايدينا، وفي سفر التكوين (٢٢ : ١٤): «وسمى ابراهيم ذلك المكان: الرب يرى. ولذلك يقال اليوم: «وفي الجبل، الرب يرى» والمقصود بالجبل: جبل موريا.

تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع الرجل؟»، وتدل هذه الاضافة «بوضوح تام، على ان من كتب هذه الاسفار عاش بعد موسى بمدة طويلة.... وفضلا عن ذلك، فلا شك في انه لم يعثر على هذا السرير الحديدي الا في عصر داود الذي استولى على الرباط (ربة عمّون) كما يروي صموئيل الثاني (١٢ : ٣٠)»[٧٢].

٧ـ تتحدث التوراة، في أسفارها (ما عدا التكوين)، عن موسى «بضمير الغائب» (وقد سبق ان أشرنا بدورنا الى ذلك ـ المؤلف)، فتقول، مثلا : قال موسى لله وذهب موسى، وكلم الرب موسى، ودعا الرب موسى، وغضب موسى على ضباط الجيش، الخ.... (ونجد ذلك بكثرة في الاسفار الاربعة من التوراة: الخروج والاحبار والعدد والتثنية)، بينما يرى، احيانا، وفي سفر التثنية، ان موسى يتحدث بنفسه، وبضمير المتكلم، وذلك بعد ان يقدمه الراوي قائلا: «هذا هو الكلام الذي كلم الله به موسى كل اسرائيل في عبر الاردن» (تث ١٨ : ١)، ثم يستطرد: «شرع موسى في شرح هذه الشريعة فقال: «ألرب الهنا.... قلت لكم.... ثم رحلنا.... فاجبتموني.... كما أمرني الرب..... ثم كلمني الرب...... فأرسلت رسلا.... ثم تحولنا.... وأمرتكم.... الخ....» وظل موسى يتكلم بنفسه، كما قدمه الراوي، طيلة الخطاب الاول من السفر المذكور (تث ٤ : ٣٩)، حيث عاد الراوي الى الكلام عن موسى بضمير الغائب: «حينئذ أفرد موسى ثلاث مدن...» (تث٤ : ٤١). وبدأ الراوي خطاب موسى الثاني بقوله: «هذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني اسرائيل» (تث ٤ : ٤٤)، فكانت: الوصايا العشر (تث ٥ ـ تث ١٢) ثم مجموعة الفرائض والاحكام (تث ١٢ ـ تث ٢٦)، وقد صيغت كلها بضمير المتكلم، حتى اذا وصل الراوي الى خطاب الخاتمة الذي هو نهاية الخطاب الثاني (تث ٢٧ ـ تث ٢٨)، عاد ليتحدث عن موسى بضمير الغائب، الى ان يصل الى أعمال موسى الاخيرة ووفاته، حتى آخر السفر. ويرى سبينوزا، كما نرى بدورنا، ان بعض سفر التثنية، وليس كله، هو الذي يمكن نسبته الى موسى، وان الراوي هو الذي نقل كلام موسى وليس موسى نفسه الذي تحدث مباشرة، وان طريقة الكلام والشواهد، ومجموع نصوص القصة كلها، يدعو الى الاعتقاد بان موسى لم يكتب هذه الاسفار، بل كتبها شخص آخر[٧٣].

---

(٧٢) م.ن.ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

(٧٣) م.ن. ص ٢٦٩، ونود ان نشير هنا الى اننا تصرفنا في شرح هذه النقطة دون التقيد بما أورده سبينوزا من أمثلة (انظر سفر تثنية الاشتراع في الكتاب المقدس، العهد القديم الذي اعتمدناه، وقد سبق ان أشرنا اليه).

٨ ـ بالاضافة الى ان سفر التثنية قد روى قصة وفاة موسى ودفنه، وهي قصة لا بد من ان تكون خارجة عن نطاق أعمال موسى في هذا السفر (كما سبق ان أشرنا في مكان آخر ـ المؤلف ـ) فان الراوي يرى ان موسى فاق من جاء بعده من الانبياء في بني اسرائيل، اذ يقول: «ولم يقم من بعد في اسرائيل نبي كموسى الذي عرفه الرب وجها لوجه» (تث ٣٤ : ١٠) مما يؤكد، بلا أدنى شك، ان صاحب الكلام هو غير موسى بالطبع.

٩ ـ وردت في اسفار التوراة اسماء اطلقت على أمكنة لم تعرف بها في عهد موسى، بل عرفت بعده بزمن طويل، مثل ما ورد في سفر التكوين بان ابراهيم «جد في أثرهم (أي في أثر الاعداء) حتى دان» (تك ١٤ : ١٤). ولم تحمل «دان» هذا الاسم الا بعد موت يشوع بمدة طويلة، كما ورد في سفر القضاة[٧٤].

١٠ ـ كثيرا ما يتجاوز الراوي، في رواياته في أسفار التوراة، حياة موسى، كأن يروي، في سفر الخروج (١٦ :٣٥) ان بني اسرائيل أكلوا «المنّ أربعين سنة، الى ان وصلوا الى ارض عامرة، أكلو المن الى حين وصلوا الى أرض كنعان «حيث» انقطع المن من الغد، منذ أكلوا من غلة الارض» (يش ٥ : ١٢)، ومعلوم ان موسى قد مات قبل دخول العبرانيين الى أرض كنعان وأكلهم من غلتها. او ان يروي، في سفر التكوين (٣٦ : ٣١) عن «هؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم، قبل ان يملك ملك في بني اسرائيل»، اذ يتحدث الراوي «عن الملوك الذين كانوا يحكمون الادوميين قبل ان يخضعهم داود لحكمه «حيث جعل داود» في «أدوم محافظين، وصار جميع الادوميين رعايا لداود» (٢صم٨: ١٤)، مما يؤكد ان الراوي في هذا السفر قد عاش بعد داود[٧٥].

بعد كل ما تقدم، يصل سبينوزا (ونشاركه في ذلك) الى الاستنتاجات التالية:

١ـ من الواضح «وضوح النهار، ان موسى لم يكتب الاسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة»، وان كان موسى قد كتب بعضها مثل: سفر

---

(٧٤) م. ن. ص ٢٧٠ وقد جاء في سفر القضاة (١٨ : ٢٩): «وسموا المدينة دان، باسم دان ابيهم الذي ولد لاسرائيل، وكان اسم المدينة قبل ذلك، لاييش».

(٧٥) م. ن. ص. ٢٧٠ ـ ٢٧١.

حروب الرب، وسفر العهد، وسفر توراة الله، التي ورد ذكرها في أسفار التوراة (في سفر العدد وسفر الخروج وسفر التثنية)[٧٦].

٢ـ ليس لدينا أي سفر «يحتوي، في الوقت نفسه، على عهد موسى وعهد يشوع»، مما يدل على ان سفر «توراة الله» قد فقد، ونستنتج، بالتالي، من ذلك، ان هذا السفر «لم يكن من الاسفار الخمسة (التي تؤلف التوراة حاليا) بل كان سفرا مختلفا كلياً، أدخله مؤلف الاسفار الخمسة في سفره، في المكان الذي ارتآه».

٣ـ يبدو انه «من بين جميع الاسفار التي كتبها موسى»، لم يأمر بالمحافظة، دينيا، الا على سفر واحد هو سفر العهد الثاني[٧٧] الذي هو «التوراة الصغير والنشيد».

٤ـ ليس من الثابت ان موسى قد كتب غير هذه الاسفار التي سبق ذكرها، «ولما كانت توجد نصوص كثيرة، في الاسفار الخمسة، لا يمكن ان يكون موسى كاتبها، فان احداً لا يستطيع ان يؤكد، عن حق، ان موسى هو مؤلف هذه الاسفار الخمسة، بل على العكس، يكذب العقل هذه النسبة».

٥ـ حتى لو أننا سلمنا بانه «مما يبدو متفقا مع العقل ان يكون موسى قد كتب الشرائع في نفس الوقت وفي نفس المكان الذي أوحيت اليه فيه» يقول سبينوزا: «فاني، مع ذلك، انكر امكان تأكيد ذلك» لسبب هو اننا «لا ينبغي ان نسلّم، في مثل هذه الحالات، الا بما يثبته ذلك الكتاب نفسه، او ما يستنبط كنتيجة مشروعة من الاسس التي يقوم عليها، اذ ان الاتفاق الظاهر مع العقل ليس دليلا، وأضيف ان العقل لا يضطرنا الى التسليم بهذا»[٧٨].

---

(٧٦) م. ن. ص. ٢٧١، ويشير سبينوزا، في ذلك، الى ان موسى كتب، بامر من الرب، عن الحرب ضد العمالقة اذ قال الرب له: «اكتب هذا ذكرا في كتاب» (خر١٧: ١٤)، كما يشير الى سفر يسمى «حروب الرب» ورد ذكره في سفر العدد حيث جاء: «ولذلك يقال في كتاب حروب الرب» (عد ٢١: ١٤)، والى سفر آخر يسمى «سفر العهد» ورد ذكره في سفر الخروج، حيث جاء «وأخذ كتاب العهد فتلا على مسامع الشعب فقال: ....» (خر ٢٤: ٧)، والى سفر ثالث يسمى «توراة الله» ورد ذكره في سفر التثنية حيث جاء: «وكتب موسى هذه الشريعة وسلمها الى الكهنة بني لاوي.... وسائر شيوخ اسرائيل» (تث ٣١: ٩). ثم «أضاف اليه يشوع، بعد ذلك بمدة طويلة، رواية العهد الذي قطعه الشعب (بنو اسرائيل) على نفسه من جديد، في أيامه» (م. ن. ص ٢٧٢). حيث جاء في سفر يشوع (٢٤: ٢٥ ـ ٢٦): «فقطع يشوع للشعب عهدا في ذلك اليوم، جعل لهم فريضة وحكما في شكيم، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله».

(٧٧) ورد ذكر سفر العهد الثاني في «تثنية الاشتراع»، حيث جاء: «يقطع الرب الهك العهد معك اليوم....» حتى «على حسب جميع لعنات العهد المكتوبة في سفر هذه الشريعة» (تث ٢٩: ١١ـ ٢٠). (انظر النص بكامله في سفر تثنية الاشتراع).

(٧٨) م. ن. ص ٢٧٣.

ويتابع سبينوزا، فيما تبقى من كتابه، تقديم براهين مماثلة لاثبات ان الاسفار المتبقية من العهد القديم (يشوع والقضاة وصموئيل والملوك الخ...) لم يكتبها من سميت باسمائهم (مثل يشوع وصموئيل مثلا)، انما يبدو، من تسلسلها ومحتواها، ان كاتبها «مؤرخ واحد أراد ان يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الاولى حتى هدم المدينة لاول مرة»، وربما يكون عزرا(٧٩).

رابعا: الكنيستان الارثوذكسية والكاثوليكية:

يعرض الدكتور «محمد علي البار» في كتابه «المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم» رسالة من الدكتور «صبري جوهرة» الذي يصفه بانه «زميل وصديق قديم... من أقباط مصر.... يعمل جراحا في الولايات المتحدة، وله ثقافة واسعة، وخاصة في أمور العقيدة القبطية»، كما يصف الرسالة بانها ملخص موقف الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية «تلخيصا جيدا». وقد جاء في الرسالة ان الله (عز وجل) قد سمح للانسان (وهو، في هذه الحالة، كاتب السفر) ان يضع «كل احساساته وميوله في النصوص، ما دام ذلك لا يغيّر ما قصده الله من معاني السِّفر الاخلاقية والدينية»، وعلى هذا الاساس «تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية» ذلك ان الغاية منه هي ان «يعلّم الدين والاخلاق، ويساعد على الوصول الى طريق الصلاح والسعادة»، ومن هنا، فان كل من يتمسك بحرفيته «كمصدر آخر غير الاخلاق والدين» لا بد من ان يبتعد به عن غايته الاصلية، ويحيد عن الفهم الصحيح للغرض الديني والاخلاقي للكتاب.

ونرى المسيحية، كما يشرع الدكتور جوهرة في رسالته، ان الكتاب المقدس هو «عمل مشترك بين الله والانسان، وضع فيه كلاهما ما يريد» بحيث جاءت النتائج وهي تعكس «كما قال الله في صحة تعاليم الاخلاق وعلاقات البشر بعضهم ببعض» كما تعكس «عدم كمال الانسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة، وأحيانا مضحكة»، وأما ما يقال عن «التحريف المتعمد او غيره، فالكنيسة لا تعتقد بحدوثه»، كما انها «لا تعترف بتحريف وتغيير المعاني الاصلية». ويرى الدكتور جوهرة ان مزامير داود «منقولة حرفيا... وبدون تصرف، من اناشيد آخناتون» أول فرعون اعتمد ديانة التوحيد في مصر(٨٠).

---

(٧٩) م. ن. ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧.

(٨٠) البار، المرجع السابق، ص ١٥٢ ـ ١٥٤

ونحن اذ ننقل، حرفيا، بعض ما ورد في رسالة الدكتور جوهرة للدكتور البار، باعتبار ان الاول مسيحي قبطي مثقف في أمور اللاهوت، نحرص على ان لا نعلّق على ما ورد في هذه الرسالة، تاركين للمراجع اللاهوتية المسيحية (الارثوذكسية والكاثوليكية) مناقشته ان ارتأت ذلك.

خامسا: شهادات اخرى:

١ـ ترى «الموسوعة البريطانية» ان مؤلفي أسفار «العهد القديم» مجهولون، وليس معروفا ان كان جمعها قد تم، «على يد أفراد او جماعات»، وانها كتبت «باللغة العبرية فقط، عدا بعض المقاطع القصيرة النادرة التي دونت باللغة الآرامية»، الا ان الجماعة اليهودية عمدت، لاسباب فقهية، الى ترجمة التوراة (او الاسفار الخمسة) من العبرية الى الآرامية، و«قد ضاعت المخطوطات العبرية الاصلية، ولم يصلنا سوى الترجمات».

وفي القرن الثالث الميلادي، قام الفقهاء اليهود بترجمة الشريعة العبرية الى اليونانية فيما يعرف «بالترجمة السبعينية» ثم أدى انتشار المسيحية الى ترجمة نصوص الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) في مختلف اللغات[٨١].

وترى الموسوعة البريطانية، بحسب روايات العهد القديم، ان موسى «احتفظ بصحف مكتوبة» (خر ١٧: ١٤ وخر ٢٤: ٤ وخر ٣٤: ٢٧ـ٢٨ وعد ٣٣: ٢ وتث ٣١: ٩و ٢٤ ـ ٢٦)، وانه «حتى مع التوسع في تقدير هذه الصحف، فانها لا تبلغ أكثر من خمس (١/٥) الاسفار الخمسة، وهكذا يكون الادعاء التقليدي بان موسى هو مؤلف الاسفار الخمسة ادعاء غير قابل للثبات وغير مدافع عنه». كما ترى هذه الموسوعة ان موسى «وضع الوصايا العشر، وكان وسيطا للعهد (مع الرب)، وبدأ عملية اصدار فتاوى اضافها الى بنود العهد، وجمعها وتصنيفها»، وانه «دوّن، ولا شك، بعض الصحف التي استخدمت اساسا لمجموعة متزايدة من القوانين والتقاليد». ورغم ذلك، فهي ترى انه «يمكن وصف الاسفار الخمسة الاولى من الكتاب المقدس العبري (العهد القديم) بانها موسوية»، ذلك انه، بدونها «لم يكن هناك وجود لاسرائيل، ولا لمجموعة تعرف بالتوراة»[٨٢].

---

(٨١) Encyclopaedia Britannica, T2, PP. 194 - 196 (Bible)

(٨٢) Ibid, T 24, P. 374 (Moses)

أما الوسائل التي أتاحت للباحثين تمييز المصادر الاساسية للاسفار الخمسة وتحديد تسلسلها الزمني فهي: اليهوية (نسبة للرب باسم يهوه)، والالوهية (نسبة للرب باسم ألوهيم)، والتثنوية، والكهنوتية. وقد تم، بعد ذلك، اكتشاف مصادر اخرى للعهد القديم، منها كتابان من الادب العبري القديم مفقودان اليوم ويحتويان، في أجزاء منهما، القصص الاولى، وهذان الكتابان هما: كتاب حروب يهوه وكتاب «ياشار» (العادل)، وقد كتبا بلغة شعرية[٨٣].

٢ـ وترى الموسوعة الفرنسية «كييه Quillet» ان اقدم نص كامل للعهد القديم بالعبرية، يعود تاريخه الى العام ٩٥٠م، ولم يصلنا منه، قبل ذلك، سوى نتف قليلة «باستثناء مخطوطات صحراء اليهودية التي تعود، عادة، الى القرن الثاني ق. م. والتي تعود الى كل اسفار العهد القديم، باستثناء سفر استير».

وقد كتبت معظم اسفار العهد القديم باللغة العبرية (اللغة السامية التي استخدمت في فلسطين حتى القرن السادس ق. م.)، بينما كان هناك بعض أقسام من الاسفار باللغة الآرامية (اللغة الدولية المتداولة في آسيا القديمة، والتي استخدمها اليهود منذ سبيهم الى بابل)، كما ان آخر سفر من العهد القديم، وهو سفر الحكمة، قد كتبت باللغة اليونانية[٨٤].

«ووفقا للمفهوم المسيحي، تعتبر التوراة حصيلة تعاون بين الله والانسان، فالله هو المؤلف الحقيقي، لانه هو الذي أوحى للكاتب وتكشّف له، ولكن الكاتب، هو ايضا، المؤلف، كليا، للكتاب الذي كتبه، لانه وضع فيه كل شخصيته. وينتسب مؤلفو التوراة الى العصور القديمة، السامية والهلينية، لذا، نراهم يستخدمون عدة أشكال للتعبير الادبي ليس مألوفا لدينا»، وعلى هذا، فاننا نجد، مثلا، في الفصلين الاولين من سفر التكوين «فكرا لاهوتيا، مع مجموعة من التقاليد الشعبية، في الوقت نفسه»[٨٥].

وفي كل حال، فان مؤلف التوراة «لم يكن ينوي، في أي وقت، ان يعلّم العلوم، ولكن، بما انه ينتمي الى عصر محدد، فهو يستخدم علوم ذلك العصر ومعارفه، وحتى أساطيره

(٨٣) Ibid, T 2, P. 194 (Bible)

(٨٤) Encyclopédie Quillet; P. 723. (Bible).

(٨٥) Ibid, P. 724 M Bible

وفنونه الشعبية»، وهكذا، فان التوراة تاريخ «لتقدم بطيء، في المجالين الاخلاقي والروحي، لشعب الله، هذا التقدم الذي هو اليوم، بالنسبة الى المسيحيين، مستمر في الكنيسة»[٨٦].

ويرى الباحث «موريس بوكاي» ان «اليهودية والمسيحية» ظلتا «خلال قرون طويلة» تقولان بان مؤلف التوراة «هو موسى نفسه»، وربما كان ذلك بسبب ما ورد في سفر الخروج (١٧ـ ١٤) والعدد (٣٣ : ٢) والتثنية (٣١ : ٩) من ان الله أمر موسى بان يكتب.

ومنذ القرن الاول قبل الميلاد، كان هناك دفاع عن النظرية القائلة بان موسى هو كاتب الاسفار الخمسة للتوراة، ولكن هذه النظرية سقطت اليوم ولم تعد قائمة، رغم ان «العهد القديم» ينسب الى موسى «أبوّة» هذه الاسفار.

ويستند «بوكاي» في حججه لدعم النظرية القائلة بان موسى ليس مؤلف التوراة، على تلك التي يقدمها الاب ديڤو De Vaux (مدير المدرسة التوراتية في القدس) الذي يرى ما يلي:

«يذكر الاب ديڤو ان التقليد اليهودي الذي التزم به المسيح والحواريون ظل مقبولا حتى القرون الوسطى، وكان بن عزرا، في القرن الثاني عشر(م)، هو المعارض الوحيد لهذه النظرية. وفي القرن السادس عشر(م)، لاحظ (كارلستادت Karlstadt) ان موسى لم يستطع كتابة قصة موته في سفر التثنية (٣٤ : ٥ ـ ١٢). وعدّد كارلستادت، كذلك، انتقادات اخرى ترفض نسبة قسم من الاسفار الخمسة الى موسى، وخصوصا كتاب ريشارد سيمون Richard Simon «التاريخ النقدي للعهد القديم Histoire critique du vieux testament (عام ١٦٧٨) الذي يبين الصعوبات التأريخية والتكرار وفوضى الروايات والاختلاف في الاسلوب، في هذه الاسفار»، ومع ذلك، «لم يؤخذ بحجج ريشارد سيمون قط، وظلت كتب التاريخ ترجع، حتى مطلع القرن الثامن عشر، الى المراجع السحيقة القدم» لتتحدث عن «ما كتبه موسى».

وكان من الصعب جدا الغاء هذه النظرية التي يدعمها «المسيح نفسه» في «العهد الجديد».

---

(٨٦) Ibid.

وفي العام ١٧٥٣، صدر كتاب «لجان استروك Jaen Astruc» الطبيب الخاص للملك لويس الخامس عشر، وضع «الحجة الحاسمة» لالغاء هذه النظرية، اذ اثبت هذا الكتاب ان سفر «التكوين» متعدد المصادر.

وفي عام ١٨٥٤، برزت نظرية تقول بان للتوراة أربعة مصادر هي: الوثائق اليهوية والوثائق الإلوهية والتثنية، والقانون الكهنوتي. وقد حددت أزمنة هذه المصادر كما يلي:

« ١ـ تعود الوثائق اليهوية الى القرن التاسع قبل الميلاد، وقد كتبت في مملكة يهوذا.

«٢ـ وتعود وثائق الإلوهية الى زمن اقرب، وقد كتبت في مملكة اسرائيل.

«٣ـ وتعود التثنية الى القرن الثامن قبل الميلاد عند بعضهم (ادمون جاكوب E. Jacob) او الى عهد يوشيا في القرن السابع قبل الميلاد، عند بعضهم الآخر (ديفو).

«٤ـ ويعود القانون الكهنوتي الى عهد السبي او ما بعد السبي، اي الى القرن السادس ق. م. «وهكذا يمتد ظهور نصوص الاسفار الخمسة على مدى ثلاثة قرون على الاقل».

وفي عام ١٩٤١ اكتشف لودز (A. Lods) «ثلاثة مصادر للوثائق اليهوية، واربعة مصادر للوثائق الإلوهية، وستة مصادر للتثنية، وتسعة مصادر للقانون الكهنوتي». ويستطرد الاب ديفو: «هذا عدا الاضافات الموزعة بين ثمانية كتبة».

وقد أدى تعدد مصادر التوراة «الى كثير من التناقضات والتكرار»، وأعطى الاب ديفو العديد من الامثلة على ذلك[٨٧].

-- Bucaille, M, La Bible, Le Coran, et la Science, PP. 23, 25(٨٧)

ـ إلوهية (Elohiste): من «إلوهيم Elohim» اسم عبري هو احد اسماء الله في الكتاب المقدس، ويميز هذا الاسم بعض المقاطع في الاسفار الخمسة حيث يسمى الله (إلوهيم)، وقد انتشر في مملكة الشمال (اسرائيل) في القرن الثامن ق. م. (Encyclopédie Quillet: Elohim) وتسمى تلك الوثائق ايضا: الوثائق السامرية، او النص السامري، نسبة الى «السامرة» عاصمة مملكة اسرائيل.

ـ يَهويه (Yahviste): من «يهوه YAHWEH OU YAHVÉ» وهو احد اسماء الله في الكتاب المقدس. وقد انتشرت هذه التسمية في مملكة الجنوب (يهونا) في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد. و«اليَهويه» هي احدى الوثائق الاربع في الاسفار الخمسة (التوراة)، وتتحدث عن تاريخ اسرائيل في بداياته، وعن طبيعة البشر ونشاط الآباء الاولين حتى موسى، حيث تتحدث عن دوره (Encyclopédie Quillet: Yahvé).

ـ أستروك، جان (Jean Astruc): ١٦٨٤ ـ ١٧٦٦، فرنسي، طبيب لويس الخامس عشر كان استاذا في «كلية فرنسا

وهكذا «تبدو الاسفار الخمسة مؤلفة من تقاليد متنوعة جمعها كتّاب بمهارة تزيد او تنقص، بحيث راكموا تجميعهم (تقميشهم) تارة، او حولوا الروايات طورا بهدف تركيبها، الا انهم تركوا فيها كل ما هو غير واقعي ونافر، مما دفع بالمحدثين الى البحث الموضوعي عن المصادر»[٨٨]. ولم يعد مستغربا، بعد ذلك، ان يقسّم الاب ديڤو سفر التكوين، وحده، الى ثلاثة مصادر أساسية، وذلك في مقدمة ترجمته لهذا السفر عام ١٩٦٢[٨٩].

إضافة الى ذلك، ينكر بعض الباحثين المصريين القدامى ان يكون موسى عبرانيا، ومنهم «مانيتو» المؤرخ المصري في عهد بطليموس الثاني، وكان قد اشتهر كأستاذ

= Collège de France، وكلية الطب بباريس، ألف كتبا في الطب واللاهوت(Encyclopédie Quillet).

ـ لودز، أدولف (Adolphe Lods): ١٨٦٧ـ ١٩٨٤، فرنسي، عضو في «المؤسسة L'Institut»، باحث آثار وعالم بالعبرية، كتب كتابا بعنوان: «اسرائيل من بداياتها حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. "Ysraël, Des origines au milieu du VIII^{e} S." وكتابا آخر بعنوان: «التقليد في تاليف كتب العهد القديم».

"La tradition dans la Formations des Livres de l'ancien testament" (Encyclop. Quillet)

ـ كارلستادت (Karlstadt): فون رودولف اندريا لوثر بودنشتاين Andrea Rudolf Bodenstein, Von: ١٤٨٠ـ ١٥٤١، اصلاحي الماني، صديق لوثر، الا ان هذا الاخير انكره بسبب كتاباته النقدية العنيفة. (Encyclop. Britannica, T6, P. 745)

ـ ريتشارد سيمون (R. Simon): ١٦٣٨ـ ١٧١٢، راهب فرنسي، مفسّر للكتاب المقدس، ومتخصص في العلوم العبرية، وهو أول من درس الكتاب المقدس دراسة نقدية، ظهر ذلك في كتابه المشار اليه في المتن والذي نشر عام ١٦٧٨، وقد طرد من الرهبنة بسبب هذا الكتاب (Encyclop. Quillet).

ـ ديڤو: (Devaux) ١٩٠٢ ـ ١٩٧١، فرنسي، درس اللاهوت، كما درس اللغتين العربية والآرامية، ودخل في رهبانية الدومينيكان عام ١٩٢٩، حيث أوفدته الى مدرسة الكتاب المقدس (Ecole Biblique) في أورشليم. اسهم في وضع «الكتاب المقدس الاورشليمي La Bible de Jérusalem»

ـ حاضر في مدرسة الكتاب المقدس، عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٥ ثم عيّن مديراً لهذه المدرسة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٥.

ـ أصدر مجلة باسم «مجلة الكتاب المقدس La Revue Biblique» من عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٥٣.

ـ سمي رئيسا لفريق الدراسة لمخطوطات البحر الميت عام ١٩٥٣.

ـ القى محاضرات نشرت عام ١٩٦١ بعنوان «علم الآثار ومخطوطات البحر الميت» ترجمت الى الانكليزية.

ـ لم يعترف في حياته باسرائيل، وكان يسميها دائما «فلسطين» وكان رئيسا لمجلس أمناء متحف روكفلر في القدس، وهو المتحف الذي يحتفظ بالمخطوطات.

ـ متهم من قبل اسرائيل بمعاداة السامية (Baigent, Michael and leigh, Richard, The Dead Sea Scrolls deception, p. 27)

(٨٨) Bucaille, Op. Cit. PP. 25 -- 26 --

(٨٩) Ibid, PP. 24 et 26 --

يقصده الباحثون في مكتبة الإسكندرية، وهو يقول إن موسى «مصري عاش في أيام أمنحوتب الثالث» وانه «أراد أن يرى الإله بعينيه حتى يصدق، وانه درس بمدينة هيليوبوليس (عين شمس)». كما ينكر بعض المؤرخين اليونانيين ان تكون قد قامت «دولة أو مملكة لإسرائيل في فلسطين، لا في أيام يشوع، ولا في أيام داود، ولا في أيام سليمان» وذلك استناداً الى «ما جاء في كتابات المؤرخين اليونانيين، منذ القرن الثامن ق.م.» وهي كتابات «لم يرد فيها وجود لمملكة اسرائيل في فلسطين»[٨٩مكرر]

بعد كل ما تقدم، نبادر الى السؤال المحق:

هل «العهد القديم» الذي هو بين أيدينا، كتاب منزل وسماوي وانساني واخلاقي؟

لقد برهنا، فيما تقدم، ان «العهد القديم» الذي هو بين أيدينا، ليس كتابا منزلا ولا سماويا الا بقدر ما أبقى فيه المؤلفون والمحرّفون من كلام الله الذي أوحى به الى نبيه موسى (عليه السلام)، وهو قليل ونادر بشهادة معظم الباحثين الذين استعرضنا آراءهم بالتفصيل. وهذا القليل النادر هو الذي يعطي «العهد القديم» (الذي هو بين أيدينا) صفته الدينية ككتاب لطائفة يفترض ان تكون مؤمنة بإله موسى وأبيه ابراهيم.

أما ان يكون «العهد القديم» (الذي هو بين أيدينا) كتابا انسانيا واخلاقيا، فهي مسألة تحتاج الى نقاش لا بد من ان ينتهي بالنفي المطلق، فقد بينّا، في أثناء شرحنا لحروب بني اسرائيل، ان «العهد القديم» بما فيه من وقائع ـ حربية خصوصا ـ وأحداث وروايات، سواء أكانت صحيحة ام ملفّقة، لا ينتمي الى الانسانية بأية صلة. وأما كونه اخلاقيا فيكفي ان نذكّر بما هو وارد في هذا «العهد القديم»، من أفعال منافية للأخلاق مثل:

ـ جاء في سفر التكوين (١٩: ٣٠ ـ ٣٨) ان ابنتي لوط الكبرى والصغرى ضاجعتا أباهما، ضاجعته الكبرى أولا بعد ان سقته خمرا، ثم ضاجعته الصغرى بعدها «وحملت ابنتا لوط من ابيهما».

ـ وجاء في السفر نفسه (تك٣٥: ٢١) ان رأوبين، بكر يعقوب، ضاجع «بلهة» سرية ابيه.

ـ وجاء في السفر نفسه (تك ٣٨: ١ـ ١١) ان يهوذا أمر ابنه اونان بان يتزوج من تامار

(٨٩ مكرر) عثمان، احمد، تاريخ اليهود، جـ٢: ٣٨ ـ ٣٩.

زوجة أخيه المتوفى لكي يقيم نسلا لاخيه «وعلم أونان ان النسل لا يكون له. فكان اذا دخل على امرأة أخيه» استمنى «على الارض لئلا يجعل نسلا لاخيه».

- وجاء في السفر نفسه (تك ٣٨ : ١٢ـ٣٠) ان تامار (نفسها) «خلعت ثياب إرمالها وتغطت بالخمار واحتجبت به» وجلست في طريق حِمِيها (أبي زوجها، وهو يهوذا نفسه) وقد أرادت ان تغويه، فحسبها بغيا ودخل عليها (ضاجعها) مقابل رهن منه (خاتمه وعقاله وعصاه)، وما لبثت تامار (كنّة يهوذا) ان حملت منه سفاحا وبان حملها، وأُبلغ يهوذا ان كنته الارملة حامل فحكم عليها بالموت حرقا، فأرسلت اليه الرهن الذي هو منه لقاء مضاجعته لها، فعلم عندها أنه هو الرجل الذي ضاجعها، فعفا عنها، وولدت منه توأمين هما: فارص وزارح.

- جاء في سفر صموئيل الثاني (١١ : ٢ـ١٧) ان داود اشتهى زوجة جندي من جنوده يدعى أوريا الحثي، «وكانت المرأة جميلة جداً» فاستقدمها اليه وضاجعها، فحملت منه سفاحاً. وأرسل داود يطلب زوجها اليه فلما وصل أرسله لينام في منزله، عند زوجته (ربما لكي يستر الحمل الذي في بطنها) ولكن أوريا «اضطجع على باب بيت الملك مع جميع خدم سيده، ولم ينزل الى بيته»، ولما علم داود بذلك اعاده الى جبهة القتال وأرسل معه رسالة الى قائده يأمر فيها بان «ضعوا أوريا حيث يكون القتال شديدا، وانصرفوا من ورائه، فيضرب ويموت» وهكذا كان، ومات أوريا الحثي، زوج الجميلة التي ضاجعها داود زنى وحملت منه سفاحاً، واغتيل أوريا زوجها بمؤامرة من سيده داود (بحسب رواية العهد القديم).

- وجاء في السفر نفسه (١٣ : ١ـ ٢٢) ان أمنون بن داود أحب أخته تامار فاحتال عليها واغتصبها «لانها كانت عذراء» و«سمع داود الملك بجميع هذه الامور، فاغتاظ غيظا شديدا ولكنه لم يُحزِن نفس أمون ابنه لانه كان يحبه لأنه بكره».

- وجاء في سفر الملوك الاول (١ : ١ـ ٤) ان داود، عندما شاخ وهرم «كانوا يغطونه بالثياب فلا يدفأ، فقال له خدمه: «ليُبحث لسيدنا الملك عن فتاة عذراء تقوم أمام الملك فتعنى به وتضّجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك. فبحثوا عن فتاة جميلة في جميع أراضي اسرائيل فوجدوا «أبيشاج الشونمية» فأتوا بها الى الملك، وكانت الفتاة جميلة جدا، فكانت تعنى بالملك وتخدمه، ولكن الملك لم يعرفها».

فهل يعقل ان يتضمن كتاب اخلاقي، مثل ما تقدم؟

ولا تفوتنا الاشارة الى ما تميز به «العهد القديم» من مبالغات تفوق حدود المنطق والمعقول، وهي مبالغات هادفة ومقصودة كانت تهدف قديما الى رفع معنويات الشعب اليهودي المشتت والمسبي الى بابل، وتعبئته وتحريضه على السعي للعودة الى البلد التي يدّعي انها وطنه الابدي، الى أورشليم، وظل «عنصر المبالغة» هذا ملازما للشعب اليهودي، منذ ذلك الحين، الى يومنا هذا.

ويكفي ان نعود الى نصوص الحروب التي درسناها في العهد القديم، لكي ندرك مدى هذه المبالغات في مجريات الوقائع والاحداث، وقد استفاد اليهود من هذه المبالغات الى حد كبير حيث سخروها لتنفيذ مآربهم وأطماعهم التاريخية، بدءا بالتاريخ القديم، منذ عودتهم الى أورشليم على يد قورش الفارسي في القرن السادس ق. م. وخروجهم منها على يد الرومان في القرن الميلادي الاول (عام ٧٠م)، ثم في القرن الميلادي الثاني (عام ١٣٥م) ثم عودتهم اليها في هذا القرن (العشرين)، وقيام دولتهم الثانية في فلسطين عام ١٩٤٨. وكانوا، في كل هذه المراحل، يبالغون في أخبار انتصاراتهم وهزائمهم على حد سواء، حيث بالغوا في أخبار حروبهم، في اجتياحهم الاول لارض كنعان، كما بالغوا في أخبار مقاومتهم للاشوريين والكلدانيين والرومان، وفي أخبار ما لحق بهم من اضطهاد اثناء تشتتهم وضياعهم في «ديار الشتات». وأبرز الامثلة على ذلك هو ما أثاره اليهود حول ما سمي «بالهولوكوست Holocauste»[٩٠] او «محارق الغاز» او «أفران الغاز» التي أقامها هتلر لابادة اليهود، جماعيا، خلال الحرب العالمية الثانية[*].

لقد تعمدت الصهيونية العالمية اثارة ضجة كبرى مبالغ فيها حول «محارق الغاز» هذه، حيث أشاعت ان المانيا النازية أحرقت، خلال الحرب، ستة ملايين يهودي، وأدّعت ان هتلر أقام أفرانا من الغاز في معسكرات الاعتقال التي أقامها لليهود في أوروبا حيث أحرقهم فيها بالملايين، بقصد ابادتهم. واستطاعت الصهيونية العالمية ان تشيع أخبار هذه الافران في العالم كله، وبمختلف وسائل الاعلام، وعلى مدى نصف قرن من الزمن،

---

(٩٠) تعني الهولوكوست، لغويا، «الحريق التام» او «الذبيحة التامة» وهي، عند اليهود، الذبيحة الدينية حيث تستهلك النار الضحية تماما.

(*) راجع في المقدمة، ما ورد في كتاب الفيلسوف الفرنسي «روجيه غارودي» بهذا الشأن.

حيث ملأت الدنيا كتبا ومجلات وافلاما ومسلسلات حول فظائع مزعومة ادّعت الصهيونية ان النازية ارتكبتها لابادة الشعب اليهودي، واستطاعت، من جراء هذه الدعاوة المنظمة والفعالة والدؤوبة، ان تفرض على العالم باسره نوعا من الارهاب الصهيوني لا تزال تمارسه الى اليوم، وفيما يلي بعض أنواع هذا الارهاب:

١ـ استطاعت اسرائيل، منذ انشائها عام ١٩٤٨، ان تبتز مليارات الدولارات من ألمانيا، كتعويضات عن تلك الفظائع (المزعومة)، الى درجة ان صرّح «ناحوم غولدمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، في مقابلة له مع مجلة «لونوفيل اوبسرفاتير Le Nouvel Observateur» بتاريخ ٢٥ تشرين الاول/ اكتوبر عام ١٩٧٦ انه «بدون التعويضات الالمانية، ما كانت اسرائيل تملك نصف هيكليتها الحالية، فجميع القطارات في اسرائيل المانية، والبواخر المانية، وكذلك الكهرباء والجزء الاكبر من الصناعات... وذلك دون ان نذكر التعويضات الفردية المدفوعة الى اليهود الاحياء». وبعد ان يستطرد «غولدمان» في المقابلة نفسها، فيذكر ان هذه التعويضات قد فاقت، في بعض السنين، ما دفعته الجاليات اليهودية في العالم، بمقدار ثلاثة أضعاف، يقول: «لقد حققنا انتصارين تاريخيين كبيرين هما: خلق دولة اسرائيل والتعويضات الالمانية»[٩١].

٢ـ تمكنت الصهيونية العالمية من ان تفرض على العالم سلوكا خاصا بصدد ادّعاءاتها هذه، فأضحت كلمة «هولوكوست» تعني، في السياسة العالمية: ابادة اليهود، كشعب، على يد المانيا النازية، ولا تعني غير ذلك اطلاقا. ومنعت على العالم كله، وخلال نصف قرن من الزمن، القبول بأية قناعة مغايرة لهذه الاسطورة التي ألصقتها في أذهان الناس أجمعين، كما منعت أي تساؤل يمكن ان يطلقه الناس، المثقفون او العاديون، حول صحة هذه الادعاءات، مدعية ان الشك فيها هو نوع من العداء الصارخ للسامية.

وقد استطاعت الصهيونية العالمية، بفعل نفوذها الكبير في آسيا وأوروبا والولايات المتحدة الاميركية، ان تنفذ مخططا ارهابيا متكاملا، في هذا المجال، ومن ذلك:

أـ في اليابان، اضطرت احدى اكبر المجلات اليابانية الى التوقّف عن الصدور بسبب الضغوط الصهيونية على كبار زبائنها من المعلنين والمتعاونين والقرّاء، ممّا أدّى الى وقف

---

(٩١) جريدة «السفير» اللبنانية، بتاريخ ١٤ و١٦ شباط/ فبراير ١٩٩٥، بحث للدكتور سعود المولى بعنوان «فرنسا: الهولوكوست وحجاب الديموقراطية».

الاعلان فيها، والحد من انتشارها، وبالتالي افلاسها، وذلك لأنها نشرت بحثا نعتت فيه الهولوكوست «بالاكذوبة»، وقالت ان هذه «المحرقة المزعومة لليهود.... لم تحدث» وان «الصهيونية العالمية استفادت من هذه الأكذوبة لابتزاز العالم»(٩٢).

ب ـ وفي فرنسا، استطاعت الصهيونية العالمية ان تحقّق نصرا باهرا عندما جعلت النظام الفرنسي يعتبر العداء للسامية جريمة يعاقب عليها القانون، باعتبارها نوعا من انواع العنصرية، واستنادا الى هذا القانون، خضع العديد من المفكّرين والباحثين والمثقّفين الفرنسيين، وكذلك العديد من الصحف الفرنسية، للمحاكمة والادانة، بسبب تعرضهم لليهود عموما، وللهولوكوست خصوصا، ومن هؤلاء:

ـ النائب الفرنسي «برنارد أنطوني» الذي أدين، في ٤ حزيران/ يونيو ١٩٨٦، بسبب مقال نشره في جريدة «اللوموند» الفرنسية، بتاريخ ١٩ تشرين الاول/ أكتوبر ١٩٨٥، جاء فيه «ألا نستطيع في النهاية أن نتكلّم ونناقش المسألة اليهودية، كما نناقش ونتكلّم عن مسألة الباسك على سبيل المثال؟.... هناك قوة، في فرنسا، لا تقبل ولا تريد الاندماج بمجتمعاتنا، وبالنسبة اليها، فان مصالح «اليهودية» تأتي أولا وقبل مصلحة المجتمع الفرنسي»(٩٣).

ـ الفيلسوف الفرنسي «روجيه غارودي» الذي صودر كتابه «الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية» "Les Mythes fondateurs de la politique Israélienne" واتهم باللاسامية، وحطمت واجهات المكتبة التي تولت بيع هذا الكتاب، وكانت دور النشر الفرنسية قد امتنعت عن نشره الى ان تولى المؤلف نشره على نفقته عام ١٩٩٦ (وقد سبق ان تحدثنا عن الكتاب والمؤلف في المقدمة).

ـ المؤرخ الفرنسي «روبير فوريسون» الذي ينتسب الى «مدرسة المراجعة التاريخية» الذائعة الصيت والمنتشرة في كل من فرنسا والمانيا وأوستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، والتي تهتم بمراجعة «الروايات الرسمية» لأحداث الحربين العالميتين الأولى والثانية، باعتبارها «روايات المنتصرين»، فتحقّق فيها وتعيد النظر في وقائعها،

---

(٩٢) المولى، م.ن.، عدد تاريخ ١٤/٢/٩٥.

(٩٣) فوريسون، روبير، وميمي، ماري بول، الاكذوبة التاريخية، ص ٩. وهذا الكتاب هو عبارة عن بحث اعدّته «ماري بول ميمي» لنيل شهادة دبلوم الصحافة في جامعة بوردو بفرنسا، للعام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣، وموضوعه «قضية فوريسون» التي كانت قد شغلت الأوساط الفرنسية في ذلك الحين.

بهدف اجلاء الحقائق التاريخية، والسعي «لكتابة تاريخ حقيقي لتلك الحروب». وقد توصّل هذا المؤرخ وفريق من الباحثين معه، بعد دراسة ميدانية لمواقع ما سمّي بالهولوكوست (أو أفران الغاز أو غرف الغاز)، واجراء «الاختبارات العلمية المتنوّعة» اللازمة، الى النتيجة الحاسمة التالية:

«ان غرف الغاز لم توجد قط، وانه لا يمكن، من الناحية العملية ولا التاريخية ولا الواقعية، ان تكون قد وجدت، وانما هي جزء من أسطورة ـ وهم ـ نشأ أثناء الحرب في معسكرات الاعتقال النازية، حيث ساد الرعب أوساط اليهود، ثم غذته الدول المنتصرة، وكذلك الصهيونية العالمية، بعد الحرب لاستمرار ادانة ألمانيا، وخدمة لمخطط انشاء ما يسمى بدولة اسرائيل، ولسحب الملايين من الدولارات كتعويض ألماني دفع لاسرائيل، وكان له الدور الأساسي في جعلها تقف على رجليها طوال السنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧»[٩٤]. وقد استطاع «فوريسون» أن يثبت «أن الادلة الثبوتية حول وجود غرف الغاز في معسكرات الاعتقال شبه معدومة، وكل ما هنالك لا يتعدّى الشهادات الشفوية لبعض الناجين من المعسكرات»، كما تبين له «الاستحالة المادية لتنفيذ اعدامات جماعية بالغاز المسمى (زيلكون ب) في الاماكن التي قيل ان ذلك حدث فيها». وقد نُشرت نتيجة هذه الابحاث في كتاب بعنوان «حقيقة تاريخية ام حقيقة سياسية» ونشره «سيرج تيون Serge Thion»[٩٥]. كما أعلن «فوريسون» في حديث له في اذاعة أوروبا رقم ١ «ان غرف الغاز الهتلرية المزعومة، والابادة الجماعية المزعومة لليهود، تشكّلان كذبة تاريخية واحدة سمحت بحصول ابتزاز مالي ـ سياسي كبير كان المستفيدان الرئيسيان منه هما: دولة اسرائيل والصهيونية العالمية، وكانت الضحيتان الرئيسيتان له هما: الشعب الألماني (لكن ليس حكّامه) والشعب الفلسطيني بأكمله»[٩٦]. وكان من نتيجة ذلك أن «منع فوريسون من التدريس، حيث كان استاذا للادب المقارن في جامعة ليون الثانية، ثم أدين وفصل من الجامعة وقطع راتبه، ومنع ابنه من التسجيل في أية جامعة فرنسية، واعتدى الصهاينة على شخصه وعائلته وعلى منزله مرات عدة»[٩٧].

---

(٩٤) م. ن. ص١٢، وانظر: المولى، المرجع السابق.

(٩٥) المولى، م. ن. وانظر: فوريسون وميمي، المرجع السابق، ص ١٢.

(٩٦) فوريسون وميمي، م. ن. ص ٨٠ وانظر: المولى، المرجع السابق.

(٩٧) المولى، م. ن. وفوريسون وميمي، م. ن. ص. ١٢.

ج - وفي ألمانيا، حوكم الدكتور «ستاغليش» بسبب كتابه «أسطورة أوشفيتز: خرافة أم حقيقة؟» حيث أدين المؤلف «وهو قاض ودكتور دولة في الحقوق» و«صدر قرار من جامعته بسحب درجة الدكتوراه منه وبمنعه من التدريس» كما «صودر الكتاب وأتلف»[٩٨].

د - وفي النمسا، اتهمت الصهيونية العالمية المستشار النمساوي المنتخب حديثا (١٩٨٦) والامين العام السابق للامم المتحدة «كورت ڤالدهايم» بتهمة النازية، وحرّكت ضده كل أجهزتها في الامم المتحدة وفي أوروبا بأسرها، ففتحت «المنظمة الدولية» ملفاتها «أمام التفتيش الصهيوني»، وأعلن «البرلمان الاوروبي ولجنته التنفيذية... الحزن العميق» لانتخاب «كورت ڤالدهايم» مستشارا للنمسا، كما امتنعا عن ارسال «برقيات التهنئة البروتوكولية» اليه، وحملت الصحف الفرنسية المتصهينة على المستشار الجديد وعلى الشعب النمساوي حملة شعواء بلغت «حدّ التهجم على شعب النمسا واتهامه باختزان مشاعر العداء للسامية وبالعنصرية»[٩٩].

هذا بعض من النماذج الكثيرة والمتعددة التي تؤكد تسلط الصهيونية العالمية على معظم دول العالم المتحضّر تسلطا يكاد يسلبها الكثير منَ حرية القرار فيها، ويجعل منها أدوات طيعة لرغبات هذه المنظمة العنصرية المتمادية في عنصريتها، وهو تسلط يذهب ضحيته، ولا شك، الانسان العربي عموما، والفلسطيني خصوصا.

---

٩٨) المولى، م.ن. وفوريسون وميمي، ص ١٢. و«أوشفيتز» هو أحد معسكرات الاعتقال النازية لليهود في بولونيا.

(٩٩) المولى، م.ن. عدد ١٦/ ٢/ ١٩٩٥ وفوريسون وميمي، م.ن. ص ١٢-١٤.

وقد نشرت جريدة «الفيغارو» الفرنسية، في عددها الصادر بتاريخ ١٢ نيسان/ ابريل ١٩٩٥، نبأ مفاده ان محكمة فرنسا قضت بحذف «جملة ونعت» من «الكتاب المقدس للجمعيات المسيحية .B.C.C» والذي يتضمن عبارات اعتبرت «ضد السامية»، وذلك بدعوة اقامتها «اللجنة الدولية ضد العنصرية ومعاداة السامية LICRA» على كل من الجمعية الناشرة «ميديا سبول Médiaspaul» و«الجمعية الكاثوليكية الدولية للكتاب المقدس SOBICAI»، مطالبة بوقف فوري لبيع الكتاب وتوزيعه، وحذف عشرة مقاطع من الحواشي والتفسيرات «تتضمن كل الاتهامات الموجهة لليهود من الفي عام، وهي: تسلط فكرة المال والاعمال عليهم، وكذلك التعصب والعنف والانانية الحادة، وانعدام الحس وانعدام حب القريب، والتضحية بالاطفال (الناتجة عن اتهامات بقتلهم وفقا لطقوس يهودية)، ولا شرعية الصهيونية، ومساواة الاضطهاد اليهودي بالاضطهاد الروماني، وأخيرا: التهمة المرعبة بصلب الاله». وهذا الكتاب المقدس هو ترجمة لكتاب مقدس «لاتيني - اميركي»، علق عليه الابوان «برنارد ولويس هيرو Bernard et Louis Hurault»، وطبع وبيع منه نحو ٤٠ الف نسخة، ثم أوقف بيعه وتوزيعه الى ان يجري تصحيحه وفقا لحكم المحكمة الذي سبق ان أشرنا اليه، والذي قضى بحذف جملة تتعلق بالتعصب ونعت يتعلق بوصف الطقوس اليهودية بالفولكلورية.

يمكننا ان نستنتج ، مما تقدم، ان الطبيعة العنصرية للشعب اليهودي، هي طبيعة متأصلة فيه منذ تاريخه المعروف، وتقوم هذه الطبيعة العنصرية على العقد النفسية المزمنة التي سبق ان تحدثنا عنها في هذه الخاتمة ـ الاستنتاج، وهي التالية:

١ ـ عقدة التمايز، او التعالي، والقائمة على أساس ان الشعب اليهودي هو «شعب الله المختار» دون غيره من شعوب الارض كلها.

٢ ـ عقد العدوانية القائمة على أساس سحق كل الشعوب غير اليهودية وضربها بهدف تدميرها والقضاء عليها تحقيقا لعقدة الاستعلاء على هذه الشعوب.

٣ـ عقدة الاضطهاد التي استقرت في أذهان اليهود منذ فجر تاريخهم بسبب معاداتهم للشعوب الاخرى وبالتالي اضطهاد تلك الشعوب لهم. وقد ابتزّت الصهيونية العالم كله، بسبب عقدة الاضطهاد هذه، أيما ابتزاز.

٤ ـ عقدة اعتماد الاساطير والخرافات الواردة في كتبهم (العهد القديم والتلمود) الى درجة تصديقها والسعي لتحقيقها بكل الوسائل حتى ولو كانت غير شريفة وغير انسانية وغير اخلاقية.

٥ ـ واخيرا، عقدة المبالغة التي يعتمدونها في وجه العالم لابتزازه، كذلك، في سبيل الوصول الى غاياتهم الدنيئة وأطماعهم غير المحقة.

كان العبرانيون قد أصيبوا بعقد التمايز والتعالي والاستكبار وكره الآخر وسادّية التنكيل بهذا الآخر والحلول محله في كل شيء، مع ما ينتج عن هذه العقد من عدوانية وأنانية وعنصرية وحب الانزواء، والانطواء على الذات، وذلك عندما نزحوا الى مصر، بقيادة يعقوب، منذ سبعة وثلاثين قرنا، فاضطهدهم المصريون، بسبب عقدهم هذه، واستعبدوهم وسخّروهم، وعزلوهم في أرض بعيدة، في ارض جاسان، حيث عاشوا نحو أربعة قرون أخذوا، بعدها، يهجرون مصر الى ارض كنعان جماعات، وكانت آخر جماعة منهم نزحت عن مصر، بقيادة موسى، حيث تاهت في صحراء سيناء أربعين عاما تقاتل سكانها الذين رفضوا العبرانيين ولم يقبلوا بهم. وما لبث موسى ان مات، فقادهم يشوع، عبر الاردن، الى فلسطين من ارض كنعان، وكان يقطن هذه الارض سبعة شعوب رفضت العبرانيين الطارئين وقاتلتهم وحاولت منعهم من احتلال ارضها واغتصاب ديارها واملاكها. وظل القتال مستعرا بين أهل البلاد والغزاة العبرانيين قرونا عدة، الى ان تمكن العبرانيون، أخيراً من الاستقرار في أرض كنعان وإنشاء كيان لهم، إلا انهم لم يلبثوا ان

تنازعوا الأرض المغتصبة فيما بينهم فتقاسموها، ورغم ذلك فلم يستكنِ أصحاب الحق في الارض ولم يستسلموا، بل ظلوا يقاتلون العبرانيين الطارئين الذين تعرضوا، بدورهم، لهجمات شعوب أخرى غزت أرض كنعان، مثلما سبق ان غزوها، فهزمت تلك الشعوب العبرانيين ودمرت مدنهم، وانتهت هذه الغزوات باجلائهم عن أرض فلسطين وسبيهم الى بابل (في القرن السادس ق. م).

وفي بابل، بدأ أحبار العبرانيين وكهنتهم يكتبون ما يتصورون انه جرى لشعبهم (المتميز) على يد الله (كما يدّعون) منذ ان (تكوّنت) الارض ووُجدت البشرية (لاجلهم) حتى استقرارهم في الارض الموعودة، في فلسطين، ثم سبيُهم منها (ظلما وعدوانا) الى بابل، فكتبوا الاساطير والخرافات والمبالغات التي لا يقبلها منطق ولا عقل، واستطاعوا، من خلال كتاباتهم هذه، التأثير بشعبهم وبالآخرين، فأعادهم قورش الفارسي الى أورشليم لكي يجليهم الرومان عنها من جديد، في القرن الثاني الميلادي، حيث تفرقوا في «ديار الشتات» فظلوا، فيها، غرباء لا مواطنين، طيلة ثمانية عشر قرنا او يزيد.

لقد استطاع أحبار العبرانيين، من خلال ما سموه (العهد القديم) الذي تضمن بعض كلام الله الموحى به الى نبيهم موسى (عليه السلام)، ان يقنعوا شعبهم بحقيقة الاسطورة الخرافية التي اخترعوها وهي ان الله (تعالى عن ذلك) وعدهم بان يطرد شعوب ارض كنعان ويجليهم عنها لكي يقيم بها (شعبه)، أي شعب اسرائيل، وحرضت كتابات الاحبار هذه اليهودَ جميعا حتى أضحت الاسطورة، في نظرهم، حقيقة دينية مقدسة. وهكذا ظل اليهود، بعد شتاتهم الثاني في كل أنحاء العالم، يعيشون في انطوائهم وعزلتهم، فما تآلفوا مع شعب اقاموا معه، وما اكتسبوا مواطنة وطن انتسبوا اليه، حتى رفضتهم الشعوب جميعا، وحشروا انفسهم، في البلدان التي عاشوا فيها، ضمن «أحياء» او «غيتوات» خاصة بهم، وظلوا على هذه الحال طيلة ثمانية عشر قرنا، حتى القرن العشرين ميلادية، حيث اقتادتهم الصهيونية (وهي الشكل الاستعماري المستحدث للعنصرية العبرية اليهودية) الى ارض فلسطين من جديد، فأعادوا الكرة التي بدأوها منذ ثلاثة وثلاثين قرنا (القرن الثالث عشر ق. م) حيث اقتلعوا شعبا من ارضه واحتلوا بلادا ليست لهم، وأرضا لم يحرثوها، وبيوتا لم يبنوها، وكروما لم يغرسوها. وسيظل الصراع قائما بين اهل تلك الارض وبين المغتصبين اليهود، ولن يتوقف، رغم كل مظاهر السلام المزيف الآتي، الى ان يعود الحق الى نصابه، والوطن الى اصحابه، ولو بعد قرون.

إنهاء

إنتهيت من كتابة مسوّدة هذا الكتاب يوم الاثنين الواقع في العاشر من نيسان / ابريل عام الف وتسعماية وخمسة وتسعين ميلادية الموافق للحادي عشر من ذي القعدة عام الف وأربعماية وخمسة عشر هجرية (مع المقدمة وبعض الاضافات التي وضعت خلال عام ١٩٩٦).

والله ولي التوفيق

مراجع خارطات الجزء الثاني

* الخارطة رقم (٣١): الحروب التوسعية لهرقانوس:

-- Josèphe, Flavius, la guerre des juifs, PP. 128- 129

-- Aharoni, M.M 209, 210, 211.

* الخارطة رقم (٣٢): حملة ارسطو بولس الأول على الجليل الأعلى:

-- Josèphe, PP. 129, 130

-- Aharoni, M. 213

* الخارطة رقم (٣٣): حروب الكسندر جانيوس:

-- Josèphe, PP. 131 - 134

-- Aharoni, M. 214

* الخارطة رقم (٣٤): حروب ارسطو بولس الثاني:

-- Josèphe, PP. 137- 138

-- Aharoni, M. 215

* الخارطة رقم (٣٥): حروب هيرودوس الأدومي:

-- Josèphe, PP. 161- 176

-- Aharoni, M. 220

- TAVO, BV 17

* الخارطة رقم (٣٦): حملة سستيوس غالوس على اليهودية:

-- Josèphe, PP. 283- 284

-- Aharoni, M. 256

-- TAVO, BV 17

-- Pritchard, P. 177

* الخارطة رقم (٣٧): حروب فسباسيان في الجليل واليهودية

-- Josèphe, PP. 306, 309, 314, 340- 364, 393- 401.

-- Aharoni, M.M. 257, 259

-- TAVO, BV, 17

-- Pritchard P. 177.

* الخارطة رقم (٣٨): مسيرتيتوس من الإسكندرية بمصر الى قيسارية بسوريا:

-- Josèphe, PP. 412- 413

-- Smith, PP. 31- 32

* الخارطة رقم (٣٩): حصار تيتوس لأورشليم:

-- Josèphe, PP. 427, 438- 439

-- Bahat, Dan, the Illustrated Atlas of Jerusalem, P. 35

* الخارطة رقم (٤٠) معركة أورشليم:

-- Josèphe, PP. 440- 517

-- Bahat, P. P. 52, 53

-- Aharoni, M. 216

معجم أسماء الأعلام(*)

أ

آبل بيت معكة: كانت مدينة حصينة في نفتالي، وربما كانت المحل المعروف باسم تل آبل او تل القمح، وهي قرية تقع غرب الاردن، على هضبة تشرف على الوادي شمال بحيرة الحولة، مقابل دان، وقد أطلق عليها في القديم اسم: آبل مائيم او آبل المياه (عبد الملك، بطرس، وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص ١). واسمها بالعربية: *آبل القمح*(منظمة التحرير الفلسطينية، خارطة فلسطين عام ١٩٤٨ وAharoni,The Macmillan Bible Atlas, P. 204).

آبل شطّيم: كانت تقع شمال غربي جبل نبو وشمال شرقي البحر الميت، في غور الاردن وهي بلدة *الكفرين*(خارطة فلسطين وSmith, Historical Atlas of the Holyland, P. 36).

آبل الكروم: بالعبرية (مرج الكروم) موقع في شرق الاردن، وربما يكون في مكان (خربة السوق) على الطريق بين عمّان وحسبان (عبد الملك، ص ١). او هو (كروم ديبان)، ويبعد ٢٠ دقيقة عن ديبان المعروفة (الدبس، المطران يوسف، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، جـ٢: ٢٤٠ ـ ٢٤١). وقد وردت ناعور في معظم المصادر.

(*) الأسماء المكتوبة بخط مائل هي الأسماء التي نرجح أن تكون قد استحدثت للمواقع التي وردت في الخارطات

آبل مائيم: او آبل المياه، اسم آخر لآبل بيت معكة، وآبل تعني: مرج او مياه، وآبل مائيم: مرج المياه (عبد الملك، ص٣). ويرى الدبس انها تقع الآن بين الخيام جنوبا وتل دبين شمالا، وجنوب لبنان (جـ٣: ٤٠٩).

آبل محولة: موقع في وادي الاردن، على بعد ١٠ أميال جنوب بيسان، وقد يكون عين حلوة الواقع على بعد ٩ أميال ونصف جنوب بيسان، أو (خربة الحمام المالح) على بعد ١٤ ميلاً جنوب بيسان، وأغلب الظن انه بالقرب من تل ابي سفري، عند التقاء وادي المالح بوادي الحلوة وهو قريب من نهر الاردن (الدبس، جـ٢: ٢٣٤، وعبد الملك، ص٢).

أبولونيا: وهي خربة *ارصوف* أو عرصوف شمال يافا على الساحل الفلسطيني (انظر خارطة فلسطين).

أتاريم: يعني بالعبرية «آثار القدم» وهو طريق قريب من عراد، في النقب، جنوب فلسطين (عبد الملك، ص ٢٥).

أثل: نوع من الشجر كان ينمو في فلسطين بكثرة (عبد الملك، ص ٢٥).

أحلب: يعتقد بعضهم انها و (حلبة) مكان واحد، ويعتقد آخرون انها خربة *المحالب* على بعد أربعة أميال شمال غربي صور، او بلدة (الجش) بالقرب من صفد. (عبد الملك، ص ٢٩).

اداسه: في اليهودية، شمال اورشليم، وهي خربة *اداسة*.

أدام: اسم عبري يعني «الاحمر» وهو اسم مدينة بجانب نهر الاردن، ويرجح ان مكانها اليوم *تل الدامية* على الشاطيء الشرقي للاردن، (عبد الملك، ص ٣٧). وربما كانت عند «جسر الدامية» على الاردن نفسه (مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٢٨٥).

أدامة: في الجليل، غرب بحيرة طبرية، تعرف بداميه، وربما كانت قرن حطين.
(Aharoni, P. 204 و Smith,Historical Atlas of the Holyland P. 36)

أدوارئيم: او (أدورام) او (أدورا) وهي *دورا* في جبل الخليل اليوم (الدبس جـ٢: ٣٩٩).

أدورا: وهي *دورا* الواقعة جنوب غربي الخليل (خارطة فلسطين) وانظر:

(Smith P. 49 و Aharoni P. 204).

أدوم: اقليم كان يسكنه أبناء عيسو وأدوم، وكان يطلق عليه اسم «ارض سعير» وهو اقليم جبلي وعر، يمتد على مسافة ماية ميل، بين البحر الميت وخليج العقبة، على جانبي غور العربة، والجزء الشرقي من أدوم يقع، حالياً، في المملكة الاردنية الهاشمية، وبرية أدوم هي البرية الواقعة جنوب البحر الميت(عبد الملك، ص ٣٩).

أذرعي: تعني بالعبرية «ذراع او قوة» وكانت عاصمة باشان، حيث قتل يشوع (عوج) ملكها، وهي درعا الحالية (عبد الملك، ص ٤٢).

أربيل Arbêles: أو أربئيل او بيت أربئيل، اربد الحالية، في شرق الاردن، أو *اربد*، غرب بحيرة طبرية (عبد الملك، ص ٢٠٠).

أرض جوشن: مقاطعة تقع بين غزة وجبعون (عبد الملك، ص ٢٧٧).

أرومة: ربما تكون (الأرمة) الحديثة الواقعة على بعد ٦ أميال شمال شرقي شكيم (نابلس) (عبد الملك، ص ٧).

أسدر الون (سهل) او السهل الكبير (Plaine d'esdralon): سهل وادي يسرائيل، يقع شمال فلسطين، ويفصل بين الجليل في الشمال والسامرة في الجنوب، ويقع في الجهة الجنوبية من بلدة «مجدو» الاثرية. (Josèphe, Flavius, La guerre des Juifs, P. 294)

وانظر (Webster, Webster's New geographecal Dictionnary, P. 377, 477)

اسفار: كانت في اليهودية، شمال شرقي حبرون (الخليل) وتسمى *خربة الزعفران*.

آسوشس (Asochis): في الجليل شمال غربي صفورية (Josèphe, P. 132) وهي *تل البدوية*.

أشتموع أو أشتموه: ويرجح انها اليوم بلدة (السموعة او السموع) على بعد ٩ أميال جنوب حبرون، أي الخليل (عبد الملك، ص ٧٧).

أغريبياس (Agrippias): انتيدون، (انظر: أنتيدون).

أفرائيم: مدينة بجوار بعل حاصور، ويرجح انها «أفيرمة» وظن بعضهم انها عفرون. ويرجحون ان مكانها اليوم بلدة *الطيبة* التي تقع على مسافة ٤ أميال شمال بيت ايل (عبد الملك، ص ٩١).

افرائيم (جبل): المنطقة التي عينت نصيباً لسبط افرائيم، وتقع في القسم الاوسط من فلسطين الغربية، وتصل من الشرق الى نهر الاردن ومن الغرب الى البحر المتوسط، وأهم مدنها: شكيم، وشيلوه، وتسمى هذه المنطقة أحياناً «جبل أفرائيم» (عبد الملك، ص ٩١).

أفيق: ربما كانت بلدة *راس العين* الحديثة في سهل شارون، عند منبع نهر العوجة بالقرب من أنتيباتريس، او انها *تل الكردانة* الحديثة بالقرب من منبع نهر العينين على مسافة ٨ أميال جنوب شرقي عكا، او انها في شرق الاردن (عبد الملك، ص ٩٦ ـ ٩٧). ويذكر الدبس ان هناك بلدة تدعى (الفيك او الفيق) شرق بحيرة طبرية في الطريق من دمشق الى فلسطين، وهي *فيق* الواقعة في الجولان (خارطة فلسطين) وهذه غير أفيق التي في مرج ابن عامر (الدبس، جـ٢: ٤٢٣).

افيقوس (Aphecus): بالعبريةافيقو (Aphékou) وتعني (حصن) ويحتمل ان يكون، مع المجدل، جنوب شرقي قيسارية (Josèphe, P. 285).

أكديبا (Acdippa) : او *الزيب* (Aczib) ، على منتصف الطريق بين صور ورأس جبل الكرمل (Josèphe, P.156).

أكراباتين أو (أكرابيتا Acrabeta) وهي عقربة جنوب شرقي نابلس (خارطة فلسطين).

أكزيب: ربما كانت «عين كزيبة» الواقعة في وادي ايلة، شمال عدلام، او انها «تل البيضاء» جنوب غربي عدلام، او انها بلدة *الزيب* الحالية شمال عكا (عبد الملك، ص ٩٧).

أكشاف: بلدة في وسط فلسطين، في القسم الذي خصص لسبط أشير، وربما كانت «تل كيسان» الحديثة الواقعة بالقرب من جنين (عبد الملك،ص ٩٧). او هي *كفرياسيف* الواقعة شمال شرقي عكا. (Smith, P. 35) وانظر (خارطة فلسطين).

إلتاقو: او إِلْتَقَى إِلَتقَيْه، لم يعين موقعها، ويبدو انها في ناحية عاقر في الطريق الى الساحل (الدبس جـ٢: ٥٠٢ حاشية ١). ويرجح انها «خربة المقنع» التي تقع على بعد ٦ أميال جنوب عقرون و ٧ أميال شمال تمنه (او تبنه)، (عبد الملك، ص ١٠٣).

ألكسندريون (Alexandrion): كانت في اليهودية (Josèphe, P.138). وهي *قرن صرطبة*.

أماتوس (Amathus): في بيريا. (Josèphe, P.132) (أنظر: بيريا).

أمكرونا: او عقرون او عاقر (الدبس جـ٢: ٥٠١). انظر (عقرون).

أنا حَرَث: تقع جنوب شرقي جبل تابور، شرق جبل الدحي، وهي بلدة *ناعورة* حالياً (خارطة فلسطين و Smith, P. 42).

أنتيباتريس (Antipatris): على بعد ٢٠ كلم شمال شرقي يافا (Josèphe P. 134) أو انها (كفر سابا) على بعد ٢٠ كلم شمال شرقي يافا، قرب قلقيلية، بين اللد جنوباً وقيسارية شمالاً (الدبس،جـ٣: ٣٤٥).

أنتيدون (Anthédon): قرب غزة، وقد سماها هيرودوس الاكبر (أغريبياس)، (Josèphe,PP. 136 et 559) و (Smith, P.20)

أنطونيا (Antonia): حصن يقع في الزاوية الشمالية الغربية لهيكل أورشليم، وكان يسمى (باريس Baris)، (Josèphe, P. 262)

أوموت: تعني بالعبرية «قرب الماء» وتقع بالقرب من حدود مؤاب جنوباً بشرق، وهي «عين الويبة» اليوم (عبد الملك، ص ١٢٨).

أورده: هي خربة عرق جنوب شرقي غزة (Aharoni, P. 212).

ايتام: تقع شرق سكّوت، بالقرب من مدينة الاسماعيلية الحالية (عبد الملك،ص ١٤٠).

أيّلون: قرية صغيرة اسمها الحديث *يالو* تبعد ١٤ ميلاً غرب أورشليم شمال طريق يافا. (عبد الملك، ص ١٤٦). ويسميها المؤرخ الدبس «أيّالون» ويقول انها *يالو*، وربما تكون «يعلو» شرق عمواس حيث أوقف يشوع الشمس (الدبس، جـ٢: ٢٨١).

إيْلون: يرجح انها قرية مكانها الحالي هو قرية (عليان)، او يحتمل انها خربة وادي علين الحالية (عبد الملك، ص ١٤٣).

ايليسا: كانت على الحدود الشمالية لليهودية، جنوب غربي البيرة (بئروت)، وهي خربة *العشي* (Aharoni P. 197).

أيليم: وتعني بالعبرية أشجار، مكان يقع بين «مارة» و «برية سين» وهو المكان الثاني الذي حل فيه بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر، ويرجح انه واحة «وادي غراندل»

حالياً، على مسافة ٦٣ ميلاً جنوب شرقي السويس (عبد الملك، ص ١٤٤) و (الدبس، جـ٢: ١٢٦).

***

ب

بئروت: كلمة عبرية معناها (آبار) وهي بلدة كانت تقع شمال شرقي جبعون، وشمال اورشليم، وتدعى اليوم «البيرة» (عبد الملك، ص ١٥١، وخارطة فلسطين Smith, P. 46) وهي *خربة البرج* (Aharoni P. 206)

باطن: وهي «خربة إبطين» وتقع جنوب شرقي حيفا (Aharoni P. 206) ويذكر سميث انها *البانة* شرق عكا (Smith, P. 35).

بازق: يظن بعضهم انها (خربة بزقة) قرب جازر، أو انها جازر نفسها، ويعتقد بعضهم الآخر انها تقع قرب (ترصه) وان اسمها الحالي (إبرق) (عبد الملك، ص ١٥٩) ويحتمل ان تكون (خربة بزقة) على بعد ٦ أميال جنوب شرقي اللد (الدبس، جـ٢: ٢٢١) ووردت في مكان آخر: *خربة ابزق* (Aharoni, P.206 و Smith, P. 36)

باشان: تعني بالعبرية «الارض المستوية الممهدة» وهي مقاطعة في أرض كنعان واقعة شرق الاردن بين جبلي حرمون وجلعاد، وكانت تشمل حوران والجولان واللجاة، وتحدها شمالاً أراضي دمشق وشرقاً بادية سوريا وجنوباً أرض جلعاد، وغرباً غور الاردن (عبد الملك، ص ١٥٩ ٢١).

باصر: وتعني (الحصن)، تقع شرق الاردن، ويظن انها «أم العمد» الواقعة على بعد ٥ أميال ونصف شرق حشبون و ٨ أميال ونصف شمال شرقي مأدبا (عبد الملك، ص ١٥٩ ـ ١٦٠)، او ربما كانت *بصرى الحرير* (Aharoni, P.206).

باموت: او «باموت بعل» وتعني «مرتفعات بعل» وتقع شمال أرنون (عبد الملك، ص ١٦٠).

بانونيا (Pannonia): مقاطعة رومانية كانت تضم أراضي هي اليوم في هنغاريا وصربيا،

وتقع غرب الدانوب، احتلها الرومان ما بين عامي ٣٥ و ٩ ق. م.
وضمت الى ايليريا، وقسّمت، في مطلع القرن الاول الميلادي الى:
القسم الشرقي وهو بانونيا السفلى، والقسم الغربي وهو بانونيا
العليا(Webster's P. 923).

بانياس (Panias): قرب منابع الاردن، أعيد بناؤها باسم قيسارية فيليب (Josèphe, P. 234)

بانيون (Panion): مغاورپان (Pan) وهي (بانياس) (Josèphe, P. 179).

بطلمايس (Ptolémaïs): *عكا*، (Josèphe P. 127).

بحر سوف: *البحر الاحمر*، وكان يسمى بحر القصب، وسمي ايضاً بحر مصر وبحر نبط (أي بحر العربية) وبحر الحجاز (عبد الملك، ص ١٦٢).

البحر العظيم، أو البحر الكبير، او بحر فلسطين، او البحر الغربي: *البحر المتوسط* (عبد الملك، ص ١٦٤).

بحر كنّارة، او بحر كنّروت او جنيسارت او بحر الجليل: بحيرة طبرية (عبد الملك، ص ١٦٤).

بحر الملح، او البحر الشرقي، او بحر العربة او بحر السّدوم او بحر لوط: *البحر الميت* (عبد الملك، ص ١٦٤)

بحوريم: قرية بالقرب من جبل الزيتون، على الطريق من أورشليم الى الاردن، ومكانها الآن (رأس التميم)، (عبد الملك، ص ١٦٦ ـ ١٦٧).

بحيرة أسفالتيتس (Le Lac Asphaltitis): *البحر الميت* (Josèphe, P. 349).

برج ستراتون (Tour de Straton): بناه هيرودوس الاكبر، باسم (قيصرية) (Josèphe, P. 131)

برية تقوع: البرية المجاورة لتقوع، وهي قسم من برية يهوذا (عبد الملك، ص ٣٣١).

برية سين: هي أول برية سيناء، وصل اليها العبرانيون بعد ان عبروا البحر الاحمر من ايليم الى رفيديم، ولعل مكانها «دبة الرملة» اليوم وهي «كومة رمال عند سفح

جبل التيه» (عبد الملك، ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨). ويرى الدبس استناداً الى رأي علماء البعثة الانكليزية التي زارت المنطقة عام ١٨٦٩، ان «برية سين» هي الصحراء المعروفة اليوم «ببرية المرقى» والواقعة بين الجبال شرقاً والبحر الاحمر غرباً، وطولها ٢٢ كلم وعرضها ٥ كلم وفيها ينبوعان: «عين ذفارى» وهي ذات مياه عذبة، و «عين المرقى» وهي ذات مياه مرة او مالحة. وقد بلغها بنو اسرائيل بعد شهر من خروجهم من مصر (الدبس، جـ٢: ١٢٧).

برية شور: وتعني «شور» بالعبرية «سور» وتقع هذه البرية جنوب فلسطين شرق مصر، وتسمى ايضاً «برية ايتام» وقد سار العبرانيون في هذه البرية ثلاثة أيام بعد عبورهم البحر الاحمر (عبد الملك، ص ٥٢٨).

برية صين: على التخوم الجنوبية من ارض كنعان، وكانت قادش برنيع ضمن حدود هذه البرية، او انها جزء من برية فاران، وكانت قادش حدا بينهما (عبد الملك، ص ٥٦٧).

برية فاران: شرق برية بئر سبع، وكانت ايلة (او ايلات اليوم) على البحر الاحمر، ضمنها. وتشير جميع المعلومات الى انها السهل المرتفع او الارض الجبلية الواقعة جنوب كنعان، وتحيط بها من الجهات الاخرى: برية شور، وجبل التيه، ووادي العربة وفي هذه البرية تنقّل بنو اسرائيل ٣٨ عاماً، ومعظمها على ارتفاع يراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ قدم عن سطح الإرض (عبد الملك، ص ٦٦٧).

بُصرة: وتعني (القلعة)، ويطلق هذا الاسم على مدينتين:

- الاولى في بلاد الادوميين وربما كانت (بُصيرة الحديثة) الواقعة على بعد ٢٠ ميلاً جنوب شرقي البحر الميت.

- والثانية في بلاد مؤاب، ويُظن انها باصر (عبد الملك، ص ١٧٤). ولكننا نعتقد ان «بصرة» هي بصرى *الحرير* وليست «بصرى الشام».

بعل تامار: موقع لا يعرف مكانه على وجه التحديد، وقد قيل انه المكان المسمى (نخلة دبورة) او انه (الرأس الطويل)، او انه (خربة أرحا) وهو قريب من جبع. (عبد الملك، ص ١٨٣).

بعل جاد: آخر فتوح يشوع شمالاً، قيل انها «حاصبيا» وقيل، «بعلبك» الا ان موقعها لم يعرف بالضبط (عبد الملك، ص ١٨٢).

بعل صفون: أي بعل برج المراقبة، وهو مكان غربي خليج السويس، غرب قناة السويس الحالية، عند البحيرات المرة (عبد الملك، ص ١٨٢) و (Pritchard, James, Atlas du monde biblique , P. 57).

بعل معون: اسم مؤابي معناه (بعل الكسن)، وتدعى ايضاً (بيت معون) اما اليوم فهي تدعى (معين) وهي على بعد ٩ أميال جنوب غربي حسبان (عبد الملك، ص ١٨٤).

بلاّ او (پيلاّ) (Pella): قرب الشاطىء الايسر لنهر الاردن، على علو قيسارية (Josèphe, P. 134) وهي خربة *فحل* حالياً او «طبقة فحل» (خارطة فلسطين) أو (خارطة الاردن).

بني برق: مدينة في دان، والارجح انها *بني براق* الحالية، الواقعة على مسافة أربعة أميال شمال شرقي يافا (عبد الملك، ص ١٩٢) و (خارطة فلسطين).

بوصيص: كان بين جبعة ومخماس سنّا صخرة اسم احداهما (بوصيص) واسم الثانية (سنه) ويرجح انهما في *وادي الصوينيط* (عبد الملك، ص ١٩٤).

بيتار(Bethar): تعرف اليوم «بخربة اليهود» وهي تلة تقع على بعد ١١ كلم من قرية عربية تسمى «بيتير» تقع جنوب غربي أورشليم وتشرف عليها. (Hadas-Lebel, M, Jérusalem contre Rome, P. 169)

بيت أربئيل: أربد الحالية، في شرق الاردن، جنوب شرقي طبرية (عبد الملك، ص ٢٠٠) (انظر اربيل).

بيت آون: وتعني بالعبرية (بيت الاصنام). تقع شرق بيت ايل واشتهرت بكثرة أصنامها (عبد الملك، ص ٢٠٠).

بيت ايل: بلدة تقع شرق خط يمتد بين أورشليم ونابلس، على مسافة متساوية من المدينتين، وتعني «بيت الله» وهي أول موقع وصل اليه ابراهيم الخليل في «ارض الميعاد» (عبد الملك، ص ٢٠٠). وربما كانت بيتين الحالية شمال القدس.

بيت باره او (بيت عبره):وتعني بالعبرية «بيت المخاضة»، وهي بلدة كانت تقع على الشاطىء الشرقي لنهر الاردن حيث يظن انه موقع المخاضة التي عبر فيها يشوع الى أرض كنعان وقد ورد في بعض المخطوطات باسم (بيت عينا) اما موقع المخاضة فهو معروف (بمخاضة الحجلة) (عبد الملك، ص ٢٠٢).

بيت حجلة: وهي عين *حجلة* الواقعة جنوب شرقي اريحا، بالقرب من مصب نهر الاردن في البحر الميت (خارطة فلسطين و(Smith, P. 48 and Aharoni P. 206)

بيت حورون: ومعناه بالعبرية (بيت المغارة) ويطلق هذا الاسم على قريتين واقعتين على حدود أفرائيم وبنيامين وعلى بعد ١٢ ميلاً شمال أورشليم، وكانتا تدعيان: بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى، وذلك ما يقابل تسميتهما الآن: بيت *عور الفوقا وبيت عور التحتا* (عبد الملك، ص ٢٠٢). وتقع بيت حورون شمال غربي أورشليم وجنوب غربي رام الله. (الدبس، جـ٣: ٢٧٩) و (خارطة فلسطين).

بيت داغون: مدينة كانت في يهوذا، ولعلها «بيت داجان» الحالية (عبد الملك ص ٢٠٢) او بيت دجن، بين اللد ويبنة (الدبس جـ٢: ٥٠١).

بيت زكريا: تقع شمال الخليل، وهي اليوم *خربة بيت زكريا* (Aharoni, P. 206).

بيت شان: كانت تقع على بعد ٥ أميال غرب نهر الاردن، ومكانها الآن *تل الحصن* بالقرب من بيسان (عبد الملك، ص ٢٠٣) او هي بيسان الحالية.

بيت الشطة: بلدة كانت تقع بين وادي يزرعيل (مرج ابن عامر) وزريرة في وادي الاردن (عبد الملك، ص ٢٠٣)، أو هي *الشطة* الآن، شرق عين جالود نحو الاردن (الدبس جـ٢: ٢٣٤).

بيت شمس: ربما كانت «عين شمس» على التخوم الشمالية لارض يهوذا، او انها (عين الشمسية) الحالية (عبد الملك، ص ٢٠٣). او هي *خربة شمسين* جنوب غربي بحيرة طبرية (Smith P. 35).

بيت صور: اسم مدينة تقع في جبل يهوذا وتدعى الآن بهذا الاسم، وهي على بعد أربعة أميال شمال الخليل (عبد الملك، ص ٢٠٣).

بيت عناة او (بيت عنات): وهي قرية (البعنة) على بعد ١٢ ميلاً شرق عكا. (عبد الملك، ص ٢٠٤). او هي *عيناتا* الحالية في جنوب لبنان (Smith, P.35).

بيت فغور: مكان في الفسجة (عبد الملك ص ٢٠٥)

بيت كار: مدينة غرب المصفاة، يظن انها (عين كارم) الحالية (عبد الملك، ص ٢٠٥ والدبس، جـ٢: ٢٧٢).

بيت لبتنفا: وهي بيت نتّيف (Pritchard, P. 219) شمال غربي الخليل (خارطة فلسطين).

بيت نمره: تل نمرين.

بيت هارام، أو بيت هاران: وهي *تل الرامه* الواقعة في غور الاردن، شمال «بيت يشيموت» وشمال شرقي مصب نهر الاردن (Smith P. 47 وعبد الملك ص ٢٠٦).

بيت يشيموت: مدينة في مؤاب تقع الى الشمال الغربي من البحر الميت، وقد اختلف في تحديد موقعها، فقيل انها عين «صويمة» الحالية، وقيل انها« تل الرامة» التي تبعد ٥ أميال شمال شرقي مصب نهر الاردن (عبد الملك، ص ٢٠٦ - ٢٠٧). والمرجح انها سويمه الواقعة شرق مصب نهر الاردن، (خارطة فلسطين و Smith, P. 36).

بيتين: الاسم الحالي لمدينة «بيت ايل» القديمة (عبد الملك، ص ٢٠١). وتقع شمال القدس وشمال شرقي البيرة ورام الله (خارطة فلسطين).

بيريا: (Péréa): منطقة في فلسطين القديمة، شرق نهر الاردن (Webster's P. 941)

بيريتوس (Bérytos): بيروت (Josèphe, P. 181).

بيزيتا (Bezétha): حي في المدينة الجديدة في أورشليم (Josèphe, P. 262). وتعني «بيت زيتا» او «بيت الزيتون».

بيلوزيوم (Pelusium) : مدينة مصرية قديمة، تقع خرائبها في سهل الطينة، شرق قناة

السويس (حالياً) وجنوب شرقي بور سعيد، على خليج الطينة الواقع على البحر المتوسط. وهي *تل الفرمة*.

(Webster's, P. 237)

***

ـــــــ ت ـــــــ

تاباص: مدينة قرب شكيم (نابلس) على طريق بيسان، وتعرف اليوم (بطوباس) (عبد الملك، ص ٢٠٩).

تابور: *جبل الطور* في أرض الجليل، يشرف على مرج ابن عامر (عبد الملك، ص ٢١٠).

تاريكا (Tarichée): مدينة في الجليل، على بعد ٥ كلم شمال طبرية، وهي اليوم (مجدالا) (Josèphe, P. 145) وربما تكون احدى بلدتي *مجدل* او «مجدال» الواقعتين على الشاطىء الغربي لبحيرة طبرية، باتجاه الشمال (خارطة فلسطين).

ترصة: اسم عبري معناه (فرح) وهي مدينة كانت للكنعانيين، وقد دمرها يشوع ابن نون، ثم أصبحت عاصمة لمملكة أسباط اسرائيل العشرة. وربما كان موقعها على *تل الفارعة*، على مسافة ٦ أميال شمال شرقي شكيم (نابلس)، (عبد الملك، ص ٢١٦). أو هي (تلوزا) اليوم شرق السامرة (الدبس، جـ٢: ٤٠٩ ـ ٤١٠).

تعناك او (تعنك): محل (تل تعنك) الواقع بين التلال على الطرف الجنوبي من سهل يزرعيل بالقرب من (مجدو) القديمة. (عبد الملك، ص ٢١٩).

تفساح او تفسح: وتعني بالعبرية «مخاضة او ممر» وربما تكون «دبسة» اليوم، على الضفة الغربية للفرات، ويعتقد العالم (كوندر) انها تقع في مكان تفسح الحديثة الواقعة على بعد ٦ أميال ونصف جنوب غربي نابلس (عبد الملك، ص ٢٢٠).

تفّوح: ربما تكون شيخ *ابو زرد* قرب «ياسوف» الجديدة على بعد نحو ٨ كلم جنوب نابلس، (عبد الملك، ص ٢٢٠).

تقوع، او تقوعان: وهي قرية كانت تقع على بعد ٦ أميال جنوب شرقي بيت لحم، لا تزال خرائبها الى اليوم (عبد الملك، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١). أو هي جنوب اورشليم بين بيت لحم والخليل (الدبس جـ٢: ٣٩٩).

تل الموره: *جبل الدحي*، وهو شمال وادي يزرعيل، بين جبل تابور (الطور) شمالا وجبل جلبوع (فقوعه) جنوبا (عبد الملك ص ٩٣٠).

تّمنه: مدينة في جبل يهوذا جنوب حبرون (الخليل) اسمها الحديث تبنة وتقع على بعد ٤ أميال شرق «بيت نتيف» او انها مدينة كانت تقع على مسافة ٣ أميال غربي «بيت شمس»، وهي اليوم خربة تدعى «تبنة»، أو انها مدينة قريبة من بيت ايل، وربما كانت «تمنة سارح» نفسها (عبد الملك، ص ٢٢٣) ويذكر «يوسفوس» انها بلدة كانت تقع شمال غربي أورشليم (Josèphe, P. 291).

تمِنة: شرق «أشدود» وهي *تل البطاشي* (Aharoni P. 214).

تمنة سارح: مدينة على جبل افرائيم شمال جبل جاعش، ويرجح ان تكون «تبنة» الواقعة على مسافة ١١ ميلاً شمال شرقي القدس (عبد الملك، ص ٢٢٣).

تمويس: وهي *تل ابو السلام* جنوب بحيرة المنزلة على الساحل المصري (Smith, P. 31).

٭٭٭

ج

جازر: بالقرب من لخيش وبيت حورون السفلى واسمها الحالي *تل الجزر* على بعد ١٨ ميلاً شمال غربي أورشليم (القدس) ونحو ٦ أميال شرق عقرون (عبد الملك، ص ٢٤٢). او انها المسماة اليوم (قطرة) بالقرب من خلدة والمنصورة غرب أورشليم على بعد ساعة من عقرون (عاقر). (الدبس، جـ٢: ٣١٣). أو أنها كانت تقع شرق نهر الاردن وغرب «ربة بني عمون: عمان حالياً» وهي غير معروفة اليوم (Aharoni, P. 71).

جاسان: منطقة خصبة كثيرة المراعي، تقع شرق الدلتا، وهي المعروفة اليوم بمحافظة الشرقية، وتمتد من جوار ابي زعبل الى البحر، ومن برية جعفر الى وادي الطميلات (عبد الملك، ص ٢٤٢).

جباعو: هي (جبعون) الواردة في العهد القديم، وهي اليوم *الجيب*(Josèphe, P. 285) وتقع شمال غربي القدس.

جِبَّتُون: اسم عبري بمعنى (جبل او مرتفع) بلدة لبني دان أعطيت للاويين، واحتلها الفلسطينيون، وهناك قتل ناداب وهو يحاصرها. ربما تكون ما يعرف اليوم «بتل الميلاط»، على بعد نحو ميل جنوب تمنة وشرق عقرون مباشرة (عبد الملك، ص ٢٤٤).

جبع او جبعة: تعني بالعبرية «تل او أكمة» بلدة كانت تقع على الطرف الشمالي لمملكة يهوذا، وتوجد الآن قرية تحمل هذا الاسم جبع وتقع على هضبة وعلى مسافة ٦ أميال شمال شرقي القدس (انظر خارطة فلسطين لعام ١٩٤٨).
أما في العهد القديم، فقد ذكرت قرى بهذا الاسم نذكر منها:

جبعة بنيامين: وهي *تل الفول* حالياً وتقع على مسافة ٤ أميال شمال القدس، بين القدس ونابلس (عبد الملك، ص ٢٤٦). او بين مخماس شمالاً وعينابا جنوباً، شمال شرقي القدس (الدبس، جـ٢: ٤٠٩).

جبعة شاول: وهي جبعة بنيامين نفسها، وسميت كذلك لانها كانت عاصمة الملك شاول.

جبعة في جبال يهوذا: وتبعد مسافة ١٠ أميال الى الشمال من حبرون (الخليل)، (عبد الملك، ص ٢٤٦) . ويذكر «الدبس» انه:

ـ وفقاً لاوسابيوس: اذا كان «وادي الجبابرة» شمال أورشليم، فان جبع هي جبعة شاول (او تل الفول) او انها «جبعون» المسماة اليوم «الجيب» شمال القدس (انظر خارطة فلسطين لعام ١٩٤٨ حيث نجد جبع، شمال القدس، والجيب: شمال غربي القدس).

ـ ووفقاً لجمهور العلماء: اذا كان «وادي الجبابرة» جنوب أورشليم، فان جبع هي في الموقع المسمى اليوم بهذا الاسم، غرب بيت لحم وبيت جالا،

(الدبس، جـ٢: ٢١٢) (انظر خارطة فلسطين حيث نجد: الجبعة، جنوب غربي بيت لحم وبيت جالا).

جبعون: انظر جباعو.

الجبل الاملس: (والاسم الاصلي: جبل حلق) وهو الجبل الاقرع، جنوب فلسطين على طريق جبل سعير (عبد الملك، ص ٢٤٧).

جبل تابور: جبل *الطور* في أرض الجليل، يشرف على مرج ابن عامر، ويقع على بعد ٥ أميال ونصف جنوب شرقي المناصرة و ١٢ ميلاً شمال جبل جلبوع (عبد الملك، ص ٢١٠).

جبل جاعش: جنوب تمنة سارح (عبد الملك، ص ٢٤٣).

جبل جرزّيم: يقع جنوب نابلس، وهو جبل مقدس بالنسبة الى السامريين (Webster's P. 437)، و (خارطة فلسطين).

جلبوع: وهو جبل *فقوع* اليوم، وتقع بالقرب منه قرية (جلبون) (عبد الملك، ص ٢٦٢).

جبل الدحي: انظر (تل الموره).

جبل سفير: جبل بين حمص وبعلبك على الطريق، وعلى رأسه قلعة سنير. ويقع شرق حماة وجبل الجليل، مقابله من جهة الساحل، وبينهما الفضاء الواسع الذي فيه حمص وحماة وبلاد كثيرة، (معجم البلدان، جـ٣: ٢٦٩).

جبل صلمون: جبل قرب شكيم (نابلس)، ويرجح انه جبل جرزّيم (عبد الملك، ص ٥٤٧).

جبل العباريم: من سلسلة جبال شرق الاردن، وقد سماها سكان غرب الاردن (عبار يم) لانها عبر نهر الاردن (عبد الملك، ص ٥٩١).

جبل هور: هو اما جبل *هارون* الذي يقع على منتصف الطريق بين خليج العقبة والطريق الجنوبي من البحر الميت وهو جبل رملي يبلغ ارتفاعه نحو خمسة آلاف قدم، يقع بالقرب من البتراء، ويقوم فوقه قبر يقال انه قبر هارون، ومسجد. او هو الجبل المعروف بجبل *مديرة* الواقع شمال شرقي قادش برنيع بخمسة عشر ميلاً، على الطريق بين قادش ومؤاب، ويرجح ذلك لان هذا الجبل يقع على تخوم

أدوم كما جاء في العهد القديم كما انه يسهل على جماعة بني اسرائيل مشاهدة موت هارون على قمته، نظراً لقلة ارتفاعه، بينما لا يسهل عليهم ذلك على قمة جبل هارون العالية جداً (عبد الملك، ص ١٠٠٤). أو انه جبل «هور» الوارد في حدود ارض الميعاد، وهو *راس شكا* أو *راس الشقعة* شمال جبيل بلبنان (Aharoni P. 209)

جَت: احدى مدن الفلسطينيين الخمس العظمى، كانت حصناً من حصونهم، ولد فيها «جوليات» الجبار وغيره من جبابرة الحرب الفلسطينيين. وربما كان موقعها ما يعرف حالياً «بتل عراك المنشية» على مسافة ٦ أميال ونصف غرب بيت جبرين (عبد الملك، ص ٢٤٨). او انها بلدة «ذكرين» (الدبس،جـ٢ : ٢٨٨). وربما كانت بلدة *غات* الحالية، جنوب عقرون وشرق اشدود (خارطة فلسطين وAharoni P. 208).

جدعوم: قرية كانت تقع بين جبعة وصخرة رمون (عبد الملك، ص ٢٥٢).

جرار، او ام الجرار: جنوب غزة، على بُعد ساعتين منها (الدبس، جـ٢ : ٤٠٥)، وهي *تل ابو هريره*

جسكالا: وهي *الجش* في الجليل غرب بحيرة الحولة.

جُفنة *او* **غُفنه (Gofna)** : في اليهودية، على بعد ٢٠ كلم شمال أورشليم.

(Josèphe, PP, 126 et 291)

الجلجال: معناها (كومة الحجارة)، لم يكن يدعى بهذا الاسم يوم نزل فيه بنو اسرائيل، ويشوع هو الذي أطلق عليه هذا الاسم بعد ذلك بأيام قلائل، كما أمر ان ينصب فيه ١٢ حجراً أخذت من قعر النهر. وهو مكان يقع بين الاردن وأريحا «في حدود أرض أريحا الشرقية» (العهد القديم، ص ٤٢٦ حاشية ٢) وهو أول معسكر للاسرائيليين بعد عبورهم الاردن ودخولهم أرض كنعان (عبد الملك، ص ٢٦٢). وهو، عند سميث *بركة الجلجلية* (Smith, P. 36).

جلعاد: وهي السلط (الدبس، جـ٢ : ١٧٨).

جما (Géma): هي اليوم، جنين، على الحدود الشمالية للسامرة (Josèphe, P. 251).

جمزو: اسم عبري معناه (كثير الجمّيز)، بلدة كانت في أرض يهوذا، وهي اليوم قرية صغيرة تبعد ٣ أميال عن اللد جنوباً بشرق (عبد الملك، ص ٢٦٨).

جنّيسارت (ارض): أرض تقع غرب بحر الجليل، (والذي يسمى بحيرة طبرية او بحيرة جَنّيسارت)، ويُعتقد انها السهل المعروف بالغوير. تحدها غرباً هضاب الجليل، وتكثر فيها مجاري المياه (عبد الملك، ص ٢٧٦).

جَنّيسارت: (بحيرة) (Le Lac de Gennésar) بحيرة طبرية وتسمى ايضاً بحيرة كنّاريت (Kinneret) (Josèphe, P. 348).

جوب: اسم عبري معناه (خندق او صهريج)، وهو اسم سهل يعتقد انه سهل (جازر)، (عبد الملك، ص ٢٧٦).

جوبه (Joppé): يافا (Josèphe, P. 127)

جوتاباتا(Jotapata): حصن قديم في الجليل، في شمال فلسطين شمال صفورية، وقد كان يوسفوس (المؤرخ) قائداً له عام ٦٧م. عندما احتله فسباسيان بعد حصار دام ٤٧ يوماً (Webster's, P. 576) وهو اليوم: يودفات (Yodfat) الواقعة في منتصف الطريق بين عكا وطبرية (Josèphe, P. 314) او هو جفت في الجليل غرب قانا، وبالقرب من جبل كوكب (الدبس، جـ٣ : ٣٥٠، عن المؤرخ كاران).

جور (او عقبة جور) جو: اسم عبري معناه (جرو أسد او أي حيوان). وهو مكان على الطريق بين يزرعيل وجنين الحديثة (عبد الملك، ص ٢٧٧).

جوزان: مقاطعة من مقاطعات بلاد ما بين النهرين بالقرب من حرّان، وكان في المقاطعة مدينة بهذا الاسم وقد سميت المقاطعة باسمها (الدبس، جـ٢ : ٤٧٧). أو هي بلدة ومقاطعة في بلاد مادي على نهر خابور سكنها بعض بني اسرائيل بعد السبي (عبد الملك، ص ٢٧٧).

جوفا (Jopha): يافا (Josèphe, P. 330).

جيرازا (Gérasa): شرق نهر الاردن، على علو السامرة (Josèphe, P. 281) وهي جرش.

جينايا (Ginaea): شمال السامرة، على علو قيسارية (Josèphe, P. 308)

***

ح

حاديد: تقع على بعد ٣ أميال شمال شرقي اللد، وكانت قرية مبنية على تل يشرف على السهل، وتدعى الآن *الحديثة* (عبد الملك، ص ٢٨١).

حارث (غيضة): اسم عبري معناه (وعر) وهو اسم غابة في يهوذا اختبأ فيها داود عندما كان يطارده شاول، ويظن انها عند قرية (خرس) الحديثة الى الجهة الشمالية من وادي أرنبة قرب قعيلة (عبد الملك، ص ٢٨١).

حارس: تعني بالعبرية «شمس» وهو اسم لمرتفع في عجلون، او عقبة حارس، او مدينة عين شمس المصرية (هيليوبوليس)(عبد الملك، ص ٢٨٢).

حازور: المعروفة *بيازور* او *ياسور*، في انحاء عسقلان (الدبس، جـ ٢: ٥٠١).

حاصور: عاصمة مملكة الكنعانيين في شمال فلسطين، وكانت تقع فوق مياه ميروم (عبد الملك، ص ٢٨٢). على جانب بحيرة الحولة وفي المحل المسمى تل الهراوي او جبل خضيره (الدبس، جـ ٢: ٢٢٨) على بعد ٦ أميال غرب جسر بنات يعقوب (نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون جـ ٢: ٤٢) . وقد ذكر كل من آهاروني (Aharoni P. 209) وسميث (Smith P. 42) وبريتشارد (Pritchard, P. 229) انها بلدة *القدح* جنوب غربي بحيرة طبرية.

حاصور: خربة القريتين في جنوب فلسطين.

حجر عوريب: ويذكر سميث (Smith, P. 36) انها عش *الغراب* شمال أريحا.

حبرون: تعني بالعبرية «عصبة، رباط، اتحاد» وهي مدينة *الخليل* اليوم (عبد الملك، ص ٢٨٦-٢٨٧).

حرمة: تعني بالعبرية «الموضع المقدس او الخراب»، وهي بلدة كانت تقع على الحدود الجنوبية لارض الادوميين، قرب «صقلغ»(عبد الملك، ص ٢٩٩). وهي خربة *خويلفة* شمال «بئر سبع» (خارطة فلسطين و Aharoni P. 209)

حروشة الامم: (او حروشت الامم) وهي (تل عمار) تحت (الحارثية) على الضفة الشمالية لنهر قيشون، عند مدخل مجراه الى سهل عكا، على بعد ١٦ ميلاً شمال غربي مجدو (عبد الملك، ٣٠١).

حشبون: اسم مؤابي معناه «حسبان، تدبير»، وكانت عاصمة سيحون ملك الاموريين، ولا تزال تعرف اليوم باسم *حسبان* وهي خربة قائمة على تل منعزل بين أرنون ويبّوق، على بعد سبعة أميال ونصف شمال مادبا (عبد الملك، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

حصر أدّار: وكانت على الحدود الجنوبية ليهوذا (عبد الملك، ص ٣٨).

حصر عينان: تعني بالعبرية «قرية العيون» او «قرية الينابيع» وهي قرية على الحدود الشمالية لفلسطين، ربما كانت *القريتين* على الطريق بين دمشق وتدمر (عبد الملك، ص ٣١٠).

حضيروت (او حصيروت): ومعناه بالعبرية «حظائر، او ديار، او قرى» وربما كانت عين خضرة الواقعة على مسافة ٣٦ ميلاً شمال شرقي جبل سيناء (عبد الملك، ص ٣١٠ ـ ٣١١) او هي عين *حضيرة* على بعد ٢٤ كلم من رويس الابراج نحو خليج العقبة (الدبس، جـ ٢: ١٥٦).

حُقوق: وهي بلدة *ياقوق* الحالية، شمال غربي بحيرة طبرية (خارطة فلسطين و Smith P. 42).

حلاح او حلح: هي (حلا) وموقعها على مقربة من نهر الخابور ومن الموقع المسمى (رأس العين). وكانت من مدن ما بين النهرين بالقرب من راصف وجوزان ونصيبين (الدبس، جـ ٢: ٤٧٦). او هي (حلح) وهو اسم مقاطعة في مملكة اشور، نقل اليها مسبيو الاسباط العشرة، وربما كانت تلك التي عرفت فيما بعد باسم خلكيتيس، ما بين النهرين قرب جوزان، في حوض نهري الخابور والساوكوراس (عبد الملك، ص ٣١٣).

حلبة او أحلب: ومكانها اليوم خربة *المحالب* على بعد ٤ أميال شمال شرقي صور (عبد الملك، ص ٢٩و ٣١٣).

حلقة: برقة، شمال شرقي عكا (Smith, P. 35).

حورون: انظر بيت حورون.

حوريب: جبل سيناء والبرية المحيطة به، (عبد الملك، ص ٤٩٨)

حويلة: منطقة في بلاد العرب يُعتقد انها منطقة خولان في القسم الغربي من بلاد العرب شمال اليمن. وقد تكون شمال اليمامة الذي يحمل الاسم نفسه (عبد الملك، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

حيلام: مكان عبر الاردن (شرق الاردن)، وربما كان *عليم* او *علمة* في سهل حوران (عبد الملك، ص، ٣٣١ ـ ٣٣٢).

***

خ

خابور: نهر في بلاد ما بين النهرين، يصب في الفرات، ولا يزال يسمى بهذا الاسم، وقد نقل مسبيو الاسباط العشرة ليستقروا على ضفتيه (عبد الملك، ص ٣٣٤ والدبس، جـ ٢: ٤٧٦).

***

د

داباريتّا (Dabarittha): وهي اليوم دبوريه (Debourich)في السفح الغربي لجبل طابور (Josèphe,P..294). وهي «دبرت» او «دبورين» (Smith P. 36).

دان: اسم مدينة بناها سبط دان في النصيب الذي خصص له من أرض الميعاد وسماها

«دان». وكانت تقع في سفح جبل حرمون عند *تل القاضي* حيث منابع الاردن، ويرجح انها كانت تقع على بعد ٣ أميال غرب بانياس. وهي المعروفة الآن بتل القاضي، وتشكل الحدود الشمالية للارض التي يزعم العهد القديم انها أرض الميعاد، اما الحد الجنوبي لهذه الارض فهو (بئر سبع)، (عبد الملك، ص ٣٥٧ و الدبس، جـ ٢ : ٤٠٩).

دبير: تعني بالعبرية «مقدس» ويرجح انها المكان المسمى اليوم *تل* بيت مرسيم الذي يبعد نحو ١٢ ميلاً جنوب غربي حبرون، وربما كانت قرية «ثغرة الدبر» الحالية الواقعة في «وادي دبير» بالقرب من الدُم (أدُميم) على الطريق بين أورشليم وأريحا (عبد الملك، ص ٣٦٨) و انظر .(Aharoni, P. 46 Map 50)

دفقه: وتعني بالعبرية (سوق المواشي)، وهي على الطريق الى سيناء بين البحر الاحمر ورفيديم، وربما كانت الموقع المعروف اليوم *بسرابية الخادم* او كانت مكاناً بالقرب من «وادي المغارة» (عبد الملك، ص ٣٧٤).

دوتان او دوثان: كلمة عبرية بمعنى (آبار)، وكانت بلدة لا تبعد كثيرا عن شكيم والسامرة، ومكانها اليوم تل لا يسكنه احد ويدعى «تل دوثان» شمال شرقي السامرة (عبد الملك، ص ٣٧٩).

دور (او دورا): كنعانية بمعنى مسكن، وهي مدينة كنعانية على البحر المتوسط، تقع على مسافة ٨ أميال شمال قيصرية (قيسارية)، وتوجد بقاياها في برج يقع شمال بلدة *الطنطورة* على الساحل الفلسطيني (عبد الملك، ص ٣٨٠)، و: (pritchard, P. 63 Carte. 5) او هي على مسافة ٢٠ كلم من حيفا (Josèphe, P. 127)

دياتمه: *تل الرامة*.

ديبون: شمال نهر ارنون، وهي بلدة *نيبان* في شرق الأردن حالياً (عبد الملك، ص ٣٨١).

ديوسبوليس (Diospolis): اللد، او ليدا (Josèphe, P. 163) وربما تكون هي ديوم.

ديون (Dion) أو ديوم(Dium): وهي *تل الاشعري*، تقع على الضفة الشمالية لنهر اليرموك، شرق بحيرة طبرية (Aharoni, P. 207).

***

ر

راخال او راكال: مدينة كانت في يهوذا، لا يعرف موقعها الآن (عبد الملك ص ٣٩٠).

رأس الفسجة: وتعني «الفسجة» بالعبرية «القسم او القطعة»، ورأس الفسجة: الجزء من سلسلة جبال عباريم الواقع في الطرف الشمالي الشرقي من البحر الميت، فقد كان البحر الميت تحت سفوح الفسجة التي تشرف قمتها على البرية (عبد الملك، ص ٦٧٨).

رافون: او الرافة، عبر الاردن، على بعد ٤ أميال من أذرعات، جنوباً بغرب (الدبس، جـ ٣ : ١٨٤).

رافيا: رفح، جنوب غربي غزة (Josèphe, P. 132) و(Webster's P.100).

الرامة: ١) قرية صغيرة مبنية على هضبة عالية كانت في نصيب سبط بنيامين، على بعد ٥ أميال شمال أورشليم على طريق بيت ايل.

٢) مدينة (رمتايم صوفيم) التي سميت كذلك لتمييزها عن باقي المدن المسماة (الرامة) وربما كانت (رام الله) الحالية.

٣) مدينة كانت على حدود سبط أشير، وفي نصيب سبط نفتالي، ويُظن ان مكانها الآن *الرامة* على مسافة ١٢ ميلاً جنوب شرقي صور، و ٥ أميال جنوب غربي صفد.

٤) أسم آخر لراموت جلعاد.

٥) قرية كانت في سبط شمعون، ولا شك في انها (راموت) الجنوب، وتدعى ايضاً (بعلة بئر). (عبد الملك، ص ٣٩٢).

٦) ويذكر الدبس ان الرامة هي المحل المسمى الآن *رام* شمال أورشليم، على الطريق من أورشليم الى نابلس، وهي غير الرامة مدينة صموئيل المسماة (النبي صموئيل)، وكانت الرامة على التخوم بين مملكة يهوذا واسرائيل (الدبس، جـ ٢ : ٤٠٧).

الرامتائيم صوفيم: (وأحياناً تسمى الرامة) وقد اختلف في تحديد موضعها، فقال بعضهم انها في «جبل الفريديس»، جنوب شرقي بيت لحم. وقال آخرون انها محلة «صوبا» غرب أورشليم، على بعد ٦ أميال منها، وقال غيرهم إن موقعها كان في رام الله شمال أورشليم وغرب البيري. وحقق «كاران» موقعها في المحل المسمى الآن «النبي صموئيل» في شمال غربي أورشليم على الطريق القديم من يافا الى أورشليم، باعتبار ان قرية «النبي صموئيل» قائمة على أكمتين وتصدق عليها تسمية «الرامتائيم» أي الرامتين، والرامة: المحل المرتفع، وصوفيم: نسبة الى «صوف» احد أجداد صموئيل (الدبس، جـ ٢: ٢٦٨).

راموت جلعاد: راموت، تعني، بالعبرية «مرتفعات» وراموت جلعاد: مرتفعات جلعاد. وتقع راموت جلعاد في شرق الاردن حالياً، وتدعى أيضاً «الرامة» (انظر: الرامة) وهي *تل راميث* حالياً (عبد الملك، ص ٣٩٣) ويذكر الدبس، (جـ ٢: ٤١٤) انها مدينة السلط الحالية.

ربلة: اسم مدينة في أرض حماة، الا انه ليس من المؤكد انها الموقع نفسه الوارد أسمه هنا، (عبد الملك، ص ٣٩٨).

راحوب: تعني بالعبرية «رحب، متسع»، وربما تكون *تل البئر الغربي* بالقرب من عكا الى جهة الشرق (عبد الملك، ص ٤٠١). أو انها بين بانياس جنوباً ومملكة حماة شمالاً. وقال بعضهم انها (هونين) اليوم الواقعة شمال غربي بحيرة الحولة، وان مملكة رحوب كانت تقع في جهة بانياس وسهل الحولة (الدبس، جـ ٢: ٣٢٠).

رعمسيس: وهي *تل الضبع* بمصر (Aharoni P. 213).

رفيديم: تعني بالعبرية «متسعات» وهي بين برية سين وسيناء، مكانها غير معروف بالتحديد، ولعلها *وادي رفايد* شمال غربي جبل موسى (عبد الملك، ص ٤٠٨).

رِمّون: في الجليل، وتوجد «رمون» في النقب، وتدعى خربة *ام رمانة* (Smith P. 36).

ريتيا (Rhétia): مقاطعة قديمة في شمال الغول سيزالتين (Gaule Cysaltine) في الألب، وهي تكوّن اليوم مقاطعات غريزون Grisons والتيرول ولومبارديا.

رينوكورير (Rhinocorure): او رينوكولير (Rhinocolure)، مرفأ على الحدود بين مصر وفلسطين، وهو اليوم :*العريش* (Josèphe, P. 159).

***

ز

زِفرون: اسم آرامي بمعنى «رائحة» وربما كانت «زعفران» الواقعة على الطريق بين حمص وحماة (عبد الملك، ص ٤٢٦). او بلدة *حوارين* شرق «صدد» وغرب «القريتين» (خارطة سوريا وAharoni P. 215).

زوار: وهي خربة تقع قرب بلدة *الصافي* جنوب البحر الميت.

زيف: مدينة جنوب يهوذا، تعرف اليوم باسم (الزيفة) جنوب غربي كرنوب. أو هي مدينة في المنطقة الجبلية من يهوذا بالقرب من (برية زيف) وتعرف اليوم باسم *تل زيف* وتقع على بعد ٤ أميال جنوب شرقي الخليل (عبد الملك، ص ٤٤٢)

***

س

ساريد: جنوب غربي الناصرة (خارطة فلسطين).

السامرة: او سبسطية او سيباسطة، وتقع على تل على بعد ٥ أميال شمال غربي شكيم (نابلس)، والقرية الموجودة على هذا التل تسمى *سبسطية*، (عبد الملك، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

سعير أو جبل سعير: الارض الجبلية الواقعة على الجانب الشرقي من الجزيرة العربية، وفيها جبل هور الذي يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيه ١٦٠٠ متر (عبد الملك، ص ٤٦٧).

سفروائيم: بعضهم يظن انها «سبرائم» الواقعة شمال فلسطين، وهي بقعة مرتفعة بين تخوم دمشق وحماة، او انها خربة «سنبرية» الواقعة مكان «سبرائم» القديمة، على الضفة الغربية لنهر الحاصباني، على بعد ٣ أميال جنوب شرقي آبل (عبد الملك، ص ٤٥٥) ويظن آخرون ان مكانها اليوم «شومورية» شرق بحيرة حمص (عبد الملك، ص ٤٦٩).

سفموت: المكان الذي لجأ اليه داود بعد ان طارده شاول، ولعله كان في جنوب يهوذا (عبد الملك، ص ٤٧٠).

سكّوت: أول محلة وقف فيها العبرانيون بعد خروجهم من مصر، مكانها غير معروف بالضبط، ولكن يبدو انها تقع في وادي الطميلات (عبد الملك، ص ٤٧٢).

سكوت: وهي *تل دير علاّ* شمال شرق مصب نهر الزراقاء بالاردن (خارطة فلسطين و Aharoni P. 214 و Smith P. 36)

سلكة او سلخة: على حدود باشان الشرقية، وهي (صلخد) الحالية التي تقع عند الطرف الجنوبي لجبل العرب (جبل الدروز سابقاً)، (عبد الملك، ص ٤٧٧).

سلوكية (سلوقية): ميناء انطاكية واسمها اليوم (السويدية) (عبد الملك، ص ٤٨٠). أو هي مدينة يونانية تقع في الجولان، شمال بحيرة طبرية (Aharoni, P. 213).

سماقا: وهي *خربة السميك* شمال شرق ميدبا (Aharoni P. 213).

سنابري: وهي حصر كنرّت عند مخرج نهر الاردن من بحيرة طبريا جنوباً (خارطة فلسطين و Aharoni P. 213).

سنة: صخرة حادة تقابل صخرة (بوصيص). وكانت الصخرتان تعترضان الطريق من مخماس الى جبع من ناحيتي الشرق والغرب (عبد الملك، ص ٤٨٩).

سيخو او سيكو: وتعني بالعبرية (التل او المرتفع) وهي اسم مكان بين جبعة والرامة، وربما كانت قرية (شويكة) التي تقع على بعد ٣ أميال شمال الرامة (عبد الملك ص ٤٩٦).

سوكو او سوكوه: خربة *الشويكة* اليوم. عند وادي السنط، على بعد ٩ اميال من بيت جبرين (عبد الملك، ص ٤٩٥) نحو أورشليم (الدبس، جـ ٢: ١٩٩) وهي على بعد ١٠ اميال جنوب غربي حبرون، وتعرف باسم «خربة الشويكة» ايضاً (عبد الملك، ص ٤٩٥).

سيتوبوليس (Scythopolis): بيت شان، قرب الاردن، او *بيسان*.

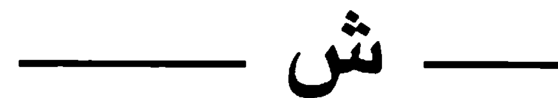
(Josèphe P. 128, و Webster's P. P. 142, 1093).

سيرين (Cyrène): (او برقة) مدينة قديمة في شمال أفريقيا، أسسها يونانيون عام ٦٣٠ ق. م.، وهي العاصمة الاصلية لسيريناكا، احتلها الاسكندر عام ٣٣١ ق. م. ثم احتلها الرومان عام ٩٦ ق. م. (Webster's P. 308).

سيريناكيا (Cyrenaïca): القسم الشرقي من ليبيا (غرب مصر) استقر فيها اليونان بعد ان أسسوا سيرين، وقد جعلها الرومان ولاية رومانية عام ٦٧ ق. م.، ثم انتقلت الى العرب في القرن السابع الميلادي (Webster's, P. 308)

سيلويه (او عين سلوان) (Siloé): عين نضّاحةٌ يُتبرك ويُستشفى بها بالبيت المقدس، تحتها عين عذبة تسقي جناناً عظيمة، وقفها عثمان بن عفان على ضعفاء بيت المقدس، تحت بئر أيوب (ياقوت، معجم البلدان، جـ٢: ٢٤١). او حوض ماء جنوب صهيون، في وادي تيروبيون(Josèphe, P. 264)

***



شافام: اسم رئيس في سبط جاد، (عبد الملك، ص ٥٠١) وربما سمي المكان باسم هذا الرئيس.

شباريم: اسم عبري يعني «الخراب» او «المحاجر» ولا يعرف موقع هذا المكان اليوم (عبد الملك، ص ٥٠٤).

شبمة: وهي سومية الواقعة شمال «جبل المشقّر» في الاردن (خارطة الاردن ـ القدس وعمان) و (Smith P. 36).

شطّيم: تعني بالعبرية «شجر السنط» وهو مخيم لبني اسرائيل في سهول مؤاب، في شرق الاردن، مقابل أريحا، من حيث عبر الاسرائيليون نهر الاردن، ومكانه اليوم هو «تل الحمّام». وفي شطّيم، تم الاحصاء الثاني للشعب الاسرائيلي، وأعلن يشوع انه خليفة موسى، بعد موته (عبد الملك، ص ٥٠٩).

شعرايم: مدينة تقع في وادي السنط بالقرب من تل زكريا (عبد الملك، ص ٥١١) او هي المحل المعروف اليوم (بتل الفارعة) على بعد ١٥ ميلاً جنوب شرقي غزة (عبد الملك، ص ٥٠٠).

شَعَلْبيّم: قد تكون مدينة (سلبيط) التي تبعد ٣ أميال شمال غربي عجلون، وأغلب الظن ان شَعَلّبيم وشعلبين اسمان لمدينة واحدة (عبد الملك، ص ٥١١)

شعليم: مقاطعة في جبل افرائيم، تأتي بعد شليشة (عبد الملك، ص ٥١١).

شكيم (Sichem): *نابلس* (عبد الملك، ص ٥١٥، والدبس، جـ٢: ٢٣٧، و Josèphe, P. 128).

شليشة: مقاطعة في جبل افرائيم، وربما تكون شرق اللد على المنحدر الغربي من الجبل (عبد الملك، ص ٥١٨).

شمرون: مدينة كنعانية على ساحل فلسطين الشمالية، اسمها الكامل «شمرون مرؤون» وربما كانت قرية «السميرية» الحالية الواقعة بالقرب من عكا، على طريق صور (عبد الملك، ص ٥١٨)، ويرجح أنها خربة سمونية في سهل يزرعيل، غرب الناصرة (Smith, P. 36 و Aharoni, P. 213).

شوشن او شوشان: مدينة معروفة، عند اليونانيين بـ«سوسا» في عيلام (الذي هو أقليم يقع شرق أرض ما بين النهرين) أما موقعها فهو شرق بابل وشمال خليج العجم، وفيها خرائب لآثار قصر داريوس ابي أرتحشستا الملك الفارسي (عبد الملك، ص ٥٢٨)، وكانت عاصمة لمملكته.

شوعال: مقاطعة كانت بالقرب من عفرة وشمال مخماس (عبد الملك، ص ٥٢٩).

شونم: مدينة مقابل جبل جلبوع، وتسمى اليوم *سولم* على جانب جبل الدحي (عبد الملك، ص ٥٣٠) او هي تقع شمال زرعين ناحية جنين من محافظة نابلس في مرج ابن عامر (الدبس، جـ٢: ٢٠٢).

شيلوه: مدينة شمال بيت ايل، في منتصف الطريق بين بيت ايل (بيتين) وشكيم (نابلس) ويرجح انها المسماة اليوم (سيلون) وتبعد ١٧ ميلاً شمال أورشليم (عبد الملك، ص ٥٣٥).

***

ص

صاعير، او صعير: اسم عبري معناه (صغير) ويقال انها قرية (صعير) الحالية، تقع على بعد ٥ اميال شمال شرقي حبرون (الخليل)، حيث قبر عيسو (عبد الملك، ص ٥٤٣).

صبوعيم (وادي): موقع سَكَنَهُ البنياميون بعد السبي ولا يعرف مكانه اليوم، او انه واد في بنيامين شرق مخماس الى جهة البرية، ويسمى اليوم (ابو ضباع) (عبد الملك، ص ٥٣٨). أو انه ربما كان ما يسمى (شق الضبع) في البرية بين مخماس وأريحا، او على شاطئ بحيرة لوط غرباً (بحسب قول اسابيوس والقديس ايرونيموس)، (الدبس، جـ٢: ٢٧٩). وربما يكون *وادي صوبنيت* الواقع بين مخماس وجبع.

صخرة الرّمون: صخرة بالقرب من جبعة لجأ اليها ٦٠٠ من بني بنيامين واختبأوا فيها أربعة أشهر. وتوجد قرية معروفة باسم *رمّون* على هضبة بين بيت ايل ونهر الاردن (عبد الملك، ص ٤١٢).

صخرة الزلقات: أي (صخرة الافتراق او الهرب) وهي حصن طبيعي يقع شرق جنوبي

حبرون (الخليل). وقيل انها في وادي الملاقي الى شرق معون (عبد الملك، ص ٥٣٨).

صَدَد: اسم سامي بمعنى «جانب الجبل» ربما كان برجا على الحدود الشمالية لكنعان، ويرى أكثر الباحثين انها مدينة صَدَد الحالية التي تقع على بعد ٧٥ ميلاً شمال شرقي دمشق و ٣٥ ميلاً جنوب شرقي حمص، على طريق ربلة الى تدمر، (عبد الملك، ص ٥٣٨).

صَرتان: قرية بالقرب من ادام، في أرض الخزف في غور الاردن، وقد اختُلف في موقعها فقيل: قرية مرطبة، وقيل تل سليخات، وقيل تل السعيدية (عبد الملك، ص ٥٤١).
وقيل: *تل ام حمد*، الواقع شمال دامية (Aharoni, P. 215)

صرعاتان او صرعة: مدينة كانت في ساحل يهوذا، وهي قائمة الآن واسمها صرعة على الضفة الشمالية من وادي سورق (وادي الصرار) غرب القدس، وهي مسقط رأس شمشون وفيها مدفنه ومدفن ابيه (عبد الملك، ص ٥٤٢ والدبس، جـ٢: ٣٩٩).

صرفت: الصرفند، جنوب صيدا او شمال صور.

صريرة: او صريدة، او صَرَدة، وربما كانت «دير غسّانة» بالقرب من «عين صَرَد» على مسافة ١٥ ميلاً جنوب غربي شكيم (نابلس)، او انها (صرتان) وهي قرية تقع شرق يزرعيل بين مدينتي بيت شان وأدام في غور الاردن (عبد الملك، ص ٥٤١) او انها بين شطّة وآبل محولة شرقاً (الدبس، جـ٢: ٢٣٤).

صَفات: او (صَفاة) لم يحدد موقعها بالضبط، وقيل انها كانت تقع على جانب (وادي صفاتة)، وانها بالقرب من (خربة مراش او مريشة) التي تبعد نحو ميلين عن (بيت جبرين) جنوباً. او أنها في محل (تل الصافي) الذي يبعد نحو ثلث ساعة عن (خربة مراش)، (الدبس، جـ: ٢٢٣). وقد سميت (حرمة) بعد احتلالها من قبل بني اسرائيل وخرابها على يدهم، ويذكر (عبد الملك) انها كانت تقع جنوب البلاد عند تخوم أدوم بالقرب من صقلغ (عبد الملك، ص ٢٩٩ و ٥٤٣).

صقلاج: هي اليوم أطلال جنوب بئر سبع (الدبس، جـ٢: ٣٠١)، وربما كانت «صقلغ» نفسها.

صقلغ: يرجح انها «تل الخويلفة» الذي يبعد نحو ١٠ أميال شرق «تل الشريعة» (عبد الملك، ص ٥٤٥).

صمارائيم (جبل): جبل في أفرائيم، ولعله كان جنوب بيت ايل، بالقرب من مدينة صمارائيم (عبد الملك، ص ٥٥٢).

صوبا او صوبة: كانت مملكة عظيمة من ممالك آرام في أيام شاول وداود وسليمان، وكانت تمتد الى غرب الفرات، وقد سماها العبرانيون (آرام صوبة) امتدت سلطتها حتى حدود حماة، وكانت دمشق الى جنوبها، او الجنوب الغربي منها (عبد الملك، ص ٥٥٨).

صوعر او صوغر: كانت تُرى من جبل نَبو، وكانت في الطرف الجنوبي من البحر الميت، (يوسفوس) او في الجنوب الشرقي منه. وكانت على حدود مملكة «البتراء» العربية (عبد الملك، ص ٥٦٢).

صوف: انظر: رمتايم صوفيم او الرامة (عبد الملك، ص ٣٩٢ و ٥٦٢).

***

ط

طباة (او طبات): رأس ابو طابات اليوم (عبد الملك، ص ٥٧٣) بالقرب من (آبل محولة)، الدبس، جـ٢: ٢٣٤).

طلايم: موقع جنوب يهوذا، وربما كان (طالم). (عبد الملك، ص ٥٧٧).

طوب: تعني بالعبرية (طيب)، وهي منطقة شرق الاردن وراء حدود بني اسرائيل، وربما كانت *الطيبة* على عشرة أميال جنوب «جدة» التي تسمى الآن «مقيس» او «ام قيس» (عبد الملك، ص ٥٨١). او انها كانت تقع في المنحدر الشرقي لجبل الشيخ، في الجهة المعروفة اليوم بالبلاس (الدبس، ص ٣٢٠).

***

ع

العي او عاي: تعني بالعبرية «خراب» وهي بلدة كنعانية الى الشرق من بيت ايل والى الشمال من مخماس على طرف واد، وتعرف اليوم باسم *التل* (عبد الملك، ص ٥٩١).

عاي عباريم: وتعني «عبآريم» بالعبرية «عبر» وهي سلسلة جبال في شرق الاردن. وقد سميت «عباريم» لانها في شرق الاردن، عبر النهر. وعلى قمة هذا الجبل (عباريم) المسماة (جبل نَبو)، وقف موسى وشاهد أرض الميعاد، قبل ان يموت هناك (عبد الملك، ص ٥٩١).

عبدون: وهي عبدة شرق «الزيب» شمال عكا (Smith, P. 35).

عِتاك: وتعني بالعبرية (مأوى). وهي قرية جنوب يهوذا، وربما كانت هي (عاتر)(عبد الملك، ص ٦٠٠).

عجلون: وهي *تل عيطوم* الواقع غرب حبرون (الخليل) (Aharoni, P. 207) وهي غير عجلون الواقعة في شرق الاردن.

عدلام: وتعني بالعبرية (ملجأ) ويقال انها مغارة (وادي قريطون) قرب بيت لحم، طولها أكثر من ١٦٠ م. وتتسع لمئات الرجال. او انها مدينة بين بلدتي يرموت وسوكوه، (عبد الملك، ص ٦١١). او انها المغارة المعروفة (بخربة خريتون) على بعد ٨ أميال جنوب بيت لحم (الدبس جـ٢: ٢٩٤).

عديدا: وهي *الحديثة* الواقعة شمال شرقي اللد، (Aharoni, P. 207) راجع: حاديد، وانظر (خارطة فلسطين).

عَرَّاد: يعني بالعبرية «حمار الوحش»، وهي بلدة تقع جنوب الخليل على مسافة ١٧ ميلاً منها، (عبد الملك، ص ٦١٥). وهي *تل عراد* الحالية.

عرقة: تل عرقة.

عَروعير: وتسمى الآن *عراعير*، وهي على بعد ١٢ ميلاً شرق البحر الميت شمال نهر أرنون، وجنوب ذيبان بقليل.

- او انها مدينة في جلعاد، بالقرب من (ربة) التي هي (ربة عمون) أي (عمّان) عاصمة الاردن الحالية.

- أو انها (عرعارة) الحالية، وتقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب شرقي بئر سبع. (عبد الملك، ص ٦١٩).

عَزَمون (Asamon): وهو *جبل ديدبا* (Daidaba)، ويقع في قلب الجليل مقابل صفورية (Josèphe, P. 284).

عَزَّيقة: بلدة قرب سوكوه، وهي *تل زكريا* اليوم، (عبد الملك، ص٦٢٧). او هي مقابل سوكوه (خربة الشويكة)، بالقرب من أورشليم. وكان موقعها في دير العاشق او في تل زكريا، (الدبس، جـ٢: ١٩٩ و ٢٨٧).

عشتروت: بلدة قديمة في باشان (شرق الاردن) كانت احدى عاصمتي المملكة حيث يقيم (عوج) ملكها، وكان بعض سكانها عمالقة وعوج منهم (عبد الملك، ص ٦٢٨).

عصمون: تعني بالعبرية «قوي» وهي اسم مكان في القسم الجنوبي من فلسطين، باتجاه حدود برية سيناء غرب قادش برنيع، وربما كان مكانها «عين القصيمة» (عبد الملك، ص ٦٣١). او *عين المويلح* (Aharoni, P. 205)

عصيون جابر: مدينة على البحر الاحمر، على الطرف الشمالي من خليج العقبة، بالقرب من مرفأ ايلات، وكانت آخر محطة لبني اسرائيل في رحلتهم البرية وقبل وصولهم الى برية صين (عبد الملك، ص ٦٣١).

عُفرة: (أو عفرة ابيعزر) بلدة غرب الاردن سكنها الابيعازريون، وربما كانت قرية *الطيبة* الحالية، (عبد الملك، ص ٦٣٢). او هي (فرعاتا) الحالية التي تبعد ٦ أميال عن نابلس غرباً (الدبس، جـ٢: ٢٣٢ وعبد الملك، ص ٦٣٢).

عفرة (بنيامين): يعتقد انها (الطيبة) على بعد ٤ أميال شمال شرقي بيتين، وشمال مخماس، على بعد ١٥ ميلاً من القدس(الدبس، جـ٢: ٢٧٨).

عفرون: ربما كانت (عُفرة) التي يعتقد انها *الطيبة* الواقعة على بعد ٤ أميال شرق بيتين (عبد الملك، ص ٦٣٢).

عقبة حارس: بقعة شرق الاردن (عبد الملك، ص ٢٨٢).

عقبة صيص: أغلب الظن انها *وادي خصاصة* الذي يصل الضفة الغربية للبحر الميت شمال عين جدي بجبال يهوذا، وهي الطريق التي سلكها المؤابيون والعمونيون من عين جدي الى برية يروئيل وتَقوع (عبد الملك، ص ٥٦٦ و ٥٦٧).

عقبة العقارب: او عقبة عقريم، جرف من الجبل يفصل غور البحر الميت عن فلسطين الجنوبية، على الطرف الجنوبي من البحر، قرب برية صين، وربما كان «نقب الصفا» (عبد الملك، ص ٦٣٣).

عقرباتين (Acrabatène): جنوب شرقي شكيم (نابلس) (Josèphe, P. 25).

عقرون: أقصى مدن الفلسطينيين الخمس باتجاه الشمال، كانت من نصيب يهوذا ثم أعطيت لدان، وربما كانت قرية *عاقر* جنوب يافا. وقد تبادلها العبرانيون والفلسطينيون، الا ان الفلسطينيين ما لبثوا ان استردوها (عبد الملك، ص ٦٣٣).

العمالقة: شعب من أقدم سكان سوريا الجنوبية، كان يقيم في البدء، قرب قادش في جنوب فلسطين، وكانت بينهم وبين العبرانيين حروب، لان العبرانيين اعتدوا على ممتلكاتهم، وأهم معركة جرت بينهم هي معركة «رفيديم» التي انهزم فيها العمالقة وتشتتوا بعدها الى حين عادوا واستجمعوا قواهم وحاربوا العبرانيين من جديد عندما حاول هؤلاء التوسع شمالاً، (عبد الملك، ص ٦٣٦).

عِمّاوس: (Emmaus): غير عماوس الواردة في الانجيل، والتي هي قرب أورشليم (على ٦٠ مرحلة) أو انها نيكوبوليس(Nicopolis) او المسماة اليوم *عِمواس* على بعد ١٥ كلم جنوب شرقي اللد (Josèphe, P. 231).

عناب: بلدة في جبال يهوذا، موقعها اليوم هو «خربة عنان» على بعد ١٦ ميلاً جنوب غربي الخليل (عبد الملك، ص ٦٤٢).

العِناقيون: شعب كنعاني كان يسكن فلسطين قبل اجتياحها من قبل بني اسرائيل، وهم

ذرية عناق، كانوا يوصفون بالجبابرة لطول قاماتهم وشدة بأسهم بالحرب، وكانوا يقطنون جنوب فلسطين، بين القدس والخليل، (عبد الملك، ص ٦٤٢).

عيطم: بلدة في اليهودية، وربما كانت هي (عيطون) حالياً، جنوب غربي الخليل، او انها بلدة في جوار بيت لحم وتسمى اليوم خربة *الخوخ* عند برك سليمان، بالقرب من أرطاس وعين عطان (عبد الملك، ص ٦٥٠).

العين: عند حدود ارض الميعاد في اسفل بحيرة طبرية جنوباً بشرق، واسمها الحالي عيون وهي غير «عيّون» التي سترد فيما بعد (خارطة فلسطين، وAharoni, P. 204).

عين جدى: كان اسمها أولاً (حصون تامار) وتقع على الشاطىء الغربي للبحر الميت، على بعد ٣٥ ميلاً من القدس، وعلى بعد ميل واحد من شاطىء البحر الميت، وعلى ارتفاع ٤٠٠ قدم عن سطح ذلك البحر. ولا يزال نبع (عين جدى) يحمل الاسم نفسه (عبد الملك، ص ٦٥٢).

عين حرود: ربما كانت (عين جالود) شمال غربي جبل جلبوع، على نحو ميل من يزرعيل، شرقاً بجنوب وبالقرب من بيسان (عبد الملك، ص ٣٠١)، او هي (عين جالوت) الشهيرة. وهي عين *حارود* الحالية.

عين دور: على مسافة ٦ أميال جنوب شرقي الناصرة، (عبد الملك، ص ٦٥٣). وهي قرية *إندور* العربية (صايغ، أنيس، بلدانية فلسطين المحتلة، ص ٢٢١).

عين رمون: انظر (رمون).

عين روجل: نبع بالقرب من القدس، قرب وادي هنّوم، وكان يظُن ان موقع عين روجل هو (بير ايوب) جنوب القدس في وادي قدرون، (عبد الملك، ص ٦٥٣).

عيّون: اسم عبري معناه (الخراب) وهي مدينة محصنة تقع في القسم الشمالي من فلسطين ، ويرجح انها قرية دبين في جنوب لبنان، قرب مرجعيون، وشمال غربي بانياس، (عبد الملك، ص ٦٥٤ و الدبس، جـ٢: ٤٠٩).

***

غ

غابارا او (غبارا) (Gabara): بلدة في الجليل، تقع على مسافة ٢٤ كلم شرق عكا، و ١٢ كلم شمال جفت (جوتاباتا) وهي غير (غدارا) الواقعة شرق نهر الاردن. وتسمى حالياً كبره، (الدبس، جـ٣: ٣٥٠) وانظر (Josèphe. P.316)

غامالا (Gamala): *قلعة الحصن*، على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا (Smith, P. 42)

غدارا (Gadara): مدينة يونانية في شمال شرقي فلسطين، في منطقة بيريا (Josèphe, P. 132 و Webster's. P. 423) وتعرف حالياً باسم *ام قيس* (Aharoni, P. 208). وتقع جنوب هيبوس، وجنوب شرقي بحيرة طبرية (انظر: La Sainte Bible, Carte) على الضفة الجنوبية لنهر اليرموك، في الأراضي الأردنية حالياً.

غرابه: وهي بلدة *عرّابة* (Aharoni, P. 208) الواقعة في الجليل، شمال غربي حطين (خارطة فلسطين).

غُفنة (او جفنة) (Gofna): انظر: جُفنة.

***

ف

الفِسجة: جزء من سلسلة جبال عباريم، في الطرف الشمالي الشرقي من البحر الميت (عبد الملك، ص٦٧٨).

فم الحيروت: محلة عند حدود مصر، واقعة على البحر بين مجدل وبعل صفون، موقعها

غير معروف بالتأكيد، الا انه يرجح ان تكون في مستنقعات جفنة، على حافة الممر بين الجبل والبحيرات المرة (عبد الملك، ص ٦٩٨).

فنوئيل: في الاصل مخيم في شرق الاردن، كان فيه مدينة وبرج، في عهد القضاة. وقد هدم جدعون البرج وقتل سكان المدينة، (عبد الملك، ص ٦٩٨). ويذكر الدبس انها مدينة شرق سكّوت لم يحدد مكانها (الدبس جـ٢ : ٢٢٥). كما يذكر «سميث» انها في *جبل يوشع* (Smith P. 36).

فونون: وهي *فينان* الواقعة في الجانب الشرقي من وادي عربة (عبد الملك ص ٧٠٠ وAharoni P. 212).

فيلادلفيا (Philadelphie) *عمّان* (عاصمة الاردن اليوم).

***

ق

قادش: على بعد ١٠ أميال شمال صفد وشمال غربي الحولة وتشرف على مرجعيون والحولة (عبد الملك، ص ٧٠٩) وهي *قَدَس* من أعمال صفد اليوم. وتسمى ايضاً «قادش الجليل». (١مك ١١: ٦٣).

قادش برنيع: كانت على مسافة ١٨ مرحلة من حصيروت (الدبس، جـ٢: ١٥٧)، او هي كانت على طرف برية صين الى الجهة الغربية من وادي العربة، بالقرب من تخم أدوم، وجبل هور (عبد الملك، ص ٧٠٨)، او انها كانت «ضمن حدود» برية صين، او «جزءاً من برية فاران» او «حداً» بين البريتين (عبد الملك، ص ٥٦٧). وذكر العهد القديم انها كانت في البريتين معاً: برية فاران (عد ١٣: ٢٧) وبرية صين (عد ٢٠: ١).

وهي تعني «ماء المخاصمة» لانه، في هذه المحلة تذمر بنو اسرائيل بسبب فقدان الماء وخاصموا موسى، فضرب موسى الصخرة بعصاه فتفجر

الماء منها، (العهد القديم: عد ١٠: ٧ ـ ١٣). وهي عين قديس الحالية، على الحدود المصرية ـ الفلسطينية الحالية.

قادش نفتالي: مدينة محصنة لنفتالي في الجليل، جنوب غربي بحيرة طبرية، وكانت مسكن باراق، وهي الآن خربة قديس، (Aharoni, P. 210).

قبروت هتاه: وهي «قبور الشهوة» وتقع قبل حصيروت، على مسافة ١٥ كلم شمال شرقي جبل سيناء. وكلا الموقعين (حصيروت وقبور الشهوة) يقع في برية التيه او برية فاران (عبد الملك، ص ٣١٠ و ٧١٤). او هي المحل المسمى اليوم «رويس الابراج» بالقرب من جبل موسى على طريق خليج العقبة، وذلك بحسب تقدير البعثة الانكليزية التي زارت المنطقة عام ١٨٦٩ (الدبس، جـ٢: ١٥٤).

قدرون (وادي): واسمه الحالي (وادي ستي مريم)، وهو واد يبدأ من شمال غربي أورشليم ثم يتجه جنوباً بشرق ثم ينحدر شرق المدينة. أي انه يمتد من جبل الزيتون الى تل المعصية حتى مار سابا حيث يسمى (وادي الراهب) ثم يصل الى بحر لوط وهناك يسمى (وادي النار). ويدعوه بعض المؤرخين (وادي يهو شافاط) (عبد الملك، ص ٧١٦ ـ ٧١٧). وهو يمر بين أورشليم وجبل الزيتون.

قدس (Cadasa): أنظر (قادش).

قرقر: وهي قرقور الحالية، على نهر العاصي، جنوب جسر الشغور، في الأراضي السورية حالياً.

قرنائيم: هي تل عشترة عبرالاردن (الدبس، جـ٢: ١٨٤). وهي قرية الشيخ سعد الواقعة شمال درعا (Aharoni, P. 210).

قطرون: ربما كانت (تل الفار) على مسافة ٧ أميال جنوب يافا (عبد الملك، ص ٧٣٨). او هي صفورية في الجليل (Smith, P. 35).

قعيلة: مدينة كانت في سهل يهوذا، واسمها اليوم (خربة كيلا) على مسافة ٧ أميال شرق بيت جبرين (عبد الملك، ص ٧٣٩).

قناتا: وهي *قنوات* في جبل العرب بحوران (Smith, P. 44 و Aharoni P. 210).

قير: موطن الآراميين الاول، ومنه خرجوا الى الشام. لم يتفق العلماء على موقع قير، ولكن المرجح انها كانت في شمال العراق (عبد الملك، ص ٧٥٢).

قير حراست: او قير حارس، او قير حارسة، ويعتقد انها (قير مؤاب)، (عبد الملك، ص ٧٥٢).

قير مؤاب: عاصمة مؤاب قديما، ومكانها اليوم مدينة *الكرك* في الاردن، وتقع شرق الجزء الجنوبي من البحر الميت، على هضبة صغيرة ارتفاعها، ٤٤٠٠ قدم عن سطح البحر الميت (عبد الملك، ص ٧٥٢).

قيصرية البحر: *قيسارية*، على الشاطىء الفلسطيني.

قيصرية فيليب: مدينة بناها هيرودوس فيليبوس الثاني (توفي عام ٣٤م.)، وتقع شمال بحيرة الحولة، عند السفح الجنوبي لحرمون، قرب احد منابع الاردن، وهي *بانياس* اليوم، (Aharoni P. 206 و: عبد الملك، ص ٧٥٥).

القينيون: من قبائل العرب، كانت تجاور أدوم (عبد الملك، ص ٧٥٦).

***

ك

كابركوتني: وهي «اللجون في الجليل».

كازيوس (جبل): رأس في البحر المتوسط على ساحل سيناء بالقرب من بحيرة البردويل (Smith, P. 32).

كركميش: غرب نهر الفرات، عند التقائه بساجور، ويدعى موقعها اليوم *جرابلس* (عبد الملك، ص ٧٧٦).

كرمل: خربة كرمل (خارطة فلسطين).

كريت: اسم عبري معناه «وهدة» وهو مجرى ماء مقابل الاردن، ويعتقد انه «وادي فصيل» او واد آخر في شرق الاردن (عبد الملك، ص ٧٨٠).

كفرتوبا: وهي خربة عتربا غرب حبرون (الخليل) (Aharoni P. 207)

كنّاروت (بحيرة): وهي بحيرة طبرية (Josèphe, P. 348) وتسمى كذلك «كنّرت» او «كنّروت» او «جنّيسارت» او «بحر الجليل» (عبد الملك، ص ١٦٤ و٢٦٦).

كوت: وهي *تل ابراهيم* شمال «بابل» على الفرات (Aharoni P. 207).

كفربيس: خربة *البيس*، شمال غربي الخليل (Aharoni, P. 206).

كورعاشان او بور عاشان: ويرجح انها (عاشان) التي كانت من نصيب يهوذا ثم نقلت بعد ذلك الى شمعون، وتعني بالعبرية (أتون مدخن، او بئر مدخن) (عبد الملك، ص ٧٩٦).

كوريا (Coréa): على بعد ٣٠ كلم شمال أريحا. (Josèphe, P. 138) وهي قَرَوة (Aharoni, P. 207).

كوش: كان نهرا دجلة والفرات يسقيان ارضها، وربما كانت أرض الكسائيين، وتدل في أكثر الاحيان على بلاد الحبشة (عبد الملك، ص ٧٩٨).

***

ل

لاكيش، او لخيش: كانت تعرف سابقاً بتل الحصي، او الحسي (انظر خارطة فلسطين). تقع على مسافة ١٦ ميلاً شمال شرقي غزة، و ١١ ميلاً جنوب غربي بيت جبرين، وربما تكون *تل الدوير* الواقعة غرب بيت جبرين (عبد الملك، ص ٨١٣). وربما تكون «لاشيش» الواقعة جنوب غربي بيت جبرين كذلك (انظر خارطة فلسطين).

لاوديسه (Laodicée): اللاذقية، (Josèphe).

لبنة: مدينة على الساحل بين مقيّدة ولاكيش، ويرجح بعضهم انها المكان المسمى *تل بورناط* على مسافة ميلين شمال غربي بيت جبرين، كما يرجح بعضهم الآخر انها «تل الصافي» او «الصافية». (عبد الملك، ص ٨١٢).

لبونة: مدينة تقع شمال «شيلوه» على الطريق بين شكيم (نابلس) والقدس، وتعرف باللُّبن، (عبد الملك، ص ٨١٠).

لوبيّة: ليبيا الحالية، ولوبيون: أهل ليبيا (عبد الملك، ص ٨٢٠).

ليدّا (lydda): او ديوسبوليس (Diospolis): وهي اللد، قرب تل أبيب (Josèphe P.163).

***



م

مادون: مدينة كنعانية يرجح انها خربة *مادين* او مدين الواقعة بالقرب من حطين، في الجليل (عبد الملك، ص ٨٢٩).

مادي: مشتقة من ماداي بن يافث، وهي اسم بلاد تقع بين نهر أركيسيس وبحر قزوين شمالاً وشمالاً بشرق، وفراثية وهركانية وصحراء فارس شرقاً، وفارس وسوسيانة جنوباً، واشور وأرمينية غرباً. وكان الشعب الذي يقطنها يعرف بالشعب المادي، وقد نفي اليها بعض بني اسرائيل عند السبي (عبد الملك، ص ٨٢٩ ـ ٨٣٠). او هي بلاد تقع شرق بلاد ما بين النهرين، وتسمى كذلك «ميديا» (العهد القديم، دار المشرق، الطبعة الثانية، ص ٧٠٧ حاشية ٦).

مارّة: تعني بالعبرية «مرارة»، موضع في برية شور، وهي العين التي نزل عليها بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر الاحمر (عبد الملك، ص ٨٣١). ويعتقد بعض العلماء

انها العين التي تدعى اليوم عين *حوارة*، والتي تقع على مرتفع صغير، ويتغير طعم مائها بتغير الفصول، ولكن بعثة انكليزية زارت تلك المنطقة عام ١٨٦٩ واكتشفت، في وادي مريرة، في تلك الجهة، عينا ذات مذاق مرّ، يعتقد انها هي «عين مارّة» (الدبس، جـ٢: ١٢٥).

ماكيرونت او ماشيرونت (Machéronte): جنوب بيريا، على بعد ١٠ كلم شرق البحر الميت (Josèphe, P. 142).

المتّانة: تعني بالعبرية «هدية»، تقع بين القفر وتخوم مؤاب، وهي «المدينة» التي تقع حالياً على بعد ١٢ ميلاً جنوب شرقي مادبا (عبد الملك، ص ٨٣٥).

مجدالا (Magdala): تاريكا (Josèphe, P. 145)(انظر: تاريكا).

مجدل: مدينة محصنة تقع على تخوم مصر الشمالية تجاه فلسطين (عبد الملك، ص ٨٤٢).

مجدو (او مجدون) ومكانها *تل المتسلم* الواقع على مسافة ٢٠ ميلا جنوب شرقي حيفا، في الطرف الجنوبي لسلسلة الجبال التي تنتهي شمالاً بجبل الكرمل. وتدعى كذلك (هر مجدون اي تل مجدون)(عبد الملك، ص ٨٤١).

مجرون او مغرون: تعني بالعبرية (منحدر) وهي اسم مدينة بالقرب من (جبعة)، او انها الجانب الغربي لوادي سوينيب عند خربة تسمى (مكرون)(عبد الملك، ص ٩٠٩).

محنايم: مدينة كانت عبر الاردن (شرق الاردن)، شمال يبوق. وربما كانت خربة محنة شمال عجلون (عبد الملك، ص ٨٤٣).

***مخماس* او مخماش او مكماش**: قرية كانت تقع على بعد ٥ أميال شمال أورشليم (عبد الملك، ص ٨٤٨). ومن مخماس كان يمكن رؤية «جبعة» عاصمة الملك شاول.

مدخل حماة: ويسمى «ليبو حماة» وهي بلدة *اللبوة* الحالية في البقاع اللبناني، (عبد الملك ص، ٢١٦ و Aharoni P. 211).

مدِين: مدينة في يهوذا، وتدعى خربة مرد (Smith, P. 36). أو هي «خربة ابي طبق» (عبد الملك ص ٨٤٨).

مدين او مديان: كانت تمتد من خليج العقبة الى مؤاب وطور سيناء(عبد الملك، ص ٨٥٠). في القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء.

مرعله: وهي *نهلال* في الجليل (Smith, P. 36).

مريشة: مدينة في يهوذا، كانت تقع عند تل سندحنة جنوب شرقي بيت جبرين (عبد الملك، ص ٨٥٦)، او انها (خربة مراش) جنوب بيت جبرين (الدبس جـ٢: ٤٠٥). وتدعى اليوم *ماريسّا او مريسة* (خارطة فلسطين).

مسّادا (Masada): حصن يشرف على الضفة الجنوبية الغربية للبحر الميت، ويقع جنوب عين جدى، مقابل أضيق نقطة بين ضفتي البحر الميت الشرقية والغربية (خارطة فلسطين) وهو يعلو ٥١٩م عن سطح هذا البحر. (Josèphe, P. 153)وهي غير «مسعدة»، البلدة الواقعة جنوب سمخ عند الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية (خارطة فلسطين).

مسرفوت مايم «او مياه مسرفوت»: وتعني بالعبرية «العيون الساخنة» وهو موضع في شمال فلسطين، يرجح ان يكون الينابيع المعروفة اليوم بعين *المشيرفة* الواقعة على شاطىء البحر قرب رأس الناقورة (عبد الملك، ص ٨٨٩). وانظر (Pritchard, P. 63, Carte 5).

المصفاة: وهي *تل النصبة*، شمال أورشليم. وذكر العهد القديم عدة أماكن تسمى بالمصفاة، احداها في منطقة جلعاد (السلط) وتسمى *خربة جلعاد* (Aharoni P. 211) والثانية في بلاد مؤاب (شرق الاردن) والثالثة في سفح جبل لبنان (ناحية بانياس) وهي (وادي المصفاة). او هي أرض الحويين في فلسطين الشمالية، وربما كانت *سهل* مرجعيون في جنوب لبنان، شمال فلسطين، او بقعة بالقرب من قلعة الصبيبة او بانياس (عبد الملك، ص ٩٠٥ و Aharoni P.211).

معارة: مدينة كانت في جبال يهوذا (عبد الملك، ص ٩٠٦).

معكة: مملكة صغيرة كانت على تخوم فلسطين الشمالية الشرقية، وربما كانت «آبل بيت معكة»من بين مدن معكة او عند حدودها (عبد الملك، ص ٩٠٩). او انها كانت تقع

جنوب صوبة وغرب رحوب. وقال آخرون انها كانت شرق رحوب، تمتد قليلاً في سهل الحولة وتتصل بجبل حيش جنوب جبل الشيخ. (الدبس، جـ٢: ٣٢٠).

معون: مدينة كانت في جبل يهوذا، وربما كانت التل الواقع على بعد ٨ أميال جنوب حبرون، والمسمى (معين)، (عبد الملك، ص ٩٠٩).

مَقّيدة: ربما كانت قرية «الخيشم» التي تقع شمال شرقي تل زكريا (عبد الملك، ص ٩١٠). او هي الواقعة غرب حبرون (الخليل) (Aharoni, P. 51) وهذا هو المرجح.

ملاطة: او تل ملاطة، وهي *تل عرّاد* (Aharoni, P. 205).

ملّو: واد يفصل بين يبوس القديمة وحصن صهيون ويتصل بعين شيلويه (سيلويه او سيلواه). وقد ردم داود هذا الوادي واقام فيه قصراً له ومساكن لاعوانه ومجتمعاً لشعبه (الدبس، جـ٢: ٣١٠). او هو برج في أورشليم اشترك في بنائه داود وسليمان، وورد في بعض الترجمات باسم (القلعة). وربما كان يقع في القسم الشمالي الشرقي من مدينة داود (عبد الملك، ص ٩٢٣).

مليطة: جزيرة مالطة اليوم (وهي اسم يوناني يعني: العسل او الحلاوة) (عبد الملك ص ٩٢٣).

ممرا: حبرون (الخليل) وبجانبها كانت مغارة (مكفيلة)، وهي كذلك (رامة الخليل) التي تقع على بعد ميل ونصف شمال الخليل (عبد الملك، ص ٩٢٤). ويمر بقربها الوادي المسمى باسمها (وادي ممرا).

مِنّيت: في مملكة عمّون، وربما كانت المكان المسمى (خربة حُنَيزة) بين حسبان واليدوده، (عبد الملك، ص ٩٢٦). او هي (منجة) شرق حشبون (حسبان)، وقيل انها (المنية) جنوب جبل نَبو (الدبس، جـ٢: ٢٤١).

مؤاب: أرض للمؤابيين تقع في الجهة الشرقية الجنوبية للبحر الميت، وكان يحدها في الاصل أرنون شمالاً، ثم امتدت شمالاً في أرض الاموريين (عبد الملك، ص ٩٢٧). وانظر (Pritchard, P. 58, Carte).

ميدابا (او ميدبا): بلدة *مادبا* شرق البحر الميت (عبد الملك، ص ٩٢٨). وهي في شرق الاردن اليوم.

ميروز: موقع في شمال فلسطين، يعتقد بعضهم انه خربة ماروس بالقرب من بحيرة الحولة، ويعتقد آخرون انه في وادي يزرعيل، اي مرج ابن عامر (عبد الملك، ص ٩٣٩).

ميزيا (Mésie): مقاطعة في أوروبا القديمة كانت تدخل في بلغاريا وتراقيا القديمة (وتراقيا القديمة هي منطقة من أوروبا الشرقية قسمت عامي ١٩١٩ و١٩٢٣ بين كل من اليونان وتركيا وبلغاريا).

***

ن

نايوت: اسم عبري معناه (مساكن) وهو مكان في منطقة الرامة (عبد الملك، ص ٩٤٨).

نحليئيل: اسم سامي ومعناه «وادي الله» وربما كان «وادي واله» الذي يصب في نهر أرنون او نهر الموجب، والا فهو وادي «زرقاء معين» الذي يقع شمال وادي واله (عبد الملك، ص ٩٦١).

نعرة: وهي خربة *العوجا التحتا*، في غور الاردن، غرب النهر (Smith P. 36).

نهر قيشون: *نهر المقطع* (الدبس، جـ٢: ٢٢٩).

نهلول (او نهلال): وتعني بالعبرية (منهل او مورد الماء للحيوانات)، وقد وردت ايضاً (نحلال) والصواب (نهلال)، وهي *تل النحل* جنوب عكا (عبد الملك، ص ٩٨٠ ـ ٩٨١).

نوب: مدينة الكهنة، في أرض بنيامين، الى الشمال من القدس وقبالتها، ويظن انها كانت على جبل المكبر اي جبل سكوبوس الواقع شمال شرقي القدس (عبد الملك، ص ٩٨١)..

نوبح: اسم عبري بمعنى (نباح) وهو لواحد من بني منسى، فتح بلدة اسمها (قناة)

وسماها باسمه، وهي شرق جلعاد بالقرب من يُجْبَهة. وقد أجمع المحققون انها بلدة (قنوات) الحديثة في حوران (عبد الملك، ص ٧٤٣ـ٧٤٤ و ٩٨١ـ٩٨٢).

نينوى: خرائب في مدينة الموصل، في شمال العراق (Webster's P. 851)

***

هـ

هيبوس: مدينة في الجليل، على الشاطىء الشرقي لبحيرة طبرية.،(Josèphe, P. 234)

هيناع: يعتقد انها بلدة «عانة» على نهر الفرات (عبد الملك، ص ١٠١٥).

***

و

وادي أرنون: هو اليوم *وادي الموجب* في المملكة الاردنية الهاشمية. ويجري نهر أرنون في غور عميق حتى يصل الى البحر الميت. وكان هذا الوادي، في عهد موسى، الحد الفاصل بين المؤابيين في الجنوب والاموريين في الشمال (عبد الملك، ص ٥٧).

وادي أيّالون: بالقرب من بلدة أيالون او أيّولون، وهذه بلدة كانت للاموريين، اسمها الحديث *يالو* وهي قرية صغيرة على مسافة ١٤ ميلاً غرب أورشليم (عبد الملك، ص ١٤٦). او هي «تعلو» شرق «عمواس» اليوم (الدبس، جـ٢: ٣٩٩) والاسم الحديث لوادي ايّالون هو «وادي سليمان» (عبد الملك، ص ١٤٦).

وادي بركة: يسمى اليوم (وادي بريكوت) وهو على بعد ٨ أميال جنوب بيت لحم (عبد الملك، ص ١٧١).

وادي البسور: جنوب صقلغ، وربما كان هو (وادي غزة) الذي تجري مياهه بالقرب من بئر سبع وتصب في البحر المتوسط جنوب غزة (عبد الملك، ص ١٧٣).

وادي البطم او (وادي البطمة): يُظن انه «وادي السنط» على بعد ١١ ميلاً جنوب غربي أورشليم (عبد الملك، ص ١٨٠). أو هو في محل كلونيا الآن (وهي المدينة التي بناها الصليبيون تخليداً لذكرى انتصار داود في ذلك الوادي، ولا تزال اطلالها باقية هناك). ويسمى «وادي السنديان» (الدبس، جـ ٢: ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

وادي زارَد: تعني بالعبرية «ازدهار» وهو جدول ماء يخرج من عباريم ويصب في بحر لوط (البحر الميت)، وهو الحد الطبيعي بين أدوم ومؤاب، ويعرف اليوم بوادي الحمصي (عبد الملك، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢).

وادي صفاته: واد بالقرب من مريشة. وهناك واد ينحدر الى بيت جبرين ثم الى ساحل الفلسطينيين، ويُظن انه هو الوادي المشار اليه هنا (عبد الملك، ص ٥٤٣). ويذكر الدبس انه الوادي الممتد من بيت جبرين الى تل الصافي (جـ٢: ٤٠٥).

وادي قدرون: وهو *وادي قطره* شرق «يبنة» على الساحل الفلسطيني (خارطة فلسطين و Aharoni P. 210).

وادي الملح: يظن بعضهم انه (السبخة) جنوب بحر لوط (البحر الميت) ويظن بعضهم الآخر انه شرق بئر سبع (عبد الملك، ص ٩١٥).

وادي يزرعيل: *سهل مرج ابن عامر*، يمتد من البحر المتوسط الى نهر الاردن، ومن جبال الكرمل والسامرة الى جبال الجليل، وتقع فيه مدينة (بيسان) الحالية التي هي (بيت شان) القديمة. يسميه يوسفوس «السهل الكبير» . وكان هذا السهل «باب فلسطين ومفتاحها أيضاً»، منه دخل الفاتحون الاولون لاحتلال الارض، (عبد الملك، ص ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤).

❋❋❋

ي

يابيش جلعاد: بلدة على جبال جلعاد شرق نهر الاردن، ويعتقد انها «تل ابو خرزه» شمال وادي اليابس (وادي يبيش) الذي احتفظ باسمه القديم كما يبدو (عبد الملك، ص ١٠٤٣). وانظر (الدبس، جـ٢:٢٧٦). وتسمى أيضاً *تل المقلوب* (Aharoni, P. 209).

ياردا (Yarda): تل عراد، على بعد ٢٥ كلم جنوب حبرون (الخليل). (Josèphe, P. 308).

يَبْلَعام: وربما كانت (بلعام) من حصة منسى، وقال بعضهم انها *بائمة* وهي خربة تبعد نحو ميل وربع الميل جنوب جنين (عبد الملك، ص١٠٥٢).

يبنة، او يبنئيل: كانت مدينة كبيرة كثيرة السكان، وهي قرية يبنة الحالية التي تقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب يافا، على طريق غزة. أو هي مدينة «كفرياما» الواردة في التلمود، والواقعة عند (يمة) على بعد ٧ أميال جنوب غربي طبرية (عبد الملك، ص ١٠٥٢).

يبّوق: تعني بالعبرية «متدفق» وهو *نهر الزرقاء* بالاردن، وكان حدا فاصلاً بين مملكة سيحون ملك الاموريين، ومملكة عوج ملك باشان (عبد الملك، ص ١٠٥).

يُجْبَهة: اسم عبري بمعنى (مرتفعة)، مدينة كانت في شرق الاردن، وقد تكون *جبيهات*، وهي قرية على بعد ٦ أميال شمال غربي عمان، على طريق السلط، (عبد الملك، ص ١٠٥٥).

يرموت او يرموث: *خربة يرموك* التي تقع على بعد ٨ أميال شمال شرقي بيت جبرين. (عبد الملك، ص ١٠٥٥).

يروئيل (برية): في برية يهوذا، متاخمة لعقبة صيص بجوار عين جدي (عبد الملك، ص ١٠٦١).

يزرعيل: وهي قرية زرعين في سهل مرج بن عامر (خارطة فلسطين و. Smith P.36و (Aharoni P. 210

يشانة: اسم عبري معناه (قديمة) وهو اسم مدينة كانت في جبال أفرائيم، ويظن انها قرية (أسناس). وربما كانت برج (الاسانة) على بعد ٣ أميال شمال جفنة (عبد الملك، ص ١٠٦٦).

يعاريم: تعني بالعبرية (غابات) وهو جبل في تخم يهوذا الشمالي، او هو قرية يعاريم(عبد الملك، ص ١٠٧٢).

يعزيز: تقع على بعد ٥ أميال شرق حسبان، ويظن بعضهم انها خربة تقع جنوب السلط قرب عين هزير في وادي شعيب (عبد الملك، ص ١٠٧٣).

يمنيه: انظر (يبنة).

ينوح: وهي قرية *يانون* الواقعة جنوب شرقي نابلس (انظر: خارطة فلسطين).

يوبا: *يافا* (الدبس، جـ٢، ٥٠١).

مصطلح اسفار العهد القديم وفقا للترتيب الكتابي

كتب الشريعة

التكوين	تك
الخروج	خر
الاحبار	أح
العدد	عد
تثنية الاشتراع	تث

كتب التاريخ

يشوع	يش
القضاة	قض
راعوت	را
صموئيل الاول	١ صم
صموئيل الثاني	٢ صم
الملوك الاول	١ مل
الملوك الثاني	٢ مل
الاخبار الاول	١ أخ
الاخبار الثاني	٢ أخ
عزرا	عز
نحميا	نح
طوبيا	طو
يهوديت	يه
أستير	أس
سفر المكابيين الاول	١ مك
سفر المكابيين الثاني	٢ مك

كتب الحكمة

ايوب	أي
المزامير	مز
الامثال	مثل
الجامعة	جا
نشيد الاناشيد	نش
الحكمة	حك
يشوع بن سيراخ	سي

كتب الانبياء

أشعيا	اش
ارميا	ار
المراثي	مرا
باروك	با
حزقيال	حز
دانيال	دا
هوشع	هو
يوئيل	يوء
عاموس	عا
عوبديا	عو
يونان	يون
ميخا	مي
نحوم	نحو
حبقوق	حب
صفنيا	صف
حجّاي	حج
زكريا	زك
ملاخي	ملا

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

- ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن، الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٥.

- ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٦.

- ابن القلانسي، حمزة بن اسد بن علي بن محمد التميمي، (ذيل) تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسّان، دمشق، (نشر الكتاب بعنوان تاريخ دمشق، واسمه الصحيح: ذيل تاريخ دمشق).

- ابن كثير الدمشقي، ابو الفداء، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٥، ١٩٨٩.

- ابن هشام، ابو محمد بن عبد الملك، سيرة النبي (صلعم) مراجعة وضبط وتعليق وفهرسة: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب التحرير، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

- ابو نوار، معن، معركة الكرامة، لان، ط٣، ١٩٧٠.

- الون، يغال، ثلاث حروب وسلام واحد، تعريب: محمود عباسي، دار النهضة للنشر، الناصرة ١٩٧٠.

- الايوبي، الهيثم، دروس الحرب الرابعة منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث بيروت، ١٩٧٤.

- البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠.

- البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف، لان، بيروت، ١٩٨٠.

- البندك، مازن، اطلس الصراع العربي الصهيوني، دار القدس، بيروت، لات.

- بورثر، هارفي، النهج القويم في التاريخ القديم، بيروت، ١٨٨٤.

- البيضاوي، القاضي ناصر الدين، تفسير البيضاوي (على هامش القرآن الكريم)، المطبعة العثمانية المصرية، القاهرة، ١٣٥٨هـ.

- تايلر، ألان، تاريخ الحركة الصهيونية، تعريب: بسام ابو غزالة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.

- جريس، صبري، وخليفة، احمد، دليل اسرائيل العام، مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ بيروت، ١٩٩٦.

- حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تعريب، جورج حداد وعبد الكريم رافق، اشراف جبور عبد النور، دار الثقافة، بيروت، ومؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر بيروت، القاهرة، بغداد، نيورك، ١٩٥٨.

- حتي، فيليب، خمسة الآف سنة من تاريخ الشرق الادنى، الدار المتحدة للنشر، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٧٥.

- حسن، سليم، مصر القديمة، الجزء السابع، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، القاهرة، ١٩٥٠.

- خان ظفر الاسلام، التلمود، تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٩٨٨.

- الخشاب، عبد المحسن، تاريخ اليهود القديم بمصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩.

- الدبس، المطران يوسف، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، ١٨٩٢.

- دروزه، محمد عزة، تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، ١٩٦٩.

- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تعريب: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١.

ـ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تعريب: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤.

ـ سويد، ياسين، الفن العسكري الاسلامي، اصوله ومصادره، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢: ١٩٩٠.

ـ سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، بيروت، ١٩٨٩.

ـ سويد، ياسين، مؤامرة الغرب على العرب، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٢.

ـ السيوطي، ابو الفضل جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، ضبط وتصحيح احمد عبد الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، لات.

ـ شاحاك، اسرائيل، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة، تعريب: صالح علي سوداح، منشورات بيسان، بيروت، ١٩٩٥.

ـ صايغ، أنيس،بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ـ ١٩٦٧)، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨.

ـ الصليبي، كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥.

ـ الصليبي، كمال حروب داود، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٠.

ـ الصليبي، كمال، خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل، دار الساقي، لندن، ١٩٨٨.

ـ الطبري، ابو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦.

ـ ظاظا، حسن، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ودار العلوم والثقافة، بيروت ١٩٨٧.

ـ ظاظا، حسن، الشخصية الاسرائيلية، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية،١٩٩٠.

- العابد، ابراهيم، العنف والسلام، دراسة في الاستراتيجية الصهيونية، سلسلة دراسات فلسطينية رقم ١٠، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت ١٩٦٧.

- العابد، ابراهيم، مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية، سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٨٨، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧١.

- عباس، محمود (ابو مازن) طريق اوسلو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

- عبد الله، هاني، الاحزاب السياسية في اسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٦.

- عبد الناصر، شوقي، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ط٣ :لات، لان.

- عثمان، احمد، تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤.

- عزمي، محمود، دراسات في الاستراتيجية الاسرائيلية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

- غارودي، روجيه، المأزق، اسرائيل، تعريب: ذوقان قرقوط، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٤.

- عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.

- ڤانس، ڤيك، ولوير، بيار، الملك حسين، حربنا مع اسرائيل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨.

- فريحة، انيس، في القصص العبري القديم، مؤسسة نوفل، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

- فغالي، الخوري بولس، المجموعة الكتابية، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

- فوزي، محمد (فريق اول)، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ـ ١٩٧٠. دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٣.

- القرآن الكريم، وبهامشه تفسير الجلالين (المحلي والسيوطي).

ـ القرطبي، محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

ـ الكتاب المقدس، العهد الجديد، دار المشرق، بيروت ١٩٩١.

ـ الكتاب المقدس، العهد العتيق، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، ١٩٥٧.

ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١.

ـ الكيلاني، هيثم، دراسة في العسكرية الاسرائيلية، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩.

ـ مسلم،، الامام الجامع الصحيح كتاب التحرير، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.

ـ مصطفى، حسن (عميد ركن)، حرب حزيران ١٩٦٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣.

ـ مقار، شفيق، السحر في التوراة والعهد القديم، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٠.

ـ مقار، شفيق، قراءة سياسية للتوراة، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٧.

ـ مقار، شفيق، المسيحية والتوراة، بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الاوسط، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٢.

ـ مقلد، اسماعيل صبري، الاستراتيجية والسياسة الدولية، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

ـ منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث سلسلة «اليوميات الفلسطينية» مجموعة ١٣، بيروت، ١٩٧٢.

ـ مؤسسة الاهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العسكرية الصهيونية، القاهرة، ١٩٧٢ـ ١٩٧٤.

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أمن اسرائيل في الثمانينات، بيروت، ١٩٨٠.

- نتنياهو، بنيامين، مكان تحت الشمس، تعريب: محمد عودة الدويري مراجعة: كلثوم السعدي، دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩٥.

- نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، لان، لات.

- النيسابوري، ابو الحسن علي بن احمد الواحدي، أسباب النزول، دراسة وتحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.

- وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، بيروت، ١٩٧٣.

- ولسون، جون، الحضارة المصرية، تعريب احمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١.

ثانياً: المصادر والمراجع الاجنبية

١ـ الفرنسية:

-- Auboyer, Jannine, et autres, Histoire générale des Religions, Ed. Librairie Quillet, Paris, 1960.

-- Barnavi, Elie, Histoire universelle des Juifs, de la Génèse à la fin du XXe S. Ed. Hachette, Paris. 1992.

-- Bar-Zahar. Michel, Ben-Gourion, le Prophète armé, Ed. Fayard, Paris, 1966.

-- Begin, Menahem, la Révolte d'ysraël, Ed. la Table ronde, Paris 1971.

-- Ben -- Gourion, David, Regards sur le passé, Ed. du Rocher, Monaco, 1965

-- Boniface, Pascal, et autres, l'anneé stratégique 1991. les équilibres militaire, 1990 - 1991, Ed. Stock - Iris, Paris, 1991.

-- Bucaille, Maurice, La Bible, Le Coran, et la Science, Ed., Seghers, Paris, 1976.

-- Dayan, Moshé. Histoire de ma vie, Ed. Fayard, Paris. 1976.

-- Freud, Sigmund, L'homme Moïse et la religion monothéiste, Collection: Connaissance de L'inconscient, nrf, Ed. Gallimard, Paris, 1986.

-- Garaudy, Roger, les Mythes fondateurs de la politique israélienne, Ed. Samiszdat, R. Garaudy, 1996.

-- Hadas-lebel, Mireille, jérusalem contre Rome, Ed. du Cerf, Paris, 1990.

-- Hérodote, L'Enquête, Ed. d'André Barguet, Gallimard, 1985.

--Herzel, Théodor, L'Etat des Juifs, Ed. La Découverte, Paris, 1990.

-- Josèphe, flavius, La guerre des juifs, Traduit du Grec par Pierre Savinel, Ed. de Minuit, Paris, 1977

-- Larteguy, Jean, les murailles d'ysraël, Ed. Publications premières, Paris, 1968.

-- Malka, Victor et Salomon, Le petit Retz du judaïsme, Ed. Retz, Paris, 1989.

-- Monteil, Vincent, Dossier secret sur Ysraël; Le terrorisme, Ed. Guy Authier Paris, 1978.

-- Narkiss. Uzi. La Bataille pour Jérusalem, Ed. Hachette, Paris, 1968.

-- Perès, Shimon. le temps de la Paix, Ed. Odile Jacob, Paris, 1993.

-- Perfitt, Roger, Alexandre le Grand, Ed. Albun Michel, Paris. 1981.

-- Pritchard, James, Atlas du monde biblique, Traduit de l'anglais par: Canal, Denis-Armand, et Féménias, Anne, Ed. Larousse, Librairie Larousse, Paris, 1989.

-- Rabin, Yitzakh, Mémoires, Ed. Buchet-Chastel, Paris, 1980.

-- Sachar, Abram léon, Histoire des Juifs, Traduit de l'anglais par Benoit Braun, 5° Ed. Flammarion, France, 1973.

-- Shwab, Moïse (Traducteur), Le Talmud de Jérusalem , Ed. G.P. Maisonneuve, Paris, 1960.

-- Société biblique française, La Bible, ancien et nouveau testament, traduite de l'hébreu et du grec en français courant, Ed. Alliance biblique Universelle, 1283.

-- Willerval, Bernard, et autres, Chronologie illustrée de l'histoire universelle, Eclectis / Albin Michel, 1992.

٢ـ الانكليزية:

-- Aharoni, Yohanan, and others, the Macmillan Bible Atlas, Completely revised. 3d Ed. Macmillan publishing Company, New-York, 1993.

-- Bahat, Dan, the Illustrated Atlas of Jerusalem, Jerusalem, 1990.

-- Baigent, Michael, and Leigh, Richard, The Dead sea scrolls deception, Ed. Summit books, New- York, 1991.

-- Gilbert, Martin, The Atlas of Jewish history, Ed. William Marrow and Compagny, New- York, 1992.

-- Smith, George Adam, Historical Atlas of the Holy land. Hoder and Stoughton LTD. london, 1936.

-- Weizman, Chaïm, Trial and errors, Ed. East and West library, London. 1950.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم:

١ـ العربية:

ـ الايوبي، الهيثم، الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧.

ـ البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، بيروت، ١٨٧٠.

ـ دار المشرق، المنجد في اللغة والاعلام، ط ٣٠، ١٩٦٨.

ـ عبد الملك، بطرس، وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مكتبة المشعل، بيروت ط٦، ١٩٨١.

ـ هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط ١، ١٩٨٤.

٢ ـ الفرنسية

-- Dictionnaire encyclopédique Quillet, Ed. Quillet, France, 1970.

-- Gregory, Claude, Encylopaedia Universalis, Paris:

-- 1972, article de G. Nahon (Judaîsme: Histoire des Hebreux)

-- 1974, article d'André Beaufre (La guerre d'octobre, les opérations militaires).

-- Librairie Larousse, Pluridictionaire Larousse, Paris, 1975.

٣ـ الانكليزية:

-- Gwinn, Robert and others, the new Encyclopaedia Britannica, 15th, Ed. 1974 - 1990.

-- Keter Publishing, Encyclopaedia judaïca, vol. 16, Fourth printing, 1978, Keter Publishing, House jerusalem LTD., jerusalem.

-- Merriam-Webster, webster's New Geographical Dictionnary, Merriam Webster inc. Springfield, Massachusetts, 1988.

رابعاً: الصحف والنشرات المجلات:

١ ـ العربية:

ـ جريدة «السفير» اللبنانية، بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٩٤ (الوثيقة الإسرائيلية للمؤتمر الاقتصادي في الدار البيضاء بالمغرب).

ـ جريدة «السفير» بتاريخ ١٤ و ١٦/ ٢/ ١٩٩٥ (الهولوكوست وحجاب الديمقراطية لسعود المولى).

ـ جريدة «السفير» بتاريخ ٨ و ١٧ و ١٨/ ٨/ ٩٥ (قضية تصفية أسرى الحرب المصريين عامي ٦٥ و ٦٧) وبتاريخ ٢١/ ٨/ ٩٥ وتاريخ ٩/ ٩/ ٩٥ (القضية نفسها).

ـ جريدة «النهار»، بتاريخ ١٧ و ١٨/ ٨/ ٩٥ (القضية نفسها).

ـ رويتر، وكالة، بتاريخ ١٦/ ٨/ ٩٥ (القضية نفسها).

ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٩٧٣ ص ٢٣٩ (حديث موشي دايان لصحيفة معاريف الإسرائيلية).

ـ قيادة الجيش العربي الأردني، المجلة العسكرية، عدد خاص رقم ٧٤ (عن معركة الكرامة).

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مجلة «الدراسات الفلسطينية» عدد ٢٧ صيف ١٩٩٦.

٢ ـ الفرنسية:

-- Le Figaro, Mercredi le 12/3/95, P. 13: (la bible antisémite, Commentée par: E. Maréchal).

-- Le Figaro (date ?): (Garaudy et l'Abbé Pierre, nos lecterus réagissent).

خامساً: الخارطات:

- إدارة المساحة العسكرية - دمشق، عام ١٩٨٢، خارطة سوريا ولبنان، مقياس ١/٢٥٠٠٠٠.

- جمعية الدراسات العربية - القدس ١٩٨٤، فلسطين كما كانت عام ١٩٣٤، مقياس ١/٢٥٠٠٠٠.

- القيادة العامة للقوات المسلحة الاردنية، عام ١٩٧٥، خارطة المملكة الاردنية (القدس وعمان) مقياس ١/٢٥٠٠٠٠.

- منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، بيروت، خارطة فلسطين عام ١٩٤٨، تحقيق سعيد الصباغ. مقياس ١/٢٥٠٠٠٠

-- Tübinger Atlas def varderen orient (Tavo), خارطة (ألمانية)

فهرس الخارطات والمخططات والرسوم والصور

فهرس الخارطات

رقم الخارطة	الموضوع	
رقم (٣١)	الحروب التوسعية لهرقانوس	١٣
رقم (٣٢)	حملة أرسطوبولس الاول على الجليل الاعلى	١٥
رقم (٣٣)	حروب الكسندر جانيوس	٢٠
رقم (٣٤)	حروب أرسطو بولس الثاني	٢٦
رقم (٣٥)	حروب هيرودوس الادومي	٤٢
رقم (٣٦)	حملة «سستيوس غالّوس» على اليهودية	٥٧
رقم (٣٧)	حروب فسباسيان في الجليل واليهودية	٨٩
رقم (٣٨)	مسير تيتوس من الاسكندرية بمصر الى قيسارية بسوريا	٩١
رقم (٣٩)	حصار تيتوس لاورشليم	٩٧
رقم (٤٠)	معركة أورشليم	١١٨

فهرس المخططات

الرقم	الموضوع	
مخطط رقم (٤)	أورشليم في عهد تيتوس	٩٩
مخطط رقم (٥)	حصار مسّادا	١٢٦

فهرس الصور

الرقم	الموضوع

صورة رقم (١) جندي اسرائيلي يدوس بقدمه على رقبة مواطن فلسطيني ١٦٣

صورة رقم (٢) جنديان اسرائيليان يرميان أرضاً احد الفلسطينيين في نابلس بينما يدوس احدهما عليه بقدمه ١٦٤

مخطط رقم (٣) مستوطن يقبّل قبر سفاح الحرم الابراهيمي «باروخ غولدشتاين» الذي ارتكب جريمته وقُتل في مدينة الخليل بتاريخ ٢٥/٢/١٩٩٤ .... ١٧٦

صورة رقم (٤) قتل مواطنين أبرياء، بينهم فتيات، في سحمر بالبقاع الغربي، من جراء غارة جوية اسرائيلية على البلدة، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩٦ .... ١٧٧

صورة رقم (٥) تدمير سيارة إسعاف لبنانية وقتل عائلة بكاملها مؤلفة من ستة اشخاص بينهم اربعة أطفال، على طريق المنصوري ـ الحنيّة، قضاء صور، بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٦ .... ١٧٧

صورة رقم (٦) نور العابد، ولدت في اليوم الخامس للعدوان الصهيوني على لبنان فقتلها العدوان في اليوم الثامن، في ملجأ بالنبطية، بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦ .... ١٧٨

صورة رقم (٧) أشلاء طفلة مزقت رأسها مروحية اسرائيلية في مخيم تابع للأمم المتحدة في الموقع الفيجي في قانا، قضاء صور، بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦ .... ١٧٨

صورة رقم (٨) رجل قتله العدوان الصهيوني، في قانا، بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦، وبالقرب منه زوجته وبعض عناصر القوات الفيجية ١٧٩

صورة رقم (٩) النصب التذكاري لشهداء معركة الكرامة ٢٩٠

صورة رقم (١٠) النصب التذكاري لشهداء معركة الكرامة ٢٩١

فهرس المضمون

الجزء الثاني

الباب الخامس: ما لم يرد في كتاب اليهود عن حروبهم (١٣٤ق.م. ـ ١٣٥م) ٥

ـ الفصل الاول: الحروب في عهد الاسرة المكابية ٩

ـ الفصل الثاني: حروب الرومان ضد اليهود ـ ١ ـ من جسيوس فلوروس الى فسباسيان (٦٥ ـ ٦٩م) ٤٣

ـ الفصل الثالث: حروب الرومان ضد اليهود ـ ٢ ـ حروب تيتوس (٧٠م) ٩٣

ـ الفصل الرابع: حروب الرومان ضد اليهود ـ ٣ ـ حروب ما بعد تيتوس (٧٠ـ٧٣م و ١٣٢ ـ ١٣٥م) ١٢١

الباب السادس: الجذور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية ١٤٣

ـ الفصل الاول: الطبيعة العدوانية ١٤٧

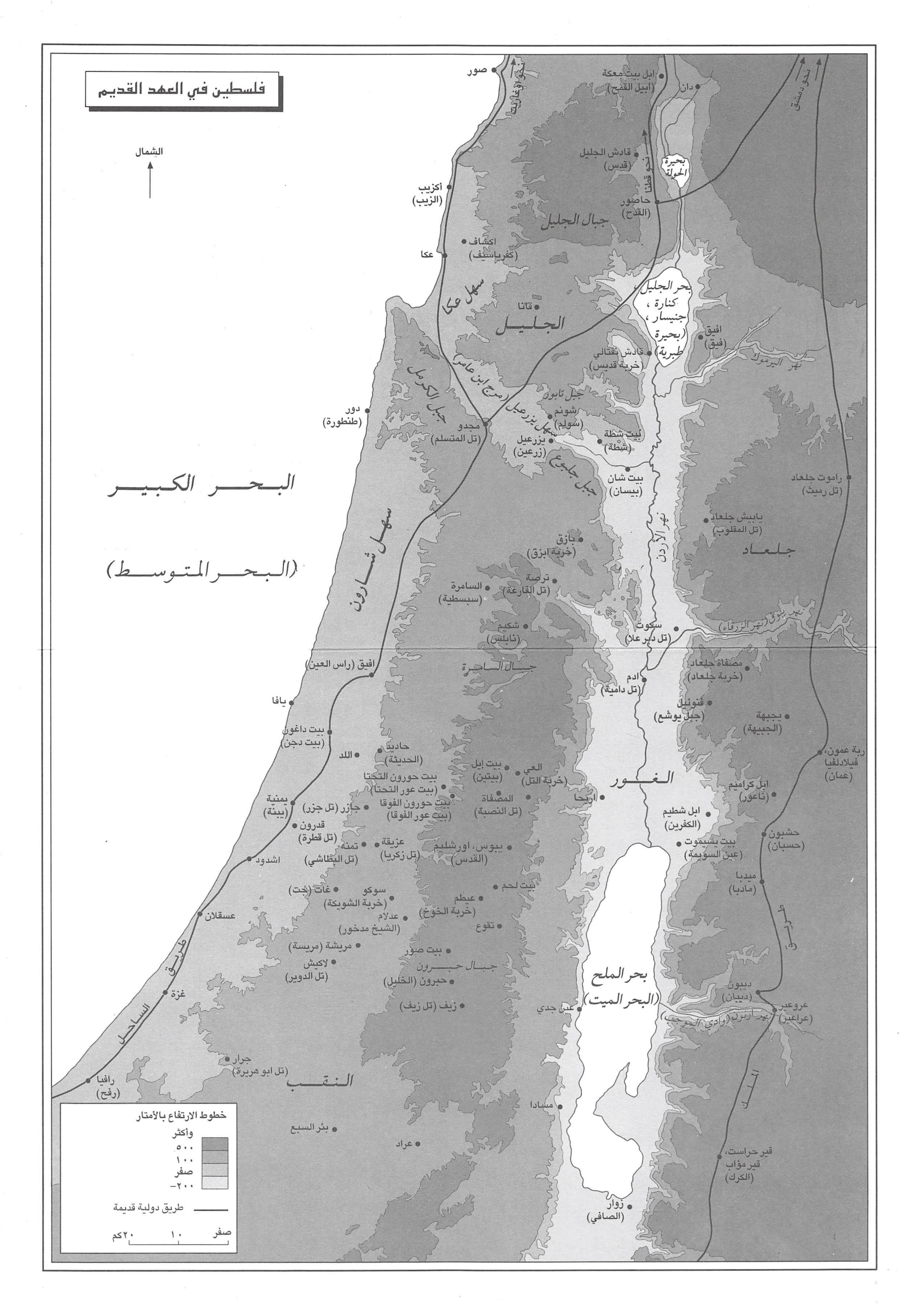
ـ الفصل الثاني: العنف والارهاب ١٦١

ـ الفصل الثالث: الاحتلال والتوسع والسيطرة ١٨١

ـ الفصل الرابع: الاتكالية او سياسة الاعتماد على الغير ١٩٣

ـ الفصل الخامس: الحرب الجماعية او الامة المسلحة ٢١١

ـ الفصل السادس: قواعد الحرب ومبادئها ٢٢٥
ـ الفصل السابع: السلوك العام في الحرب ٢٤٩
ـ الفصل الثامن: التعبئة النفسية والمعنوية ٢٥٩
ـ الفصل التاسع: الاسطورة في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في
العهد القديم ٢٧١
ـ الفصل العاشر: الحقد اليهودي المتجذر، دينيا وتاريخيا، على
الفلسطينيين ٢٧٩
ـ خاتمة واستنتاج ٢٩٣
ـ مراجع الخارطات ٣٣٥
ـ معجم اسماء الأعلام ٣٣٧
ـ مصطلح أسفار العهد القديم ٣٨٥
ـ فهرس المصادر والمراجع ٣٨٧
ـ فهرس الخارطات والمخططات والصور ٣٩٧

فلسطين في العهد القديم
الشمال
صور
نحو اوغاريت
ابل بيت معكة
(ابيل القمح)
دان
نحو دمشق
قادش الجليل
(قدس)
بحيرة الحولة
نحو قطنا
أكزيب
(الزيب)
حاصور
(القدح)
جبال الجليل
اكشاف
(كفرياسيف)
عكا
سهل عكا
بحر الجليل
كنارة ،
جنيسار ،
(بحيرة
طبرية)
قانا
الجليل
افيق
(فيق)
قادش نفتالي
(خربة قديس)
نهر اليرموك
مرج ابن عامر
جبل الكرمل
جبل تابور
شونم
(سولم)
سهل يزرعيل
دور
(طنطورة)
مجدو
(تل المتسلم)
يزرعيل
(زرعين)
بيت شطة
(شطة)
جبل جلبوع
بيت شان
(بيسان)
البحر الكبير
راموت جلعاد
(تل رميث)
سهل شارون
نهر الأردن
يابيش جلعاد
(تل المقلوب)
بازق
(خربة ابزق)
جلعاد
(البحر المتوسط)
ترصة
(تل الفارعة)
السامرة
(سبسطية)
شكيم
(نابلس)
سكوت
(تل دير علا)
نهر يبوق (نهر الزرقاء)
افيق (راس العين)
جبال السامرة
مصفاة جلعاد
(خربة جلعاد)
ادم
(تل دامية)
يافا
فنوئيل
(جبل يوشع)
بيت داغون
(بيت دجن)
يجبهة
(الجبيهة)
اللد
حاديد
(الحديثة)
بيت ايل
(بيتين)
العي
(خربة التل)
ربة عمون،
فيلادلفيا
(عمان)
بيت حورون التحتا
(بيت عور التحتا)
الغور
ابل كراميم
(ناعور)
يمنية
(يبنة)
جازر (تل جزر)
بيت حورون الفوقا
(بيت عور الفوقا)
المصفاة
(تل النصبة)
اريحا
قدرون
(تل قطرة)
ابل شطيم
(الكفرين)
تمنه
(تل البطاشي)
عزيقة
(تل زكريا)
يبوس، اورشليم
(القدس)
بيت يشيموت
(عين السويمة)
حشبون
(حسبان)
اشدود
بيت لحم
ميدبا
(مادبا)
غات (جت)
سوكو
(خربة الشويكة)
عيطم
(خربة الخوخ)
عسقلان
عدلام
(الشيخ مدخور)
تقوع
مريشة (مريسة)
بيت صور
لاكيش
(تل الدوير)
جبال حبرون
بحر الملح
حبرون (الخليل)
ديبون
(ديبان)
غزة
(البحر الميت)
عين جدي
زيف (تل زيف)
عروعير
(عراعير)
نهر ارنون (وادي الموجب)
طريق الساحل
جرار
(تل ابو هريرة)
النقب
رافيا
(رفح)
خطوط الارتفاع بالأمتار
وأكثر
٥٠٠
١٠٠
صفر
٢٠٠-
مسادا
بئر السبع
عراد
قير حراست،
قير مؤاب
(الكرك)
طريق دولية قديمة
زوار
(الصافي)
صفر
١٠
٢٠كم